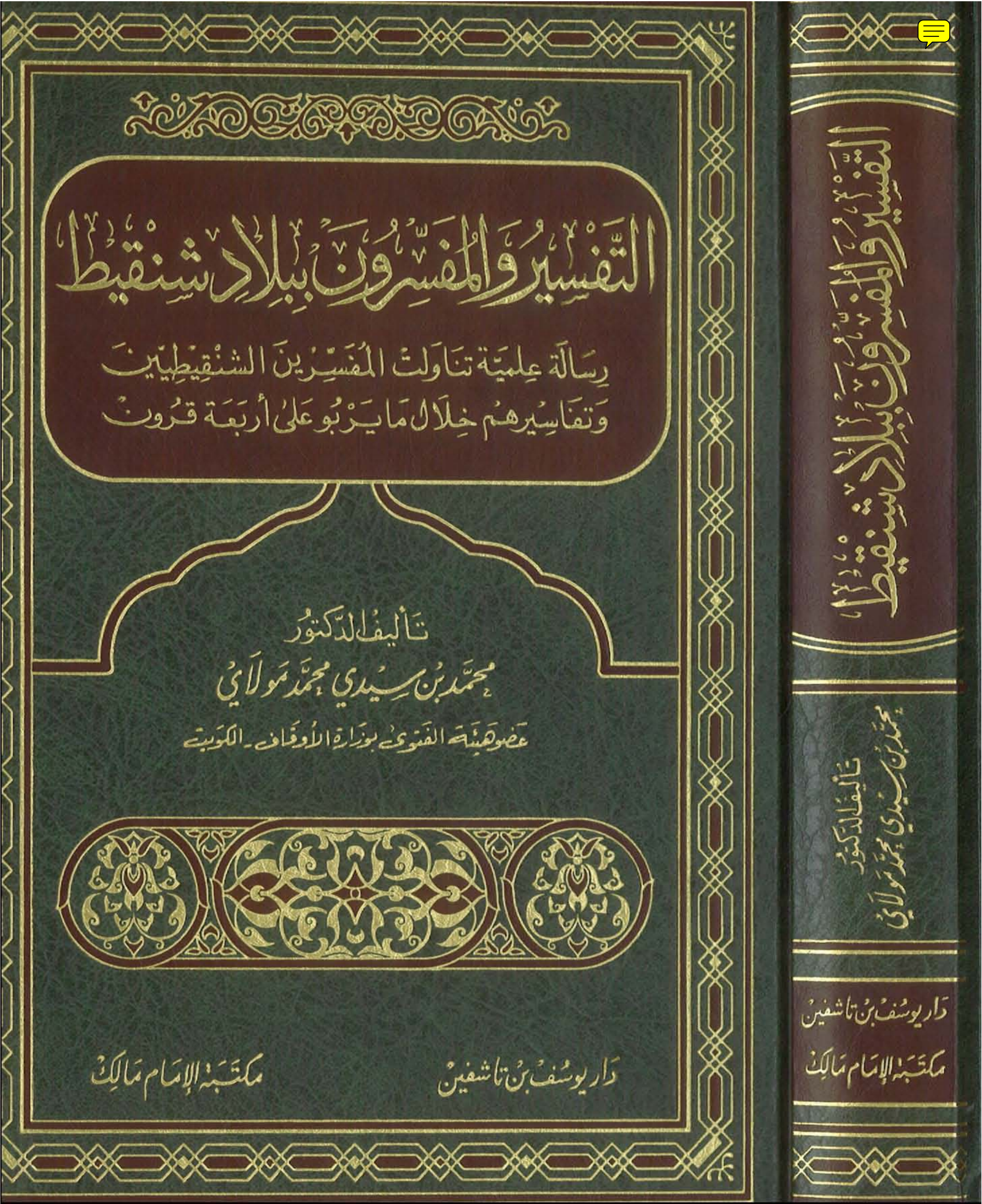


التفسير والمفسرون ببلاد شنقيط
رسالة علمية تناولت المفسرين الشنقيطيين وتفاسيرهم خلال ما يربو على أربعة قرون
تأليف الدكتور
محمد بن سيدي محمد مولاي
عضو هيئة الفتوى بوزارة الأوقاف - الكويت
دار يوسف بن تاشفين
مكتبة الإمام مالك



التفسير والمفسرون ببلاد شنقيط

الطَّبْعَةُ الأُولَى
١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

الناشر
دار يوسف بن تاشفين ومكتبة الإمام مالك (رضي الله عنهما جميعاً)
مع العلم أن كل منشورات اتحاد الناشرين الموريتانيين (سابقاً) هي
الآن ملك لدار يوسف بن تاشفين ومكتبة الإمام مالك
لأمينهما العام محمد محمود ولد محمد الأمين

الجمهورية الإسلامية الموريتانية ـ كيفة:
تلفون: ٠٠٢٢٢/٦٣٣١٠٣٥
: ٦٨٨٣٣٩٨
: ٦٧٣٢٥٤٣
: ٦٧٥١٢٥٥

الإمارات العربية المتحدة ـ العين:
تلفون: ٠٠٩٧١٣/٧٦٥٧٧٤٢
فاكس: ٠٠٩٧١٣/٧٦٥٥٧٦٤
جوال: ٠٥٠/٦٧٣٥٢٩٨
جوال: ٠٥٠/٣٣٤٣٧٨٢

التفسير والمفسرون ببلاد شنقيط

رسالة علمية تناولت المفسرين الشنقيطيين
وتفاسيرهم خلال ما يربو على أربعة قرون

تأليف الدكتور
محمد بن سيدي محمد مولاي
عضو هيئة الفتوى بوزارة الأوقاف - الكويت

مكتبة الإمام مالك

دار يوسف بن تاشفين



أصل هذا الكتاب رسالة علمية تقدم بها المؤلف لنيل شهادة دكتوراه الدولة من جامعة محمد الخامس ـ بالرباط. وتمت مناقشتها من طرف الأساتذة:

أ.د التمامي الراجي الهاشمي رئيساً.

أ. د ـ أحمد أبو زيد مشرفاً ومقرراً.

أ. د ـ حمداتي بن الشيخ ما العينين مناقشاً.

أ. د ـ محمد النَّصري مناقشاً.

أ. د ـ محمد الظريف مناقشاً.

وبعد المناقشة حصلت الرسالة على درجة الامتياز (حسن جداً).

بسم الله الرحمن الرحيم

تقريظ

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب وجعله هدىً للناس وبينات من الهدى والفرقان والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبده ورسوله المؤيد بالمعجزات والبرهان وعلى آله وأصحابه أولى العلم والعرفان.

وبعد:

فقد راجعت رسالة فضيلة الشيخ الدكتور محمد بن مولاي وبذلت المستطاع في تصحيحها بالتعاون مع أحد الأخوة وهو الشيخ محمد الأمين ولد محمد سيدي (إمام مسجد).

ومن خلال قراءتي لهذه الرسالة القيمة «**التفسير والمفسرون ببلاد شنقيط**» وجدتها بحق فريدةً في بابها ولأول مرة تظهر صورة مشرقة عن الشناقطة ومدى تعلقهم بكتاب الله حفظاً ورسماً وضبطاً وتفسيراً. فقد كان في أذهان الجميع المقولة الشائعة: «القرآن نزل في جزيرة العرب، وقرأ في مصر، وكتب في تركيا، وحفظ في موريتانيا» لكن الشيخ ـ جزاه الله خيراً ـ بين أن القرآن كذلك فسر وأعرب وضبط ورسم في موريتانيا (شنقيط) فهذا البحث في غاية الأهمية ولا يخفى أنه كلف جهوداً مضنية ووقتاً طويلاً، ولكنه بدون مجاملة يحق لكل شنقيطي أن يفتخر بهذه الرسالة التي لمّعت صورة الشناقطة وبينت اهتمامهم بكتاب الله رغم أنهم كانوا في بيئة صعبة

يتدارسون كتاب الله في جامعاتهم المتنقلة على ظهور العيس يؤلفون الكتب النادرة كما قال العلامة تاج العلماء شيخ الشيوخ المختار بن بونة الجكني:

قد اتخذنا ظهور العيس مدرسة   بها نبين دين الله تبيانا

ومن هنا فإني أزف البشارة لكل الشنقيطيين بمناسبة طباعة هذا الكتاب الذي هو رسالة جامعية في الأصل ونتقدم بالشكر الجزيل إلى فضيلة الشيخ الدكتور على ما قام به من عمل رائع في سبيل إنجاز هذا المجهود الكبير ونرجو الله تعالى أن يوفقنا وإياه وأن يجعل كل أعمالنا خالصة لوجهه تعالى، ومرة أخرى أشكر كل من يساهم في إحياء تراث الشناقطة فعلى طلاب العلم أن يقتنوا هذه الرسالة ويحالوا تحقيق بعض تلك الكتب التي وردت ضمنها في قائمة طويلة.

وفقنا الله جميعاً لخدمة كتاب الله والسير على منهجه وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

كتبه:

أ. محمد ولد محمد ولد سيدي الأمين

امام مسجد في ابو ظبي

تاريخ: ٢٠٠٧/٨/٦م



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، والصلاة والسلام على محمد البشير النذير، الذي اصطفاه الله من خلقه لحمل رسالته، فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الغمة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الأكرمين، والتابعين، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فقد أظهر القرآن الكريم فجراً جديداً، ودعوة جديدة، أشرقت شمسها على مشارق الأرض ومغاربها، ففتحت أعيناً عمياً، وقلوباً غلفاً، وآذاناً صماً، فتكونت في الشرق والغرب جماعات من المؤمنين بهذا القرآن، وأخذت دورها في نشر رسالة العلم والمعرفة، وبعث الحضارة الإنسانية، وجاب الإسلام أرض المشرق وبزغ فجره في المغرب وامتد نوره إلى الصحراء الكبرى ومنها (بلاد شنقيط) التي هي امتداد للدولة الإسلامية، وقد عبر الإسلام من خلالها إلى إفريقيا الغربية.

هذه البلاد المترامية الأطراف، استجاب أهلها للإسلام طواعية وتحملوا نشره إلى الآفاق، فجابوا مجاهيل إفريقيا الواسعة وبذلوا كل غال ونفيس في تعلم العلوم النافعة وتعليمها.

وإن تصميم جمهور الشنقيطيين على تحصيل العلم جعل منهم طاقة

هائلة أنجبت أفذاذ العلماء وأساتذة المعرفة الذين نبغوا في مختلف العلوم العربية الإسلامية، هذا ومن الطبيعي أن يهتم العلماء الشنقيطيون بالقرآن الكريم ويعتنوا به عناية فائقة، إذ هو دستورهم، وقانون حياتهم، ومفتاح علومهم ودراساتهم، لهذا اتجهوا إليه يحفظون نصه، ويقرؤون العلوم المتعلقة به، من تجويد، ورسم، وإعراب، وتفسير، وغير ذلك، فكان لهم في هذا الميدان جهد كبير، لا يعلم الناس عنه إلا قليلاً، بل إن بعض المشتغلين بالدراسات الإسلامية لا يعرف عنه شيئاً.

ومن هنا وقع اختياري على موضوع «**التفسير والمفسرون ببلاد شنقيط**» ليكون موضوعاً لأطروحتي للدكتوراه.

ويمكن تلخيص أهم أسباب هذا الاختيار في النقاط التالية:

١ ـ خدمة علم التفسير، الذي هو مفتاح الكنوز والذخائر التي احتواها القرآن الكريم، وتتمثل هذه الخدمة في إبراز الجهود التي بذلت فيه في هذه الربوع، والعمل على تنقيتها وتقويمها.

٢ ـ الإسهام في دراسة جزء من التراث الإسلامي الشنقيطي، المعرض للضياع، والمهدد بالاندثار، فالتفسير في بلاد شنقيط لم يحظ بأي عناية من الدارسين والباحثين وهو من أهم التراث العلمي الذي يستحق العناية والصيانة.

٣ ـ ومنها أن التفسير في هذه الربوع يحتاج إلى دراسات تبين مناهجه واتجاهاته، لهذا أردت أن أبين بعضاً من مناهج تفسير الشنقيطيين واتجاهاتهم، وإسهاماتهم، وجهودهم التي قدموا في هذا العلم، وهي جهود تذكر فتشكر، وهذا ربما يدفع الكثيرين من طلاب العلم في هذه البلاد إلى العودة لمصادرهم الأصلية، ومنابعهم الفياضة.

هذه هي أبرز الأسباب، وأما الصعوبات التي واجهتني فيه فهي متعددة ومن أهمها:

١ ـ أن البحث يعتمد في مادته على مخطوطات متوزعة على مكتبات

شخصية، والقليل منها يوجد في مكتبات رسمية، والحصول على هذه المخطوطات يعتبر من الصعوبة بمكان، أما المكتبات الرسمية فلديها طرق معقدة للحصول على صورة من المخطوط، وهذه الطرق قد تكون عائقاً دون المراد، والعذر لهؤلاء، هو حرصهم على حماية هذه المخطوطات التي ضاع أكثرها في ظروف غامضة.

أما المخطوطات الشخصية فإن حرص أصحابها عليها أشد، وشروطهم أقسى ومع ذلك فبعضهم يضحي تضحية كبيرة للباحثين ويعطيهم من جهده ووقته ما يمكنهم من بغيتهم، ومن هؤلاء الأستاذ الراجل بن أحمد سالم جزاه الله خيراً.

٢ ـ أن جل نصوص التفسير التي أبحث فيها مخطوطة ولم تتناولها أيادي الباحثين بالتحقيق والتمحيص والدراسة، فتطلب مني هذا العمل تحقيق أي نص أريد الاستشهاد به، والبحث في مضمونه، فكان هذا العمل: تأليفاً، وتحقيقاً.

٣ ـ ومن الصعوبات التي أذكر هنا أن التفسير ببلاد شنقيط لم يكتب عنه إلا القليل جداً، وجل ما كتب عنه لا سبيل إلى الحصول عليه إلا بالسفر إلى بلاد بعيدة مثل السعودية، التي أنجزت فيها بحوث تتعلق بتفسير محمد الأمين الشنقيطي، لهذا سافرت إليها وحصلت على بعض البحوث التي أنجزت فيها، وتكلفت في ذلك السفر مشقة عظيمة.

٤ ـ عند محاولة الترجمة للمفسرين الشنقيطيين واجهتني صعوبة كبرى وهي:

أن جل هؤلاء لم يترجم لهم من قبل، ومن وجدت له ترجمة منهم فهي غير كافية على الإطلاق، لهذا تحملت عناء البحث عن هؤلاء أبحث عن أحوالهم وتواريخ وفياتهم والمعلومات الأخرى التي تتطلبها الترجمة لهم.

الدراسات السابقة: لم تحظ الثقافة عموماً في بلاد شنقيط بأي عناية من الباحثين والدارسين العرب، ويرجع ذلك بالدرجة الأولى إلى بعد هذه

البلاد عن الحواضر الإسلامية، وعدم اهتمام أهلها بالتدوين، ومن هذه الثقافة المهملة التفسير، فالمعاجم التي وضعت لحصر المفسرين أهملت الشناقطة إهمالاً كاملاً وكمثال على ذلك ما يلي:

(أ) المعجم الذي وضعه عادل نويهض اللبناني والذي ألف سنة ١٩٧٥ ونشرته مؤسسة نويهض للثقافة والترجمة والنشر عام ١٤٠٣هـ وذكر فيه ألفي (٢٠٠٠) ترجمة للمفسرين على مر التاريخ الإسلامي لم يذكر من الشناقطة إلا شخصاً، أو شخصين، جاوزت شهرتهما الإطار الإقليمي.

(ب) معجم تفاسير القرآن الذي نشرته المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة «إيسسكو» بتاريخ ١٤١٧هـ وهو تأليف لمجموعة من المؤلفين ذكروا فيه ٩٠ مؤلفاً مفسراً مطبوعاً و٧٩ مفسراً مخطوطاً، ولم يذكروا من الشناقطة ـ حسب ما اطلعت عليه ـ إلا الشيخ محمد الأمين الشنقيطي.

(ج) معجم مصنفات القرآن الكريم للدكتور علي شواخ إسحاق وهو ثلاث مجلَّدات، لم يتطرق إلى إنتاج الشنقيطيين، وهكذا كل المعاجم الأخرى.

ولما عرض الشيخ محمد بن إبراهيم الكتاني على الزركلي أن يستفيد من كتاب فتح الشكور الذي ترجم لكثير من علماء شنقيط قال الزركلي معرضاً: ذاك عالم لا نكاد نعرف عنه شيئاً[١].

وقد وضعت دراسات يسيرة من بعض الباحثين المعاصرين على المفسرين الشنقيطيين وجلها يتعلق بأضواء البيان، فمن هذه الدراسات:

١ ـ الشنقيطي ومنهجه في التفسير: لمؤلفته: سميرة بنت صقر آل محمد كلية البنات بجدة حصلت به على الماجستير.

٢ ـ منهج الشنقيطي في تفسير آيات الأحكام ـ عبدالرحمن بن عبدالعزيز السديس، جامعة أم القرى، مكة المكرمة عام ١٤١٠هـ.

---

(١) مقدمة فتح الشكور ص٦.

٣ ـ الشيخ الشنقيطي وتفسيره أضواء البيان: فرمان إسماعيل إبراهيم د/ الدولة، جامعة بغداد، عام ١٩٩٦م، اللغة العربية.

٤ ـ تحقيقات الشنقيطي الدلالية في أضواء البيان: يعقوب حسن عبد المشهداني، كلية التربية، الموصل عام ١٤٢٠هـ، ماجستير اللغة العربية.

٥ ـ جهود الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف: الدكتور عبدالعزيز بن صالح، الجامعة الإسلامية، نشر عام ١٤١٩هـ. قسم العقيدة.

٦ ـ تطور منهج التفسير في موريتانيا من خلال أضواء البيان. عبدالله بن أحمد عبيد ١٤٢٠هـ، جامعة تونس.

٧ ـ تحقيق الجزء الأول من «مراقي الأواه» لأحمدو بن أحمذيّ المحقق: أحمد بن أباه. جامعة محمد الخامس عام ١٤٢٠هـ.

٨ ـ توجد رسائل في المؤسسات العلمية تخرّج بها بعض الطلاب من المعهد العالي للدراسات الإسلامية، ومن جامعة نواكشوط.

تعرضت هذه الرسائل لمجموعة من المفسرين وتفاسيرهم مثل: «تفسير الريان»، للعلامة أحمد بن محمد سالم، و«الذهب الإبريز» للعلامة محمد اليدالي وغيرهما، وهذه الدراسة جزئية وبسيطة ولكنها لا تخلو من أهمية.

المنهجية التي اتبعتها: وقد سلكت في هذا العمل منهجين:

* **منهج تاريخي وصفي**: ذلك أن الدراسة تتناول فترة تاريخية محددة في رقعة ترابية معينة وتتناول تفاسير متلاحقة.

* **منهج تحليلي**: يقوم على التحقيق والمناقشة والتعليق والنقد.

أما المصادر التي اعتمدت عليها في كتابة هذا البحث فهي:

١ ـ مصادر أصلية: وهي تفاسير الشناقطة من القرن الثاني عشر حتى الوقت الحاضر، وقد استفدت من هذه المصادر المخطوطة في معظمها، بعد استخراج نصوصها، وتحقيقها، وإصلاح ما فيها من أخطاء الناسخين، وذلك بالاعتماد على أصح النسخ، وأصول هذه المخطوطات.

٢ ـ كتب التفسير وعلوم القرآن والحديث والفقه.

٣ ـ مراجع عامة.

٤ ـ دراسات حديثة.

وسوف أثبت هذه المصادر والمراجع في فهرس خاص بها في نهاية هذا العمل.

وقد اقتضت طبيعة البحث في هذا الموضوع تقسيمه إلى الخطة الآتية:

● **مقدمة**: وهي هذه.

● **تمهيد**: سلطت فيه الضوء على الأمور المتعلقة بالتفسير، سواء تعلق الأمر بتهيب الشنقيطيين من التفسير وسلفهم من الأمة الإسلامية في ذلك، أو تعلق بمرجعيتهم في التفسير، وغير ذلك.

* الباب الأول: الحياة الثقافية في بلاد شنقيط *

وهو مشتمل على الفصول الآتية:

الفصل الأول: نشأة المحاضر وتطورها في بلاد شنقيط.

الفصل الثاني: المدارس الفكرية الشنقيطية وأثرها في الحركة العلمية بهذه البلاد.

الفصل الثالث: مقارنة المحاضر الشنقيطية بغيرها من المدارس.

* الباب الثاني: دراسة التفسير في بلاد شنقيط *

الفصل الأول: نشأة التفسير في بلاد شنقيط.

الفصل الثاني: خصائص التفسير في بلاد شنقيط وتحته مباحث.

الفصل الثالث: أغراض التأليف في التفسير في بلاد شنقيط.

الفصل الرابع: قيمته العلمية.

الفصل الخامس: مراجعه.

*** الباب الثالث: اتجاهات التفسير في بلاد شنقيط ***

الفصل الأول: الاتجاه الأثري.

الفصل الثاني: الاتجاه اللغوي.

الفصل الثالث: الاتجاه الفقهي.

الفصل الرابع: الاتجاه الصوفي.

*** الباب الرابع: المفسرون وتفاسيرهم من القرن ١٢ إلى نهاية القرن ١٤هـ ***

الفصل الأول: التفسير في القرن ١٢هـ.

الفصل الثاني: التفسير في القرن ١٣هـ.

الفصل الثالث: التفسير في القرن ١٤هـ.

*** الباب الخامس: التفسير في الوقت الحاضر ***

الفصل الأول: المؤلفون ومؤلفاتهم في الوقت الحاضر.

الفصل الثاني: المجالس العلمية.

الفصل الثالث: المعاهد والمدارس الشرعية.

الفصل الرابع: مقارنة بين واقع التفسير وماضيه.

- **خاتمة بنتائج البحث**

- **ملاحق:**

* ملحق: بمؤلفات الشنقيطيين في علوم القرآن.

* ملحق: بصور من كتب التفسير الشنقيطية موضع الدراسة.

* ملحق: بخريطة تبين الفرق بين موريتانيا السياسية والثقافية (بلاد شنقيط).

* **وفي الختام:**

فإنني أتقدم بجزيل الشكر وعظيم التقدير والامتنان، لأستاذي الفاضل العالم المتواضع الأديب الكريم فضيلة الدكتور أحمد أبو زيد حفظه الله تعالى، الذي تقبل الإشراف على هذه الرسالة والذي كان له الفضل بعد الله تعالى في إخراجها إلى حيّز الوجود، حيث أمدني بتوجيهاته المفيدة، وإرشاداته القيمة السديدة التي أضاءت لي الطريق كما أشكر جميع القائمين على الدراسات العليا بكلية الآداب بجامعة محمد الخامس بالرباط.

وأخص بالذكر تلك الكوكبة العلمية المضيئة التي تتصدر مسيرة العلم والأخلاق بهذه المؤسسة العظيمة.

كما أشكر من ساعدني من قريب أو بعيد في إنجاز هذا البحث، سائلاً المولى جلت قدرته أن يرزقني وإياهم السداد والتوفيق في القول والعمل إنه ولي ذلك والقادر عليه.

محمد بن سيدي محمد مولاي

❑ ❑ ❑ ❑

التمهيد

لقد رأيت من الضروري أن يتصدر هذه الدراسة المتعلقة بالتفسير والمفسرين ببلاد شنقيط تمهيد يلقي ظلالاً على هذا العمل، ويشرح بعض الأمور المنهجية المهمة التي لا يمكن شرحها وتوضيحها في المقدمة وذلك في النقاط التالية:

النقطة الأولى:

لقد أشرت في مقدمة هذا البحث قبل قليل، إلى أن ثقافة شنقيط مجهولة لدى الأوساط العلمية في العالم الإسلامي. فالكثيرون لا يعرفون عنها شيئاً يذكر ومن له معرفة بسيطة بها يتصور معارفها خاصة بالشعر، والنحو، والفقه، والأصول، والمنطق... وأن التفسير والحديث لا وجود لهما في هذه الثقافة على الإطلاق، ومما يؤكد هذا هو أنني عندما أخذت «التفسير والمفسرون» ببلاد شنقيط موضوعاً لأطروحتي لنيل شهادة الدكتوراه، استغرب البعض ذلك متسائلاً: هل يوجد مفسرون شنقيطيون غير الشيخ محمد الأمين الشنقيطي صاحب أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن؟!.

وهذا يدل على أن دراسة الجوانب المتعلقة بالتفسير في هذه البلاد تعتبر عملاً في غاية الأهمية وتسد فراغاً كبيراً في الثقافة الشنقيطية وفي الثقافة الإسلامية بشكل عام، ومن هنا حاولت التركيز على الدراسة الوصفية أكثر والاعتماد على إيراد النماذج من المؤلفات والإكثار من الأمثلة والتعرض

في بعض الأحيان لجوانب أخرى من جوانب المترجم لهم غير الجانب المتعلق بالتفسير الذي هو موضوع هذه الدراسة.

وإنما ركزت على هذه الناحية لأنها في نظري هي التي ستساعد على التعريف بهذا التراث والوقوف على حقيقته، وتعطي صورة ناصعة عن هؤلاء المفسرين، وهذا لا يعني أنني أهملت نهائياً جانب التحليل والتعليق والمناقشة والمقارنة؛ بل أتيت ببعض ذلك في مناسبات كثيرة حسبما يقتضيه المقام.

وأذكر هنا بأنني أثناء جمعي للمادة العلمية أكثرت من جمع النصوص والتعليقات حتى إذا ما شرعت في تأليف البحث أدركت أنني جاوزت الحد في ذلك، فحذفت ما رأيته يؤدي إلى الإطناب الممل، مما لا طائل تحته فخير الأمور أوسطها، ومن شروط بلاغة الكلام مطابقته لمقتضى الحال، كما هو معروف.

⇦ ثانياً: دراسة نشأة التفسير وتطوره:

قمت بدراسة شاملة لحركة التفسير في هذه البلاد وبدأت هذه الدراسة من المرحلة التي خلت من التدوين متلمساً ما أجده من المعلومات أو القرائن التي تساعد على معرفة وجود هذا العلم أو عدم وجوده، والواقع أنني في هذه المرحلة كانت تتجاذبني وجهتان:

إحداهما: أن التفسير لا يمكن أن يكون معدوماً في الدرس المحضري لغاية القرن ١١هـ وذلك للأمور التالية:

أولاً: ارتباط هذه البلاد بالإسلام والدعوة إليه منذ القدم فهي أرض المرابطين الفاتحين التي انطلقوا منها.

ثانياً: تحمس أهلها للعلم ورغبتهم فيه واشتغالهم به منذ القدم، فقد حدثنا التاريخ عن شخصياتهم العلمية والدعوية واتصالهم برجال العلم وأقطاب المعرفة في العواصم الإسلامية، فقصة مجيء المعلم الأول عبدالله بن ياسين الشهيرة تدل على رغبتهم الأكيدة في العلم وحرصهم على تحصيله

وثبت أن أحمد بن محمد أقيت بن عمر الصنهاجي جد أحمد باب التينبكتي الشهير صاحب «نيل الابتهاج» حج سنة ٨٩٠هـ ولقي بمصر الحافظ السيوطي والشيخ خالداً الأزهري، وغير ذلك.

ثالثاً: والرسالة التي أرسلها رجل آخر من المرابطين للإمام السيوطي صرخة مدوية يشكو فيها من نفور الناس من التفسير دليل على أنه ينطلق من قوة تحاول بث التفسير في الأوساط العلمية وإقناع العامة به. تعرضت لهذه الوجهة بشيء من التفصيل في الكلام على نشأة التفسير وتطوره ولكن هذه الافتراضات إنما هي احتمالات لا حقائق تعتمد على الأدلة والشواهد المؤدية للقطع أو الظن الراجح.

الوجهة الثانية: هي أن التفسير لم يظهر حقيقة إلا في القرن ١١هـ حيث ظهر علماء يدافعون عن التفسير، ويقنعون المتعصبين من أهل المذاهب المتشبثين بمقولات تمنع التفسير بوجوب العناية بتفسير كتاب الله.

لهذا فالروايات صريحة بأن مفتي شنقيط عندما حاول أن يفسر القرآن بادر أنداده بالنكير عليه، فلو كان درس التفسير أصبح من مكونات الثقافة المحضرية لما كان لنكيرهم عليه معنى ولما أنكروا عليه أصلاً، ومقدمة اليدالي مليئة بالتخوف من المعارضين وفيها ردود على هؤلاء المنكرين المفترضين.

ثم إن من المعروف أن الثقافة الشنقيطية متأثرة تمام التأثر بالمغرب، والمغرب في هذه الفترة كانت تعيش نفس الظروف التي تكاد تحرم التفسير كما سأبين ذلك فيما بعد.

صحيح أن إنكار بعض الناس للتفسير لا يعني عدم وجوده أصلاً وإنما يدل على أن هذا البعض لا يقبله ولا يعمل به، وهو أمر ما زال قائماً لحد الساعة في بعض الأوساط، كما أن له جذوراً في التاريخ البعيد، لكنني في النهاية ملت إلى الوجهة الأولى التي ترجح أن التفسير كان موجوداً وأن تلك الشكاوى التي تصدر من بعض أهل العلم من إعراض الناس عن التفسير تدل على أن بعض الناس يقف من التفسير موقفاً سلبياً رافضاً بسبب

التعصب المذهبي والجهل، ولكنها لا تدل على أن التفسير ليس موجوداً على الإطلاق.

فمن الممكن أن تكون هناك مدارس في التفسير قد اندثرت ولم يبق لها أثر كما ضاعت معارف جمة تحدث أهل العلم عنها ودلت عليها قرائن كثيرة وهذا الغموض سببه عدم العثور على وثائق تاريخية تتحدث عن حالة هذه البلاد الثقافية في الفترة ما بين انفصال الجنوب عن الشمال أي بعد سقوط دولة المرابطين وقيام دولة الموحدين.

والظاهر أن انحرافاً ثقافياً كبيراً حصل بعد هذه الفترة كما يظهر من رسالة اللمتوني إلى السيوطي والتي يقول فيها:

إن الفقهاء في تلك البلاد، عادتهم ترك القرآن والسنة... الخ[١].

ولا يفوتنا هنا أن نذكر بأن عناية علماء المغرب بهذه البلاد كانت كبيرة ومتواصلة فقد دأبوا على تجشم الصعاب والتنقل إلى هذه البلاد النائية بغية نشر العلوم الإسلامية والمحافظة على القيم الفاضلة بها فمن العلماء البارزين الذين قدموا على هذه المنطقة ودرسوا فيها علوم الدين:

١ - نور الدين أبو الحسين علي بن أحمد بن محمد بن عبدالله الأنصاري العالم النحوي (ت) عام ٧٢٤هـ. رحل من المغرب إلى بلاد التكرور (بلاد شنقيط) وأقرأ فيها القرآن ثم قدم على القاهرة وأخذ عنه العربية جماعة منهم جمال الدين الإسنوي[٢].

٢ - عبدالله بن أحمد بن سعيد بن يحيى بن معاوية الزموري العالم المؤرخ الأديب شارح كتاب الشفا رحل إلى مدينة ولاته واستقر بها ودرس العلوم الشرعية وكان حياً في عام ٨٨٨هـ[٣].

---

(١) الحاوي على الفتاوي للسيوطي ج١ ص٢٨٨ ط دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٢هـ.

(٢) فتح الشكور ص١٩٦.

(٣) السلفية وأعلامها في موريتانيا ص٢٢٧.

٣ ـ مولاي أحمد الذهبي الشريف التلمساني الفقيه رحل إلى مدينة شنقيط وأقام بها مدة يدرس علوم الدين وهو أول من درس مختصر خليل بن إسحاق في شنقيط وكان حياً في نهاية القرن ١٠هـ[١] ثم رجع إلى مراكش التي قدم منها أصلاً وتوفي بها.

٤ ـ الشاب الشاطر وهو شريف من أهل فاس ذكره البارتيلي في فتح الشكور باسم الشريف الشاب وقال إنه كان حياً سنة ١٠٤٥هـ وأشاد بعلمه[٢].

وعلماء كثيرون اقتصرنا على هذا القدر منهم وذكرناه على سبيل المثال فقط.

لهذا لا نستغرب بعد ذلك شدة التشابه بين الثقافة المغربية والشنقيطية بل والتماثل بينهما في أحيان كثيرة، وقد أشرت إلى هذا الجانب في رسالتي لنيل شهادة دبلوم الدراسات العليا من جامعة محمد الخامس[٣] ومن ضمن ذلك أن جميع أسانيد الشنقيطيين في القرآن ترجع إلى علماء المغرب، وأن جميع المراجع التي يعتمدون عليها في التجويد مغربية أو جاءت بواسطتهم، ويضاف إلى ما سبق أن بلاد شنقيط اعتمدت في نهضتها الثقافية على المكتبة الأندلسية في التفسير، والقرآن، والحديث، واللغة، وغير ذلك، مثل كتب: ابن عطية، وابن العربي، والقرطبي، وابن جزي، والداني والشاطبي وابن مالك وأبي حيان.

وكل هذه الكتب إنما وصلتهم بواسطة علماء المغرب يقول الدكتور محمد المختار بن اباه موضحاً هذا المعنى: إن حركة الثقافة في بلاد شنقيط انطبعت أساساً بطابع أندلسي مغربي، ويستعرض كدليل على ذلك المصنفات المتداولة[٤]. وسرد بعضها.

---

(١) بلاد شنقيط النحوي ص٧٣ وص٩٨.
(٢) فتح الشكور ص٢١٢.
(٣) المقبول النافع على الدرر اللوامع ص٧٥ (مرقونة).
(٤) بلاد شنقيط المنارة والرباط ص٢٠٤.

ثالثاً:

هذه الدراسة تناولت التفسير ورجاله في بلاد شنقيط خلال ما يزيد على ثلاثة قرون من الزمن وذلك في أربع مراحل هي كالتالي:

١ ـ التفسير في القرن الثاني عشر للهجرة ولم نعثر فيه على تفسير لأحد علماء شنقيط غير الذهب الإبريز للشيخ محمد اليدالي وبما أنه أقدم أثر تفسيري عثرت عليه فقد تناولته بالدراسة والتحليل ما أمكن.

٢ ـ التفسير في القرن الثالث عشر للهجرة وعثرت فيه على مجموعة من المفسرين تبلغ أحد عشر مفسراً فحاولت إعطاء صورة كاملة عما وجدت منها بيد أنني ركزت أساساً على تفسير الريان، لأنه أكبر هذه التفاسير على الإطلاق ولأنه تميز بميزات في المنهج والطريقة فأعطيته عناية خاصة وترجمت لبعض الشخصيات المشتهرة بالتفسير بغض النظر عن عثوري على كتبها أو عدم عثوري عليها.

٣ ـ المرحلة الثالثة التفسير في القرن الرابع عشر ويعتبر في نظري هو أهم مرحلة للتفسير من عدة نواح.

أولاً: لأن مؤلفات التفسير فيه وصلت إلينا بكمية كبيرة.

ثانياً: لأن أغراضاً كثيرة دخلت في تفسير هذا العصر ولم نعثر لها على وجود في العصور السابقة وذلك كالتفسير البياني في حاشية البشير بن امباريقي. والتفسير الأثري في كتاب عبدالودود بن حميّة، «التنوير في علم التفسير وتفسير» آيات الأحكام عند اليونسي؛ «التيسير والتسهيل لمعرفة أحكام التنزيل»، وككتاب الشيخ محمد الأمين الشنقيطي (دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب)، وغير ذلك.

ثالثاً: لأن المشتهرين بالتفسير في هذا العصر أكثر من المشتهرين به في العصور السابقة بكثير. لهذا لم نَلْتَزِمْ الترجمة لأي شخصية اشتهرت بالتفسير إلا إذا كان إنتاجها في التفسير موجوداً معروفاً، سواء أخذنا منه نماذج أم لم نأخذها منه لأننا لو التزمنا بذلك لما استطعنا الوفاء به. وقد

أعطينا عناية خاصة لأضواء البيان لأنه يتميز بميزات خاصة تجعلنا نهتم به أكثر وهذه الميزات تتعلق بالمنهج والمضمون.

٤ ـ **أما المرحلة الرابعة**: وهي حركة التفسير في الوقت الحاضر، فلم أهتم فيها بالترجمة للمشتهرين بالتفسير على الإطلاق، وإنما كان اهتمامي منصباً على اتجاهات التفسير وأغراضه والمؤلفات فيه وما طرأ عليها من تغيير، وناقشت كل هذه القضايا حسبما تيسر، وبينت أن ألواناً جديدة من التفسير ظهرت للعيان أكثر من ذي قبل، فمن ذلك على سبيل المثال: التفسير الموضوعي، والتفسير العلمي، والتفسير الاجتماعي، ووحدة الخطاب عند المشتغلين بالتفسير فأغلبهم يميل إلى الجمع بين الرواية والدراية في التفسير، ويظهر ذلك للمتتبع لحلقات التفسير التي تنتشر في الجوامع والمدارس مثل:

١ ـ حلقة العلامة الجليل بداه بن البوصيري التندغي مفتي نواكشوط فله حلقة في التفسير مستمرة منذ أربعين سنة تقريباً وهي تجمع بين الرواية والدراية.

٢ ـ ومثل دروس العلامة الجليل محمد سالم بن عدود التفسيرية التي تجمع أيضاً بين الرواية والدراية ولكنها في أحيان كثيرة تميل إلى التعمق في اللغة.

٣ ـ ومثل دروس الداعية الكبير الشيخ محمد بن سيد يحيى المسومي في جامع المقاطعة الخامسة بنواكشوط وغيره من الجوامع التي نورها بدروسه التفسيرية الدعوية.

٤ ـ الأستاذ الجليل محمد فاضل بن محمد الأمين الذي له دروس تفسيرية تميل غالباً إلى التفسير العلمي والاجتماعي.

٥ ـ الأستاذ الجليل الشيخ محمد محمود بن الرباني له حلقة في التفسير في جامع (تفرق زين) وأخرى في الجامع الكبير وقد فسر جميع القرآن أكثر من مرة بأسلوب طيب يميل إلى الناحية اللغوية.

٦ ـ الأستاذ الكبير الشيخ بن الشيخ أحمد له حلقات قرآنية رائعة

ويميل في تفسيره إلى الناحية البيانية ولعله في ذلك متأثر بكتب سيد قطب وكتاب سعيد حوى: «الأساس في التفسير» الذي يهتم بالتناسب القرآني وتوضيح أن القرآن يفسر بعضه بعضاً...

٧ ـ الأستاذ الكبير الشيخ محمد عبدالرحمن بن الشيخ محمد الحجاجي فله دروس تفسيرية متميزة ويزداد تأثيرها بجمال أسلوبه وقوة بيانه، وغير هؤلاء كثيرون.

رابعاً: ظاهرة التهيب من التفسير عند الشنقيطيين:

الأصل أن لا يفسر القرآن الكريم إلا من تأهل للتفسير وتوفرت فيه الشروط التي لا بد منها للمفسر قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦]، ووردت أحاديث تحذر من تفسير القرآن بغير علم، قال ﷺ: «**من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار**»[١]. وقال ﷺ: «**من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ**»[٢].

قال ابن عطية في تفسيره: «وكان جلة من السلف كسعيد بن المسيب وعامر الشعبي وغيرهما يعظمون تفسير القرآن ويتوقفون عنه تورعاً واحتياطاً لأنفسهم مع إدراكهم وتقدمهم».

وكان جلة من السلف كثير عددهم يفسرونه وهم أبقوا[٣] على المسلمين في ذلك رضي الله عنهم[٤].

وقال تقي الدين ابن تيمية: «فأما تفسير القرآن بمجرد الرأي فحرام»[٥]. وبعد أن أورد الأحاديث السابقة قال: ولهذا تحرج جماعة من السلف عن تفسير ما لا علم لهم به كما روى شعبة عن سليمان عن

---

(١) رواه الترمذي في كتاب التفسير.
(٢) رواه الترمذي وأبو داود.
(٣) من قولهم أبقيت على فلان أشفقت عليه ورحمته.
(٤) تفسير ابن عطية ج١ ص١٨.
(٥) الفتاوى ج١٣ ص٣٧٠ مكتبة المعارف زنقه باب شالة المغرب.

عبدالله بن مرة عن أبي معمر قال، قال أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ: «أي أرض تقلني وأي سماء تظلني إذا قلت في كتاب الله ما لم أعلم»[1].

وروي أيضاً أن عمر ـ رضي الله عنه ـ قرأ على المنبر: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١﴾ فقال: أي سماء تظلني وأي أرض تقلني، هذه الفاكهة عرفناها فما الأب؟ ثم رجع إلى نفسه فقال: إن هذا لهو التكلف يا عمر[2].

وروى ابن جرير بسنده أن ابن عباس: سئل عن آية لو سئل عنها بعضكم لقال فيها فأبى أن يقول فيها، وسأل رجل ابن عباس عن يوم كان مقداره خمسين ألف سنة. فقال له ابن عباس: فما يوم كان مقداره خمسين ألف سنة؟ فقال الرجل إنما سألتك لتحدثني فقال ابن عباس: هما يومان ذكرهما الله في كتابه، الله أعلم بهما فكره أن يقول في كتاب الله ما لا يعلم.

(١) مجموع الفتاوى ج١٣ ص٣٧١.

(٢) قال الزركشي في البرهان، معلقاً على هذين الأثرين:
وما ذاك بجهل منهما لمعنى الأب وإنما يحتمل والله أعلم أن الأب من الألفاظ المشتركة، فخشيا إن فسراه بمعنى من معانيه أن يكون المراد غيره، ولهذا اختلف المفسرون في معنى الأب على سبعة أقوال:
أولاً: فقيل ما ترعاه البهائم وأما ما يأكله الآدمي فالحصيد.
الثاني: التين خاصة.
الثالث: كل ما ينبت على وجه الأرض.
الرابع: ما سوى الفاكهة.
الخامس: الثمار الرطبة قال: وفيه بعد.
السادس: أن رطب الثمار هو الفاكهة ويابسها هو الأب.
السابع: أنه للأنعام كالفواكه للإنسان.
ثم قال الزركشي: ويحتمل قول عمر غير ما سبق وجهين **أحدهما**: أن يكون خفي عليه معناه وإن شهر كما خفي على ابن عباس معنى (فاطر السموات).
الثاني: تخويف غيره من التعرض للتفسير بما لا يعلم كما كان يقول: أقلوا الرواية عن رسول الله ﷺ وأنا شريككم يريد الاحتراز فإن من احترز قلت روايته.
انظر البرهان ج١ ص٣٧٠ ط دار الكتب العلمية ١٤٠٨هـ بيروت تقديم وتعليق مصطفى عبدالقادر عطا.

وكانوا يسألون سعيد بن المسيب عن الحلال والحرام وكان أعلم الناس فإذا سألوه عن تفسير آية من القرآن سكت كأن لم يسمع.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

فهذه الآثار الصحيحة وما شاكلها عن أئمة السلف محمولة على تحرجهم عن الكلام في التفسير بما لا علم لهم به فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعاً فلا حرج عليه ولهذا روي عن هؤلاء وغيرهم أقوال في التفسير ولا منافاة لأنهم تكلموا فيما علموه وسكتوا عما جهلوه، وهذا هو الواجب على كل أحد فإنه كما يجب السكوت عما لا علم له به يجب القول فيما سئل عنه مما يعلمه لقوله تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧] ولما جاء في الحديث من طرق: «**من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار**»[1].

لقد كان لهذه الآثار التي مرت بنا والتي تُخوّف من القول على الله بغير علم آثار شديدة على بعض الناس، فخافوا من الخوض في التفسير مطلقاً.

أما الشنقيطيون، فقد حصل لهم من ذلك ما لم يحصل لغيرهم حسب علمي فقد ابتعد كثير منهم عن تفسير كتاب الله، وترددت عندهم مقولات تؤكد أن القرآن إنما يقرأ للتبرك فقط أما فهمه والاستدلال به وبناء الأحكام عليه فهذا أمرٌ ليس بإمكاننا لأنه خاص بالمجتهد ولا مجتهد اليوم وقد كفانا العلماء الأقدمون مسؤولية ذلك، ورحم الله من عرف قدره...

ولو أن الأمر اقتصر عندهم على هذا الحد لهان الخطب ولكنهم يذهبون أبعد من ذلك، فقد يكفرون من يقول في القرآن برأيه فنسب الشيخ محمد بن ابياه ذلك لعالمين جليلين من علماء هذا القطر هما:

- محنض باب بن اعبيد الديماني في ميسره على مختصر خليل.

---

(١) مجموع الفتاوى ج١٣ ص٣٧٥. والحديث رواه الإمام أحمد ج٢ ص٢٦٢ من المسند ورواه أبو داود والترمذي وابن ماجه.

- ومحمد بن محمد سالم في «لوامع الدرر في هتك أستار المختصر».

يقول محمد بن ابياه:

مَنْ قَالَ فِي هَذَا الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ ... قَالَ الْمُيَسِّرُ إِنَّهُ قَدْ يَكْفُرُ
وَكَذَا اللَّوَامِعُ وَالْمُصَلِّي خَلْفَهُ ... أَبَداً يُعِيدُ وَقَدْ أَتَىٰ مَا يُحْظَرُ[1]

ومعنى البيتين أن من قال في القرآن برأيه قال صاحب الميسر وصاحب اللوامع أنه قد يكفر ومن صلى خلفه يعيد أبداً لأن صلاته باطلة مع أنه أقدم على حرام حيث اقتدى بمن يفسر القرآن برأيه.

والظاهر أن هذا التهيب والتخوف من التفسير سيطر على هذه البلاد ردحاً كثيراً من الزمن حتى أن بعضهم إذا سمع آية تتلى لتفسر يفر كما تفر الحمر المستنفرة. وهذا التهيب من التفسير فتح الباب على مصراعيه لسيطرة مدرسة الفروع الفقهية وسد الباب أمام مدرسة الأصول التي تعتمد في منهجها على دراسة الكتاب والسنة كما أن تأخر ظهوره إلى غاية القرن ١٠هـ ودخوله على قاعدة ثقافية صلبة ترفضه وتستغني عنه ببعض المعارف الأخرى جعل البعض يشكك في وجوده أصلاً أو يقلل من قيمته.

وقد لاحظنا هنا أن تهيب الشناقطة من التفسير ليس ناشئاً عن فراغ بل له جذوره البعيدة في التاريخ والفكر الإسلامي، فهذه الأحاديث والآثار الواردة عن السلف والتي تحذر من التفسير بالرأي حملها بعض السلف على عمومها وفهم منها الابتعاد عن التفسير، وذلك الفهم ترك أثراً كبيراً في الأجيال اللاحقة، ويضاف إلى هذا أن الشنقيطيين متأثرون بالمغرب في الميدان الثقافي تأثراً شديداً وذلك لأكثر من سبب كما تعرضت إليه في هذه الرسالة في أكثر من مناسبة، وفي الفترة التي ازدهرت فيها العلوم في بلاد شنقيط كان المغرب يعيش نفس التخوف والتردد والتهيب من تفسير القرآن، وإذا لجأ أحدهم إلى التفسير فإنه يختار كتاباً بعينه ويقرؤه لمن سأله عن

---

(١) هذان البيتان رويتهما عن الأستاذ بوميه بن ابياه في ٢٠ شوال ١٤٢١هـ.

معنى آية، ففي «تامكروت» مثلاً يروى أن محمد بن ناصر الدرعي كان يختار تفسير البيضاوي دون أن يعلق عليه ببنت شفة كما يقول الباحث أفرانك لاكونت[1].

والشيء نفسه نجده عند بعض أعلام شنقيط فالشيخ بن حامني القلاوي وهو علم من أعلام محضرة شنقيط في أيامه كان يضع تفسير البيضاوي قريباً من مجلسه وكلما سئل عن آية أو أمر في القرآن بادر إليه وفتحه وقرأ فيه لا يزيد ولا ينقص مخافة من القول بالرأي[2] وربما تأثرا بالشيخ محمد بن ناصر الدرعي الذي تقدمت قصته وكذلك في زاوية (اليغ) كان محرماً على الطلاب الذين يتجادلون في الأحكام أن يلجأوا إلى التفسير كوسيلة للدفاع وميدان للمغالبة، وكانوا يتسامحون في الإعراب، وفي مراكش كان التفسير محرماً بتاتاً، وكان يقود هذا الاتجاه العالم الإفراني في زمن مولاي إسماعيل، كما ينقل ذلك الأستاذ أفرانك لاكونت في بحثه عن التفسير الصوفي في الذهب الإبريز[3]. وإذا كان ما نقله لاكونت هنا فيه مبالغة وهو ما أتصوره، فإنه على الأقل يدل على أن التفسير في تلك الفترة لا يتصدر المواد الدراسية المقررة ولا يجد من العناية ما يستحق.

⇦ خامساً: التفسير في دراستنا هذه يشمل كل نشاط ثقافي يعتمد في تأسيس موقفه الفكري على فهم معين للنص القرآني[4]:

فنحن نعتبر أي عمل يهدف إلى تبيين وإبراز المعاني القرآنية تفسيراً، ولا بد أن يكون ذلك العمل معتمداً على الطرق المعروفة في التفسير. وسواء تعلق الأمر بالتفاسير الكاملة أو تفسير سور معينة أو تفسير لغريب

---

(١) أفرانك لاكونت ص٣٠.

(٢) بلاد شنقيط المنارة والرباط ص١٧٤.

(٣) أفرانك لاكونت ص٣٠.

(٤) تطور منهج التفسير في موريتانيا المقدمة (ب).

القرآن أو عمل يهدف إلى إعراب القرآن أو تصاريفه أو إبراز النواحي البيانية فيه، أو تعلق بالمعاني الموجودة في سورة معينة أو تعلق بمنهج دراسي يهدف إلى تفسير آيات معينة أو تعلق بمحاضرة يلقيها عالم على طلابه في مدرسته أو في مسجده فكل هذا داخل عندنا في نطاق التفسير الذي تعرضنا له خلال هذه الدراسة. وبينت هذا هنا للتوضيح لأن البعض يحسب أن التفسير لا يطلق إلا على تفسير جميع القرآن أما التفاسير الجزئية أو الموضوعية فليست بتفسير عندهم والمدرس الذي يلقي حلقات في التفسير لا يعتبر عمله تفسيراً ولو فسر القرآن كله لأن التفسير هو ذلك المكتوب وحده، ولقد فضلنا الأخذ بهذا المصطلح الذي ذكرنا لأنه أكثر إنصافاً وواقعية في نظرنا، لأننا لو قصرنا صفة المفسر على العالم الذي كتب تفسيراً لكل آية في المصحف الشريف دون غيره من العلماء المشتغلين بالتفسير نكون بهذا الاصطلاح قد أجحفنا بعلماء أجلاء لهم علم بالتفسير وتمكن فيه وخدمة عظيمة له، ولقد عشت مع مجموعة من العلماء الأجلاء كل واحد منهم بحر في التفسير مع التمكن من جميع الأدوات اللغوية والأصولية ولا يحتاج في التفسير للرجوع لأي مرجع ومن هؤلاء العلامة الحاج بن السالك المسومي حفظه الله والعلامة محمد يحيى بن الشيخ الحسين رحمه الله. ولم يكتب واحد منهم حرفاً في التفسير حسب علمي لكنهم يدرسونه لطلبتهم - فكيف يهمل هؤلاء وأمثالهم من صفة هم متصفون بها في الواقع، ومن أكثر الناس أهلية لها!!.

⇦ سادساً: مسائل متفرقة فضلت التنبيه عليها هي:

(أ) حاولت أن تكون هذه الدراسة بسيطة سهلة تكشف النقاب عن التفسير في هذه البلاد حسب الإمكان مع البعد عن الدخول في المباحث العلمية العميقة والمسائل الغامضة التي تغلب عليها مصطلحات أهل العلوم المختلفة التي أقحموها في دراسات التفسير لغلبة تلك العلوم في العصور الماضية، لهذا إذا احتجت إلى التمثيل لمسألة معينة واعترضني مثالان أختار أسهلهما وأقلهما تعقيداً فمهمتي الإيضاح والتقريب لا الإلغاز والتعقيد.

(ب) ثم إنني لم أعتن بالترجمة للعلماء الذين يردون في هذه الدراسة وتركت ذلك لسبب واضح جداً وهو أن هؤلاء العلماء جلهم معروف لدى طلبة العلم أياً كان مستواهم أما البقية الباقية فإنها يسهل العثور عليها في الكتب المختصة مثل كتاب الأعلام للزركلي وكتاب معجم المؤلفين لرضا كحالة وغيرهما من كتب التراجم. فالترجمة لهؤلاء تجعل البحث ضخماً جداً دون كثير فائدة، فمن غير اللازم في نظري أن أترجم لابن العربي، وابن عطية، وابن كثير، وأمثالهم ممن هم معروفون، أما مفسرو شنقيط فقد بذلت قصارى جهدي في كتابة ترجمات لهم ولم أدخر جهداً في ذلك وهو عمل لا بد منه لأن الجميع يجهلونهم وكتب التراجم خالية من جلهم.

(ج) كل مسألة علمية وردت في هذا البحث تحتاج إلى التوثيق والإحالة أحلتها إلى المرجع الذي أخذتها منه مع ذكر الطبعة وتاريخها ولكنني مع ذلك لم أكثر من ذكر المراجع كما يفعله بعض الباحثين، فالمسألة إذا تم توثيقها وإحالتها إلى مصادرها كفى ذلك فالتكثير من المراجع في هذه الحالة يكون تكراراً مملاً يتنافى مع المنهج السليم.

كما أن إحالة بعض المسائل الضرورية تعتبر عديمة الجدوى ومن الشائع عند علمائنا أن «عزو الواضح من الفاضح». وإنما نبهت على هذا لأن بعض الباحثين يكثرون من الإحالات في الأمور الضرورية ويعتبرون ذلك من الإتقان والتفوق.

(د) في بداية هذا البحث كنت عازماً على تخصيص فصل كامل لـ «نشأة التفسير وتطوره ومناهجه، من عهد رسول الله ﷺ إلى وقتنا الحاضر، ثم تركت ذلك اكتفاء بما كتبه الباحثون قديماً وحديثاً في هذا الشأن مما يغني عن إعادته هنا، فمن ذلك ما كتبه شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية في بحثه مقدمة في أصول التفسير وما كتبه الدكتور محمد حسين الذهبي من المتأخرين في بحثه القيم «التفسير والمفسرون» وكثيرون آخرون قديماً وحديثاً؛ فلا داعي لتكرير المعلومات دون جدوى وبدلاً من ذلك تركز بحثي

على ما يتعلق بالتفسير في بلاد شنقيط لأنه هو الذي ما زال بحاجة إلى الدراسة والتحليل».

كما أهملت كذلك التاريخ لبلاد شنقيط من الناحية السياسية والاجتماعية والاقتصادية، واكتفيت بتسليط الضوء على الناحية الثقافية فأشرت إلى أهم مميزاتها الثقافية والفكرية مركزاً على المحضرة العلمية نشأتها وتطورها وخصائصها ومقارنتها بغيرها من المدارس العلمية.

(هـ) قلت في مقدمة هذا البحث أنني قمت بتحقيق النصوص التفسيرية المستشهد بها في هذا البحث وأنبه على أن هذا التحقيق الذي ذكرته إنما هو في الغالب التحقيق الابتدائي، فالتحقيق كما عرفه بعض المعاصرين هو: «بذل عناية خاصة بالمخطوطات حتى يمكن التثبت من استيفائها لشرائط معينة، فالكتاب المحقق: هو الذي صح عنوانه، واسم مؤلفه ونسبة الكتاب إليه وكان متنه أقرب ما يكون إلى الصورة التي تركها مؤلفه»[١].

وهو ينقسم إلى قسمين: التحقيق الابتدائي وهو مصطلح يطلق على المرحلة الأولى من تحقيق النصوص القديمة للمؤلف المخطوط ومعرفة تاريخها ومقابلة بعضها ببعض وذكر كل الاختلافات بينها واختيار الأقرب منها للصواب حتى يكون أساساً للتحقيق النهائي وهو التصويب والتكملة والتعليق[٢].

فعنايتي كانت منصبة على صحة النص المستشهد به وصحة نسبته إلى صاحبه واختيار النسخة الأقرب للصحة وربما قمت بالتصويب والتكملة والتعليق على بعض الموضوعات ولكن ذلك قليل وليس مقصوداً أصالة، وإنما تجر إليه ضرورة البحث.

(و) ولقد حاولت تجنب التكرار ما أمكن إلا أنني أشعر أن بعض الموضوعات قد تناولته هذه الدراسة في أكثر من مناسبة، ولأغراض مختلفة

---

(١) عبدالسلام هارون تحقيق النصوص ونشرها ص٣٩.

(٢) مجدي وهبة وكامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ص٥٢.

وبعض الأسماء تكررت كثيراً، ولكن ذلك في سياقٍ مختلفٍ ويهدف إلى أغراض عدة فلم يقع من التكرار حسب علمي إلا ما لا بد منه لتجلية الموضوع ولإعطائه ما يستحق من العناية، وما كان كذلك لا مفر منه، ولا ضير فيه.

في هذا الباب أريد أن أسلط الضوء على الناحية الثقافية لموريتانيا (بلاد شنقيط)، وفي البداية أنبه على أن بلاد شنقيط المعروفة في الاصطلاح، أوسع من رقعة الجمهورية الإسلامية الموريتانية، فحدود بلاد شنقيط هي: الأرض الممتدة ما بين الساقية الحمراء شمالاً إلى النهر السينغالي جنوباً ومن المحيط الأطلسي غرباً إلى تينبوكتوا شرقاً، فهي تشمل مساحة أكبر من المساحة الحالية للجمهورية الإسلامية الموريتانية.

ونحن عندما نتحدث عن بلاد شنقيط فإنما نتحدث عن الخريطة الثقافية التي هي أكبر، كما قلنا، من الخريطة السياسية الحالية، والخريطة الحالية تم رسمها وتحديدها على أهداف معينة، زمن الاستعمار الفرنسي، ولم يراع واضعوها لا البعد التاريخي، والثقافي، المشترك، ولا حتى وشائج القربى الدموية بين بعض من أخرجتهم الحدود ومن أدخلتهم(١).

ويشتمل هذا الباب على ثلاثة فصول:

الفصل الأول: نشأة المحاضر وتطورها ببلاد شنقيط.

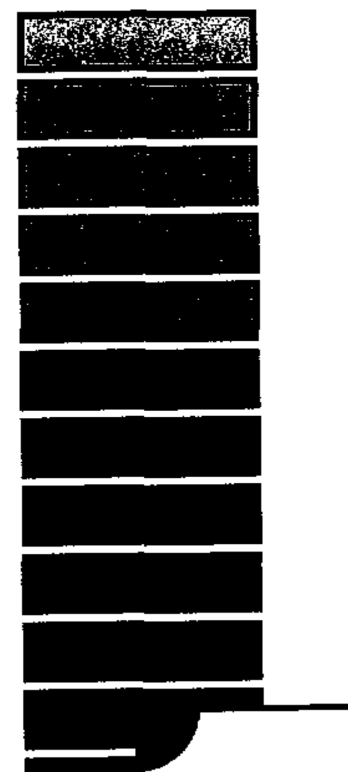
الفصل الثاني: المدارس الثقافية الكبرى ببلاد شنقيط والصراع بينها.

الفصل الثالث: مقارنة المحضرة الشنقيطية بغيرها من المدارس.

❑ ❑ ❑ ❑

---

(١) تطور منهج التفسير في موريتانيا، ص: (ب) من المقدمة.



الباب الأول:
الحياة الثقافية في بلاد شنقيط

الفصل الأول

نشأة المحظرة[(١)]

قبل الحديث عن نشأة المحضرة لا بد لنا من تحديد مفهومها ودلالاتها فما هي هذه المحضرة أو المدرسة التقليدية التي نشأت في صحراء صنهاجة وانتشرت في المدن وازدهرت في البادية؟ خلافاً للافتراض الشائع في المشرق وبعض بلاد المغرب بأن التعليم ظاهرة مدنية، لأن المدينة هي التي تستطيع دعم الدارسين اقتصادياً وتوفر المتطلبات الثقافية لهم، أما البادية فهي على العكس من ذلك[(٢)].

لقد أسس ابن خلدون نظريته في هذا المجال معتبراً التعليم صناعة لا يمكن أن يزدهر وينمو إلا في المدن والحواضر كغيره من الصناعات.

فالتعليم إنما يكثر حيث يكثر العمران وتعظم الحضارة وذلك لأنه صناعة[(٣)] إلا أن الحالة الشنقيطية قلبت هذه الأطروحة رأساً على عقب، ففي

---

(١) المحضرة عند الموريتانيين تنطق بالضاد والظاء بشكل متبادل ويستوي في النطق بالحرفين العلماء واللغويون وأكثر نطقهم بها بالظاء، والمتأخرون منهم يفضلون نطقها ضاداً، وكل من اللفظين وجدوا له تأصيلاً في العربية، لهذا فنحن نلتزم في هذا البحث بأحد اللفظين.

(٢) إدارة التعليم في موريتانيا ـ أمحمد ولد محمد علي دبلوم دراسات عليا المدرسة الإدارية بالمغرب ٩٤ (مرقونة).

(٣) مقدمة ابن خلدون ص٤٣٤ ط دار إحياء التراث العربي بيروت (د.ت).

البوادي الشنقيطية ازدهرت المدارس التعليمية ووصل التعليم مستوى عالياً في البدو الرحل، ولم تنهض التقاليد المدنية ـ في هذه الربوع ـ إلا بدور ثانوي في هذا الصدد، ويؤكد ذلك نفوذ رجال العلم الرحل في الصحراء على المجموعات المستقرة في المدن، كما يؤكده نفوذهم في إفريقيا الغربية بصفة عامة[1] ولا نطيل الكلام في هذا الموضوع حتى نعرج على التعريف بهذه المؤسسة فماذا يقصد بهذه المؤسسة التعليمية؟.

إن من الصعب تقديم تعريف جامع مانع للمحظرة لأنها ظاهرة متميزة اخترعها الشنقيطيون لنشر الإسلام في إفريقيا السوداء وللمحافظة على إقامة الدين والقيم والتراث الإسلامي الحضاري في بلادهم فهي تختلف عن الكتاتيب التي عرفتها البلاد العربية الأخرى كما سيتضح فيما بعد.

وهناك عدة تعريفات لهذا الجهاز التعليمي نختار منها ما يلي:

المحظرة مؤسسة من مؤسسات التربية العربية الإسلامية الأصيلة تحمل بعض خصائص النظام التربوي الإسلامي فهي جامعة شعبية بدوية متنقلة تلقينية فردية طوعية الممارسة[2].

المحظرة: جهاز للتعليم المتكامل والمتناسق يتمتع بوسائل بشرية ومادية هامة كالأساتذة والطلبة والكتب[*].

المحظرة: مؤسسة تعليمية تقوم بأدوار جميع المؤسسات التعليمية من رياض الأطفال حتى الجامعة وترتكز على شيخ واحد يتولى التدريس متبرعاً بدروسه حسبة منه لوجه الله تعالى إلى جانب أنه يقوم بالسهر على طلابه أخلاقياً[3].

---

(١) الإسلام والنظام الاجتماعي في موريتانيا ستيوارت ص٢ ط أكسفورد ١٩٧٣.

(٢) بلاد شنقيط المنارة والرباط الخليل النحوي، ص٥٣ نشر المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة ـ تونس ١٩٨٧.

(*) منشورات المدرسة الوطنية للإدارة ـ مجموعة من الأساتذة، السنة ١٩٨١ ص٦ (مرقونة).

(٣) المحاظر الإسلامية في موريتانيا الأستاذ المختار بن محمد موسى مجلة الجماهيرية العربية للتربية والعلوم والثقافة، العدد ٣٢ ديسمبر ١٩٨٧ ص٤٠.

فعلمنا مما سبق أن جهاز المحظرة ظاهرة متميزة انفردت بها بلاد شنقيط وتشمل جميع مراحل التعليم، من الابتدائي إلى نهاية الجامعي، وبما أن التعريف النحوي للمحظرة يتسم بشمولية أوسع فإنني سوف أحاول التعليق على بعض نقاطه لتتضح الصورة عن المحظرة.

● **أولاً**: من سماة المحظرة أنها جامعة:

لأنها تقدم للطالب معارف موسوعية في مختلف فنون المعرفة فالمواد التي تدرس فيها هي:

١ ـ القرآن الكريم: حفظاً ورسماً وتجويداً بالروايات المختلفة وبقية علومه.

٢ ـ الحديث النبوي الشريف متونه ومصطلحاته ورجاله.

٣ ـ العقيدة وعلم الكلام والتصوف.

٤ ـ الفقه وأصوله وقواعده وفروعه.

٥ ـ السيرة والتاريخ والأنساب.

٦ ـ الأخلاق وآداب السلوك.

٧ ـ اللغة نحواً وصرفاً وبلاغة ودواوين والنصوص النثرية كالمقامات.

٨ ـ العروض والقوافي.

٩ ـ المنطق.

١٠ ـ الطب.

١١ ـ الجغرافيا[١].

● **ثانياً**: ومن سمات المحظرة البارزة المتميزة أنها بدوية متنقلة فبالرغم من احتضان الحواضر الشنقيطية للمدارس الإسلامية إلا أن ظهورها

---

(١) البلاد ص٥٣.

في البوادي كان أبين، ولهذا يقول الدكتور محيي الدين صابر منوهاً بنظام المحاظر: (نظام يكاد يكون دون نظير استنبط من واقع الحياة البدوية)[١] ويقول الدكتور محمد المختار ابن أباه العلوي «من الصعب على من لم ير المحاظر أن يتصورها، ذلك أن البداوة تقترن في الذهن بالغباوة والجهل فالثقافة جزء من الحضارة، ومراكز العلم والتدريس تقترن غالباً بالمعاهد والجامعات المشيدة التي اتصلت شهرتها بشهرة المدن التي تحتضنها، غير أن المحاظر فريدة في نوعها، ففي بعض أحياء البدو الذين ينتجعون المراعي متنقلين من ضفاف النهر السينغالي إلى الساقية الحمراء، تصادف شيخاً كسائر البداة، متقشفاً في ملبسه، ومظهره، لا يمتاز بشيء عن سكان الحي سوى مجموعة من الشباب تلتف حوله، ويقل عددها ويكثر حسب الأزمنة، تقيم تحت الشجر وفي أعرشة من خشب، وثمام، وحشائش، تقوضها وتعيد بناءها كلما ارتحل الشيخ. حقاً لقد استطاع هؤلاء أن يحققوا نهضة ثقافية نموذجية تحت الخيام وعلى ظهور العيس وفي مجاهل الصحراء وقد افتخر العلامة المختار ابن بون الجكني ت١٢٢٠هـ بهذه المزية فقال:

وَنَحْنُ رَكْبٌ مِنَ الأَشْرَافِ مُنْتَظَمٌ ... أَجَلُّ ذَا الْعَصْرِ قَدْراً دُونَ أَدْنَانَا
قَدِ اتَّخَذْنَا ظُهُورَ الْعِيسِ مَدْرَسَةً ... بِهَا نُبَيِّنُ دِينَ اللَّهِ تِبْيَانَا[٢]

● **ثالثاً: المحظرة تلقينية**

أما كونها تلقينية فتشترك المحظرة مع مؤسسات التعليم الأهلية القديمة في الصبغة التلقينية، فقد قامت الحياة العلمية العربية منذ فجر الإسلام على التلقي من أفواه الرجال واستمرت على ذلك حتى بعد أن انتشرت المخطوطات وكثرت دور الوراقة، والشناقطة كانوا يؤكدون هذا المبدأ ورغم أنهم تتلمذوا على ابن مالك وأحلوه مكاناً مكيناً في قلوبهم وتلقوا كل

---

(١) جريدة الشعب الموريتانية عدد ١٧٠٢ ـ ١٤٠١هـ.

(٢) البيتان من قصيدة طويلة حققت في جامعة انواكشوط مكتوبة على الآلة (مرقونة).

مصنفاته بالقبول والإقبال الصادق فقد ظلوا يرددون أبيات أبي حيان فيه يدعمون بها نظريتهم في ضرورة تلقي العلم من أفواه الرجال لا من بطون الكتب:

يَظُنُّ الْغِمْرُ أَنَّ الْكُتْبَ تُهْدِي ... أَخَا فَهْمٍ لإِدْرَاكِ الْعُلُومِ
وَمَا يَدْرِي الْجَهُولُ بِأَنَّ فِيهَا ... غَوَامِضَ حَيَّرَتْ عَقْلَ الْفَهِيمِ
إِذَا رُمْتَ الْعُلُومَ بِغَيْرِ شَيْخٍ ... ضَلَلْتَ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ
وَتَلْتَبِسُ الأُمُورُ عَلَيْكَ حَتَّى ... تَكُونَ أَضَلَّ مِنْ «تُومَا» الْحَكِيمِ

● **رابعاً**: تعتمد المحظرة نظام التعليم الفردي في طرفي العملية التربوية الأستاذ والطالب، من الطرف الأول يدير حلقات الدراسة ومجالسها في العادة شخص واحد هو (المرابط) شيخ المحظرة، وهو عادة رجل ذو بسطة في العلم وإلى هذا الشيخ تنسب المحظرة عادة.

من الطرف الثاني تؤدي المحظرة رسالتها وفق نظام التعليم الفردي، فالقاعدة العامة أن يكون لكل طالب درس خاص به يختاره لنفسه حسب ظروفه الخاصة به.

وبما أن الحلقة العلمية مفتوحة فالجميع يستفيد من دروس الشيخ كما توجد حالات من الدراسة جماعية معروفة عندهم.

● **خامساً**: المحظرة تقوم على أساس من الطوع والمبادرة الحرة في الدراسة والتدريس معاً، ومن النتائج الإيجابية لقيام المحظرة على روح التطوع وحرية المبادرة أن نشأت في رحابها علاقة حميمة بين الشيخ وطلبته وفي بعض الأحيان يعبرون عن تلك العلاقة شعراً، يقول محمد بن احظانه ـ وقد شغله شاغل عن اثنين من طلبته منهما الشيخ محمد بن حنبل **ت١٣٠٢هـ** المشهور ـ معتذراً:

خَلِيلَيَّ كَيْفَ الْحَالُ وَالْحَالُ تُنْبِىءُ ... عَنِ السِّرِّ مَهْمَا السِّرُّ فِي الصَّدْرِ يُخْبَأُ
لَئِنْ نُسِيَتْ عَنْكُمْ ظَوَاهِرُ وُدِّنَا ... لَفِي الصَّدْرِ وِدٌّ بَاطِنٌ لَيْسَ يُنْسَأُ

فرد عليه الطالبان:

أيَسْأَلُ عَنْ أَحْوَالِ قَوْمٍ تَبَوَّأُ جَدَاوِلَ عَدٍّ[(١)] جَارُهُ لَيْسَ يَظْمَأُ
يُرَوِّيهِمُ مِن بَحْرِ عِلْمٍ وَحِكْمَةٍ تَلاَشَى لِمَنْبَهَاهَا نُضَارٌ وَلُؤْلُؤُ

وكذلك كان شأن الطلبة مع أساتذتهم في المحظرة يُجلونهم أيما إجلال وينظرون إليهم بعين المحبة والتقدير.

● **سادساً**: وبالإضافة إلى هذه السمات، فالمحظرة شعبية تستقبل كل من يرد عليها من جميع المستويات الثقافية والفئات العمرية والجنسية والاجتماعية، تستقبل المبتدىء كما تستقبل العالم فتجدد له معارفه وتوسعها وتعمقها، ويرتادها الطفل والشيخ والمرأة والفقير والموسر، تبذل لكل طالب ما يريد من ضروب المعرفة حسب مستواه الثقافي وهوايته وطاقاته واستيعابه[(٢)].

وبعد هذا الحديث عن المحظرة يصبح من الضروري الحديث عن نشأتها وكيفية انتشارها، وأهدافها.

من المعروف أن يحيى بن إبراهيم «لكدالي» عندما آلت إليه قيادة الحلف الصنهاجي بعد وفاة أبي عبدالله محمد المعروف بالترسين سنة ٤٠٠هـ، أراد أن يُؤَطرَ الحرَكَةَ الصَّنْهَاجِية، بفتح البلاد أمام التعليم الديني الذي كان مزدهراً في شمال إفريقيا وبالذات في القيروان.

فَجَهْلُ صَنْهَاجةَ بمبادىء الدين، وضَعف الدافع الروحي لديها وارتباط سياستها بعوامل مادية بحتة، تتمثل في السيطرة على تجارة الصحراء كان في رأيه سر تخلفها[(٣)] لذلك خرج الأمير من دياره[(٤)] في رحلة إلى الحج، وفي

---

(١) العد بالكسر الماء الجاري الذي له مادة لا تنقطع القاموس المحيط ٣١٢/١.
(٢) النحوي ص٥٥.
(٣) إدارة التعليم في موريتانيا ص٢٠ ومحمود حسين أحمد ص١٠٤.
(٤) تتضارب الروايات حول الأسباب الحقيقية لخروج الأمير من بلده، هل هي لتأدية الحج أم لاستيراد معلمين لشعبه؟ فيقول محمود حسن إن الأمير لم يخرج من بلاده=

عودته مر بالقيروان حيث لقي أبا عمران الفاسي أحد أبرز فقهائها، فشكا إليه حال قومه في عبارات تناقلها المؤرخون منها:

وفينا أقوام يحرصون على تعلم القرآن، ويرغبون في الفقه والدين، لو وجدوا إلى ذلك سبيلاً، وطلب منه أن يرسل معه فقيهاً يعلم قومه، فوجهه أبو عمران إلى وكاك ابن زلو اللمطي الصنهاجي، الذي كان يقيم رباطاً في سوس للجهاد، وللتعليم، وعندما جاء الأمير إلى وكاك استقبله باحترام كبير، وبعث معه عبدالله بن ياسين الجزولي الصَّنْهَاجِيُّ، وعندما جاء الأمير إلى بلاده صحبة المعلم أقام رباطاً للتعليم والجهاد سنة ٤٢٦هـ، وكان هذا الرباط بمثابة أول محظرة عرفتها البلاد بالمفهوم الحالي، كما كان ابن ياسين أول شيخ محظرة في بلاد شنقيط[1]، ولا ينافي ذلك أن هذه البلاد منذ افتتاحها ١١٦هـ كانت توجد بها كتاتيب لتحفيظ بعض الأجزاء القرآنية ومبادىء الدين[2]، ومما يؤكد إصرار الأمراء المرابطين على استمرار هذا النظام التعليمي أنه عندما تخلى الأمير أبو بكر بن عمر لابن عمه يوسف بن تاشفين عن الحكم في المغرب الأقصى، لأسباب لا تهمنا هنا، اصطحب معه من (أَغْمَاتَ) العاصمة المؤقتة للشمال الإمام أبا بكر محمد بن الحسن الحضرمي ت٤٨٩هـ وإبراهيم الأموي وعبدالرحمن بن أبي بكر الركاز، وأصبح الإمام الحضرمي قاضياً بينما صار إبراهيم الأموي يعلم الناس بمجلس الأمير، وبعد انحلال دولة المرابطين، أخذ العلماء يؤسسون المدارس في المدن والحواضر فانتشرت في جميع البلاد وأصبحت البادية مركزها فيما بعد[3].

= طلباً للحج، وإنما بحثاً عن معلمين، وأكثر المصادر تقول أن الرحلة كانت للحج، وفي اعتقادنا أن السببين واردان معاً إذ يمكن أن يكون الهدف هو الحج أولاً، ثم البحث عن معلمين ثانياً، ومهما كان سبب الخروج فإن النتيجة محمودة العواقب، وانظر النحوي ص٦٤ وقد استشهد ابن ياسين الفقيه في الجهاد سنة ٤٥١هـ. النحوي ص٦٥.

(١) حياة موريتانيا ص٥ والنحوي ص٦٥.

(٢) الحديث الشريف في بلاد شنقيط ص١٤٥.

(٣) حياة موريتانيا ص٥ بلاد شنقيط ص٦٥.

وظلت البلاد تستقطب العلماء حيث جاء الشريف عبدالمؤمن مؤسس مدينة تشيت ومعه الحاج عثمان مؤسس مدينة ودان، وكانا تلميذين للقاضي عياض ت٥٤٤هـ، فانتشر التعليم في هاتين المدينتين، واتسع نطاقه ليشمل علوماً أخرى غير العلوم الشرعية التي كان طلبة العلم يقتصرون عليها قبل ذلك، ثم جاء بعد ذلك رعيل من العلماء على رأسه يحيى الكامل، فازدهرت المدارس حيث كانوا يأتون بالكتب المختلفة من شمال إفريقيا ومصر، وعكف العلماء الشنقيطيون على التعليق عليها ومحاكاتها بمصنفات أخرى، وأصبح لكل قبيلة علماؤها المتخصصون في العلم[1].

وهكذا نجد أنَ التعليم المحظري تركز أولاً في الحواضر، ثم انتشر وازدهر في البوادي، وهناك حواضر يجدر بنا ذكرها وهي:

- (أودَاغِسْتْ): العاصمة الصنهاجية القديمة، و(كُومْبِي صَالِح): عاصمة الدولة الغانية، و(تِنيكي)، و(شنقِيطْ): التي أصبحت علماً للبلاد، و(تشِيتْ) و(وَدَانْ)، و(وَلاَتَة) وكلها مدن تحتضنها دولة موريتانيا الحالية[2]، فمنها ما اندثرت ومنها ما بقيت قائمة. ومن هذه المدن انتشرت المحاظر بالبوادي التي أصبحت مركزاً للتعليم المحظري، ولم تقتصر المحظرة على الجانب الديني بل شملت برامجها جميع العلوم التي كانت قوام التراث الإسلامي في المغرب والمشرق كما تقدمت الإشارات إلى هذا من قبل.

- ففي القرن الثالث عشر الذي يمثل العصر الذهبي للمحظرة عم التدريس جميع البلاد الشنقيطية، وتوسعوا في المعارف توسعاً كبيراً وظهر من بينهم فطاحل العلماء وفحول الشعراء حتى نالوا إعجاب الكثيرين واستحقوا أن يقال فيهم:

- إنَّ مِنَ الشّنَاقِطَةِ عُلَمَاءَ قَدْ لاَ نُغَالِي إذا قُلْنَا عَنْهُمْ أنهم لا يقلون أهمية عن أمثال جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، ورشيد رضا، وأبي

---

(١) ابن حامدن ص٦.

(٢) ولمعلومات أكثر ينظر بلاد شنقيط ص٦٦ إلى ٧٤.

الثناء الألوسي، وعثمان بن سند، وأضرابهم = عبداللطيف الدليشي الخالدي[١]، وحتى قال عنهم طاهر الحاجري: إن الصورة التي أتيحَ لنا أن نراها لِشِنْقِيط في هذين القرنين ١٢ و١٣هـ جديرةٌ أن تُعَدِّلَ الْحُكْمَ الذي اتَّفَقَ مُؤَرِّخُو الأدب العربي على إطلاقه[٢]. وليس لنا من حاجة في إيراد هذه المقولات، إلا أنها تمثل على الأقل شهادة بمكانة هؤلاء العلماء والشعراء في الأوساط العلمية والأدبية.

ولقد قامت المحاظر بدور كبير في الحفاظ على الشخصية الإسلامية في هذه الناحية من العالم العربي والإسلامي، فصمدت أمام جيوش الاحتلال الفرنسي، وأفشلت كل مخططاته وأهدافه الرامية إلى مسخ الشخصية الإسلامية وإخضاعها للغزو الاستعماري البغيض.

وقد كتب الأديب الكبير الخليل النحوي فصولاً ممتعة عن جهاد المحاظر ومقاومتها للاستعمار أغناها بالنصوص الشعرية والنثرية[٣] فيرجع إليها من يريد الاطلاع على ذلك الموضوع.

أما أهداف المحظرة فيمكن تلخيصها فيما يلي:

١ ـ تعليم الدين الإسلامي عقيدة وشريعة وسلوكاً ومنهجاً مع اختلاف مشاربها الفكرية في المفهوم الصحيح للدين الإسلامي.

٢ ـ تعليم اللغة العربية مفردات ونحواً وصرفاً وبلاغة وأشعاراً.

٣ ـ تكوين دعاة قادرين على تحمل مسؤولية الدعوة إلى الله تعالى.

٤ ـ ترسيخ القيم الإسلامية وإرساء أسس الدين وتعهده بالرعاية[٤].

٥ ـ المحافظة على التراث الإسلامي الموجود بهذه البلاد وصيانته بكل

---

(١) بلاد شنقيط ـ النحوي ص٣.
(٢) بلاد شنقيط النحوي ص٣.
(٣) بلاد شنقيط النحوي ص٣٠٣ ـ ٣٧١.
(٤) السلفية وأعلامها ص٩٣ وانظر المحاضر الموريتانية وآثارها التربوية في المجتمع الموريتاني ص٣٧ (مرقونة).

وسيلة، وأهم ما حققته المحاظر من أهداف هو ترسيخ العقيدة الإسلامية والتمكين لها في غرب إفريقيا تمكيناً لا رجعة فيه[١] إن شاء الله.

وفي هذا الصدد فقد بذل رجال المحاظر جهداً متواصلاً ليس في موريتانيا فحسب، بل اقتحموا مجاهيل إفريقيا، داعين إلى عقيدة الإسلام وتعاليمه وحاملين مشعل حضارته، وفي الوقت نفسه ظلت هذه المؤسسات التعليمية تستقبل أفواج الطلاب المتلاحقة، من موريتانيا، ومن الشعوب الإفريقية المجاورة لها للارتواء من منابع الثقافة الإسلامية، وترتب على ذلك تحصين هذه الشعوب من الذوبان في ثقافة المستعمر.

أما عنايتهم بالتراث فقد وصفها محمد يوسف مقلد بقوله: «وقد حافظوا على التراثين الديني والأدبي ولهم صبر عجيب على نسخ الكتب الفريدة»[٢].



(١) شنقيط ودوره ص٢٠ (مرقونة).

(٢) شعراء موريتانيا القدماء والمحدثون ص١٦١ ط١، ١٩٦٢ بيروت.

الفصل الثاني

الاتجاهات الفكرية الشنقيطية وأثرها في النهضة العلمية

تحدث المهتمون بالثقافة الشنقيطية عن عوامل ازدهار التعليم المحظري وشرحوا تلك العوامل بما يشفي ويكفي، وما يهمنا من ذلك هنا هو التوجهات المعرفية الكبرى التي سادت البلاد فانصبغت المعارف بها فكان بإمكاننا أن نسميها مدارس، وقد وقع صراع كبير بين هذه المدارس أكسب الفكر حركية وحيوية، يظن أنها كانت عاملاً حاسماً في النقلة النوعية التي وصلت لها المعارف في هذه الناحية، وهذه المدارس هي:

- المدرسة الفقهية الفروعية.
- المدرسة العقلية اللسانية.
- المدرسة السلفية.
- المدرسة الصوفية.

⇦ أولاً ـ المدرسة الفقهية:

وهي أقوى هذه المدارس وأبعدها أثراً في المجتمع وهي مدرسة مالكية قاسمية، أي أنها تأخذ بمذهب ابن القاسم لا تحيد عنه إلى أقوال

غيره من أصحاب مالك وهي كذلك خليلية نسبة إلى خليل بن إسحاق المصري ت٧٦٩هـ.

وهذه المدرسة في أغلب أحوالها تستغني بالفقه الفروعي عن الأدلة من الكتاب والسنة، ولا تفتح المجال للنظر والاستدلال، مهما كان مستوى الشخص فنرى رائدها وهو المختار ابن بون الجكني المتوفى **١٢٢٠هـ** مع سعة علمه يجزم بضلال علماء عصره الذين يستدلون على الأحكام بالكتاب والسنة ويقول:

وَعَالِمُ الْعَصْرِ إِذَا هُوَ اسْتَدَلّْ بِالذِّكْرِ وَالْحَدِيثِ ضَلَّ وَأَضَلّْ[1]

أما الشيخ سيدي عبدالله بن الحاج إبراهيم العلوي المتوفى **١٢٣٣هـ** فإنه يرى منع العمل بالكتاب والسنة لمن ليس مجتهداً فقال في مراقي السعود:

مَن لَّمْ يَكُنْ مُجْتَهِداً فَالْعَمَلُ مِنْهُ بِمَعْنَى النَّصِّ مِمَّا يُحْظَلُ[2]

ومن هؤلاء العلامة محمد حبيب الله بن مايابى الجكني المتوفى **١٣٦٤هـ** والذي يعتبر من أحفظ الناس في الحديث، وهو وإن كان موقفه دون موقف الشيخين السابقين، لأنه يجيز للفقيه العمل بمقتضى النصوص، من الكتاب أو السنة، لكنه لا يسمح لغير المجتهد بالاستنباط من الكتاب والسنة وأما المجتهد فإنه معدوم يقول:

وَحَيْثُمَا يَكُونُ الاِسْتِنْبَاطُ لِلْحُكْمِ فَالْمَنْعُ بِهِ يُنَاطُ
وَفِي الَّذِينَ فِي الْكِتَابِ قَبْلاَ يَسْتَنْبِطُونَهُ الدَّلِيلُ يُتْلَى

---

(١) صوب أحد طلاب العلم وهو سيدي محمد بن المصطفى الملقب (سليم) هذا البيت فقال:
وعالم العصر إذا لم يستدلْ بالذكر والحديث ضل وأضلْ

(٢) صوبه الشيخ العلامة عبدالله بن الإمام بقوله:
مَن لم يكن مجتهداً فلْيَعْتَمِدْ فِي قَفْوِةِ النَّصِّ لِقَوْلِ مُجْتَهِدْ
لِيَقْفُوَ النَّصَّ عَلَىٰ بَصِيرَهْ وَحُجَّةٍ ظَاهِرَةٍ مُنِيرَهْ

لِأَنَّ ذَا وَظِيفَةُ الْمُجْتَهِدِ وَالآنَ يُفْقَدُ بِكُلِّ بَلَدِ
أَعْنِي بِهِ مُجْتَهِدَ الأَطْلاَقِ فَهُوَ مَعْدُومٌ بِالاتِّفَاقِ[١]

وقد علَّل ذلك بِصَرفِ النظر عن التعلم مع توفر المراجع التي تساعد على الاجتهاد قال: ولكن انصرفت القلوب عن العلم مرة واحدة وأعرض الناس عنه بالكلية ولو تيسرت أسبابه فلو وفق الله أهل القابلية الشديدة له لكان أيسر عليهم الآن منه في الزمن السابق كما أشار له أخونا المرحوم ذو المناقب الثاقب الشَّيخ مُحَمَّد العاقب في منظومته في الأدلة الأصولية:

وَالاِجْتِهَادُ الْيَوْمَ صَارَ أَيْسَرَا لَوْ كَانَ إِنسَانٌ لَهُ مُيَسَّرَا[٢]

ومن هذه المدرسة الفقهية الفروعية النابغة القلاوي المتوفى **١٢٤٥هـ** الذي يقول:

وَالاِجْتِهَادُ فِي بِلاَدِ الْمَغْرِبِ طَارَتْ بِهِ فِي الْجَوِّ عَنقَا مُغْرِبِ

العنقا المغرب طائر مجهول الشكل، أي أن الاجتهاد مفقود اليوم قال أبو عبيد: من أمثال العرب طارت بهم العنقاء المغرب ويقال ألوت بهم العنقاء المغرب وهذا مثل يضرب في الإخبار عن هلاك الشيء أو بطلانه[٣] وهذه المدرسة تعتبر الخروج عن مذهب مالك بالنسبة للقطر المغربي ابتداعاً في الدين، وهذا ما أكده محمد بن أحمد وفال التندغي **ت١٣٤٥هـ** بقوله:

وَأَهْلُ مَغْرِبٍ عَلَيْهِمْ يُمْنَعُ سِوَى الإِمَامِ مَالِك أَنْ يَتْبَعُوا
لِفَقْدِ غَيْرِهِ وَكُلُّ خَارِجِ عَن نَّهْجِهِ فَهْوَ مِنَ الْخَوَارِجِ[٤]

---

(١) دليل السالك وشرحه إضاءة الحالك محمد حبيب الله بن مايأبى ص١٣٠.
(٢) المرجع السابق ص١٣٩ وانظر تبيين المسالك ج١ ص١٤.
(٣) منظومة بو طليحية وشرحها ص١١٩.
(٤) تطور منهج التفسير في موريتانيا ص١١.

وتستدل هذه الطائفة بمقولة تعزى لسفيان الثوري:

(الحديث مضلة إلا للفقهاء) ويقول بعضهم استناداً إلى هذا:

وَلاَ يَجُوزُ بِالْحَدِيثِ الْعَمَلُ   وَمِثْلُهُ الْقُرْآنُ فِيمَا نَقَلُوا

وهكذا فالمقولات في هذا كثيرة لا حصر لها.

وأنبه هنا إلى أن وصفنا هذه المدرسة بالفقهية لا يعني أن أصحاب التوجهات الأخرى يغفلون الفقه أو لا يهتمون به اهتماماً كبيراً، بل إن الاهتمام بالفقه وإتقان الفقه الخليلي بالذات، شرط عرفي لا تنازل عنه في من يتصدى لتوجيه المجتمع أو لتبوؤ مكانة خاصة فيه، لأن الرأي العام الشنقيطي مبني على فكر فقهي صارم، ولعل ذلك قديم عندما بدأ المعلم الأول عبدالله بن ياسين يبذر بذوره العلمية في هذه الربوع، وبناء على ذلك، فإن أصحاب الاتجاهات المعرفية الأخرى التي سنتناولها بعد قليل، لم يكن نصيبهم من الفقه قليلاً بل كانوا فقهاء بكل ما تحمله الكلمة من دلالة، ومدار الصراع بين المدرسة الفقهية وغيرها هو ما عليه هذه المدرسة من التقليد، وما صيغ في إطارها من مقولات تبرر التقليد وتوجبه بشكل أبدي، وقد تعرضنا قبل قليل لبعض مقولات هؤلاء بشيء من التفصيل، وسيأتي الرد عليها ضمناً من خلال آراء معارضيهم.

ثانياً ـ المدرسة العقلية اللسانية:

ينصب جل اهتمام هذه المدرسة على تعليم اللغة العربية وعلومها خاصة النحو والصرف كما تتبنى المنهج المنطقي النظري فساهمت جهودها أكبر مساهمة في نشر علم الكلام والمنطق والجدل وأصول الفقه أو ما يعرف إجمالاً بعلوم الآلة، أو المتممات ويعتبر المختار بن بون **ت١٢٢٠هـ** قطبها الأساسي، ويتمثل دور هذه المدرسة في تعميق الشنقيطيين في العقيدة الأشعرية والدفاع عنها في وجه التيارات العقدية الأخرى[1].

---

(١) تطور منهج التفسير في موريتانيا ص٩.

واستخدمت في سبيل ذلك المنطق الذي حسمت الخلاف الموجود من قبل في جواز تعلمه ومنعه بقولها:

وَإِن تَـقُـلْ حَـرَّمَـهُ الـنَّـوَاوِي ... وَابْنُ الصَّلاَحِ وَالسُّيُوطِي الرَّاوِي
وَخَـصَّ بِـالْـمَـقَـالَـةِ الصَّحِيحَـهْ ... جَـوَازَهُ لِـكَـامِـلِ الْـقَـرِيحَـهْ
قُلْتُ نَرىٰ الأَقْوَالَ ذِي الْمُخَالِفَهْ ... مَحَلُّهَا مَا صَنَّفَ الْفَلاَسِفَهْ
أَمَّـا الَّـذِي صَنَّـفَـهُ مَـنْ أَسْلَمَـا ... لاَ بُدَّ أَنْ يُعْلَمَ عِنْدَ الْعُلَمَا(*)

فهذه المدرسة ترى أن القدر الذي تحصل به القدرة على رد الشبه فرض[1] كفاية، قال الناظم:

وَمَا بِـهِ الـرَّدُّ عَـلَـىٰ أَهْـلِ الـشُّبَـهْ ... فَـرْضُ كِـفَـايَـةٍ فَـتِـلْـكَ الْـمَـرْتَـبَـهْ

● متى تأسست المدرسة الأشعرية في بلاد شنقيط؟

إن المرابطين في بداية أمرهم كانوا سلفيين، وقد أسسوا دولتهم على الفكر الإسلامي السلفي الخالص من الشوائب والبدع، وعاشت عمرها القصير في الدعوة إليه والدفاع عنه ومحاربة الابتداع والضلال، ومما يدل على أن المرابطين كانوا سلفيين تهمة محمد بن تومرت الموحدي ت**٥٢٤هـ** لهم بالتجسيم حيث يقول: باب في جهادهم ـ أي المرابطين ـ على التجسيم وإنكار الحق[2] ولقد اتفق العلماء والمؤرخون على تفنيد مزاعم ابن تومرت التي رمى بها المرابطين وعلى رأس هؤلاء شيخ الإسلام ابن تيمية حيث يقول: واستحل أي ابن تومرت دماء ألوف مؤلفة من أهل المغرب المالكية الذين كانوا من أهل الكتاب والسنة على مذهب مالك وأهل المدينة، يقرؤون القرآن والسنة، كالصحيحين والموطأ وغير ذلك، والفقه على مذهب أهل المدينة، فزعم أنهم مشبهة مجسمة، ولم يكونوا من أهل هذه المقالة،

(*) نظم المختار بن بونا في المنطق (مخطوط) وآداب البحث والمناظرة للشيخ محمد الأمير الشنقيطي ص٤٤.

(١) نظم ابن بونا في الوسيلة (مخطوطة).

(٢) ابن تومرت أعز ما يطلب ص٣٨٧.

ولا يعرف عن أحد من أصحاب مالك إظهار القول بالتشبيه والتجسيم[١] ونفى الذهبي هذه التهمة بقوله: إن أهل المغرب كانوا لا يدينون إلا بتنزيه الله عز وجل ووصفه بما يجب له، مع ترك الخوض فيما تقصر العقول عن فهمه، فكفرهم ابن تومرت لجهلهم العرض والجوهر، وقال: إن من لا يعرف ذلك لا يعرف الخالق من المخلوق[٢] وكلام الأئمة في تبرئة هؤلاء مما نسبه ابن تومرت لهم غير هذا منتشر.

وبعد أن تأكد لنا بما لا يدع مجالاً للشك أن المرابطين وهم سلف الشناقطة كانوا سلفيين، يبقى لنا أن نعرف متى انتقل الشنقيطيون إلى الأشعرية؟ إن غموض الفترة الزمنية التي أعقبت دولة المرابطين جعلنا غير قادرين على تحديد الفترة التي وقع فيها التحول العقدي من الاتجاه السلفي إلى الاتجاه الأشعري، فمن المعروف أنه بعد انفراط عقد الدولة المرابطية انقسمت المنطقة إلى دولتين: مغربية، وصحراوية، وهذه الأخيرة عرفت فيما بعد ببلاد شنقيط، وأدى هذا الانقسام إلى عزلتها وجهالة ما يجري فيها من أوضاع، ولكن المصادر التي أشارت إلى هذه الحقب التاريخية تشير إلى تردي الأوضاع العقدية في هذه البلاد. فرسالة محمد بن محمد اللمتوني للسيوطي سنة ٨٩٨هـ التي يقول فيها: ومنهم من عادته إتيان المساجد، وتلاوة القرآن، والعلوم، والمدائح، والحج، ومع ذلك ذكر أموراً مستبشعة يعتقدونها حتى قال وعندهم طلسمات للنكاح، والبيع، والشراء، والمحبة[٣]... الخ. وقد اشتهر عند الناس أن الموحدين هم الذين فرضوا الأشعرية مشرباً عقدياً في المغرب فبقي عليه إلى اليوم، والشناقطة في تلك الأزمنة يتأثرون بما يجري في المغرب مباشرة.

وإذا كان الأستاذ الخليل النحوي يرى أن العقيدة الأشعرية وصلت إلى بلاد شنقيط في وقت مبكر مع معلمهم الأول عبدالله بن ياسين كما وصل

---

(١) مجموع الفتاوي ج١١، ص٤٧٨، والاستقصاء ج١، ص١٤٠.
(٢) سير أعلام النبلاء ج١٩، ص٥٥٠ .وانظر مكانة أصول الفقه ص٧٤.
(٣) الحاوي على الفتاوي ج١، ص٢٨٧.

إليهم الفقه المالكي، فقد أخذها عبدالله بن ياسين، عن شيخه وجاج بن زلو اللمطي، وهو أخذها عن أبي عمران الفاسي ت٤٣٠هـ الذي أخذ الأشعرية عن مؤسسها الحقيقي أبي بكر الباقلاني ت٤٠٣هـ فإن بعض الباحثين كالدكتور الطيب بن عمر بن الحسين يرى أن ابن ياسين ليس أشعرياً خلافاً لما ذكر البعض وتقدمت الإشارة إلى ذلك، بل إن انتشار الأشعرية الحقيقي إنما كان بَعْدَ ظهور علماء أشاعرة اشتهروا في المغرب، ونقلت مؤلفاتهم إلى محاضر موريتانيا واعتمدت جزءاً من مناهجها، وفي الوقت ذاته اتجهت أفواج من الطلاب إلى مراكز العلم في المغرب وتلقوا تعليمهم فيها، على أيدي علماء أشاعرة، يقول الدكتور الطيب بن عمر: «لقد كان لظهور محمد بن يوسف السنوسي ت٨٩٥هـ أثر بارز على ظهور الأشعرية في بلاد شنقيط، فقد اعتنوا بمؤلفاته في العقيدة الأشعرية عناية خاصة، فكانوا يستقصون في دراستها فيستوعبونها حفظاً وفهماً ثم يقومون بنظمها وشرحها بعد ذلك»[١] ويتضمن هذا المعنى كلام ابن بون في وسيلته حيث يقول:

نَظْماً حَوىٰ قَوَاعِدَ الشَّرِيفِ ... مُحَمَّدِ السَّنُوسِيِّ الظَّرِيفِ[٢]
لَخَّصْتُ فِيهِ مَا حَوَتْهُ الصُّغْرىٰ ... مَعْ ضِمْنِ وُسْطَاهُ وَضِمْنِ الْكُبْرَىٰ
سَمَّيْتُهُ وَسِيلَةَ السَّعَادَهْ ... فِي نَشْرِ مَا تَضَمَّنَ الشَّهَادَهْ

وظهر بعد السنوسي عبدالواحد بن عاشر ت١٠٤٠هـ وكان لمؤلفاته أثر كبير وخاصة نظم (المرشد المعين، على الضروري من علوم الدين) ومن علماء المغرب الأشاعرة الذين اعتنى الشنقيطيون بمؤلفاتهم أحمد المقري ت١٠٤١هـ فقد كان لكتبه أثر عميق في المؤسسات التعليمية وخاصة إضاءة الدجنة التي يقول فيها:

سَمَّيْتُهَا إِضَاءَةَ الدُّجُنَّهْ ... لِكَوْنِهَا اعْتِقَادُ أَهْلِ السُّنَّهْ

وقد تحكم في نفوس الشنقيطين كغيرهم من المغاربة التعلق الشديد

---

(١) السلفية وأعلامها في موريتانيا ص٢٣٠.
(٢) وسيلة السعادة للمختار بن بون ص٦ (مخطوطة).

بالعقيدة الأشعرية، والمذهب المالكي، أما تعلقهم بالمذهب المالكي فقد قدمنا صوراً منه، وأما تعلقهم بالأشعرية فيكفي في التمثيل عليه النص الآتي يقول صاحب الوسيط[(١)] في ترتيب معارف المحظرة، مشيراً إلى أن من لم يتقن القواعد التي وضعوها يكون عرضة للكفر، والعياذ بالله.. يقول: ثم العقائد الأشعرية، ويمضي سنين عديدة في إتقان تآليف السنوسي حتى لا يبقى عليه منطوق ولا مفهوم ليصير عندهم مؤمناً حقيقةً، وإلا فإنه إذا كان لا يقدر على معرفة أنواع الصفات وتعيينها بالألفاظ المتداولة عندهم فهو عرضة للكفر[(٢)] ويقول أحد النظامين الشنقيطيين وهو الشيخ عبدالقادر بن محمد سالم المجلسي **ت١٣٣٧هـ** في تمجيد العقيدة الأشعرية:

وَاعْلَمْ بِأَنَّ الْمِلَّةَ الْمَرْضِيَهْ   هِيَ الَّتِي عَلَيْهَا الأَشْعَرِيَّهْ[(٣)]

كان أنصار هذه المدرسة الكلامية كثيرين، وكان رائدها المختار بن بون كما قدمنا، وقد وقف أمام ابن بون ابن حبلّ اليعقوبي، واليعقوبيُّون قد تتلمذوا على المختار، فنصروا ابنهم على حساب شيخهم الذي درسوا عليه علم الكلام، فكان صراعهم معه صراعاً كلامياً صار فيه الطلبة على غير نهج شيخهم، فاتهموه بتوهين الدين، فيقول شاعرهم المأمون بن محمد **ت١٢٣٨هـ**:

مَا الدِّينُ إِلاَّ الَّذِي تَسْعىٰ لِتُوهِنَهُ   الـــــــــــــخ......

ولم يشذ من اليعقوبيين عن نصرة ابن حبلّ غير سيد عبدالله بن الفاضل **ت١٢٠٩هـ** الذي ناصر ابن بون ورد على ابن عمه رداً عنيفاً.

---

(١) الوسيط في تراجم أدباء شنقيط ص٥١٨.

(٢) وقد لاحظت هنا كما لاحظت في مبحث المدرسة الفقهية من قبل أن تعلق هؤلاء بالمالكية والأشعرية قد يصل بهم أحياناً إلى حد التعصب الشديد وخير الأمور أوسطها.

(ونهج سبيلي واضح لمن اهتدى   ولكنها الأهواء عمت فأعمت)

(٣) انظر مقدمة المقبول النافع على الدرر اللوامع ص١١ حاشية ٥.

لقد سيطرت العقيدة الأشعرية على بلاد شنقيط ردحاً من الزمن، ولكن الفكر السلفي عاد إلى البلاد من جديد، وتمسكت به طائفة ظلت تحمل رايته وتجتهد في نشره وتدافع عنه، وسنتعرض لهذا الموضوع في البحث القادم.

ثالثاً - المدرسة السلفية:

وبجانب هاتين المدرستين السابقتين، المدرسة الفقهية، والمدرسة الكلامية، ظهرت مدرسة سلفية إصلاحية داعية للأخذ بالكتاب والسنة في العقائد والأحكام، وتهاجم بصراحة وقوة مذاهب الكلاميين كما كانت في الوقت نفسه تدعو للتبصر في الفقه، ولكن آراءها كانت تهاجم وتقابل بالإعراض والرفض الشديد، لأنها كما يقول الباحث عبدالله بن أحمد عبيد: كانت تجمع بين بدعتين في الثقافة الشنقيطية: بدعة الخروج عن العقيدة الأشعرية، وبدعة الدعوة إلى تجاوز الفروعية الفقهية[(١)]. وينسب بعض الباحثين حركة الإمام ناصر الدين قائد «شربب» ت١٠٨٥هـ إلى هذا التوجه[(٢)].

ومن الذين حملوا لواء هذه الدعوة حقيقة: العلامة محمد حبيب الله اليعقوبي ١٢٠٦هـ تقريباً والملقب (المجيدري) بن حبل وهو من تلامذة العلامة المختار بن بون الجكني، الذي كان يتزعم المدرسة المتمسكة بالمذهب وبالعقيدة الأشعرية، وقد شنع على المجيدري، ورماه بالبدعة والضلال ومخالفة الرسل، فيقول المجيدري نافياً عن نفسه البدعة:

لَوْ كُنتُ بِدْعِيّاً لَمَا كَانَ الصَّوَابْ عِنْدِي الأَحَادِيثُ الصِّحَاحُ وَالْكِتَابْ

وقد نصب المجيدري نفسه للدعوة إلى العمل بالكتاب والسنة، ورفض التقليد الأعمى كما يصفه، ومما كتبه إلى علماء زمانه في هذا المعنى قوله:

---

(١) تطور منهج التفسير في موريتانيا ص١١.

(٢) السلفية وأعلامها في موريتانيا ص٢٤٢ ط١ دار ابن حزم، بيروت ١٤١٦هـ.

ما معنى نسبة ما اخترع الأربعة المشار إلى اختراعهم بصيغة الفعل وتردد المتأخرين لعدم نص المتقدمين واختلاف شراح المدونة في فهم ألفاظها وما استظهره أهل الاستحسان، ما وجه نسبة هذه الأقوال إلى مالك وجعلها مذهباً له وبينه وبين قائلها مائة سنة، أو مائتي سنة حتى يقول: ومذهب الإنسان ما صرح به ولم يرجع عنه إلى أن مات لا ما قاله من ولد بعده بمائتي عام[1].

الثاني: ما الفرق بين ابن القاسم والشافعي؟ حتى جعلتم الأول من جملة مذهب الإمام مالك، والثاني مذهباً مستقلاً، وكلاهما شيخه مالك، وكلاهما تابع مالكاً في مسائل، وخالفه في مسائل[*].

الثالث: ما وجه تحريم الانتقال من مذهب إلى مذهب، بل ما وجه تحريم تقليد الأربعة دفعة واحدة؟

الرابع: ما وجه مدحكم للخلاف؟ وقولكم كل مجتهد في الفروع مصيب؟، ومن قلد عالماً لقي الله سالماً؟ الاختلاف بين العلماء رحمة، وقد ورد ذمه في القرآن والحديث، فأما القرآن فقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، فجعل سبيله واحداً، وقال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣] وحبل الله كتابه، كما جاء في الحديث فأمر بالاعتصام به المثمر للاجتماع، ونهى عن عدمه

---

(١) المنحى التأصيلي عند العلامة محمد مولود بن أحمد فال ص٩ (مرقونة).

(*) لم أر ضرورة في هذه العجالة لذكر كُلّ ردود المخالفين للمجيدري في هذه المسائل لأنها معروفة في كتب الفقه والأصول وغيرها لكن الفرق بين ابن القاسم والشافعي يتجلى في مسألة واحدة هي: التزام الأول بأصول مذهب مالك دون الثاني، قال صاحب المراقي بعدما انتهى من ذكر شروط المجتهد:

هذا هو المطلق والمقيدُ ... منسفل الرُّتبة عنه يُوجَدُ
ملتزمٌ أصول ذاك المطلق ... فليس يعدوها على التَّحقُّقِ

مراقي السعود إلى مراقي السعود ص٤٣٨.

قال علماؤنا من التزم بعمل أهل المدينة فهو مالكي وإن خالف مالكاً في مسائل عديدة، ومن لم يلتزمه ليس بمالكي وإن وافقه في كل الآراء.

المثمر للتفرق، وأشد الآيات تصريحاً لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [آل عمران: ١٠٥].

ثم يقول المجيدري في مكان آخر في معرض ذم علم الكلام «أهل الكلام إما أن تتابعهم وإما أن تخالفهم، فإن خالفتهم قالوا بدعي ضال، وإن تابعتهم، فأنت مقلد صرف...»[١] وترجم صاحب الوسيط للمجيدري بقوله: «هو العالم الذي ما له نديد»[٢].

ونقل عبدالحي الكتاني في كتابه فهرس الفهارس: أنه وجد بخط العلامة صالح الفلاني: المدني ت١٢١٨هـ أنه أدرك في زمانه حافظين أحدهما محمد بن حبيب الله المجيدري اليعقوبي الشنقيطي والآخر فاسي.

ومن الذين لهم دعوة إلى أخذ الكتاب والسنة الشيخ سيدي المختار الكنتي المتوفى سنة ١٢٢٦هـ، يقول من قصيدة له طويلة:

فَمَنْ لَمْ يُقَيِّدْ بِالْكِتَابِ عُلُومَهُ ... طَغَىٰ وَبَغَىٰ وَاسْتَبْدَلَ الْبُسْرَ بِالرُّطْبِ
وَلاَ تَقْتَصِرْ إِنَّ الْحَدِيثَ بَيَانُهُ ... وَتَفْسِيرُهُ فِقْهُ الأَئِمَّةِ الشُّغْبِ

حتى يقول:

وَدَعْ عَنْكَ آرَاءَ الرِّجَالِ وَقَوْلَهُمْ ... لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ فَهْوَ الَّذِي يُطْبِي

وله كتاب سماه هداية الطالب، يحث فيه على طلب القرآن والحديث والتبصر فيهما، وسمع مرة أبياتاً لأحد دعاة الفروع يشيد فيها بمختصر خليل، يقول فيها:

قَبَضْتُ عَلَى دِينِي بِنَصِّ خَلِيلِي ... وَإِن لاَمَنِي فِي ذَاكَ كُلُّ خَلِيلِي
وَإِنْ سَأَلُونِي عَنْ دَلِيلِي وَحُجَّتِي ... أَقُولُ خَلِيلٌ حُجَّتِي وَدَلِيلِي

---

(١) مخطوطات خاصة في مكتبة العلامة اباه بن عبدالله بالنباغية كما نقله الأستاذ محمد الحافظ ص٤٣.

(٢) الحديثه الشريف ابن المجتبى ص٤٤.

فرد عليه الكنتي قائلاً:

قَبَضْتُ عَلَىٰ دِينِي بِهَذْي رَسُولِي ... وَتِلْكَ لَعَمْرِي حُجَّتِي وَدَلِيلِي
تَمَسَّكْتُ بِالأَصْلَيْنِ آيٍ وَسُنَّةٍ ... فَلَمْ أَكُ أُصْغِي فِيهِمَا لَعَذُولِي

ومن هذه الطائفة: العلامة محمدي ابن سيدين العلوي الملقب «بدي» المتوفى سنة **١٢٦٤هـ** يقول في أحد كتبه:

«فصار حظنا من العلم محض التقليد المذموم، ولو أخذنا بأقوال هؤلاء ـ يعني العلماء المتقدمين ـ لكنا من أهله، ثم قال بدي في موضع آخر:

وما نحن وهؤلاء المقيدون المقلدون، إلا كما قال سيدي أحمد زروق ـ رحمه الله ـ في قواعده:

قاعدة: إذا حقق أصل العلم وعرفت موارده وجرت فروعه ولاحت أصوله، كان الفهم فيه مبذولاً بين أهله وليس المتقدم بأولى من المتأخر وإن كان له فضل السبق، فالعلم حاكم، ونظر المتأخر أتم، لأنه زائد، والفتح من الله مأمول لكل واحد.

ثم نقل عن الشعراني المتوفى سنة **٩٧٣هـ** قوله: كان عامر بن قيس المتوفى **١٠٤هـ** يقول: لا تذهب الدنيا حتى يصير العلم جهلاً والجهل علماً، ثم نقل عن أبي حمزة قوله: إن العلم نور يضعه الله في قلب الرجل يفهم به الكتاب والسنة، ثم يقول منكراً على أهل زمانه: أما اليوم فلم يبق إلا حملة الأسفار كالحمار يحمل أسفاراً إلى أن يقول: فمن كان باكياً فليبك على ذهاب العلم وأهله، والدين وضعفه[1].

ومن هذه الطائفة: العلامة باب ابن الشيخ سيديا الأبييري المتوفى **١٣٤٢هـ** الذي كان من أشهر العلماء في هذا القطر، وقد بلغ درجة الاجتهاد ولقب بمحي السنة، وفي هذا المعنى يقول العلامة محمد فال ابن باب

(١) الحديث وأهله ص٧٠ (مرقونة).

العلوي المتوفى **١٣٤٩هـ** من قصيدة يشكر مسعاه لإحياء العمل بالكتاب والسنة:

عَلَى الشَّيْخِ قَدْ عَابَ الْغَبِيُّ لِجَهْلِهِ ... تَتَبُّعَ أَقْوَالِ النَّبِيِّ وَفِعْلِهِ
وَمَا فِي كِتَابِ اللَّهِ بِالنَّصِّ مُحْكَماً ... وَمَا صَحَّ مِنْ تَقْرِيرِ خَاتَمِ رُسْلِهِ

وكان العلامة باب متمسكاً بعقيدة السلف وفي ذلك يقول:

مَا أَوْهَمَ التَّشْبِيهَ مِنْ آيَاتِ ... وَفِي أَحَادِيثَ مِنَ الصِّفَاتِ
فَهْيَ صِفَاتٌ وُصِفَ الرَّحْمٰنُ ... بِهَا وَوَاجِبٌ بِهَا الإِيمَانُ
ثُمَّ عَلَىٰ ظَاهِرِهَا نُبْقِيهَا ... وَنَحْذَرُ التَّأْوِيلَ وَالتَّشْبِيهَا
قَالَ بِذَا الثَّلاثَةُ الْقُرُونُ ... وَالْخَيْرُ فِي اتِّبَاعِهِمْ مَقْرُونُ

ومن هذه الطائفة العلامة محمد يحيى بن سليمة المتوفى **١٣٥٤هـ** الذي ادعى الاجتهاد ويقول:

وَلَسْتُ دُونَ مَالِكٍ وَالشَّافِعِي ... وَأَحْمَدٍ وَالْحَنَفِيِّ التَّابِعِي

وهذا ما جعل بعض علماء عصره يشددون النكير عليه، ومنهم العلامة محمد يحيى ابن اباه الولاتي المتوفى **١٣٣٠هـ**.

ومن هذه الطائفة العلامة محمد فال ابن باب الذي كان يدعو للتبصر فيقول في إحدى قصائده في هذا المعنى:

وإِنَّ هُدَى اللَّهِ الْعَظِيمِ هُوَ الْهُدَىٰ ... وَلَمْ يُضْلِلِ الْمُسْتَمْسِكُونَ بِحَبْلِهِ
فَمَا جِيءَ مِنْ بَعْدِ النَّبِيِّ بِنَاسِخٍ ... سِوَى سُوءِ فَهْمِ الْمَذْهَبِيِّ وَجَهْلِهِ

ومن هذه الطائفة العلامة المحدث محمد بن أبي مدين الديماني مؤلف كتاب الصوارم والأسنة يقول في إحدى قصائده:

فَإِنْ يَكُ الْخَارِجُ عَنْ رَأْيِ خَفِي ... دَلِيلُهُ عَنْ قَائِلٍ وَمُقْتَفِي
إِلَىٰ دَلِيلٍ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ ... أَوْ لِلَّذِي أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانِ
قَدِ اسْتَحَقَّ نَبْزَهُ بِالْخَارِجِ ... إِنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ عَيْنُ الْخَارِجِ

فيه رد على القاضي محمد بن أحمد فال «وكل خارج عن نهجه فهو من الخوارج» الذي تقدم، وفي هذا المعنى يقول العلامة المحدث صالح الفلاني المدني المتوفى ١٢١٨هـ ناقلاً أقوال الأئمة الأربعة بوجوب الرجوع إلى الكتاب والسنة في الأحكام الشرعية:

قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ الإِمَامُ لاَ يَنْبَغِي لِمَنْ لَهُ إِسْلاَمُ
أَخْذٌ بِأَقْوَالِيَ حَتَّىٰ تُعْرَضَا عَلَى الْكِتَابِ وَالْحَدِيثِ الْمُرْتَضَىٰ
وَمَالِكٌ إِمَامُ دَارِ الْهِجْرَةِ قَالَ وَقَدْ أَشَارَ نَحْوَ الْحُجْرَةِ
كُلُّ كَلاَمٍ مِنْهُ ذُو قَبُولِ وَمِنْهُ مَرْدُودٌ سِوَى الرَّسُولِ
وَالشَّافِعِيُّ قَالَ إِن رَأَيْتُمُ قَوْلِي مُخَالِفاً لِمَا رَوَيْتُمُ
مِنَ الْحَدِيثِ فَاضْرِبُوا الْجِدَارَا بِقَوْلِيَ الْمُخَالِفِ الأَخْبَارَا
وَأَحْمَدٌ قَالَ لَهُمْ لاَ تَكْتُبُوا مَا قُلْتُهُ بَلْ أَصْلَ ذٰلِكَ اطْلُبُوا
فَاسْمَعْ مَقَالاَتِ الْهُدَاةِ الأَرْبَعَهْ وَاعْمَلْ بِهَا فَإِنَّ فِيهَا مَنْفَعَهْ
لِقَمْعِهَا لِكُلِّ ذِي تَعَصُّبِ وَالْمُنْصِفُونَ يَكْتَفُونَ بِالنَّبِي

ومن الذين بذلوا جهداً كبيراً في نشر الكتاب والسنة، والعمل على تطبيقهما ونبذ ما سواهما، العلامة الجليل الشيخ محمد الأمين الشنقيطي **ت١٣٩٣هـ** وكان لجهوده أثر طيب في بلاد شنقيط وفي غيرها من البلدان الإسلامية، وأودع كثيراً من الأفكار الإصلاحية ودعوته السلفية كتابه: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، وسوف نتعرض لبعض مباحثه في مناسبات أخرى. ومن هذه الطائفة الشيخ العلامة: بداه بن البوصيري مفتي نواكشواط وإمام جامعها الكبير، الذي كان له دور كبير في إحياء السنة والعمل بها[1] وألّف في هذا المعنى تآليف كثيرة أشهرها: **(أسنى المسالك، في أن من عمل بالراجح ما خرج عن مذهب الإمام مالك)**.

(١) الحديث الشريف ص٧١.

وقد جمع في هذا الكتاب من النقول الجليلة، التي تؤيد ما يدعو إليه ما لا يجتمع في غيره، وهذا الكتاب مطبوع.

ونختم هذا الفصل الذي أطنبنا فيه إلى حد كبير بقول القائل:

لاَ تَسْتَمِعْ إِلَى الَّذِينَ قَالُوا ... مَقْطُوعَةً فِي صَدْرِهَا يُقَالُ
«وَلاَ يَجُوزُ بِالْحَدِيثِ الْعَمَلُ ... وَمِثْلُهُ الْقُرْآن فِيمَا نَقَلُوا»
فَكُلُّ ذَا مِنْ غُرْبَةِ الإِسْلاَمِ ... وَقِلَّةِ الْحَدِيثِ فِي الأَنَامِ
بَلْ لاَ يَجُوزُ بِالْفُرُوعِ الْعَمَلُ ... مِنْ أَيِّ مَذْهَبٍ عَلَى مَا نَقَلُوا
لِعَالِمٍ قَدْ وَجَدَ الأَخْبَارَا ... أَوْ طَالِبٍ قَدْ فَهِمَ الآثَارَا
فَالْوَاجِبُ الْبَحْثُ عَنِ الدَّلِيلِ ... مِنْ سُنَّةِ الْبَشِيرِ وَالتَّنْزِيلِ
وَالْعِلْمُ مَأْخُوذٌ مِنَ الْقُرْآنِ ... مُبَيَّنٌ بِسُنَّةِ الْعَدْنَانِي
وَالْفِقْهُ كُلُّ الْفِقْهِ فِي الْوَحْيَيْنِ ... آيِ الْكِتَابِ سُنَّةِ الأَمِينِ
فَاشْتَغِلَنَّ بِالْوَحْيِ عَنْ كُلِّ الْوَرَىٰ ... فَالصَّيْدُ كُلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الفَرىٰ[1]

... الخ.

⇦ رابعاً ـ المدرسة الصوفية:

عرف المجتمع الشنقيطي طرقاً صوفية عدة أشهرها:

١ ـ **القادرية**: نسبة إلى الشيخ عبدالقادر الجيلاني المتوفى ٥٦١هـ ولها في هذه البلاد فرعان رئيسيان:

(أ) **البكائية**: نسبة إلى الشيخ سيد اعمر ابن الشيخ سيد أحمد البكاي الكنتي ت٩٥٩هـ الآخذ لها عن محمد عبدالكريم المغيلي التلمساني ت٩٤٠هـ.

(ب) **الفاضلية**: نسبة إلى الشيخ محمد فاضل ابن مامين القلقمي ت١٢٨١هـ.

(١) كل الصيد في جوف الفرا، مثل.

٢ ـ **الشاذلية**: نسبة إلى الشيخ أبي الحسن الشاذلي ت٩٣٩هـ وكان قد ظهر في مصر وبرز من مريديه في المغرب أحمد زروق ت٩٦٣هـ ثم محمد فاضل ثم محمد ناصر الدين الدرعي ت١٠٣٦هـ وبهذين الشيخين تمر السلسلة الشنقيطية، ومن أقدم من ينسب لهذه الطريقة الشيخ محمد اليدالي المتوفى ١١٦٦هـ مؤلف الذهب الإبريز.

٣ ـ **التيجانية**: نسبة إلى الشيخ أحمد ابن محمد سالم التيجاني المتوفى ١٢٣٠هـ.

٤ ـ **القظفية**: ومن أشهر مشائخها الشيخ القزواني البصادي والشيخ المحفوظ ابن بيه المسومي. وطرق أخرى لم أتعرض لها مخافة التطويل، وقد وقعت مجادلات وحوارات بين الفقهاء وأهل التصوف، بلغت في بعض الأحيان حد الصراع، كما كانت في بعضها حوارات علمية هادفة تبحث عن الحق يقول ابن حامدن:

يتهم الفقهاء المتصوفين بالغلو، كما يتهم المتصوفة الفقهاء بالغفلة عن الله فتقَعُ حروبٌ شفهية، وقلمية منظومة ومنثورة[1] وفي ذلك قال الشيخ محمد بن حنبل ت١٣٠٠هـ:

يَا خَائِضِينَ بُحُورَ الْعِلْمِ مَسْأَلَةً ... عَنْهَا أَجِيبُوا بِأَفْهَامٍ ذَكِيَّاتِ
عَنِ اشْتِغَالِ شَبَابِ الْعَصْرِ جُلِّهِمُ ... عَنِ الْعُلُومِ بِأَوْرَادٍ سَنِيَّاتِ
أَهٰذِهِ نِعْمَةٌ فِي الدِّينِ نَشْكُرُهَا ... أَمْ هِيَ فِي دِينِنَا إِحْدَىٰ الْمُصِيبَاتِ؟

فقال عبدالله ابن مختارنا الحاجي المتوفى ١٣٣٠هـ:

الْوِرْدُ يَا خِلُّ ذِكْرٌ وَالدَّوَامُ عَلَىٰ ... ذِكْرِ الْمُهَيْمِنِ مِنْ أَسْنَىٰ الْمَزِيَّاتِ
لَكِنَّ الأَغْلَبَ فِي ذِي الْوِرْدِ أَزْمُنَنَا ... تَرْكُ التَّعَلُّمِ مَعْ تَأْخِيرِ الأَوْقَاتِ
وَرُبَّمَا كَانَ بِالتَّعْلِيمِ مُشْتَغِلاً ... وَضَمَّ لِلْعِلْمِ أَوْرَاداً سَنِيَّاتِ
فَهٰذِهِ نِعْمَةٌ فِي الدِّينِ نَشْكُرُهَا ... وَتِلْكَ فِي دِينِنَا إِحْدَىٰ الْبَلِيَّاتِ

(١) حياة موريتانيا ص٩٥.

وقال الفقيه محمد يحيى الولاتي ت١٣٣٠هـ

خَلِّ الْمَشَايِخَ قَدْ عَدَاكَ زَمَانُهُمْ إِيَّاكَ فَاحْذَرْ بَابَهُمْ أَنْ تَطْرُقَهْ
وَاعْكِفْ عَلَىٰ طَلَبِ الْعُلُومِ مُحَرِّراً مِنْ مَاجِدٍ كَشْفُ الْغَوَامِضِ أَزْهَقَهْ
قَدْ مَيَّزَ الْخَبَرَ الصَّحِيحَ وَضِدَّهُ وَمُقَيَّدَ الشَّرْعِ الْعَزِيزِ وَمُطْلَقَهْ
هٰذَا الَّذِي تُرْجَىٰ مَشِيخَتُهُ وَذَا هُوَ الَّذِي عَرَفَ السَّبِيلَ وَحَقَّقَهْ
أَمَّا التَّصَوُّفُ دُونَ عِلْمٍ سَابِقٍ فَهُوَ الْجَهَالَةُ وَالْهَوَىٰ وَالزَّنْدَقَهْ

وله كتاب سماه نصيحة أبناء الزوايا والطلبة عن الدخول في الزنادقة المتصوفة[1].

وقال الشيخ ماء العينين ت١٣٢٨هـ:

فَالْبَدْءُ بِالْعِلْمِ لِلَّذْ نَفْسُهُ طَهُرَتْ أَوْلَىٰ وَذَاكَ كَأَذْرَاعٍ حَصِينَاتِ
وَمَنْ تَكُنْ نَفْسُهُ فِي الانْهِمَاكِ عَصَتْ فَالْبَدْءُ أَوْلَىٰ بِأَوْرَادٍ سَنِيَّاتِ

وقال العلامة الشيخ محمد العاقب ابن مايابى الجكني توفي في العقد الثالث من ق١٤هـ:

الْعِلْمُ نُورٌ وَصَدْرُ الْحبْرِ مَطْلَعُهُ وَالْقَلْبُ بِالصَّدْرِ مِصْبَاحٌ بِمِشْكَاةِ
وَالْوِرْدُ لِلْقَلْبِ مِرْآةٌ وَمَصْقَلَةٌ وَذُمَّ قَلْبٌ بِلاَ صَقْلٍ وَمِرْآةِ
وَمَنْ تَكُنْ صَلُحَتْ بِالْوِرْدِ مُضْغَتُهُ فَالْعِلْمُ فِي حَقِّهِ أَحْرَىٰ الْمُهِمَّاتِ
وَمَنْ تَكُن فَسَدَتْ فَالْوِرْدُ مَرْهَمُهَا وَكَمْ شَفَىٰ الْوِرْدُ مِنْ دَاءٍ وَعِلاَّتِ
لاَ يَتْرُكُ الْوِرْدَ قَالَ التَّاجُ نَجْلُ عَطَا ءِ اللَّهِ إلاَّ جَهُولٌ ذُو خُرَافَاتِ
أَمَّا التَّبَتُّلُ قَبْلَ سَدِّ جَوْعَتِهِ مِنَ الْعُلُومِ فَمِنْ أَدْهَىٰ الضَّلاَلاَتِ

... الخ.

إلى آخر تلك المساجلات التي يجب أن يتفق أصحابها في النهاية على

(١) مقدمة (ابّه) ابن سيد محمد للدليل الماهر الناصح ص٥ (مرقونة).

وجوب التمسك بالعلم بالكتاب والسنة أولاً ثم تصفية النفس من أمراضها ومعالجاتها بالذكر والأعمال الصالحة حتى تكتمل لها الصفات المرجوة وتصل إلى المقامات العالية.

● ومن أبرز الصراعات في هذا المجال ما دار بين العلامتين المختار بن بون الجكني ت١٢٢٠هـ والشيخ سيد المختار الكنتي، وقد ألف الشيخ سيد المختار كتاباً أسماه (جذوة الأنوار، في الذب عن أولياء الله الأبرار) يقول في مقدمتها مبرزاً الدافع إلى تأليفها: والسبب في ذلك ما بلغني مستفيضاً، من خروج رجلين متقولين من تلقاء أنفسهما، لا بنص صريح ولا تبيين، أحدهما ابن بون أعلن تكفير أولياء الله الصالحين.

فالجذوة تتضمن رداً على ما أنكره ابن بون على الكنتي من القول بظاهرة السلب يقول: أحمد بن الأمين وكان يعني ابن بون ـ يشدد النكير على ولي الله الشيخ الكنتي، وللمختار بن بون في ذلك وقد بلغه أن الشيخ سيد المختار قال إنه سيسلبه:

أَسَيِدَنَا الْمُخْتَارَ لاَ تَكُ مُفْرِطاً ... وَإِيَّاكَ وَالتَّفْرِيطَ وَاعْدِلْ وَأَقْسِطَا

حتى يقول:

أَتَسْلُبُنِي وَاللَّهُ مَا شَاءَ مُثْبِتِي ... إِذاً أَنْتَ فِي تَعْظِيمِ نَفْسِكَ مُفْرِطَا[1]

ويقول العلامة أحمد بن أحمذي في مراقي الأواه عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا. . .﴾ [الحديد: ٢٧]:

لَكِنَّمَا طَرِيقَةُ التَّصَوُّفِ ... دَخَلَهَا نَوْعٌ مِنَ التَّكَلُّفِ
وَمِن دَعَاوٍ كَاذِبَاتٍ وَبِدَعْ ... مُخَالِفَاتٍ لِلَّذِي اللَّهُ شَرَعْ
فَلَيْسَتِ الْيَوْمَ عَلَىٰ مِثَالِ مَا ... كَانَتْ عَلَيْهِ عِنْدَ مَاضِي الْقُدَمَا
فَقَلَّ مَن لَهُ النُّفُوسُ تُسْلِمُ ... الْيَوْمَ فِي الْبِلاَدِ أَوْ مُنْعَدِمُ

(١) الوسيط في تراجم أدباء شنقيط ص٢٨٢ وتطور منهج التفسير ص١٢.

فَشَيْخُكَ الَّذْ فِيهِ لاَ تَرْتَابُ حَدِيثُ خَيْرِ الْخَلْقِ وَالْكِتَابُ
يُلَقِّنَانِ كُلَّ خَيْرٍ فَاقْبَلِ تَلْقِينَ خَيْرِ مُرْسِلٍ وَمُرْسَلِ

وكما دار جدال بين الصوفيين والمتكلمين نرى جدلاً آخر بين الصوفيين والسلفيين يقول الباحث عبدالله بن أحمد عبيد: مرة أخرى نجد الكنتي طرفاً في النزاع أما الطرف الثاني فهو محمد بن حبل المجيدري يقول الكنتي في جذوته: وقد بلغني أن ابن حبل طعن في مالك بن أنس، إمام الأئمة، وعالم دار الهجرة.

ورغم أن نقطة الخلاف بين الشيخين بالأساس تدور حول مفهوم البدعة فإننا نجد الكنتي قد اختار في نقد خصمه أن ينضم إلى جبهة الفقهاء مع أنه يأخذ عليهم اشتغالهم بهذه الفروع المحدثة التي عجزوا عن مطالعة ما سواها لفساد الزمان وهو نفس المأخذ الذي أخذه عليهم خصمه ابن حبل وجماعته مع اختلاف في حدة اللهجة قال ابن أحمد عبيد: ويظهر الكنتي هنا وكأنه أراد أن يستثير الرأي العام الفقهي ضد ابن حَبلّ فيضرب عصفورين بحجر واحد، استمالة الفقهاء إلى التصوف، وعزل الخصم بالتشهير به[١] ونكتفي بهذا القدر مخافة التطويل، والخروج عن الحد، والله من وراء القصد.

❑ ❑ ❑ ❑

---

(١) تطور منهج التفسير في موريتانيا ص١٣ (مرقونة).

الفصل الثالث

مقارنة المحضرة الشنقيطية بغيرها من المحاضر

جهاز المحضرة: إن الحديث عن المحضرة بهذا المفهوم سيجرنا لا محالة إلى مقارنتها ببعض الأجهزة المشابهة لها كالمدرسة الإسلامية في المشرق والمغرب، والجامعة الأوروبية في العصور الوسطى، لأنه من خلال هذه المقارنة ستتضح خصائص المحضرة أكثر.

والحقيقة أن من الصعب الحديث عن المحضرة كمنظمة أو جهاز إداري بالمفهوم الحديث لأن المنظمة تتطلب وجود اختصاصات إدارية مختلفة، وتوزيعاً للمهام، وتفويضاً للسلطات، فالمنظمة بهذا المفهوم تستلزم مديرين يقتسمون المسؤوليات وفقاً لنظام تدرجي توجد فيه علاقة رئيس بمرؤوس[١]. فالتنظيم هو الجمع بين النسب المطلوبة من الوظائف والموظفين والتنسيق بينها في خطوات تدريجية، ومعنى هذا أن أي تنظيم لا بد أن يفرغ في قالب هرمي توزع فيه السلطة والمسؤولية على درجات متفاوتة تربط ما بين قاعدة التنظيم وقمته.

فالمنظمة باختصار هي: هيكل المشروع الناشىء عن تقسيم العمل

(١) إدارة التعليم في موريتانيا ـ محمد بن أحمد بن محمد علي ص٢٣ (مرقونة).

وتجميعه، في وظائف أصلية، وفرعية، وعمليات[1].

وإذا نظرنا إلى جهاز المحضرة نجد أنه يفتقر إلى عناصر التنظيم السابقة إذ لا توجد علاقات سلطة أو توزيع للمهام على النحو السالف فمعلم المحضرة هو صاحب الكلمة العليا والأخيرة[2] وليس هناك من يتقاسم معه السلطة فلا توجد في المحظرة سلطة فوقه ولا أخرى تحته كما أنه لا توجد علاقات أفقية لهذه السلطة، وحتى أن علاقته بتلاميذه ليست إدارية بمعنى الكلمة وإنما هي تربوية أي علاقة معلم بتلميذه وطاعة التلميذ للمعلم أدبية وليست إدارية وقد كان المعلم يدرك ذاك فلا يصدر عقوبات تأديبية رادعة في حق الذين يرتكبون مخالفات كالطرد من المحظرة والضرب أو حتى التوبيخ الشديد لأنه يعرف أن النتيجة ستكون انتقال التلميذ إلى محظرة أخرى، لقد كان يلجأ إلى عقوبة معنوية، رمزية، تتمثل في عدم الالتفات إلى التلميذ، الذي ارتكب مخالفة، فيشعر هذا التلميذ بالحزن، وقد تكون بتوجيه عام، يستفيد منه المخطىء وغيره، يقول النحوي: ومن شأن الشيخ إذا نمى إليه ما لا ينبغي عن أحد الطلبة أن يشمله برداء الستر وينتظر التئام الحلقة حوله وفيها المعنى ليسدي نصحاً عاماً يفهم منه المقصود وذلك أدب نبوي رفيع وكان من عادة العلامة يحيى بن أحمدٌ فال أن يقول في هذا المقام:

وَفِعْلُ مَا لاَ يَنْبَغِي لاَ يَنْبَغِي لِتَنْدَغٍ وَلاَ لِغَيْرِ تَنْدَغِي

وإذا كان الأمر قولاً:

وَقَوْلُ مَا لاَ يَنْبَغِي لاَ يَنْبَغِي لِتَنْدَغٍ وَلاَ لِغَيْرِ تَنْدَغِي

و (**تندغة**) علم على قبيلة هذا العالم[3] وهكذا كان رسول الله ﷺ

---

(١) المصدر السابق ص٢٤.

(٢) يقول النحوي: ليس شيخ المحضرة مدير مدرسة يعنى بمحاسبة رجالها وإنما هو مرابط يقف على ثغر من ثغور العلم ينفق من علمه على من أتاه يسأله النحوي ص١٧٥.

(٣) وهي قبيلة معروفة بالشيم الفاضلة كالكرم والعلم وغيرهما.

يفعل على جهة التعميم يقول: «**ما بال أقوام يفعلون كذا ويقولون كذا، وما بال أقوام يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله**».

ويعقب صاحب الوسيط على هذا المنهج التربوي قائلاً: هذا النوع أردع للناس فليت أن علماء الأزهر فعلوا مثله وتركوا عنهم يا ابن الفاعلة أو يا ابن الكلب أو يا حمار فإن هذه الألفاظ تذهب هيبة الشيخ من قلب الطالب.

ولغياب السلطة القسرية اتسمت علاقة الشيخ بطلبته بأدب جم، ورعاية الشيخ لتلاميذه أقرب إلى أعمال الخير والإحسان، منها إلى أي نوع من الرعاية الإدارية بالمفهوم الحديث.

أضف إلى ذلك أن المحظرة لا تتوفر على الشخصية المعنوية بالمفهوم الوضعي ويترتب على ذلك أنها غير قابلة لاكتساب الحقوق وتحمل الالتزامات لانعدام تمتعها بكيان مستقل عن الأفراد أو المجموعة التي تتكون منها كالمعلم والتلاميذ.

ولذلك ظل المعلم والتلاميذ مسؤولين كأفراد، كل في حدود مسؤوليته عما يقومون به من تصرفات، يقول الأستاذ محمد بن محمد علي: ولعل هذه المسألة من بين المسائل التي حالت دون تطور أجهزة المحاظر إلى جامعات أو مؤسسات تعليمية بالمفهوم الحديث كما حصل لبعض المدارس الإسلامية والجامعات الغربية في القرون الوسطى[١].

لقد قارن جورج مقدسي بين المدرسة التقليدية في المشرق الإسلامي والجامعة الغربية في العصور الوسيطة، بعد أن طرح إشكالات حول مخاطر إسقاط مفاهيمنا الحالية على مؤسسات ذات خصائص مختلفة، ونشأت في زمان مغاير، وما يؤدي إليه ذلك من خلط في المفاهيم الثقافية، ومن تجاهل لمغزى العوامل الزمنية، وخلص إلى أن النتيجة التي يمكن أن يحصل عليها

---

(١) إدارة التعليم في موريتانيا ص٢٥.

الباحث، تعادل الخطر الناجم عن إعارة المفاهيم، لأننا لا نستطيع في النهاية إلا استعمال مفاهيمنا.

وقد أبرز مقدسي الخلاف بين المدرسة الإسلامية التي كانت سائدة في بغداد القرن ٥هـ والجامعة الغربية في القرن الثالث عشر الميلادي ويتجلى هذا الخلاف فيما يلي:

- إن الجامعة تتمتع بشخصية اعتبارية، أما المدرسة فلا تتمتع بهذه الحقيقة.

- إن الجامعة غير مرتبطة بمبان معينة، خلافاً للمدرسة التي ترتبط ببنايات ثابتة، ومعروفة[1].

وفي وصف الرحالة ابن جبير لتلك المدارس ما يؤكد هذا الرأي إذ قال:

والمدارس بها - يعني ببغداد - نحو ٣٠ مدرسة وأشهرها النظامية وهي التي ابتناها نظام الملك، وجددت سنة أربع وخمسمائة، ولهذه المدارس أوقاف عظيمة، وعقارات محبسة، ينفق الفقهاء والمدرسون منها، ويجرون بها على الطلبة ما يقوم بهم...

فمن الواضح ارتباط المدرسة بالمباني، والعقارات الموقوفة، التي تؤول إلى المدرسين، وهذا يعني انعدام الشخصية القانونية في المدرسة.

أما الجامعة الأوروبية في القرون الوسطى، فقد اكتسبت شخصية معنوية لحاجة الأساتذة والطلبة إلى التكتل، لحماية مصالحهم المهددة، لأنهم لم يكونوا في الغالب من مواطني المدينة التي يوجدون بها، وهذا السبب هو ما جعلهم غير مرتبطين بمبان، بل كانوا يحتفظون لأنفسهم بمفهوم المجموعة، أما المدرسة فكانت تضم طلاباً وأساتذة تجمع بينهم

---

(١) المدرسة والجامعة في القرون الوسطى مقال لجورج مقدسي نشرته مجلة الدراسات الإسلامية باريس العدد ١٥ بتاريخ ١٩٧٠ نقلاً عن إدارة التعليم في موريتانيا ص٢٥.

الرابطة الوطنية ولذلك لم يكونوا مهددين، ومن ثم ليسوا بحاجة إلى تكتل نقابي مستقل، هذا بالإضافة إلى أن مفهوم الشخصية القانونية استمدته الجامعة من القانون الروماني، بينما لا يعترف الفقه الإسلامي بغير الشخص الطبيعي[1].

ومن خلال دراسة قام بها بوليبه: حول مدرسة نيسابور بإيران في القرنين العاشر والحادي عشر الهجري، أوضح هذا الباحث أن هذه المدرسة كغيرها من المدارس الإسلامية الأخرى كانت بصورة عامة تفتقر إلى الأساليب الإدارية التربوية المعروفة في عصرنا الحاضر مثل: تحديد سن الدراسة ونُظُم القبول والتخرج والمناهج... الخ ذلك باستثناء نظام الرقابة الخاص بمن يسمح لهم بالتدريس.

وهناك فرق آخر يتعلق بالإجازة، فالإجازة التي تمنحها الجامعة تأخذ طابعاً مؤسسياً رسمياً ولا بد من مصادقة الكنيسة عليها، وهي تخول حاملها تدريس مادة محددة، كما أن نظامها محدد ببرامج، وزمن، معينين، على خلاف المدرسة، والمحظرة، اللتين لا تعرفان مثل هذا التحديد للبرامج والزمن، كما أن إجازتهما تتسم بطابع فردي، يتحكم فيه المعلم، الذي يستطيع أن يمنح أو يمنع شهادة لمن يتخرج من مدرسته، وفقاً لسلطاته التقديرية شبه المطلقة في هذا المجال، ويمكن للتلميذ أن ينتقل من مدرسة أو محظرة إلى أخرى، للحصول على إجازات متعددة، ولكن المرحلة الابتدائية والثانوية في المحظرة لا تخول صاحبها الحصول على إجازة، إنما تهيئه لممارسة نشاطه الثقافي[2] في المجتمع، فالإجازة في المحظرة تمنح الذين تخرجوا في الدراسة وتعمقوا فيها، ليصبحوا قادرين على تأسيس محاضر خاصة بهم[3]. وفي المحظرة لا يوجد نظام خاص للامتحانات، ويعتمد التقويم ومنح الإجازة على السلطة التقديرية للمعلم الذي يستطيع

---

(١) إدارة التعليم في موريتانيا ص٢٦ والرحلة لابن جبير دار صادر بيروت ١٩٨٠ ص٢٠٥.

(٢) بلاد شنقيط ص١٧٩.

(٣) المرجع السابق.

تحديد مستوى التلميذ من خلال مشاركته في الدروس والمساجلات، والأسئلة، بالإضافة إلى بعض الاختبارات الحرة[١].

والمدرسة كالمحظرة لا تخضع للسلطة السياسية، ولا تستمد قوتها من سلطة دينية مباشرة، صحيح أن المعلم في غالب الأحيان عالم من علماء الدين إلا أنه غير خاضع لهيئة دينية، وليس للعلماء في الفترات السابقة هيئة منظمة خاصة بهم، وهذا بخلاف الجامعة الأوروبية في القرون الوسطى التي كانت تحصل على دعم الدولة ثم الكنيسة خاصة بعد استقلال البابا عن السلطة الزمنية سنة ١١٧٩ وذلك عندما استطاع ثلثا الكلية الكردينالية انتخاب بابا بغير مصادقة الإمبراطور[٢].

أما المحظرة الشنقيطية فبالرغم من كونها تشترك مع المدرسة الإسلامية سواء في المشرق العربي أو في المغرب في كثير من الخصائص السابقة من حيث نظامها وكيانها ـ كما سبق الحديث عن ذلك ـ إلا أنها تختلف عنها في أوجه أخرى، وهذا ما جعلها ظاهرة متميزة، فالمحظرة لا ترتبط بمبان قارة أو عقارات، كما هو حال المدرسة التي تعتمد أساساً على العقارات كمواد اقتصادية، كما أن المحظرة بدوية، خلافاً للمدرسة التي هي ظاهرة حضرية، وتعتمد المدرسة على الوقف، بينما تعتمد المحظرة على الاقتصاد الرعوي (تنمية الحيوان أساساً).

وقد ساق صاحب الوسيط في تراجم أدباء شنقيط بعض الفوارق الجوهرية، بين المدرسة في المشرق، والمحظرة، بشكل مقارنة بين طلاب المدرستين، فيقول: إذا تأملت يا مشرقي طالب العلم في أرض شنقيط، علمت أنك تجد من الإعانة ما لا يجد، لأن لك من الأوقاف ما يكفيك، ووراءك امتحان يحملك على الاجتهاد، لأنك إذا سقطت قطعت من الوقف، وإذا لم تكن عالماً جعلت عسكرياً، وإذا صرت عالماً أخذت من الأوقاف ما يكفيك أنت ومن تمون، أما الطالب في أرض شنقيط فبعكس هذا كله،

---

(١) نفس المرجع ص١٧٦.

(٢) جورج مقدسي ص٢٥٨ نقلاً عن إدارة التعليم في موريتانيا.

فإنه إذا لم يتعلم لا يؤخذ عسكرياً، وإذا طلب العلم لا يجد وقفاً يتقوت منه[١].

ثم إن المحظرة ـ وهذا مهم جداً ـ لا تزال قائمة حتى الآن تمارس وظائفها السابقة نفسها، وتؤدي المهام التي قامت على أساسها منذ القرون بينما أصبحت المدارس الإسلامية التقليدية في ذمة التاريخ[٢].

وإن جميع المحاولات التي قامت بها الحكومات الموريتانية بعد استقلال البلاد ١٩٦٠م لإدماج المحظرة في التعليم[*] باءت بالفشل لحد الآن ويرجع ذلك في نظري إلى أن الخطط التي تقدمها الحكومة للمشائخ القائمين على هذا النوع من المدارس لا تفي بالغرض المنشود، وبالتالي تقابل بالرفض الشديد من هؤلاء العلماء.

وأقتصر على هذه النتف القليلة عن المحظرة ومن أراد الاستزادة في هذا الموضوع فقد كتب فيه الأديب الأستاذ الخليل النحوي فصولاً وافية في كتابه بلاد شنقيط[٣].

والله الموفق.

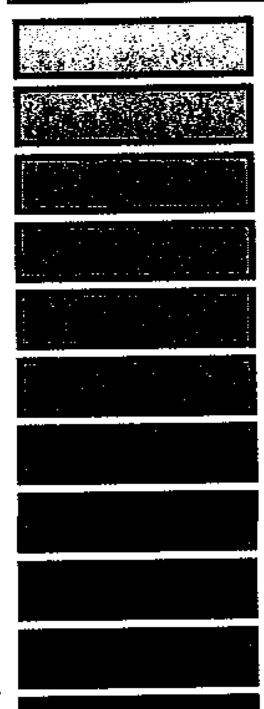


(١) الوسيط في تراجم أدباء شنقيط ص٢٥٠.

(٢) إدارة التعليم في موريتانيا ص٢٩.

(*) الرسمي النظامي.

(٣) بلاد شنقيط من ص٤٧ إلى ص٢١٨.



الباب الثاني
دراسة عن التفسير في بلاد شنقيط

الفصل الأول

نشأة التفسير في بلاد شنقيط

نروم في هذه التوطئة الحديث عن نشأة التفسير في بلاد شنقيط وبوادره، وقبل أن ندخل في صميم الموضوع نود لو نشير إلى جملة من الأمور يمكن القول إنها فعلت فعلتها في تأخير ظهور التفسير في هذه البلاد من أبرز هذه الأمور:

١ ـ **عزلة البلاد الشنقيطية**: وانقطاعها عن مراكز الثقافة وعواصم العلم في الدولة الإسلامية، فالشقة بعيد، والسفر قاصد، لذلك لم يبلغ معظم المؤلفات التفسيرية إلى هذه الربوع إلا في وقت متأخر نسبياً.

٢ ـ **الاعتماد على الحفظ والتلقين**: وقلة وسائل التوثيق والتدوين، في المحظرة الموريتانية، زد على ذلك ارتباط القوم بالأنظام وبعدهم عن النشاطات التأليفية عموماً.

٣ ـ **ظاهرة التهيب من التفسير**: وهي ظاهرة عامة شملت المشرق والمغرب، وظهرت بوادرها في الصدر الأول، حيث نقف على أحاديث تحذر من إعمال الرأي في القرآن، وهو أمر تعرضنا له بشيء من التفصيل في التمهيد، من ذلك قوله ﷺ: «**من قال في القرآن برأيه أو بما لا يعلم فليتبوأ مقعده من النار**».

قال ابن كثير أي لأنه قد تكلف ما لا علم له به، وسلك غير ما أمر

به فلو أصاب المعنى في نفس الأمر لكان قد أخطأ لأنه لم يأت الأمر من بابه، كمن حكم بين الناس على جهل فهو في النار، وإن وافق حكمه الصواب في نفس الأمر لكن يكون أخف جرماً ممن أخطأ والله أعلم[1].

وروى ابن جرير بسنده عن عبيدالله بن عمر قال: لقد أدركت فقهاء المدينة وإنهم ليعظمون القول في التفسير، منهم: سالم بن عبدالله، والقاسم بن محمد، وسعيد بن المسيب، ونافع مولى ابن عمر[2].

فلعل تلك الآثار المروية عن السلف أثرت إلى حد ما على جهود القوم في التفسير، فتجلت بصماتها واضحة في آثارهم ومواقفهم في التفسير وهكذا نصادف في كتاب الحاوي للسيوطي رسالة لأحد المشتغلين بالعلم يسمى محمد بن محمد اللمتوني بين خلالها موقف القوم يومئذ من التفسير مصوراً مناهضتهم له إذ يقول: ...فصل ومن فقهائهم من عادته ترك القرآن والسنة، وأخذ الرسالة، والمدونة الصغرى، وابن الجلاب، والطليطلي، وابن الحاجب، حتى عادوا من يفسر القرآن، ويقولون قال أبو بكر الصديق: إن كذبت على ربي أي أرض تحملني[3] وإذا سمعوا آية تتلى لتفسر نفروا عنها نفرة الحمر الوحشية[4].

ويظل التهيب من التفسير سمة بارزة، تطغى على جل المهتمين بالقرآن وعلومه، ولعل في تحكم هذا التخوف في نفوس الناس وسيطرته على الساحة العلمية ما يفسر تأخر ظهور التفسير كعلم مستقل، حيث لم يظهر بشكل مكتمل وناضج إلا مع الشيخ محمد اليدالي الذي تحدث في مقدمة «الذهب الإبريز» عن فرقة مناهضة لعمله، في هذا التفسير، وتصفه بالجرأة والتجاسر على كتاب الله، ونستمع إليه إذ يقول: «وفرقة قالت إن الفضل

---

(١) ابن كثير المجلد الأول ص٢٢.

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ج١٣، ص٣٧٠.

(٣) البرهان للزركشي المجلد ١ ص٣٧٠ ولفظه سئل أبو بكر عن «الأب»، فقال: أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا قلت في كلام الله ما لا أعلم.

(٤) بلاد شنقيط المنارة والرباط، ص١١٦.

للمتقدمين وأنهم ما تركوا شيئاً للمتأخرين وإني تجرأت على تفسير القرآن مما لا طاقة لي به ولا يدان(*) وإني لست من فرسان ذلك، ولا أهلاً لتلك المسالك، وإني سلكت مهامه يحار فيها القطا ويقصر فيها الذئب من الخوف الخطا»(١).

وهناك سؤال يطرح نفسه، وهو متى رأى التفسير النور بالربوع الشنقيطية؟ وما بوادره الأولى؟ وكيف كان درسه بالمحاظر؟.

إن الباحث عن البداية الفعلية لنشأة التفسير في بلاد شنقيط يجد صعوبة شديدة في تحديد الفترة الزمنية التي نشأ بها، ولعل ذلك راجع إلى أن التاريخ الثقافي للبلد لم يكتمل تدوينه بعد، فلا زالت الثقافة في موريتانيا تعرف فراغاً وثائقياً كبيراً، ورغم ذلك يمكن القول إن الفتح المبكر لهذه البلاد ـ ١١٦هـ ـ ربما يكون قد حمل معه بعضاً من بوادر التفسير، إذ يصعب فصل التفسير عن القرآن، ومن المعلوم أن الفتح الإسلامي فتح ديني أساسه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وقد كان الفاتحون الأوائل ينشرون الإسلام ويعملون على تعليم القرآن لمن يدخلون في دين الله، ويبينون أحكامه ومقاصده، وهذا أمر يقتضي التفسير ويستلزمه، بيد أن ظروف البلد المضطربة لم تساعد هؤلاء الفاتحين على الاستقرار حتى يتمكنوا من تعليم الناس تعليماً شاملاً وتثقيفهم في الدين تثقيفاً كاملاً.

والذي يظهر أن المنطقة في هذه الفترة تأرجحت بين الدخول الكلي في الإسلام، والاحتكام إلى قانونه، والاشتغال بثقافته، وبين التراجع الخطير عن بعض مقتضياته ومستلزماته، لدرجة الردة أحياناً، في الفترة التي سبقت قيام دولة المرابطين، فمن شبه المؤكد أن هذه الفترة لم تحظ بعمل تفسيري من أي نوع كان، ورغم ذلك فإن الروح الإسلامية ظلت حاضرة في الذاكرة ماثلة للعيان، فمن الممكن أن ذلك الفتح الإسلامي خلف في نفوس الناس رصيداً معرفياً سيستمر ويتعزز في العهد المرابطي، الذي رعى ذلك الرصيد

(*) أي لحاقة مختار الصحاح.

(١) مقدمة «الذهب الإبريز» ص٤.

وضاق بالواقع ذرعاً، فطفق رجاله يشكون من مرارة الجهل، ويبحثون عن وسيلة لمقاومته، فأطلق يحيى بن إبراهيم لڤدالي صرخة مدوية، نادى خلالها الفقيه أبا عمران الفاسي أن يمدهم بمن يعلمهم الكتاب والحكمة يقول:

ما لنا علم من العلوم ولا مذهب من المذاهب في الصحراء منقطعين لا يصل إلينا إلا بعض التجار الجهال[١]، حرفتهم البيع والشراء ولا علم عندهم... وقال أيضاً إن أرضهم ليس فيها من يقرىء القرآن فضلاً عن العلم[٢] وقد أثمرت الشكوى وأفادت النجدة، فقدم عبدالله بن ياسين المتوفى ٤٥١هـ وأسس رباطه العلمي الشهير، وربما كان سماه بذلك تأسياً بشيخه وجاج بن زلو اللمطي المتوفى في منتصف القرن الخامس الهجري الذي بنى في بلدته: النفيس، داراً للعلم والخير سماها دار المرابطين، وهي التي انطلق منها ابن ياسين، ومن هنا يمكن القول بشيء من التحفظ: إن الإرهاصات الأولى للتفسير بدأت مع هذا العهد حيث يفترض أن تكون هنالك دروس في التفسير شفهية على الأقل تسمح للباحث أن يرجع بواكير التفكير في عملية تفسير القرآن إلى هذه الحقبة لأنه يستبعد أن يكون خطباء المرابطين، كابن ياسين وأضرابه لا يتعرضون في خطبهم لتفسير آيات الجهاد والعقائد والأحكام مثلاً، ومعنى ذلك أننا نفتقد حلقة من حلقات التفسير في بلاد شنقيط تغطي فترة غير يسيرة تمتد من: العهد المرابطي حتى القرن التاسع الهجري، حيث نصادف محمد بن محمد اللمتوني ـ الذي تقدم ذكره ـ والذي عاصر السيوطي وراسله معبراً عن رغبته في إقناع قومه بالتوجه نحو التفسير والاهتمام به، إذ يشكو من نفور بعض الناس من التفسير واشتغالهم بالفقه الفروعي: «حتى أنهم عادوا من يفسر القرآن»[٣] والمتصفح لهذه الرسالة يدرك أن هذا اللمتوني لم يكتب نصه بهذه اللهجة إلا بعد شعوره بالحاجة الشديدة إلى علم التفسير، فكأنه ـ بذلك ـ يدعو إلى إدراجه ضمن

---

(١) علق النحوي على هذه العبارة ورفض هذا الإطلاق، ورده بأدلة واضحة، انظر البلاد ص٩٥، ٩٦.
(٢) المعيار المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ج٤ ص٧ ط دار الثقافة بيروت ١٩٨٣.
(٣) بلاد شنقيط ص١١٦.

المقررات المحظرية، لهذا حصل تغير ملموس لعل من أكبر أسبابه هذا الشعور المتحمس للتفسير والذي يمثله هذا الفقيه، ومن يسير في فلكه من أهل العلم. فلعله نجح في إقناع أهل العلم بالتوجه إلى تفسير القرآن العظيم، ويدل لذلك ظهور التفسير في القرن (١١هـ)، كعلم مستقل في بعض المدن ثم ظهور تفاسير قرآنية شاملة بعد ذلك بفترة وجيزة، والجدير بالذكر أن الخلفية التاريخية السابقة على طولها يمكن اعتبارها تهيئة ومخاضاً لظهور علم التفسير الذي انتقل من القوة إلى الفعل ومن الكمون إلى الظهور.

فمن المفترض ـ في نظرنا ـ أن تكون جهود المرابطين في نشر الإسلام وانتشار الحواضر وتضاعف رحلات الحج، قد زادت معرفة الناس بالقرآن وربت في قلوبهم الميل إلى معرفة دلالاته ومعانيه، وبذلك سيتجهون ـ من غير شك ـ إلى تفسير القرآن، ولو تفسيراً مبسطاً يسيراً، فنشأة التفسير إذا كغيره من العلوم الشرعية واللغوية في هذه البلاد ما زالت غامضة ـ كما أسلفنا القول ـ وربما تظل كذلك بسبب ضياع التراث المحلي في تلك الحقبة من التاريخ الثقافي في الصحراء، نتيجة حياة البداوة والترحال، التي كان يمارسها السكان، بل وحتى الحواضر التي يعود تأسيس بعضها إلى (ق٢هـ) مثل: «آبير» التي تأسست (١٦٠هـ)، والبعض الآخر إلى القرن السادس ك: «وادان» التي تأسست (٥٣٣هـ)، وغيرها من المدن الشنقيطية القديمة لم تفض بعد بشيء من أسرار التفسير فيها، والأمل يحدونا في العثور على تفاسير جديدة خاصة وأن عدداً غير قليل من العلماء البارزين تذكر لهم تفاسير قرآنية لكنها لم يعثر لها على أثر، ولم نوفق في الحصول عليها وربما يقع ذلك وهو أمر مستساغ، إذا ما علمنا أن تفسير محمد بن جرير الطبري الذي هو أشهر تفسير في الدنيا على الإطلاق كان في عداد المفقود حتى وقت غير بعيد، يقول الدكتور محمد حسين الذهبي في كتابه التفسير والمفسرون:

«وقد كان هذا الكتاب ـ يعني تفسير الطبري ـ من عهد قريب يكاد يعتبر مفقوداً، أو لا وجود له، ثم قدر الله له الظهور والتداول فكانت

مفاجأة سارة للأوساط العلمية في الشرق والغرب أن وجدت في حيازة أمير «حائل» الأمير حمود بن الأمير عبدالرشيد من أمراء نجد نسخة مخطوطة كاملة من هذا الكتاب طبع عليها الكتاب من زمن قريب، فأصبحت في أيدينا دائرة معارف غنية في التفسير المأثور»(١).

زد على ذلك أن كتاب بَقي بن مخلد المتوفى (٢٧٢هـ) الذي جزم الإمام ابن حزم في رسالته في فضائل أهل الأندلس: أنه أفضل مفسر عرفه الإسلام، خارقاً بذلك ما قيل من الإجماع على تقديم تفسير ابن جرير على غيره من كتاب التفسير، حيث قال: «إنه لم يؤلف في الإسلام تفسير مثله، لا تفسير محمد بن جرير الطبري ولا غيره»(٢) ولا زال هذا التفسير مفقوداً.

والظاهر أن تفسير بقي بن مخلد كان واسع الانتشار، فقد تكلم عليه العلامة ابن تيمية ضمن كلامه على التفسير بالرأي فقال ما معناه:

أما التفسير بالرأي والاجتهاد فقد وقع فيه الغلط من جهتين حدثتا بعد الصحابة والتابعين، وتابعيهم بإحسان، فإن التفاسير التي يذكر فيها كلام هؤلاء صرفاً لا يكاد يوجد فيها أي شيء من هاتين الجهتين، مثل تفسير عبدالرزاق وبقي بن مخلد الخ(٣).

ويتقوى هذا الافتراض ويتأكد عندما نعلم أن الشنقيطيين فيما يتعلق بحفظ المخطوطات لم تكن لديهم آليات لحفظ التراث والمحافظة على هذا الموروث الثقافي الثمين، فالكتب التي ألفت حديثاً أي أن أصحابها ماتوا قبل أقل من مائة سنة ولهم شهرة واسعة، تغيب من المكتبات نهائياً دون مبرر واضح، فما ظنك بالكتب القديمة التي يغيبها النسيان، وتعاقب الأزمان، وأسوق هنا مثالين شاهدين على العناية بالمخطوطات في هذه البلاد:

المثال الأول: كتاب اللجين المذهب للشيخ أحمد ابن زياد الديماني

---

(١) التفسير والمفسرون: ج١ ص٢٠٦ الدكتور محمد حسين الذهبي.

(٢) مدرسة التفسير في الأندلس ص٨٥.

(٣) فتاوى ابن تيمية ج١٣، ص٣٢٩.

المتوفى (١٣٢٢هـ)، هذا الكتاب وجدت عنوانه في موسوعة العلامة المختار ابن حامدن وبحثت عنه في كل المكتبات الوطنية، وعند كل من يظن أن له معرفة بوجوده، فلم أجد من يطمعني في بغيتي وأيقنت أن الكتاب من الكتب التي ضاعت بسبب الإهمال والتفريط، وبعد أربع سنوات من انشغالي بهذا البحث وفي إحدى الجلسات العلمية، تطرق الحديث إلى موضوع قلة العناية بالتراث فذكرت بعض الكتب التي كانت في العهد القريب موجودة ثم بعد ذلك لم يعد لها وجود ومن بينها: اللجين المذهب، فقال بعض الحاضرين توجد منه نسخة عند الأستاذ محمد فال ولد عبداللطيف (الكاتب العام لوزارة العدل، والأديب المشهور)، ففرحت لهذا الخبر ثم توجهت إليه فأطلعني على الكتاب، وسمح لي بتصوير نماذج منه أحتاج إليها في بحثي جزاه الله خيراً! كما زوّدني ببعض المعلومات المتعلقة بحياة المؤلف.

المثال الثاني: كتاب البشير ابن امباريڤي المسمى: «كشف الأستار عن بعض ما في الذكر من الإضمار» ذكره العلامة المختار ابن حامدن في جزء الثقافة من موسوعته وقال عنه: إنه مفقود[١]، ثم بعد ذلك أخبرني الزميل الدكتور الصوفي ابن محمد الأمين أنه موجود في إحدى المكتبات المنسية في أحد الأحياء الشعبية، وفعلاً كان الكتاب ضمن تلك المكتبة، وقد حصلت على صورة منه بواسطته، جزاه الله خيراً!.

وهذان المؤلفان ينتميان إلى مجموعة «تشمشه» وهي مجموعة قبلية لها اشتغال كبير بالعلوم، ولها اهتمام خاص بالتوثيق وحفظ المخطوطات العلمية، ويكفي أن المختار ابن حامدن ذاكرة تاريخ موريتانيا ومؤلف الموسوعة الشهير ينتمي إليها، فكيف بحال غيرها من المجموعات.

• التفسير في برامج المحاضر الشنقيطية:

لم تتحدث المصادر التي تناولت الحياة الثقافية في بلاد شنقيط عن التفسير كمقرر ثقافي ثابت من مقررات المحظرة، يسعى الطلبة في تحصيله

---

(١) حياة موريتانيا جزء الثقافة ص٤٣.

ويتنافسون في الحصول على درجاته، ويتبارون في إتقان مسائله ولم يرد له ذكر إلا شذرات متفرقة ترد باستحياء في مناسبات معدودة. وهذا الغياب المثير ولد إشكالات كبيرة ظهرت على مستوى البحث والدراسة، مما جعل البعض يقول إن الشنقيطيين لا يدرسون التفسير في محاضرهم، ولا يدرسونه، وقبل التعرض لهذه الإشكالات نود الإشارة إلى أن مراجع التفسير بكل أنواعها موجودة في الخزانات الشنقيطية منذ القدم، وأن العلوم المساعدة في فهم القرآن الكريم، كاللغة، والنحو، والصرف، والبلاغة، والقراءات، والأصول، منتشرة تمام الانتشار، وللقوم ولع شديد بها، لهذا برعوا فيها فأتقنوها، وتفننوا في موضوعاتها، والعلماء الشنقيطيون لهم تفاسير مطولة ومختصرة تصل إلى العشرات، وإذا كان البعض منها قد ضاع فإن جلها ما زال موجوداً تزخر به المكتبات، وأما الإشكالات الواردة هنا فهي:

- كيف يهتم الشنقيطيون باقتناء كتب التفسير، ويضعون مؤلفات كثيرة فيه وهم لا يدرسونه ولا يدرسونه؟ وإذا كانوا يدرسونه ويدرسونه فلماذا لم يرد ذلك في المصادر الثقافية مفصلاً؟ كالخليل النحوي في كتابه (بلاد شنقيط)[1] وككتاب الأستاذ محمد المصطفى ابن الندى رحمه الله! عن المحاضر في موريتانيا وغيرها، كما بينت هذه المصادر جميع المواد التي تدرس في المحاضر، وطريقة تدريسها، والمراجع المتعددة فيها، كالفقه، والنحو، والأصول، والسيرة، والشعر، .. الخ.

والواقع أن هناك حقيقة بارزة لا غبار عليها، وهي أن بلاد شنقيط إبان نهضتها الثقافية ابتداء من القرن العاشر للهجرة اهتمت أكثر باللغة العربية، شعراً، ونثراً، وقواعد، كما اهتمت بالفقه المالكي وقواعده، وبأصول الفقه، والسيرة وأنساب العرب، وبحفظ القرآن وتجويده وضبطه.

---

(١) وردت الإشارات في البلاد إلى وجود التفسير لكنها مقتضبة، وغير وافية وسنتعرض لها فيما بعد - بحول الله -.

أما الاهتمام بالتفسير وبالحديث النبوي فكان في مستوى أقل بكثير من العلوم السابقة[(١)].

ومع ذلك فإنهم لم يهملوا تفسير القرآن، ولم يفرطوا فيه نهائياً، ولكنهم في الغالب يجعلون دراسته من مشمولات ثقافة العلماء لا التلاميذ، فلا يمكن أن يشتغل بالتفسير - عندهم - إلا من تضلع من الفقه، وأصوله، وعلوم الآلة كالنحو، والصرف، والبلاغة، وغيرها، واشتهر بالورع والالتزام. فهذا هو الذي يحق له النظر في كتاب الله تعالى، أما من لم يصل هذه المرتبة فلا ينبغي أن يتجرأ على تفسير كتاب الله، لأنه لم يتأهل للأخذ منه كما يقولون.

وأما السبب في إغفال المصادر - غالباً - لذكره، وعدم تعرضهم لطرق تفسيره فذلك عائد - في نظري - إلى أن المنهج المحظري الشنقيطي يقوم على انتقاء كتاب معين في ذلك العلم المدروس، ويكون تدريسه من خلاله، فيحفظ الكتاب أولاً، ثم تستوعب معانيه ثانياً، وهذا لم يكن ممكناً في التفسير، لهذا كان درس التفسير ذا منهج خاص، وهو استثناء من المنهج المتبع[(٢)]، ويؤيد هذا عشرات التراجم لعلماء شنقيطيين مشتهرين بالتفسير، ذكر صاحب فتح الشكور مجموعة منهم، وذكر المختار بن حامدن مجموعة أخرى، وكذلك النحوي في كتابه: (بلاد شنقيط).

وبعد أن تأكد أن التفسير في بلاد شنقيط موجود كعلم مرغوب فيه له طلابه المشتغلون به، ولكنهم من أصحاب المستويات العلمية الخاصة، وأن المترجمين للعلماء ذكروا عشرات منهم اشتهروا بالتفسير.

---

(١) يقول الأستاذ محمد الحافظ ابن المجتبى في بحثه: «الحديث وأهله في بلاد شنقيط» متحدثاً عن اهتمامهم بالتفسير: وقليلاً ما يمارسون علم التفسير وعلوم القرآن الأخرى ص٢٣.

(٢) تطور منهج التفسير في موريتانيا ص٢٧، ولا يعترض على هذا بما سيأتي وهو أن بعض المحاظر كانت تدرس بها كتب خاصة كالقرطبي في محظرة آل عدود وكالنسفي والجمل والصاوي في مسجد ولاتة، فتلك حالات خاصة.

فقد آن الأوان أن نتساءل عن كيفية درس التفسير عند هؤلاء؟ فكيف كان درس التفسير عندهم؟ لا يمكن أن أجزم برأي قاطع في شأن تدريس التفسير في تلك الحقب التاريخية بشكل مفصل، لعدم توفر المدونات التي تتحدث عن هذه الطرق بشكل دقيق وشامل ومفصل - كما تقدم - ورغم ذلك فإنني أرجح أنهم كانوا يتبعون الطرق المتداولة للتفسير في الحواضر الإسلامية الأخرى معتمداً على شذرات، وإشارات، وروايات في الموضوع، فالظاهر أنهم سلكوا مناهج ثلاثة:

أولاً: فمنهم من يكتفي بالاستماع إلى الشيخ، وهو يفسر موضوعاً معيناً وهذا المنهج غالباً ما يكون موجهاً إلى الحفاظ الذين لهم إلمام بالعربية غير يسير، وهذا هو الأكثر والأعم، فالمفسر يعمد إلى موضوع معين كالعقائد، أو القصص، أو الأحكام...

فيجمع الآيات التي ترد في معنى واحد، ثم الأحاديث المفسرة لتلك الآيات، ثم اللغة، وهذا النوع يسميه العلماء اليوم «التفسير الموضوعي».

ثانياً: ومنهم فريق آخر يختار مفسراً بعينه، ويقرأ منه موضوعات تهمه كآيات الأحكام مثلاً.

ثالثاً: ومنهم من يتتبع القرآن آية آية على الشيخ والشيخ يفسر له حتى يكمله، وهم في ذلك مقتدون بفعل التابعي الكبير الجليل مجاهد بن جبر المتوفى (١٠٤هـ) الذي استكمل التفسير على ابن عباس - رضي الله عنه -، قال ابن أبي مليكة: رأيت مجاهداً سأل ابن عباس عن تفسير القرآن ومعه ألواحه فيقول له ابن عباس اكتب حتى سأله عن التفسير كله[1].

ومن الذين فسروا القرآن على هذه الطريقة الأخيرة من الشناقطة: سيد أحمد بن محمد الزيدي، فقد فسر كتاب الله على شيخه سيد عبدالله بن محمد العلوي المتوفى (١١٤٣هـ)[2]، وهذا المنهج نفسه اتبعه من

---

(١) انظر ابن جرير الطبري ج١ ص٦٥، طبعة دار الكتب العلمية ببيروت (١٤١٢هـ).
(٢) فتح الشكور ص١٦.

المتأخرين: عبدالودود بن حميه (ت١٣٩٧هـ)، فتذكر المصادر أنه قرأ تفسير القرآن كله على شيخه الشيخ باب بن الشيخ سديا المتوفى (١٣٤٢هـ) آية آية وسورة سورة حتى استكمله[(١)]، وقد كانت محضرة العلامة محمد عالي بن عبدالودود الشهيرة تدرس تفسير القرطبي على شكل درس يومي خلال أيام الدراسة يبدأ الدرس بعد صلاة العصر، وقد ختمت هذه المحظرة القرطبي في حياة شيخها عشرين ختمة، وما زال هذا الدرس ثابتاً بها لحد الساعة[(٢)].

والفرق بين الطريقتين الأخيرتين هو تتبع القرآن من الفاتحة إلى الناس بصورة متسلسلة في الثانية دون الأولى.

وبذلك تنوعت حلق التفسير وتطورت، وازدادت الدروس فواكبت هذه الحلق الدراسية حركة تأليفية واسعة دقيقة في مرتكزاتها أمينة في نقلها ومبينة في الوقت نفسه حضور التفسير بالدرس المحظري لبلاد شنقيط فها هو أحد الباحثين يؤكد أن أهل ولاتة كانوا يخصصون جزءاً من وقتهم للتفسير بشكل دائم ومنتظم، يقول النحوي في كتابه (بلاد شنقيط المنارة والرباط): وفي ولاته يخصصون لتفسير القرآن ما بين صلاة المغرب وصلاة العشاء، فيقرؤون تفاسير النسفي، والجلالين، والخازن، والصاوي[(٣)].

ومع أن النحوي لم يحدد لنا بداية هذا الدرس، ولا من سنه من العلماء إلا أن ظاهر سياقه يدل على أنها عادة قديمة متأصلة بهذه المدينة مقتدية بالحواضر الإسلامية التي لا تخلو واحدة منها من حلقات تعقد لتفسير كتاب الله.

وفي بلاد شنقيط أيضاً: كان أهل وادان يعنون بالقرآن تفسيراً، وتجويداً، ورسماً، فالفقه، والحديث، فعلوم اللغة[(٤)].

---

(١) تحقيق الوسائل في علم الفواصل للشيخ عبدالودود بن حميه ص٣ (مرقونة).
(٢) مقابلة مع العلامة محمد الحسن ولد الددو ١٦/١٠/١٤٢١هـ.
(٣) بلاد شنقيط ص٧٦.
(٤) المصدر السابق ص١٩٤.

هذا عن كيفية تدريس القرآن الكريم ووجوده بالمحاضر الشنقيطية، أما عن بداية ظهور العلماء المشتهرين بالتفسير، وعن المؤلفات التفسيرية، فإن أول شخصية علمية بارزة قامت بمحاولة جادة وقوية لتفسير القرآن الكريم وتصدت للأصوات المناوئة الزاعمة أن تفسير القرآن لا يجوز إلا للصدر الأول، وأنهم قد كتبوا فيه ما يكفي فهي شخصية مفتي شنقيط: الطالب محمد بن المختار الأعمش العلوي المتوفى (١١٠٧هـ) فيقول عنه الباحث الفرنسي: افرانك لاكونت: «ولما حاول مفتي شنقيط أن يفسر القرآن الكريم بادر أنداده من الفقهاء بالنكير عليه، وطالبوه بالتوقف عن ذلك، ودافع عن موقفه دفاعاً شديداً»[١].

وتذكر المصادر التاريخية الشنقيطية أن علماء آخرين اشتهروا بالتفسير، فدرسوه واعتنوا به أيما عناية، ولكننا لم نتمكن من العثور على مؤلفاتهم، إن كانوا قد وضعوا بعض المؤلفات فيه، ومن هؤلاء على سبيل المثال:

١ ـ محمد موه بن عبدالرحمن التيشيتي (ت١١٣٥هـ)[٢].

٢ ـ محمد بن أبي بكر الولاتي المحجوبي (ت١١٣٧هـ)[٣].

٣ ـ سيد عبدالله بن محمد العلوي (ت١١٤٣هـ) ـ الذي تقدم ذكره ـ[٤] وقد وصفه صاحب فتح الشكور قائلاً: «كان عالماً بأصول الدين، والتفسير، والحديث، والفقه، والأصول، وفسر عليه الفقيه سيد أحمد بن سيد محمد الزيدي ـ (ت١١٤٣هـ) ـ القرآن»[٥].

٤ ـ محمد بن الطالب الخطاط (ت١١٦٥هـ)، فقد أشار صاحب فتح الشكور إلى اشتغاله بالتفسير[٦].

---

(١) لاكونت ص٤ المصدر السابق.
(٢) نفس المصدر والصفحة.
(٣) نفس المصدر والصفحة.
(٤) فتح الشكور ص١٦٤.
(٥) فتح الشكور ص١٦٤.
(٦) المصدر السابق ص١٣٠.

ونصل إلى الشيخ محمد اليدالي (ت١١٦٦هـ) الذي بلغ التفسير على يده مبلغاً لم يصل إليه غيره، فألف كتابه: «الذهب الإبريز في تفسير كتاب الله العزيز»، وقد وصل إلينا كاملاً غير منقوص، وبما أن هذا الكتاب يعتبر - في نظرنا - واسطة عقد كتب التفسير في هذه المرحلة فإننا سنعود إليه بشيء من التفصيل عند الكلام على التفسير في القرن الثاني عشر للهجرة.

وهناك علماء آخرون عاصروا اليدالي أو جاؤوا من بعده بقليل كان لهم دور في تفسير القرآن منهم:

- أحمد بن آكة حمد الله الحمادي القلاوي (ت١١٦٨هـ)[١].

- الفقيه محمد بن الحاج محمد المسلمي (ت١١٧١هـ) الذي كان - رحمه الله تعالى - مفسراً للقرآن فقيهاً نحوياً مدرساً[٢].

- أبو بكر بن اموه بن آك الولاتي المحجوبي (ت١١٧٢هـ)[٣].

- محمد أحمد بن أحمد بن الشيخ المسوقي الولاتي (ت١١٨٧هـ)[٤].

- ومن هؤلاء: العلامة الشهير صاحب التآليف النافعة أحمد بن الحاج حمى الله القلاوي (ت١١٩٣هـ) الذي ذكره صاحب فتح الشكور قائلاً: «بلغ الغاية في علم التفسير، والنحو، وله كتاب متشابه القرآن»[٥]..

- ومن هؤلاء المفسرين: حمه بن أحمد بن الشيخ المسوقي (ت١٢٠٧هـ)، وهو شيخ في علوم التفسير، واللغة، قال عنه أخوه محمد أحمد إن إمامته لا تصح، لأنه لا يصح أن يقرأ القرآن إلا ممزوجاً بالتفسير[٦].

---

(١) لاكونت ص٤.
(٢) فتح الشكور ص١٣٠.
(٣) لاكونت ص٤.
(٤) فتح الشكور ص١٢٩.
(٥) فتح الشكور ص٥٧.
(٦) المصدر السابق ص٩٤.

ويمتد هذا التوجه مع القاضي مم بن إحلون الكلادي (ت١٢٠٨هـ) الذي وصفه صاحب فتح الشكور قائلاً: له حظ وافر في العربية، والفقه، واللغة، والتفسير، والمنطق[١].

ـ ونمر على الطالب أحمد البارتيلي بن أبي بكر بن الحاج (ت١٢٠٨هـ)، الذي كان يدرس عقيدة السنوسي... والقرطبي[٢].

ـ ثم سيد أحمد بن هك القلادي الذي كان يدرس الفقه والعربية والتفسير وهي حتى سنة ١٢١٤هـ ويبدو أنه كان يحفظ تفسير الجلالين فقد حكى عنه صاحب فتح الشكور قال: فقد كان يوماً يفسر القرآن وفي يده تفسير الجلالين فقال للكلية سقط هنا شيء فقالوا له إن الكلام مستقيم لم يسقط منه شيء فأبى إلا أن يكون سقط فأخذوا نسخة أخرى فوجدوه كما قال فقال لهم إني أعرف مقعد كلمات هذا الكتاب كمعرفتي بعقد نفيراتي.

ـ ثم أحمد بن أبي بكر بن إحلون بن اتعاض (مم) الذي كان متقناً لمختصر خليل والتفسير والعربية كان حياً سنة ١٢١٤هـ[٣].

❑ ❑ ❑ ❑

---

(١) فتح الشكور ص١٤٠.

(٢) المصدر السابق ص٧٢.

(٣) المصدر السابق، ص٧١ وص١٤٤.

الفصل الثاني

الخصائص الأسلوبية والمنهجية والفكرية للمفسرين الشنقيطيين

لا أقصد بهذا العنوان أنني أبحث عن مميزات خاصة بالمفسرين الشنقيطيين لا يشاركهم فيها غيرهم من المفسرين للقرآن الكريم، فهذا شيء غير مراد وغير متصور إطلاقاً، فالمفسرون بصفة عامة يسيرون على قواعد مضبوطة إلى حد بعيد، ووفق شروط متفق على أغلبها، فمصادرهم الشرعية واحدة، ومشاربهم الثقافية متقاربة، إن لم تكن متحدة، فليس من الممكن أن تكون لأي مدرسة من مدارس التفسير خصوصية بهذا المفهوم، خاصة إذا اتحد المشرب بأن كانوا جميعاً من أهل السنة مثلاً، وإنما أرمي إلى تبيين أساليبهم، وطرقهم التي استخدموها في تفاسيرهم ولو شاركهم فيها غيرهم.

أولاً ـ التفسير المنظوم والمنثور:

انقسم أسلوب المفسرين الشنقيطيين إلى أسلوبين هما:

١ ـ أسلوب النظم.

٢ ـ أسلوب النثر.

والأصل أن يكون تفسير القرآن الكريم بأسلوب النثر، لأنه الأسلوب

المستخدم عادة لتوضيح النصوص والتعبير عن المعاني بأكمل صورة من البيان مع إمكان استعمال الأمثلة والتصرف في المناسبات والتوسع في البحث والتحكم في العبارات وهو الأسلوب الذي وضعت به الدواوين في جميع العلوم، من تفسير، وفقه، وأصول، وتاريخ، وغيرها...

وقد يستخدم الناس أسلوب النظم في الموضوعات التي يعمدون إلى حفظها بصفة خاصة، لأن نظم المعلومات يعتبر خطوة مهمة على طريق حفظها. وقد وضعت مؤلفات عديدة في جميع فروع المعرفة وفي جميع بلدان العالم الإسلامي على مر التاريخ بأسلوب النظم أيضاً، وشمل ذلك: علوم القرآن، وعلوم الحديث، والفقه، والأصول، واللغة، والسيرة، والمنطق، والتاريخ، والجغرافيا، وغيرها، وأما علم التفسير بالذات الذي يهمنا الآن، والذي يعتقد أنه أبعد العلوم عن مجال النظم، فقد وضعت فيه أنظام كثيرة عندما كان النظم هو الأسلوب المفضل، وأسوق هنا بعض الأمثلة على ذلك:

ـ فقد وضع محمد بن سلام الضرير الإسكندري من أهل القرن الثاني عشر الهجري تفسيراً منظوماً يقال أنه بلغ عشر مجلدات.

ـ ووضع عبدالرحمن النابلسي: توفي في القرن الثاني عشر أيضاً تفسيراً منظوماً يبلغ خمسة عشر ألف بيت[1]، أما ألفية الإمام أبي زرعة العراقي في تفسير غريب القرآن فهي شهيرة ومنتشرة، وكان التلاميذ يحفظونها في بعض البلاد الإسلامية، وهي مطبوعة بهامش تفسير الجلالين، وغير هذا من الأنظام القرآنية التي لا تدخل تحت حصر.

وقد استأنس الشنقيطيون بالنظم وانسجم مع أذواقهم وكلفوا به حتى استخدموه في كل الأغراض العلمية، وغير العلمية، لهذا كان أسلوب التفسير عندهم منقسماً قسمين:

---

(١) افرانك لاكونت ص٤.

● **أسلوب النظم:**

وهو الغالب على التفاسير الجزئية، والموضوعية، لأن أصحابها يهتمون بناحية معينة من التفسير، كجمع الغريب والمشكل وغيره، وبوسع الناظم أن يدخل المعلومات من هذا النوع في نظمه دون كبير عناء.

ومن الملاحظ أن بعض النظام يشحنون أنظامهم بالمعاني الكثيرة ولو أدى ذلك إلى استخدام الرمز والتلميح، وتظهر هنا أهمية مقدرة المؤلف الشعرية، وقوة بيانه، وإتقانه لعلوم الآلة، فهي تلعب دوراً كبيراً في رونق النظم، وسلامة لغته، ووزنه، ووضوح معناه.

وأنبه ـ هنا ـ على أهمية النظم لحفظ بعض المعلومات الضرورية، فهو أبقى من النثر، ومع ذلك أحذر من المبالغة في حفظ المنظومات، فهي تبعد طالب العلم عن مهمته الأساسية، فعن أهمية النظم يقول الشيخ حبيب الله بن محمد محمود الباركي، في مقدمة نظمه أوجز البرهان:

والـلَّـهَ أَسْـتَـعِـيـنَ فِـي نِـظَـام ... بَـيَـانِ بَـعْـضِ ءَايِـهِ الـعِـظَـام
لَـعَـلَّـه مِـن نـثْـرِ أن يـكُـونَـا ... أَجْـدَى لِمَـن بِـالـنظـم يَـحْـفَـظُـونَـا
نَظماً وجيزَ اللَّفْظِ جِدًّا ذَا بَهَا[1] ... يَـتْـرَكُ مَـا شَـابَـهَ أو مَـا اشْـتَـبَـهَـا
أَوْ مَـا يَـطُـولُ ذِكْـرُهُ أو يَـعْـسُـرُ ... نَـظْـماً وَذُو الْـجَـهْـلِ بِـجَـهْـلٍ يُـعْـذَرُ

والواقع أن الشناقطة توسعوا في النظم أكثر من اللازم، وتخطوا في ذلك كل الحدود، وجاوزوا حد المعتاد، حتى إنهم يعمدون إلى المدونات الكبيرة فيجعلونها أنظاماً طويلة لا يمكن حفظها، ولا يمكن أن تغني عن النثر، فمن ذلك أن الشيخ عبدالله بن أبييه الديماني (ت١٣٢٨هـ) عقد نظم السراج، والسراج هو: السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، للخطيب الشربيني (ت٩٧٧هـ) وهو كتاب كبير مطبوع في أربع مجلدات.

---

(١) بهاء: أي حسن.

يقول مؤلف هذا الكتاب في آخره:

فدونك تفسيراً كأنه سبيكة عسجد، أو در منضد، جمع من التفاسير معظمها، ومن القراءات متواترها، ومن الأقاويل أظهرها، ومن الأحاديث صحيحها وحسنها، محرر الدلائل في هذا الفن مظهراً الدقائق استعملنا الفكر فيها إذا الليل جن... الخ. فكيف يتم نظم هذا الكتاب الطويل المملوء بما ذكر من القرآات والأحاديث والأحكام والنكت؟!، وإذا تم نظمه فمن سيتمكن من حفظه من طلاب العلم؟!.

ومن كتب الشناقطة المنظومة: مراقي الأواه إلى تدبر كتاب الله، وهو نظم العلامة أحمد بن أحمذي الذي يبلغ زهاء تسعة آلاف بيت من الرجز يقول في مقدمته:(١)

هَـذَا وَلَـمَّـا أن رَأَيْـتُ الـقَـوْمَـا ... قَدْ هَجَرُوا مَعْنَى الْكِتَابِ الْيَوْمَا
مَـعْ أَنَّـهُ مِـن أَعْـظَـم الـمَـطْـلُـوبِ ... مِـنْ أَهْـلِـهِ تَـدَبُّـرُ الْـقُـلُـوبِ
وَلاَ تَـدَبُّـرَ لِـكَـالْـبَـهِـيـمَـةْ ... كَيفَ السُّرىٰ فِي اللَّيْلَةِ الْبَهِيمَةْ(٢)
أَحْـبَـبْـتُ أَنْ أَكْـشِـفَ عَـن بَـيَـانِ ... بَـعْـضِ مَـعَـانِـي غَـامِـضِ الْـقُـرْآنِ
مُـسْـتَـمْـطِـراً لِـرَحْـمَـةِ الْـوَهَّـابِ ... بِـلَـمَّـتِـي(٣) بِـذلـك الْـجَـنَـابِ
وَإِنْ تَـجِـدْ مَـا احْـتَـاجَ لِـلْـبَـيَـانِ ... وَلَـمْ أُبَـيِّـنْـهُ مِـنَ الْـمَـعَـانِـي
فَـاعْـلَـمْ بِـأَنَّ الْـبَـحْـثَ فِـي الإِشْـكَـالِ ... يَـبْـدُو عَـلَـىٰ حَـسَـبِ مَـا بَـدَالِـي
فَـرُبَّ مَـعْـنَـى عِـنْـدَ شَـخْـصٍ يَـضِـحُ ... وَلِـسِـوَاهُ ذَاكَ لاَ يَـتَّـضِـحُ
وَالْحَضرَ لَمْ أَدَّعِ وَالروض الخَصِيبْ ... لَمْ يُجْتَنَبْ لِمَوْضِعٍ مِنْهُ جَدِيبْ

ويقول في خاتمته:

سَـمَّـيْـتُـهُ مـراقِـيَ الأَوَّاهِ ... إِلَـىٰ تَـدَبُّـرِ كِـتَـابِ الـلَّـهِ

---

(١) حياة موريتانيا ص٤٣.
(٢) البهيمة: المظلمة.
(٣) اللمة: اسم مرة من ألم بالمكان إذا نزل به أو زاره سريعاً.

ومن ذلك نظم الشيخ عبدالودود بن حميه للتفسير بالمأثور المسمى: التنوير الذي ضم ما في الصحيحين وباقي الكتب الخمسة من المأثور، وأخذ أشياء من المأثور من كتاب الإتقان للسيوطي.

يقول في هذا الكتاب:

بِسْمِ إِلهِنَا مُصَلِّياً عَلَىٰ ... مَنْ بَيَّنَ الذِّكْرَ الَّذِي قَدْ أُنْزِلاَ

...حتى يقول:

وَأَنَا فِي صَحِيحَيِ الشَّيْخَيْنِ مَا ... أَسْلَفْتُه عَن النَّبِي كِلَيْهِمَا

إلاَّ يَسِيرَةً يَرَاهَا الْقَارِي ... مِمَّا قَدِ اخْتَصَّ بِهِ الْبُخَارِي

وَخَمْسَةُ الأُصُولِ مِنْ أُصُولِ ... مَا سَوْفَ أُبْدِيهِ عَنِ الرَّسُولِ

وَبَعْدُ مَا جِئْتُهُ لِي إِتْقَانُ ... مَا قَدْ جَلَوْتُ أَصْلُهُ الإِتْقَانُ

فَجِئْتُ عَنْهُمْ بِمَا يُبْدِيهِ ... مُصَرِّحاً بِذِكْرِ الآيِ فِيهِ

عَلَيْهِ مِنْ إِلهِنَا السَّلاَمُ ... أَزْكَىٰ صَلاَتِهِ مَعَ السَّلاَمْ

وَمَا مِنَ التَّفْسِيرِ لِلْبُخَارِي يُعْـ ... ـزَي فَهْوَ فِي كِتَابِهِ مِنْهُ وَقَعْ

ويرى الباحث السيد عبدالله بن أحمد عبيد: أن أسلوب النظم هو الخاصية الوحيدة التي يتميز بها التفسير في موريتانيا يقول:

وإذا كانت هناك خاصية امتاز بها أدب التفسير في موريتانيا (بلاد شنقيط) عن غيرها من البلاد الإسلامية فهي: حضور أسلوب النظم بهذا الحجم في تراثهم التفسيري[١]. وأنا ـ هنا ـ لا أوافق السيد عبدالله على هذا الحكم القاسي الذي أطلقه، فالشنقيطيون لهم إضافات بارزة في التفسير تذكر فتشكر وقد اعترف لهم بها القاصي، والداني، ولو لم يكن لهم إلا تفسير الشيخ محمد الأمين الشنقيطي الجكني[٢] لكفاهم، فكيف ومعه مفسرون آخرون كثيرون، لا تخلو تفاسيرهم من فوائد جمة، فكتاب الشيخ البشير بن

---

(١) انظر تطور منهج التفسير في موريتانيا ص٥٥.
(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن.

امباريكي (ت١٣٥٤): «كشف الأستار» عن بعض ما في الذكر من الإضمار «الذي تتبع فيه المضمرات في القرآن، قال في مقدمته: إنه لم يعثر على من سبقه إلى مثله، ويعتبر عملاً رائداً[1]، ولهم أعمال أخرى مفيدة.

وعندما يحين الكلام على المفسرين بصفة مفصلة يجمل عندئذ ذكر مآثرهم وما قيل عنهم.

• أسلوب النثر:

وهو الأسلوب الذي اتبعه أصحاب التفاسير الطويلة الذين يحتاجون إلى التوسع في البحث، وإسناد الأقاويل إلى قائليها، وتفصيل المعلومات مثل: «الذهب الإبريز في تفسير كتاب الله العزيز» لليدالي، ومثل: «الريان» في تفسير القرآن للمجلسي، و «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن»، وأسلوبهم النثري: يتسم بقوة السبك، وجزالة اللفظ، وجودة التراكيب، وربما يستعملون السجع دون تكلف وخاصة في مقدمات كتبهم، لأنه من المحسنات اللفظية التي اعتنى بها الكتاب والمؤلفون في تلك العصور، وهذا نموذج من أساليبهم النثرية، وهو من مقدمة كتاب البشير بن امباريكي اليدمسي يقول: «الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب، قيماً لا عوج فيه ولا ارتياب، جارياً على قانون لسن الإعراب، من كنايات، واستعارات، وإيجاز وإطناب، مبيناً مفصلاً على الوجه الأفصح الأبلغ، فاستوى في العجز عن معارضته الأفصح والألثغ، معصوماً آمناً عن التحريف والتشويه، ميسراً للذكر، ثابتاً في الصدور جيلاً بعد جيل، والصلاة والسلام على النبي العربي التهامي محمد المعطى جوامع الكلام، وعلى أزواجه، وعترته الطاهرين، وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد فيقول الفقير لرحمة ربه اللطيف الخبير، عبيد ربه وأسير ذنبه المسمى البشير، وقاه الله ومن أحبه حر السعير، الألفغي نسباً، المالكي مذهباً، إنه لما تقلبت القلوب، وتتابعت الخطوب، وكثرت الفتن، وعظمت

---

(١) الكشف، ص٢.

المحن، والمسلمون نهبة بين الكفرة الفجرة تتناوشها أيديهم تناوش الكرة، فلا تنفك غارة شعواء، أو فتنة عمياء، أو داهية دهياء، أو ليلة درعاء، أو يوم قمطرير، أو خاطر كسير، من كريم أسير، أو جاهل أمير، أو أسافل مرفوعة، أو أعالي موضوعة، أو شريف يهون، أو صديق يبون، أو باطل يصول، أو صائل يجول، فحالت الهموم دون العلوم، وقل المساعد، وكثر المعاند، ففزعت إلى كتاب الله، متمسكاً بقوى عراه، فهو الملجأ في الشدة، والأنيس في الوحدة، فتلاوته نجاح، وتدبره رباح، فهو مورق الأغصان، مثمر الأفنان، يتناولها القاعد والقائم، بلا منازع ولا مزاحم، وثم الشوامخ الطوال، التي لا تنال إلا بالاحتيال، وفي بعض ألفاظه غصون ينبو عنها الفهم، ويعتري القاصر عن تدبرها الوهم، وأكثر ذلك سببه إيجاز الحذف المعدود من البلاغة[١]، التي لا يذوقها إلا أهلها من العرب الذين نزل القرآن بلغتهم، أو من تمهر في علومها ومقاصدها، ولذا هلك القدرية ـ والعياذ بالله ـ بسبب المحذوف في قوله تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩]، فبجهلهم للعربية فهموا أن هذا التفصيل إخبار من الله تعالى فاعتقدوا أن الذنوب من فعل العبد استقلالاً دون قدرة الله، مع أن التقدير: فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً، يقولون: ما أصابك من حسنة فمن الله الآية، فالتفصيل من كلام اليهود قاله في: «قوت القلوب»، وفي غيره: ما أصابك يا إنسان من حسنة فمن فضل الله، وما أصابك من سيئة فمن نفسك، أي من شؤم ذنبك، فالحسنات من فضل الله، والسيئات تنسب للعبد، من حيث أنها كسبه، والكل فعل الله سبحانه بدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٧٨]، وقد غفل القدرية عن هذا التأويل أيضاً بسبب جهل كلام العرب، ومن دليل التأويل الأول قراءة ابن مسعود: «قالوا ما أصابك من حسنة فمن الله. . . الخ».

فهذه المقدمة لا تحتاج إلى تعليق فهي مليئة بالصور الفنية، وتمتاز بالعمق في المعاني، وقوة السبك، وجمال الأسلوب، بيد أن الشيخ استخدم

(١) المقدمة ص٢.

فيها بعض الكلمات القاموسية التي لا تناسب المقام لخفائها على بعض القراء العاديين مثل: ليلة درعاء ـ غارة شعواء ـ فتنة عمياء ـ داهية دهياء، والعذر له في ذلك، أنها بالنسبة له قد تكون واضحة وضوح الشمس، بينما تخفى على غيره كما يقول ابن أحمذي:

فَرُبَّ مَغْنًى عِندَ شَخْصٍ يَضَحُ   وَلِسِوَاهُ ذَاكَ لاَ يَتَّضِحُ

ويقول اليدالي في مقدمة «الذهب الإبريز» معتذراً:

فعذري فيه أني اختطفته من بين أساود الهموم، وأسود الأهوال، مع تشويش الخاطر، وشغل البال، وتوالي العوائق الرائحة والغادية، وترادف الأسفار وجولان البادية، وفكرتي قد استولى عليها عوائق الفتور، وفطرتي قد شغلها علائق القصور...

ونكتفي بهذين النموذجين من مقدمات كتب التفسير الشنقيطية النثرية، ولنا وقفات ـ إنشاء الله ـ مع هذه التفاسير في مناسبات أخرى.

ثانياً ـ الخصائص المنهجية للمفسرين الشنقيطيين:

بعض المفسرين الشنقيطيين بين منهجه في التفسير وأوضح خطته التي وضع عليها عمله، وإن كانوا يتفاوتون في الالتزام بالسير على المنهج الذي ذكروا، ومن هؤلاء الشيخ محمد اليدالي في كتابه «الذهب الإبريز في تفسير كتاب الله العزيز»، والشيخ محمد الأمين الشنقيطي في «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن»، وبعضهم لم يبين منهجه بشكل واضح كالشيخ محمد بن محمد سالم المجلسي في تفسيره: «الريان»، والشيخ أحمد بن زياد الأبهمي في كتابه: «اللجين المذهب».

وهناك نقطة أساسية تجمع بين جميع هؤلاء المفسرين، على اختلاف اتجاهاتهم وعصورهم، وهذه النقطة هي: العناية باللغة كأساس قوي للتفسير، فما منهم أحد إلا وله اهتمام بجانب من جوانب اللغة، أما النقاط الأخرى فيختلف موقفهم منها، فكل منهم يميل إلى غرض معين، ونبدأ في تفصيل الخصائص المنهجية العامة التي يشترك فيها جلهم.

١ ـ **العناية باللغة:** يتضح للمتتبع للمفسرين الشنقيطيين إحاطتهم الواسعة بفنون اللغة، وأساليب استعمالاتها، وامتلاكهم لقواعد اشتقاقاتها، وتصريفها، ومعرفة غريبها، وقدرتهم الفائقة على حل مشاكل الإعراب الخفية.

لهذا فقد اعتمدوا اللغة أصلاً في فهم معاني النصوص القرآنية الكريمة، والوقوف على مدلولات ألفاظها، وبيان غريبها، وتصريف مشتقاتها، كما اعتبروا أن الجهل باللغة والنحو يورث الوقوع في الخطأ، ويسبب الإلحاد في آيات الله تبارك وتعالى، ويؤدي إلى تحريف الكلم عن مواضعه[(١)].

والمعروف أن الشناقطة لهم اليد الطولى في علوم اللغة العربية، فنشروا الفصحى، وذللوا قطوفها، وخاضوا لجج بحارها، ويبدو أن العناية بعلوم اللغة كانت في العصور الأخيرة سمة مميزة لبلاد شنقيط. يقول جاك برك ـ كما نقل النحوي ـ: إن بلاد شنقيط كانت في القرون الثلاثة الأخيرة تختص بالدراسات اللغوية، والأدبية بالمقارنة مع سائر البلاد العربية.

ويشهد لذلك أن الشناقطة الذين حلُّوا في رحاب الأزهر وغيره من مراكز الثقافة في البلاد العربية، كانوا قدوة في اللغة، وإليهم المرجع في علومها، فمن ذلك أن أبي التلاميذ كلفه الشيخ محمد عبده في تدريس اللغة بالأزهر الشريف، وعلى هذا الشيخ وعلى زميله أحمد بن الأمين اعتمدت دور النشر هناك في تحقيق ذخائر كتب التراث[(٢)].

٢ ـ **كثرة النقل عن السابقين:** فقد تأثر جل الشنقيطيين بغيرهم من المفسرين الذين سبقوهم، فأكثروا عنهم النقل، واهتموا بالعزو إلى الناقلين

---

(١) يقول العلامة المختار بن بونه في وسيلته:

(ورب كفر ناشىء مسبب   عن جهل شخص بلسان العرب)

ص٨ (مخطوطة).

(٢) النحوي، ص٢٠٣، والذي يهمنا في هذا الكلام هو أن هؤلاء القوم كانت لهم معارف لغوية كبيرة جاوزت حدودهم الإقليمية، وما زاد على ذلك فليس من اهتماماتنا.

عنهم، وربما كان ذلك ثقافة تلك العصور، يقول الشيخ محمد اليدالي في «الذهب الإبريز» عند قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً﴾ [البقرة: ١٧١]، أي: صوتاً ولا يعرف معناه، أي: وهم في سماع الموعظة، وعدم تدبرها كالبهائم تسمع صوت داعيها، ولا تفهمه، فحذف الداعي هنا وهو الرسول ﷺ أو غيره.

البغوي: فذكر تعالى بعض هذه الجملة وبعضها حذفه، ودل المذكور على المحذوف، وهذا نهاية الإيجاز، وقيل حذف المدعو وهو الأصنام، أي: ومثل الذين كفروا في دعائهم لأصنام لا تفقه ولا تعقل كالناعق بالغنم، قاله اللباب، وقال في الإتقان: وعطف نداء على دعاء عطف أحد المترادفين على الآخر، وجعل منه في القرآن ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه: ١١٢]، و ﴿لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾ [طه: ٧٧]، ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾ [طه: ١٠٧]، ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦]، ﴿فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ﴾ [آل عمران: ١٤٦]، ﴿سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم﴾ [الزخرف: ٨٠]، ﴿شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]، ﴿لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾﴾ [المدثر: ٢٨]، ﴿أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا﴾ [الأحزاب: ٦٧]، ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ [فاطر: ٣٥]، ﴿صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة: ١٥٧]، ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾﴾ [المرسلات: ٦]. قال ثعلب: هذا كله بمعنى واحد، وأنكر المبرد وجود هذا النوع في القرآن، وأول ما سبق على اختلاف المعنيين.

ونلاحظ أن الشيخ اليدالي لا يخطو خطوة مهما كانت، ولا يقول قولاً إلا وهو يبادر بعزوه إلى قائله، وينسبه له، ويذكرنا هذا بما ذكره في ديباجته من التأكيد على إضافة الأقوال لقائليها، ونسبة العلم إلى أهله، ويقول الشيخ محمد بن محمد سالم المجلسي في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ [المائدة: ٤] مجزوم بلا الناهية بحذف النون، فلا تخافوهم، في انصرافكم إلى الكعبة في تظاهرهم عليكم بالمجادلة الباطلة، فإني وليكم وناصركم عليهم، أظهركم عليهم بالحجة والنصرة قاله في اللباب.

وقال السيوطي: «فلا تخشوهم» لا تخافوا جدالهم في التولي إليها انتهى.

وقال البغوي: «فلا تخشوهم» بانصرافكم إلى الكعبة، وفي تظاهرهم عليكم بالمجادلة، فإني أظهركم عليهم. انتهى المراد منه. وقال في الضياء: لا تخافوا جدالهم في التولي إليها، فإن مضاغنهم لا تضركم[(١)]. ويعلق الباحث عبدالله بن أحمد اعبيد على هذه النقطة قائلاً: وتبلغ هذه الظاهرة قمتها عندما نجده ينقل عن مفسر معاصر له، هو صاحب الضياء (ت١٢٤٥هـ) ينقل عنه في ميدان اختصاصه، وأساس شهرته، أي: الفقه حيث يقول في تفسير المقطع: ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]. قال في الضياء هم أحياء أرواحهم في حواصل طيور خضر... وتعلق بالآية مالك، والشافعي قائلين: إن الشهيد لا يغسل ولا يصلى عليه، لأن الميت هو الذي يفعل به ذلك، والشهيد حي، وقال أبو حنيفة: يصلى عليه لأنه في حكم الميت، ولا يغسل لأنه تطهر بالقتل[(٢)].

وفي تعقيب له على ما أورده من أقوال مختلفة في تفسير آية الاسترجاع: ﴿وَبَشِّرِ الصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ...﴾ [البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٦]، يقول: فائدة: في ذكر أحاديث وردت في ذكر ثواب أهل البلاء: «اللهم إن كنت قد بلغت أحداً من أوليائك درجة بالبلاء، فبلغناها بالعافية، يا رب». ويذكر عشرة أحاديث في هذا المقام نقلاً عن اللباب أيضاً، منها ثلاثة في صحيح البخاري.

١ ـ وعن أبي سعيد وأبي هريرة ـ رضي الله عنهما ـ قالا: قال رسول الله ﷺ: **«من يرد الله به خيراً يصب منه»**.

٢ ـ وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما يصيب المؤمن نصب، ولا وصب، ولا حزن، ولا أذى، ولا غم، حتى الشوكة يشاكها، إلا غفر الله بها من خطاياه»**[(٣)].

٣ ـ وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: **«مثل**

---

(١) المذكرة ص١٤.

(٢) تطور منهج التفسير ص٥٦.

(٣) البخاري مجلد ٧، ص٣ (الباب ١ المرضى والطب).

المؤمن كمثل الزرع لا يزال الريح يفينه، ولا يزال المؤمن يصيبه البلاء، ومثل المنافق كشجرة الأرز لا تهتز حتى تحصد»[١].

ينقل المجلسي هذه الأحاديث عن الخازن، رغم شهرة الخازن بعدم التثبت في النقل، والأحاديث في صحيح البخاري الذي ألف المجلسي: «النهر الجاري» في سبع مجلدات شرحاً عليه، فأين أثر «النهر الجاري على صحيح البخاري»؟ وأين أثر «الدرر، في هتك أستار المختصر»؟. ربما اختفى أثرهما في تفسير الريان، لاطمئنان المؤلف للنقل عن الآخرين أكثر من اطمئنانه لمؤلفاته هو[٢].

٣ ـ **كثرة الاستطراد**، وإيراد المعلومات التي لا تدخل في خطة التفسير:

يقول اليدالي ـ عند قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ [المائدة: ٩١]: قد اجتمع محدث، ونصراني، فشرب النصراني الخمر، وعرضها على المحدث، فتناولها من غير فكر، ولا مبالاة، فقال النصراني: إنها خمر، فقال من أين علمت أنها خمر؟، قال: اشتراها غلامي من يهودي، فشربها المحدث سريعاً، وقال للنصراني: ما رأيت أحمق منك: نحن أصحاب الحديث، نتكلم في مثل سفيان بن عيينة، ويزيد بن هارون، أفنصدق نصرانياً، عن غلامه، عن يهودي؟ والله ما شربتها إلا لضعف الإسناد[٣].

وبرر بعض الباحثين ذكر هذه القصة ـ هنا ـ بأنه من باب الطرفة المستملحة التي يحتاج إليها القارىء، ويلجأ إليها الباحث، عندما يصاب بالسأم الذي ينشأ من كثرة البحث في المسائل العلمية الصعبة، ولذلك أصل في ثقافتنا الإسلامية، يقول الشيخ سيدي عبدالله بن الحاج إبراهيم الشنقيطي في نظمه: «طلعة الأنوار»، في علوم الحديث:

وَرَوِّحِ الْقَلْبَ بِذِكْرِ الطُّرَفِ فَإِنَّ ذٰلِكَ صَنِيعُ السَّلَفِ

---

(١) البخاري مجلد ٧، ص٣ (الباب ١ المرضى والطب).
(٢) تطور منهج التفسير في موريتانيا ص٥٧.
(٣) الذهب الإبريز ج١، ص٤٠٣.

لكن هذا النوع كثير جداً في تفسير اليدالي، وغيره من قدماء المفسرين الشنقيطيين، ففي تفسيره لآية الاستئذان وجد ميداناً خصباً لاستخدام ثقافته الأدبية، فهذه الآية فيها تشريع وبيان لآداب الزيارة، والاستئذان، فينتهز الفرصة، ويشن حملة من النقد اللاذع على حياة أهل البادية، وفوضويتها، ويخص بذلك من يسميه الثقلاء، ويستشهد على ذمهم بكل ما ورد في ذلك من الأدب العربي من شعر، ونثر، وينهي هذه المقالة بكلمة الطبيب «جوليانوس» حيث يقول: لكل شيء حمى، وحمة الأرواح النظر إلى الثقلاء[١].

وفي تفسير الريان كثيراً ما يتعرض المجلسي لبيان أحكام الرسم العثماني والفواصل، فنجده مثلاً عند المقطع ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣] يقول مع الصابرين بالحذف، يعني أن الألف بين الصاد والباء محذوفة في الرسم العثماني[٢]، بالعون والنصر فاصلة الآية الثانية[٣].

وأكثر مفسر شنقيطي ظهرت في تفسيره خاصية الاستطراد هو: العلامة الشيخ سيد المختار الكنتي، في كتابه: «كشف النقاب عن أسرار فاتحة الكتاب»، فقد قاد الكنتي توسعة في الاستطراد إلى أن كان مؤلفه: كشف النقاب يناهز مائتي صفحة، من الصفحات الكبيرة جداً، في حين لم يشغل كلامه عن الفاتحة إلا صفحات محدودة، وإنما ظل يستطرد استطراداً بعد استطراد، فتكلم عن تفسير أجزاء من القرآن وعن كثير من الأحكام الفقهية،

---

(١) لاكونت ص٣٤.

(٢) المذكرة ص٢٧، والمعروف أن رسم القرآن علم مستقل عن الرسم، فكثرة إقحامه في التفسير، غير مناسب.

(٣) علم الفواصل علم كثير الفائدة ولكنه مستقل عن التفسير أيضاً، وقد اهتم به أهل التجويد فصنفوا فيه، كما اعتنى به المهتمون بالمجاز القرآني، وهو كما يقول الأستاذ الدكتور أحمد أبو زيد في التناسب البياني، ظاهرة أسلوبية قرآنية، واضحة المعالم بها انفرد القرآن من النثر والشعر معاً، وهي من أبرز الخصائص التي جعلته نحواً جديداً من أنحاء البيان، وطريقاً فريداً من طرق التعبير ص٣٥١ .لكننا نأخذ على الشيخ أنه يذكر الفاصلة دائماً وسط كلامه على التفسير، فيتسبب ذلك في إرباك القارىء.

والمواعظ والحكم، وجاء بمجموعة من الأحاديث النبوية، وصاحب ذلك روايات لا تنتهي.

٤ ـ الغالب على المفسرين الشنقيطيين تفسير النص القرآني كلمة كلمة أو جملة جملة مع استخدام أداة التفسير: «أي»: ومن الذين اتبعوا هذا المنهج مع الصرامة فيه، المجلسي في تفسيره: «الريان»، وما حصلنا عليه من تفسير العلامة أحمد مولود بن أحمد فال اليعقوبي المسمى «البشائر»، والشيخ الأبهمي في كتابه «اللجين المذهب»، والشيخ معروف بن الكوري البركني في تأويله.

بينما نجد آخرين لم يتبعوا هذا المنهج بنفس الصرامة، بل بدرجة أقل، فالشيخ اليدالي تارة يسير بنفس الطريقة السابقة، وتارة يتحرر منها ويختار مقطعاً حسب الوحدة الموضوعية فيفسره، والشيخ محمد الحسن بيدر بن الإمام في تفسيره: «العروة الوثقى» يفسر الآية مستقلة أو جزءها إذا كان يستقل معناه ولا يفسر النص القرآني كلمة كلمة أما الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في «الأضواء»، فلم يتقيد بهذا المنهج أصلاً، بل إنه يبحث عن الآيات التي توضحها آيات أخرى، ومنهجه في ذلك واضح كل الوضوح.

٥ ـ التفاسير الشنقيطية خلت من الحواشي: وهذا شيء مثير للاستغراب؛ فالفترة الزمنية التي ظهر فيها التفسير، والمؤلفات فيه في بلاد شنقيط، كان وضع الحواشي، وحواشي الحواشي عملاً مفضلاً، فظهر من ذلك ما لا يحصى، فكم من حاشية وضعت على الجلالين؟ وكم من حاشية وضعت على البيضاوي؟ وكم من تعليق وضع على غيرهما؟.

فكثير من الباحثين في تاريخ الثقافة الإسلامية يقرر: أن الفترة الممتدة من القرن (١٢هـ) وحتى بداية النهضة الحديثة ـ وهي الفترة التي كتب فيها جل التفسير الشنقيطي ـ اتسمت بالركود، والجمود، والانحطاط، ويقولون إن من مظاهر هذا الركود الواضحة: التناوب المثير بين المختصرات والحواشي، وبالغ بعضهم في هذا الموضوع واتخذ منه مادة خصبة للنيل من

ثقافة هذا العصر حتى سماها: «ثقافة الاجترار»[١].

ولا يهمنا هنا ما قرره هؤلاء عن الثقافة الإسلامية عموماً، والتفسير بصفة خاصة، فهم يعتمدون على شواهد حية تؤيد بعض ما يدعون، لكن التعميم في كل أمر من هذا القبيل يعتبر من الصعوبة بمكان، ففي هذا العصر ظهرت كتب رائعة اتسمت بالأصالة والعمق وسلامة المنهج، ولا يؤخذ عليها من الملاحظات أكثر مما يؤخذ على السابقين، فتفسير الشوكاني: «فتح القدير» تفسير رائع، وصاحبه (ت١٢٥٠هـ)، وكذلك تفسير الألوسي: «روح المعاني» تفسير جميل، وصاحبه (ت١٢٧٠هـ) وغيرهما.

ويقول بعض الدارسين أن هناك خصالاً ينبغي توفرها، أو بعضها في المفسر، مع خاصية الاختصار[٢]، حتى يجلب القارىء الشنقيطي ويستهويه، وهذه الخصال هي:

١ ـ العناية باللغة، كالنحو، والصرف.

٢ ـ العناية بالتصوف.

٣ ـ الاهتمام بالقضايا: المنطقية، والكلامية[٣].

وهذا ناتج من عدة أمور منها: أن نسبة كثيرة من مراجعهم في التفسير ألفت في مرحلة الركود، وهي المرحلة الرابعة عند الدكتور فهد الرومي. فقد انفتح فيها التفسير على مصراعيه، فدخل منه الغث والسمين، والصحيح والعليل، وتمكنت الإسرائيليات وتحكمت، واختلطت الموضوعات من الروايات بالصحيحة[٤].

---

(١) افرانك لاكونت: قراءة صوفية لتفسير اليدالي ص٥.

(٢) عقد ابن خلدون في مقدمته فصلاً عن اختصار العلوم فقال: الفصل الثامن والعشرون في أن كثرة الاختصارات المؤلفة في العلوم مخلة بالتعليم... ص٥٣٢، واعتبر ذلك فساداً في التعليم وإخلالاً بالتحصيل... حتى قال فقصدوا إلى تسهيل الحفظ على المتعلمين فأركبوهم صعباً يقطعهم عن تحصيل الملكات النافعة وتمكنها... الخ.

(٣) تطور منهج التفسير في موريتانيا ص٣٣.

(٤) بحث في أصول التفسير ومناهجه، الدكتور فهد الرومي ص٣٨.

ثالثاً ـ الخصائص الفكرية:

المفسرون الشنقيطيون ـ عموماً ـ مالكيون، وينطلقون جميعاً من الفكر السني الذي يعتمد في تفسيره القرآن على أسس واضحة، تقوم على الأثر، وعلى اللغة، وعلى الرأي الذي لا يصطدم بالنصوص، ولا ينحرف بالآيات القرآنية عن سياقها، وخلت تفاسيرهم من التيارات المنحرفة وآراء الفرق الضالة، التي تفسر القرآن على وفق أهوائها، ومعتقداتها الفاسدة.

وما يوجد من حين لآخر عند قلة من هؤلاء المفسرين من نقل لبعض الآراء الغريبة، لا يمثل تياراً مستقلاً ينبغي الاهتمام به لأنهم لا يتبنونه في الواقع، وإنما نقلوا ما وجدوه عند الآخرين، كما أن الانحرافات الجزئية لا يخلو منها العمل البشري عادة، لهذا أعرضت عن تتبع تلك العثرات، وإذا ما عرض لي شيء منها أشير إليه في محله ـ إن شاء الله ـ.

وبالرغم من الوحدة الفكرية لهؤلاء المفسرين، فإن لكل واحد منهم طابعاً خاصاً تميز به في تفسيره، وفقاً لبراعته وتقدمه، واتساع ثقافته، كما أن المرجعيات الفكرية في دائرة التفاسير السنية متعددة للغاية، لهذا تأثر الشنقيطيون بهذه المرجعيات ـ في الغالب ـ تأثراً واضحاً.

وبما أن هذا الموضوع واسع والمجال لا يتسع لتتبعه، فإننا نقتصر على موضوعين بارزين هما:

١ ـ موضوع الإسرائيليات في التفسير.

٢ ـ موضوع التأويل في الصفات.

واقتصرت على هذين الموضوعين، مع أنه قد يرى البعض أن لا ضرورة للحديث عنهما، لكثرة ما نالهما من البحث، من طرف الدارسين والباحثين، وهذا صحيح من جهة، لكن هذا البعض لم يلاحظ أن التفسير في بلاد شنقيط لم ينل حظاً من الدراسة والتحقيق، ولهذا فهو بحاجة إلى من يبين ما علق به من أفكار مشبوهة، وانحرافات خطيرة، ولكننا ـ إن شاء الله ـ لن نطنب في هذا الموضوع اتكالاً على تلك الدراسات التي أنجزت، وسنشير إلى بعضها فيما بعد.

ونبدأ بالحديث عن الإسرائيليات:

- الإسرائيليات جمع مفرده إسرائيلية[١] وهي قصة أو حادثة تروى عن مصدر إسرائيلي، والنسبة فيها إلى إسرائيل، وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم أبو الأسباط الإثني عشر، وإليه ينسب اليهود، فيقال بنو إسرائيل.

ولفظ الإسرائيليات وإن كان يدل في ظاهره على القصص الذي يروى أصلاً عن مصادر يهودية، يستعمله علماء التفسير، ويطلقونه على ما هو أوسع وأشمل من القصص اليهودي، فهو في اصطلاحهم يدل على كل ما تطرق إلى التفسير من أساطير قديمة منسوبة في أصل روايتها إلى مصدر يهودي، أو نصراني، أو غيرهما، بل توسع بعض المفسرين فعدوا من الإسرائيليات ما دسه أعداء الإسلام من اليهود، وغيرهم على التفسير، من أخبار لا أصل لها في مصدر قديم، وإنما هي أخبار من صنع أعداء الإسلام صنعوها بخبث نية وسوء طوية، ثم دسوها على التفسير ليفسدوا بها عقائد المسلمين، كقصة الغرانيق[٢]، وقصة زينب بنت جحش، وزواج الرسول ﷺ منها[٣]، وإنما أطلق علماء التفسير لفظ الإسرائيليات على كل ذلك من باب التغليب للون اليهودي على غيره[٤]، لأن غالب ما يروى من هذه الخرافات والأباطيل يرجع في أصله إلى مصدر يهودي، واليهود قوم بهت، وهم أشد الناس عداوة وبغضاً للإسلام والمسلمين، كما قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ [المائدة: ٨٢]، وحيلهم التي يصلون بها إلى تشويه جمال الإسلام ماكرة خادعة.

والمحققون من العلماء يعتبرون أن الإسرائيليات خطيرة، لما فيها من

---

(١) الإسرائيليات في التفسير والحديث الدكتور محمد حسين الذهبي ص١٩ طبعة ٢ (١٤٠٥) بيروت.

(٢) انظر تفسير ابن كثير ج٣ ص٢٢٩ ط التجارية.

(٣) الألوسي في تفسيره ج٢ ص٢٣ المطبعة المنيرية.

(٤) ويقول الدكتور محمد محمود أبو شهبة في هذا المعنى: ولأن المسيحيات أو النصرانيات شيء قليل بالنسبة للإسرائيليات، وليس لها من الآثار السيئة ما للإسرائيليات، إذ معظمها في الأخلاق والمواعظ وتهذيب النفوس وترقيق القلوب.

أباطيل، وخرافات تنسب لرسول الله ﷺ، وصحابته، ونحن نذكر بعض ما ذكره المحققون من شرورها التي لا تحصى، من ذلك:

أولاً: أنها تفسد على المسلمين عقائدهم بما تنطوي عليه من عقائد فاسدة عند أهل الكتاب من التجسيم والتشبيه.

وثانياً: أن الإسرائيليات تشتمل على نفي العصمة عن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم.

وثالثاً: أنها مليئة بالخرافات، والترهات، والأباطيل، التي لا أصل لها، وتمس من قدسية الإسلام، من ذلك قصة آدم، وقصة عوج بن عوق، وبكاء داود وجبل ق... الخ.

ورابعاً: أنها كادت تصرف الناس عن الغرض الذي أنزل القرآن من أجله، وتلهيهم عن التدبر في آياته، والانتفاع بعبره، وعظاته، إلى توافه لا خير فيها، ولا فائدة، وإنما هي: مضيعة للوقت، مثل لون كلب أهل الكهف واسمه، وعن عصى موسى، من أي الشجر هي؟... الخ[١].

وقد تكلم أكثر من واحد من الأئمة الأجلاء، وبينوا خطورتها ومضارها، يقول ابن العربي: والإسرائيليات مرفوضة عند العلماء على البتات، فأعرض عن سطورها بصرك، وأصم عن سماعها أذنك، فإنها لا تعطي فكرك إلا خيالاً، ولا تزيد فؤادك إلا خبالاً[٢].

وللمتأخرين من العلماء جهد مشكور، في توضيح خطورة الإسرائيليات، وتحذير الأمة منها، وكتبوا في ذلك كتباً قيمة، ومن الكتب النفيسة التي قرأتها في هذا المجال للمتأخرين:

ـ كتاب: الإسرائيليات في التفسير والحديث للدكتور محمد حسين الذهبي، وهو في الأصل بحث قدم بعد طلب من الأزهر الشريف بتاريخ (١٦ شوال ١٣٨٧هـ).

---

(١) الإسرائيليات للذهبي ص٣٩ وما بعدها.

(٢) الإسرائيليات محمد محمود أبو شهبة، في مقدمة بحثه.

ـ الكتاب الثاني: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، وهو ـ أيضاً ـ بحث قدمه الدكتور: محمد محمد أبو شهبة، بعد طلب من شيخ الأزهر ـ فضيلة ـ الشيخ الدكتور عبدالحليم محمود، ونشرته مكتبة السنة (١٤٠٨هـ).

وقد تغلغلت الإسرائيليات في كتب التفسير تغلغلاً مروعاً، مما جعل العلامة الدكتور محمد حسين الذهبي يقول: بل لا أكون مبالغاً، ولا متجاوزاً حد الصدق إن قلت أن كتب التفسير كلها قد انزلق مؤلفوها إلى ذكر بعض الإسرائيليات، وإن كان ذلك يتفاوت قلة، وكثرة وتعقيباً عليها، وسكوتاً عنها[١].

ويقول العلامة الدكتور محمد محمد أبو شهبة:

ولو أن المفسرين كانوا من أهل الحديث والنقد لنزهوا كتبهم مما وقع فيها من المرويات من غثاء، وزبد، ولما وقع فيها كل هذا الركام من الإسرائيليات، والخرافات، والأوهام[٢].

لهذا السبب فإن الشنقيطيين تأثروا بالإسرائيليات تأثراً بالغاً، فامتلأت كتبهم منها، وسيطرت على أفكار جمهورهم، فنرى الكثير منهم يعتقدون في قصة عوج بن عوق، ما جاء في الإسرائيليات، وكذلك في قصة هاروت، وماروت، وإرم ذات العماد، ويرون أنها مدينة من شأنها كيت، وكيت، وجبل ق، وفي قصة يوسف، وقصة داود، وسلميان عليهم السلام، وكون الذبيح هو إسحاق عليه السلام، على ما في الإسرائيليات زوراً وبهتاناً... الخ.

وكذلك ابتلاء أيوب عليه السلام، فيذكرون فيها من الأمور ما لا يجوز في حق الرسل، ومن الشنقيطيين من انتقدها، وبين زيفها، وعقب عليها، ومنهم من سكت عنها.

---

(١) الإسرائيليات للذهبي ص١١٩.
(٢) الإسرائيليات محمد محمود أبو شهبة ص١٥٩.

ومن تغلغل الإسرائيليات في كتب الشناقطة، أن ترى عالماً جليلاً بلغ من الشهرة حداً لا يتصور، وهو الشيخ سيد المختار الكنتي، يصرح باعتماده على الإسرائيليات كمصدر من مصادره، يقول في مقدمة شرحه للمقصور والممدود، «المسمى فتح الودود»:

فجئت فيه من كل ثمرة فقهية: أحلاها، ومن كل نفحة صوفية أذكاها، ومن كل حقيقة ربانية أعلاها، ومن كل نبعة نبوية أجلاها، ومن كل حكمة قرآنية أشهاها، ومن كل حكاية إسرائيلية أبهاها...[(١)]. وهم في هذا معتمدون على الأحاديث التي تبيح الحديث عن بني إسرائيل، ولكنهم لم ينظروا إلى خطورة بعض ما تضمنته تلك القصص من أفكار مخالفة لديننا الحنيف.

كما نجد علامة آخر ذائع الصيت، وهو اليدالي في تفسيره: «الذهب الإبريز» يمر بموضوع معروف، وهو الذبيح: هل هو إسحاق أو إسماعيل عليهما السلام، فيغلب ما سطرته أيادي الإسرائيليين، دون أن يكون لهم أي دليل يعتمدون عليه إلا التعصب، والكذب والزور، والبهتان، يغلب رواياتهم دون أن يعرض إلى الحقيقة التي لا غبار عليها، وهي أن الذبيح إسماعيل عليه السلام، يقول اليدالي عند قول الله تعالى في سورة يوسف: ﴿كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [يوسف: ٦] على إسحاق بإنجائه من الذبح[(٢)]. وعذره اتباعه لجمهرة كبير من المفسرين.

ولا نطيل الكلام ـ هنا ـ على الإسرائيليات، في التفاسير الشنقيطية، فهي موجودة ومنتشرة، وإنما نقتصر على نموذج واحد، وهو من كتاب: «تأويل محكم التنزيل» للشيخ معروف بن الكوري، وهو من تفسير قول الله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النمل: ١٦].

---

(١) فتح الودود شرح المقصور والممدود ص١٦ الطبعة الثانية مطبعة الكاتب العربي.

(٢) سورة يوسف من الذهب تحقيق الشيخ بن محمد عينينا ص٨١.

يقول معروف:

وعلم سليمان ـ يوماً ـ للناس بعض كلام الطيور، فصاح ورشان عنده فقال: لدوا للموت وابنوا للخراب.

وصاحت فاختة فقال يقول: ليت هذا الخلق لم يخلق.

وصاح طاووس عنده فقال: كما تدين تدان.

وصاح هدهد فقال: من لا يرحم لا يرحم.

وصاح صرصر فقال يقول: استغفروا الله يا مذنبون.

وصاح طوطوي[1] فقال يقول: كل حي ميت وكل جديد بال.

وصاح خطاف فقال: قدموا خيراً تجدوه.

وهدرت حمامة فقال تقول: سبحان ربي الأعلى ملء سماواته وأرضه.

والغراب: يدعو على العشار، والحدأة: كل شيء هالك إلا الله، والقطاة: من سكت سلم، والنعامة: ويل لمن الدنيا همته.

والضفدع يقول: سبحان ربي القدوس، والباز يقول: سبحان ربي العظيم.

والضفدعة تقول: سبحان المذكور بكل لسان، والدراج كرمان يقول: الرحمن على العرش استوى، والبلبل يقول: أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء.

والقنبر يقول: اللهم العن مبغضي محمد، وآل محمد، والديك يقول: اذكروا الله يا غافلين، والحمار: اللهم العن العشار[2]، والفرس يقول إذا

---

(١) لعله (وطواط).

(٢) تأويل محكم التنزيل لمعروف بن الكوري ج٢ ص١٥٠ نسخة المعهد العالي.

التقى الصفان: سبوح قدوس، رب الملائكة والروح، والزرزور يقول: اللهم إني أسألك قوت يومي يا رزاق، والنسر يقول: عش ما شئت فإن آخره الموت، والعقاب يقول: في البعد عن الناس أنس، وإذا صاح الخطاف قرأ: الحمد لله رب العالمين، ويمد ولا الضالين، كما يمد القارىء...

فأنت تلاحظ أن الشيخ معروفاً يسترسل في الإسرائيليات، يحاول أن يفسر بها القرآن الكريم، وكان حرياً به أن يمسك قلمه عن ذلك، وينزه القرآن عن أساطير الإسرائيليات التي يظهر لكل عاقل بطلانها، ولكنه يتبع في ذلك أسلافه من المفسرين، فما منهم أحد إلا وله عثرة في هذا الموضوع، وقد تكلم الشوكاني في تفسيره لهذه الآيات في سورة النمل كلاماً جيداً، قال: وروى ابن أبي حاتم عن الحسن رحمه الله قال: كان اسم هدهد سليمان «غبر»، وأقول من أين جاء علم هذا للحسن ـ رحمه الله ـ، وهكذا ما رواه عنه ابن عساكر أن اسم النملة حرس، وأنها من قبيلة يقال لها بنو الشيصان، وأنها كانت عرجاء، وكانت بقدر الذيب، وهو ـ رحمه الله ـ أورع الناس عن نقل الكذب، ونحن نعلم أنه لم يصح عن رسول الله ﷺ في ذلك شيء، ونعلم أنه ليس للحسن إسناد متصل بسليمان، أو بأحد من أصحابه، فهذا العلم مأخوذ من أهل الكتاب، وقد أمرنا أن لا نصدقهم ولا نكذبهم، فإن ترخص مترخص بالروايات عنهم بمثل ما روى: حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، فليس ذلك فيما يتعلق بتفسير كتاب الله سبحانه وتعالى بلا شك، بل فيما يذكر عنهم من القصص الواقعة لهم، وقد كررنا التنبيه على مثل هذا عند عروض ذكر التفاسير الغربية[١].

وأخيراً أقول: لا حاجة لنا بهذه الإسرائيليات المنقطعة الأسانيد، فنحن نفهم كلام ربنا بدونها، وهي في الغالب لا تسلم من الدس والكذب، لأن جلها مختلق من زنادقة أهل الكتاب وغيرهم، نرجو الله أن يهدينا سواء السبيل، وأن يرزقنا اتباع المنهج القويم في فهم كتاب الله تعالى ويجنبنا الزيغ والانحراف عن الصراط المستقيم.

---

(١) فتح القدير ص١٣٠٠ ط دار ابن حزم (١٤٢١هـ).

⇦ ثانياً ـ موضوع التاويل في الصفات:

جمهور المفسرين الشنقيطيين من الأشاعرة، فقد سيطرت العقيدة الأشعرية على هذه البلاد منذ أمد بعيد[١]، مع أنها سبقتها العقيدة السلفية، فهم في بداية أمرهم كانوا يذهبون في الاعتقاد مذهب السلف، ولكن الحال آلت بهم إلى اعتناق رأي الأشاعرة في علم الكلام، مع أن البعض منهم ظل محتفظاً بالعقيدة السلفية.

والواقع أن العقيدة الأشعرية منذ ظهورها ظلت ـ وباستمرار ـ تسيطر على الساحة الثقافية في هذا البلد، وتلاحظ هذا بوضوح عندما تقرأ لأحد الفقهاء المفسرين، فكثيراً ما تراه يقول في المقدمة: يقول فلان الأشعري[٢]، ولكنهم عند تعرضهم لآيات الصفات لا تظهر أشعريتهم، بذلك الشكل البارز.

فجلهم مال فيها إلى مذهب السلف، وهو التفويض، ولو كان في الأصل معروفاً بالأشعرية الخالصة، وبسيره على طريق المؤولين، فمن ذلك أن الشيخ اليدالي من أكبر الأشاعرة في البلاد، ولعله هو أول من ألف كتاباً في الاعتقاد على طريق الأشاعرة في بلاد شنقيط، أو من أولهم، نراه عندما تعرض لتفسير قول الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤].

قال: تفسيره تلاوته والسكوت عنه، وهذا دليل على أنه يميل إلى التفويض مع أنه في نفس الوقت أشار إلى التأويل، لكنه لم يتبناه، ولم يدافع عنه، وإنما عرضه كقول قيل به.

ولكن بعض العلماء يجعل التفويض في المعاني ليس مذهباً للسلف، وإنما مذهبهم التفويض في الكيفية والكنه.

وهذا هو الذي ارتضاه جل السلفيين وهؤلاء يقولون: إن كثيراً من

---

(١) بلاد شنقيط المنارة والرباط ص١٩٧.
(٢) الريان للمجلسي المذكرة ص٢١.

الناس يغلط فيجعل التفويض في المعاني، والألفاظ مذهباً للسلف وحقيقته المرور على آيات الصفات وأحاديثها، دون إثبات ما يدل عليه النص من معاني وألفاظ، وهذا المذهب هو الذي عبر عنه ابن القيم في كتابه: مختصر الصواعق: بمذهب أهل التجهيل، قال رحمه الله: فصل: في انقسام الناس في نصوص الوحي إلى أصحاب تأويل، وأصحاب تخييل، وأصحاب تمثيل، وأصحاب تجهيل، وأصحاب سواء السبيل، ثم قال:

والصنف الثالث أصحاب التجهيل، الذين قالوا نصوص الصفات ألفاظ لا تعقل معانيها، ولا يدري ما أراد الله ورسوله منها، ولكن نقرؤها ألفاظاً لا معاني لها، ونعلم أن لها تأويلاً لا يعلمه إلا الله، وهي عندنا بمنزله (كهيعص)، (وحم عسق)، (وألمص)، فلو ورد علينا منها ما ورد لم نعتقد فيه تمثيلاً، ولا تشبيهاً، ولم نعرف معناه، وننكر على من تأوله، ونكل علمه إلى الله تعالى. وظن هؤلاء أن هذه طريقة السلف، وأنهم لم يكونوا يعرفون حقائق الأسماء والصفات، ولا يفهمون معنى قوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥].

وقوله: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [الزمر: ٦٧]، وقوله: ﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥].

وبنوا هذا المذهب على أصلين: **أحدهما**: أن هذه النصوص من المتشابه، **والثاني**: أن للمتشابه تأويلاً لا يعلمه إلا الله...

وأكثر مفسر شنقيط انبرى لهذا الموضوع في تفسيره، وأعطاه عناية كبرى: الشيخ العلامة الأكبر محمد الأمين الشنقيطي، في «أضواء البيان» فكتب فيه بدون تأويل الشيء الكثير، والنفيس، وهو من الذين يثبتون الصفات[1] وتعرض لذلك في مناسبات عدة، ووضع فيه قواعد وضوابط أساسية:

---

(١) وهذا هو مذهب العلامة باب ابن الشيخ سيديا من الشنقيطيين، والذي يقول في شأن الصفات:

«فهي صفات وصف الرحمن ... بها ولازم بها الإيمان
ثم على ظاهرها نبقيها ... ونحذر التأويل والتشبيها»

● **القاعدة الأولى**: أن القول في الصفات جميعها من باب واحد:

يقول: لأن الموصوف بها واحد وهو جل وعلا لا يشبه الخلق في شيء من صفاتهم البتة، فكما أنكم أثبتم له سمعاً وبصراً لائقين بجلاله لا يشبهان شيئاً من أسماع الحوادث وأبصارهم، فكذلك يلزم أن تجروا هذا بعينه في صفة الاستواء والنزول والمجيء إلى غير ذلك من صفات الجلال والكمال التي أثنى الله بها على نفسه.

● **القاعدة الثانية**: القول في الصفات كالقول في الذات: ورد في هذه النقطة على المعتزلة ومن يقول بقولهم.

● **القاعدة الثالثة**: آيات الصفات ليست من المتشابه.

● **القاعدة الرابعة**: ليس ظاهر الصفات التشبيه حتى يحتاج إلى التأويل.

● **القاعدة الخامسة**: الصفات على الحقيقة لا المجاز[١].

وعندما ظهر كتاب الأضواء، وهو يقرر هذه العقيدة السلفية الخالصة انقسم الشناقطة حوله، فمن مستحسن له ومادح، ومن منتقد وقادح، ولكنه في النهاية نال إعجاب الجميع، حسب الظاهر.

ونقتصر هنا على هذه الإشارات العابرة، فهي كافية لتوضيح بعض الخصائص الفكرية للمفسرين الشنقيطيين، مع أننا قد تعرضنا لهذا الموضوع بشيء من التفصيل عند الكلام على الصراع بين التيارات المعرفية.

وفي ختام هذا البحث لا بد أن أبين أن الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، نظراً لتأخره، وتمكنه من نقد الروايات

---

(١) أضواء البيان ج٢ ص٣٢٠، وج٧ ص٤٦٣، ومنهج دراسات لآيات الأسماء والصفات، وانظر جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف، رسالة الماجستير للدكتور عبدالعزيز بن صالح الطويان ج١ ص٢٥٣.

الإسرائيلية، والأحاديث الضعيفة، إبان تدريسه للتفسير في المسجد النبوي الشريف، وفي الجامعات السعودية، لا تنطبق عليه تلك الملاحظات المنهجية والفكرية التي لوحظت على بعض المفسرين الشنقيطيين الآخرين، كما أن المجلسي أقل اهتماماً بالإسرائيليات من غيره من الشنقيطيين.

والشنقيطيون تبع لغيرهم في ذلك.



الفصل الثالث

أغراض التأليف في التفسير

ظل القرآن منذ نزل به الروح الأمين على قلب محمد ﷺ يحدد الإطار الثقافي للمجتمعات الإسلامية، منه تستمد القيم وحوله تدور المعارف وعلى أساسه تصنف وتقيم، وتهدف الجهود المضنية والدراسات المتنوعة إلى استخراج معانيه وأحكامه وحكمه ومعرفة أساليبه، وعلى هذا الأساس تبوأ التفسير مكان الصدارة في نفوس المسلمين، ذلك أن علم التفسير: هو مفتاح الكنوز والذخائر التي احتواها القرآن الكريم، لإصلاح البشر وإنقاذ الأمم وإعلاء كلمة الله في الأرض، وبناء على ذلك تنوعت الأغراض وتعددت الاتجاهات.

ولا أريد ـ هنا ـ أن أتعرض لموضوع أسباب ظهور الاتجاهات التفسيرية التي على أساسها ظهرت المدارس المعروفة بتنوعها وهي:

ـ المدرسة الأثرية.

ـ المدرسة اللغوية.

ـ المدارس العقلية.

ـ المدارس الصوفية... الخ.

فهذا الموضوع سينال حظاً من الدراسة في باب خاص به ـ بإذن الله ـ،

وليس من هدفنا ـ كذلك ـ محاولة التأريخ لهذه الاتجاهات، فذلك شيء قضى الناس فيه كلامهم، ووضعوا فيه مصنفاتهم وله مناسبات أخرى. وإنما ينصب اهتمامنا ـ هنا ـ على محاولة معرفة الأهداف التي كانت وراء هذه التآليف الكثيرة في التفسير التي ظهرت في بلاد شنقيط، خلال ثلاثة قرون ابتداء من (القرن الثاني عشر للهجرة) وهي محل هذه الدراسة. والواقع أن العلماء حددوا الأغراض التي يسعى المؤلفون عموماً في تحصيلها، وقالوا: إنها منحصرة في سبعة ذكرها الشيخ محمد العاقب بن مايابى الجكني (ت في العقد الثالث من القرن ١٤) في كتابه «رشف اللمى على كشف العمى»[١] وهي:

١ ـ إبداع شيء لم يسبق إليه.

٢ ـ شرح مغلق.

٣ ـ تصحيح أخطاء.

٤ ـ ترتيب منثور.

٥ ـ جمع مفرق.

٦ ـ تقصير مطول.

٧ ـ تتميم ناقص.

يقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في مقدمة «أضواء البيان»:

أما بعد فإنا لما عرفنا إعراض أكثر المتسمين باسم المسلمين ـ اليوم ـ عن كتاب ربهم، ونبذهم له وراء ظهورهم، وعدم رغبتهم في وعده، وعدم خوفهم من وعيده، علمنا أن ذلك مما يعين على من أعطاه الله علماً بكتابه أن يجعل همته في خدمته من بيان معانيه، وإظهار محاسنه، وإزالة الإشكال عما أشكل منه، وبيان أحكامه، والدعوة إلى العمل به، وترك كل ما

---

(١) رشف اللمى على كشف العمى ـ بتحقيقنا ـ ص١٥ ط أولى المطبعة الوطنية انواكشوط (١٤١٦هـ).

يخالفه، ـ حتى يقول ـ: واعلم أن من أهم المقصود في تأليفه أمران:

أحدهما: بيان القرآن بالقرآن، لإجماع العلماء على أن أشرف أنواع التفسير وأجلها: تفسير كتاب الله بكتاب الله... الخ[1].

فالغرض من تأليف «أضواء البيان»: تعليمي يستجيب لمتطلبات الفترة الزمنية التي ألف فيها، ومن أهدافه: خدمة القرآن الكريم بتنبيهه للناس حتى يتعلموه، وبإزالة الإشكال عما أشكل منه، والدعوة إلى العمل به، وترك كل ما يخالفه.

كما أنه تضمن أنواعاً كثيرة من البيان يقول: واعلم أن أنواع البيان المذكورة في هذا الكتاب المبارك كثيرة جداً وجاء بأكثر من عشرين من أنواع البيان التي تضمنها كتاب الأضواء.

وقد يكون غرض المؤلف أن يتعلم أولاً، ثم بعد ذلك يحصل غرضاً من الأغراض الآنفة الذكر، يقول الدكتور محمد المختار بن اباه العلوي في مقدمة كتابه:

«مدخل إلى أصول الفقه المالكي» ما معناه: أن الإنسان قد يؤلف من أجل أن يتعلم أولاً، ثم يحقق مقصداً آخر من مقاصد التأليف، ومعنى ذلك أن التأليف يكسب المؤلف مهارات زائدة تمكنه من السيطرة على المعارف بشكل يمكن من هضمها والتحكم فيها، هذا مع ما يتركه للآخرين من علوم تساعدهم على طرد داء الجهل، واكتساب العلوم النافعة، وفي هذا المعنى ـ وانطلاقاً من هذا المبدأ ـ يقول البشير بن امباريكي «اليدمسي» في مقدمة كتابه: «كشف الأستار عن بعض ما في الذكر من الإضمار»[2] والحاصل أن إيجاز الحذف كثير في القرآن، وكثيراً ما يصعب علي عند التدبر معنى الآية بسببه، فشرعت ـ مستعيناً بالله ـ في حاشية تبين جل ما وقفت عليه من ذلك، من حذف عامل ومعمول... الخ.

---

(١) أضواء البيان المجلد ١ ص٦٧، نشر الرئاسة العلمية للإفتاء والدعوة والإرشاد (١٤٠٣هـ).

(٢) كشف الأستار، مخطوطة خاصة ص٢.

فسبب التأليف في البداية هو: أن المحذوف قد يصعب عليه ويعكر عليه فهم الآية، فجمع ما أشكل عليه حتى وضع هذه الحاشية على هذا المنوال الذي لم يسبق إليه كما قال.

ويقول الشيخ الدكتور الفاضل عبدالله بن الشيخ محمد الأمين الجكني الشنقيطي في بحثه في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣].

«أما بعد فإني منذ زمن كلما تأملت في القرآن الكريم وجدت بعض آياته لا يتضح معناها، فإذا رجعت إلى أقوال المفسرين فيها زاد عندي الإشكال في بعض تلك الآيات، وزال عني الإشكال في بعضها الآخر، ومن جملة تلك الآيات التي فيها الإشكال قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣]، فإني كلما طالعت الكتب وجدت الاختلاف بين العلماء ـ رحمني الله وإياهم ـ في المقصود منها، وهل الاستثناء على حقيقته، أو هو بمعنى لا شيء؟ أو في الكلام تقديم وتأخير؟ مما كان السبب في كتابة هذا البحث، لعلي أوضح طريقاً تكون عوناً على فهم القرآن، أو توضح جانباً من جوانب الموضوع تعين على الإشكال... الخ[1] وباختصار: فإن جل هذه التفاسير أو الأعمال التفسيرية إنما ألفت لغرض علمي بحت، وذلك لما رأى أهل العلم من إعراض الناس عن التفسير، واستغنائهم عن كتاب الله تعالى بالعلوم الأخرى، كما تقدم كلام شيخ المشايخ محمد الأمين الشنقيطي ـ رحمه الله ـ ومن ذلك نظم ـ الشيخ ـ سيد محمد بن مولاي عبدالله (سيداتي بن عينين النعماوي) (ت١٣٥٨هـ) لنقاية السيوطي:

وَبَعْدُ فَالْقُرْآنُ لِلْعُلُومِ ... أَصْلٌ كَمَا قَدْ شَاعَ فِي الْمَعْلُومِ
فَكَانَ لِلتَّفْسِيرِ أَعْلَى شَرَفِ ... عَلَى سِوَى التَّوْحِيدِ فِيهَا فَاعْرِفِ
وَالنَّاسُ عَنْ طَلَبِهِ قَدْ أَعْرَضُوا ... وَقَنَعُوا بِجَهْلِهِ كَمَا رَضُوا

(١) البحث المذكور ص٥ ط البخاري المدينة المنورة (د.ت).

ظَنُّـوا بِـأَنَّ حَـامِـلَ الْـقُـرْآنِ قَـارِىءُ لَـفْـظِـهِ بِـلاَ بَـيَـانِ
قَـدِ اكْـتَـفَـوا فِـيـهِ بِـحِـفْـظِ لَـفْـظِـهِ دُونَ تَـطَـلُّـبٍ لِـمَـعْـنَـىٰ حِـفْـظِـهِ
هَـذَا وَإِنِّـي قَـدْ أَرَدْتُ نَـظْـمَ مَـا سَـاعَـدَنِـي الْـوَقْـتُ بِـهِ مُـسْـتَـخْـدِمَـا
نَـثْـرَ نِـقَـايَـةِ الـسُّـيُـوطِـي الـثَّـانِـي فِـي جَـمْـعِ ذَا الْـفَـنِّ الْـعَـظِـيـمِ الـشَّـانِ

ومما يظهر جلياً أنه ألف لهذا الغرض: بذل الوسع في تفسير الآيات التسع، لأن الشيخ سيد المختار ألفه للإجابة على سؤال سائل من بلاد السودان، وهذا يدل على غايته العلمية. ويقول محمد بن أحمد يور الديماني (ت١٣٤٠هـ):

وَبَـعْـدُ فَـالـتَّـفْـسِـيـرُ عَـزَّ طَـلَـبُـهْ وَعَـمَّ أَفْـهَـامَ الْـعُـقُـولِ غَـلَـبُـهْ
وَكُـنْـتُ عَـنْـهُ قَـبْـلَ ذَا مِـمَّـنْ وَجَـمْ وَفِـي الـنِّـطَـاحِ يُـغْـلَـبُ الْـكَـبْـشُ الأَجَـمْ
وَالْـيَـوْمَ قَـدْ نَـظَـمْـتُ بَـعْـضَ الْـوَاقِـعَـهْ فِـي رُقْـعَـةٍ سَـمَّـيْـتُـهَـا بِـالـرَّاقِـعَـهْ

وقد يكون الهدف من التأليف انتصار لمذهب، أو تأكيد فكرة، والغالب في هذه الحالة أن لا يصرح المؤلف بهذا الغرض لأحد سببين:

ـ **السبب الأول**: هو الثقة بأن الفكرة التي يدافع عنها هي الفهم الصحيح للدين، ولذلك لا يجد السني ـ مثلاً ـ فرقاً بين أن يقول ألفت هذا الكتاب، أو هذا التفسير للدفاع عن مذهب أهل السنة والجماعة، وبين أن يقول ألفت هذا التفسير لبيان معنى القرآن باتباع منهج أهل الحق، إلا أنه في حالة معرفة المؤلف أن الفكرة التي يدافع عنها ويتبناها في عمله مستساغة في الوسط الذي يعيش فيه قد لا يجد حرجاً في ذكر أن غرضه من تأليفه هو خدمة تلك الفكرة بعينها، ويعفيه من تبرير اختياراته، تأييد العاطفة الشعبية لموقفه.

ـ **السبب الثاني**: تحفظي، وهو أن يخاف من نفور الناس من عمله، وذلك بإدراكه أن المذهب الذي يدافع عنه، ويدعو إليه ليس مسلماً به في الساحة الثقافية، بل إن الرأي العام إلى جانب غيره من المذاهب، عندها يكون تنصيصه على خدمة مذهبه عامل تنفير من مؤلفه، فيعرض عن ذكر

غرضه من تأليفه، ويلجأ إلى تجنب استخدام المصطلحات الخاصة بمذهبه، حتى لا يقف استخدامه لها أمام مطالعة مؤلفه من طرف أتباع المذاهب الأخرى.

وسواء صرح المؤلف بالغرض الحقيقي من تأليفه، أو لم يصرح به، فإن اكتشاف الغرض ممكن عن طريق ملاحظة نوعية المراجع، وكذلك من خلال الألفاظ التي يهتم بتفسيرها من الآيات، ويحاول الوقوف عندها طويلاً.

أما في الحالات التي يستخدم فيها اصطلاحات اتجاه فكر معين ومفاهيمه، فالأمر عندئذ يكون أسهل وأوضح[١].

ونحن ـ هنا ـ لا نتهم كل صاحب مذهب معين بالانحياز والتعصب لمذهبه الذي ارتضاه وآمن به، ولكننا نقول: إن التعصب المذهبي قد يوقع المؤلف ـ عموماً ـ في شطط منهجي جسيم، وهو عدم الموضوعية المفضي إلى استصواب بعض الآراء واستهجان بعضها دون سبب منطقي، وهو في تفسير القرآن ـ بصورة خاصة ـ جريمة كبيرة وانحراف يدفع صاحبه إلى تحكيم مذهبه في النص القرآني، فما وافق آراء مذهبه قبله وما خالفها أنكره، وأوله.

ويرى بعض الباحثين أن الحماسة المذهبية ـ عموماً ـ تكسب عمل المفسر جدية، وحيوية، وأصالة، قلما تتوفر لمن فقدها، ذلك أن المؤلف المسوق بغرض مذهبي يسعى إلى تقرير مبدأ مغين، وإيجاد الشرعية اللازمة له من خلال ما سيكشف عنه من معاني النص القرآني، المنسجم مع ذلك المبدأ، أو المفندة للآراء المعارضة له، لأن المفهومات الأساسية في المجتمع الإسلامي ظلت تستمد قيمتها من القرآن[٢].

ونحن نعلق على هذا الرأي بقولنا: الباحث المنصف ينبغي أن يكون

(١) تطور منهج التفسير في موريتانيا ص٥٢.
(٢) المصدر السابق ص٥٣.

حيوياً ونشطاً ومدفوعاً بالرغبة في الخير، أما المتعصب فحيويته سلبية وضره أكثر من نفعه، «فماذا بعد الحق إلا الضلال».

وأخيراً أؤكد ـ هنا ـ ما ذكرته من قبل، وهو أن اكتشاف الغرض الذي كتب المؤلف من أجله أساساً سهل المنال، ولا يحتاج إلا إلى تأمل ومتابعة لما يكتبه المؤلف.

فالدارس لأضواء البيان ـ مثلاً ـ لا يجد عناء في اكتشاف توجهات الشيخ السلفية في المعتقد، وفي رأيه في التشريع الذي يجب اتباعه، وموقفه من التراث بصفة عامة، فهو يرد كل أعمال المسلمين إلى الكتاب والسنة، فما قبلاه قبله وارتضاه وما رفضاه رفضه ونبذه بغض النظر عن القائل. كما أن الدارس لكتاب: «كشف النقاب» يلحظ بسرعة توجهات الشيخ سيد المختار الصوفية واعتناءه بالجانب السلوكي الباطني، وغير ذلك من اهتمامات القوم. كما أن بعض المفسرين الشنقيطيين يذكر سبباً لتأليفه غير ما ذكرنا، وهو الانضمام إلى سلك العلماء، والسير في طريقهم، يقول الشيخ أحمد بن محمد سالم المجلسي في المقدمة: وقد اطلعت على تصانيف مما صنفه العلماء في تفسيره مختلفة الأوصاف، متباينة الأصناف، فمنهم من آثر الاختصار، ومنهم من أطال، وكل يغترف من فيض المنعم المدرار... فرغبت في سلوك طريقهم والانتظام في سلك فريقهم، فصنفت هذا الكتاب(١).

ونقتصر ـ هنا ـ على هذا القدر آملين ـ إن شاء الله ـ أن يكتمل هذا البحث، وتتضح جميع جوانبه عندما يتم الكلام على الاتجاهات التفسيرية في بلاد شنقيط في باب لاحق ـ بحول الله تعالى ـ.

❑ ❑ ❑ ❑

(١) مقدمة الريان.

الفصل الرابع

القيمة العلمية لتفسير الشنقيطيين

لقد وضع العلماء والباحثون أسساً علمية واعتبروها معياراً لقيمة أي كتاب: «فالقيمة العلمية لأي كتاب من الكتب أو مصنف من المصنفات العلمية يقاس بأمرين:

الأول: بمقدار ما يضفي العلماء، والمؤرخون، وأصحاب التراجم على ذلك المؤلف ومؤلفه من هالة علمية عظيمة، وما يطرونه من عبارات التمجيد والثناء، وما يشهدون له به من أهمية تقوم على أساس متين من المادة العلمية والحداثة والتجديد في التأليف، أسلوباً، ومنهجاً، وموضوعاً.

الثاني: بمقدار التأثير الذي يحدثه ذلك المصنف في نفوس العلماء وطلبة العلم فيكون أصلاً يعتمد عليه ومصدراً يفيء إليه من قصد الحق وابتغى هدف الصواب»[(١)].

وقبل الدخول في البحث في هذين الأمرين نذكر بأن التفاسير الشنقيطية لم تنتشر خارج الأماكن التي ألفت فيها، وذلك لأسباب وجيهة وواضحة وهي باختصار: العزلة التامة عن باقي بلدان العالم الإسلامي،

---

(١) مدرسة التفسير في الأندلس ص٨٤٩ الدكتور مصطفى إبراهيم المشني.

والتفسير الوحيد الذي رأى النور وخرج عن تلك العزلة القاتلة هو: «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» للشيخ محمد الأمين الشنقيطي، فقد تلقاه طلاب العلم في مشارق الأرض ومغاربها بالقبول، وطبع عدة مرات، وامتاز بميزات سنتعرض لها فيما بعد.

ومع أن كل المفسرين الشنقيطيين، يمتازون بالتبحر في العلوم والإمامة في الدين والعلم، ومكانة لا تجهل داخل بلادهم - على الأقل -.

فإننا اخترنا الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي لنجعله أساساً تقاس به القيمة العلمية في التفسير في بلاد شنقيط.

وقد يعترض البعض على هذا الاختيار بحجة أن الشنقيطي له من الشهرة خارج بلاده شنقيط ما ليس لغيره من الفسرين، فما ينطبق عليه من أحكام قد لا ينطبق بالضرورة على غيره من المفسرين. والجواب على هذا واضح - وقد أشرنا إليه من قبل -، وهو أن المفسر الوحيد الذي وجد الفرصة للانتشار خارج إقليمه الضيق هو: «أضواء البيان»، أما غيره من التفاسير فلا يعرف الناس عنها شيئاً، والمعروف «أن الحكم على الشيء فرع عن تصوره».

ثم إنني - هنا - أقول ما قاله الحجاري عن ابن العربي: «لو لم ينسب إلى إشبيلية إلا هذا العالم الجليل لكان لها به من الفخر ما يرجع عنه الطرف وهو كليل»[(١)] وأنا أقول لو لم ينسب لبلاد شنقيط إلا الشيخ محمد الأمين لكفاها فخراً، فكيف وهؤلاء لهم من المكانة العلمية ما ذكرنا وبرهنا عليه في مناسباته؟!.

أما الشنقيطي فقد شهد له العلماء في مشارق الأرض ومغاربها بالإمامة في العلم والتميز في التأليف، فقد طار صيته في الآفاق وسارت به الركبان. وقد شغف به طلاب العلم في مشارق الأرض ومغاربها وأعجبوا بطريقته إعجاباً كبيراً، لهذا نرى الباحثين يخصونه بجهودهم رغبة في النهل من معينه

(١) مدرسة التفسير في الأندلس ص٨٥٠.

الذي لا ينضب، كما نرى دور النشر تعيد طباعة الأضواء كلما نفدت طبعة، فقد طبع الكتاب سبع مرات ـ على الأقل ـ.

وأما ثناء أهل العلم عليه فهو أكثر من أن يحصى، ونورد الآن بعضه:

يقول الدكتور فهد الرومي في كتابه اتجاهات التفسير في القرن (١٤هـ): «ما رأيت تفسيراً قديماً أو حديثاً فسر القرآن بالقرآن مثله، لا يكاد يتناول آية قرآنية إلا وبين ما تدل عليه، وما لا تدل عليه، فأصبحت الآيات مجتمعة كالسبيكة الواحدة تجلو كل إبهام وتوضح كل غموض... حتى يقول: فيه بغية كل باحث ومراد كل فقيه، أما أصول الفقه فهو الخبير فيه، لا تكاد تمر آية قرآنية فيها لأهل الأصول معترك إلا دخل فيها وخرج والأنظار ترمقه، أما مباحث اللغة، والبلاغة، والبيان ففيه منها ما يوقفك متربعاً على عرش الإقناع»[(١)].

ووصفه الدكتور محمد المجذوب: ـ أستاذ جامعي سوداني ـ بأنه: «أحد الأفذاذ الذين يخشى إذا فقدوا أن لا يعوضوا»[(٢)]، ويصفه الدكتور فهد الرومي أيضاً بقوله: «إمام المفسرين في القرن الرابع عشر للهجرة»[(٣)].

ويقول الدكتور أحمد نصيف الجنابي: «ذهب جمهور العلماء إلى أن أفضل التفاسير هو: أن يفسر القرآن بالقرآن، وأحسن ما ألف في هذا الاتجاه كتاب «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن»[(٤)].

ويصفه الدكتور محمد علي الحسن في كتابه: «المنار في علوم القرآن» بأنه أشهر الكتب في بابه[(٥)].

أما الشيخ عبدالرحمن السديس فيصف الشيخ الشنقيطي بقوله: «إن

---

(١) اتجاهات التفسير ج١ ص١٤١.
(٢) علماء ومفكرون عرفتهم ص١٨٥.
(٣) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر ج٢ ص٥٢٢.
(٤) بلاد شنقيط ص٢٧٣، نقلاً عن موسوعة حضارة العراق ج٧ ص٥٩.
(٥) المنارة في علوم القرآن ص١٤٩.

الشيخ الشنقيطي في سعة علمه وحفظه، وسرعة استحضاره قد بلغ درجة الاجتهاد المطلق، وقد طبق ذلك فعلاً في الأضواء، وإن الأمة لم تشهد مثله في ذلك منذ قرون».

ثم يقول في خاتمته التي أودعها نتائج بحثه عن منهج الشنقيطي في تفسير آيات الأحكام: إن أضواء البيان مدرسة في أكثر العلوم، بما يمتاز به من مزج لسائرها، وتذليل لعلوم الآلة في خدمة علوم الغاية (الكتاب والسنة)، ثم يقول في نقطة أخرى من هذه النتائج: «إنه ليس له سابقة في منهجه في التفسير لا ممن ألف في آيات الأحكام، ولا ممن ألف في التفسير عموماً».

وهكذا فإن التفسير في بلاد شنقيط يكتسي أهمية كبرى ويتسم بالعمق وبالتنوع وتعدد الاتجاهات.



الفصل الخامس

مراجع الشنقيطيين في التفسير

لا أقصد بهذا إحصاء المراجع التي اعتمد عليها المفسرون الشنقيطيون في تفاسيرهم، فذلك شيء متعذر، لكثرة الكتب التي رجعوا إليها، فالذهب الإبريز وهو أقدم تفسير شنقيطي عثرنا عليه، رجع فيه اليدالي لألف مرجع كما يقول النابغة القلاوي[١] ورجع المفسرون بعده لمراجع كثيرة لم يطلع هو عليها، أو ألفت بعده وإنما أرمي إلى التنبيه على المراجع التي أخذوا منها بشكل كبير، وذلك له أثر في التوجه والمضمون، فعنايتهم بكتب معينة تدل دلالة واضحة على ولعهم بذلك الفن وتقديمهم له على غيره.

ويظهر للمتتبع لحركة التفسير عموماً في بلاد شنقيط أنها اعتمدت على مراجع معينة في التفسير، مع أن العناية باللغة بارزة أكثر من غيرها.

فتفسير الجلالين مثلاً يعتبر منطلقاً لتفسير المفردات عندهم، وربما اختاروه للإيجاز الشديد الذي يتميز به، مع الدقة في التعبير، يقول اليدالي في الذهب الإبريز: وجعلت عمدتي في حل معنى الآية، كتاب جلال الدين المحلى بكسر الحاء نسبة إلى محلة، والجلال السيوطي لأن في طي بديع اختصارهما علوماً ومعاني كثيرة وفي ضمنه دقائق وفوائد أثيرة[٢]... وهذه

(١) افرانك لاكونت ص٣٠.

(٢) الذهب الإبريز ج١، ص٢ نسخة (أ).

الخاصية فيما يظهر هي التي جعلت الشيخ محمد عبده رائد مدرسة التفسير الحديثة في مصر، يختاره ـ يعني تفسير الجلالين ـ كمنطلق لتفسيره كما يقول عنه تلميذه الأستاذ محمد رشيد رضا[١]، وكما اعتنوا بتفسير الجلالين فقد اعتنوا كذلك بتفسير ابن جزي الكلبي الغرناطي بل وكلفوا به وتلقوه بالقبول، ولم يبخلوا عليه بخدماتهم، وعنايتهم، وأكثروا في النقل عنه، بشكل كبير، فمن خدمتهم له أن مجموعة كبيرة من أكابر العلماء الشنقيطيين قاموا بنظم مقدمة هذا التفسير التي جمعت جل الكلمات الغريبة، وفسرتها تفسيراً كاملاً، هذا مع الاختصار الشديد وجزالة العبارة، ووضوح الدلالة[٢] وهذه أسماء بعض من نظموا مقدمة ابن جزي:

- الشيخ محمد المامي بن البخاري الباركي.
- المرابط بن أحمد زيدان الجكني.
- الشيخ عبدالله بن الإمام الجكني رحمهم الله تعالى.

ومن الكتب التي اعتنوا بها عناية فائقة كتابا الراغب الأصبهاني، ومحمد بن عزيز السجستاني (في مفردات القرآن)، وبالإضافة إلى ما تقدم فقد أكثروا من الأخذ عن تفاسير أخرى منها تفسير الخازن، وتفسير البيضاوي، والبغوي، والواحدي، وابن عطية، وأبي حيان، وأخذوا من تفاسير وكتب أخرى منها:

ابن جرير الطبري، وأحكام القرآن لابن العربي، والكواكشي، والثعالبي، والقرطبي، والمهدوي، ومكي بن أبي طالب، والرازي، والصفاقيسي، والكشف لزكريا الأنصاري، والزمخشري والكبريت الأحمر والإتقان في علوم القرآن، والدرر المنثور، يقول ابن أحمذي ذاكراً بعض مراجعه:

فَقُلْتُ بِاسْمِ رَبِّيَ الْمُعِينِ مُعْتَمِداً عَلَى نِظَامِ الدِّينِ

(١) التفسير والمفسرون ج٢، ص٥٥٨ ط٢ دار الكتب الحديثة ١٣٩٦هـ.

(٢) وربما يكون من أسباب رغبتهم في تفسير ابن جزي هو ما عرف من تأثر الثقافة الشنقيطية بالمعارف الأندلسية المغربية، كما نقل النحوي في البلاد ص١٨٦، وكما أشرت إلى ذلك في أكثر من مناسبة، في هذا البحث.

وَابْنِ جَرِيرِ الطُّبَرِي وَهْوَ أَجَلْ مُفَسِّرٍ وَالنَّسَفِيِّ وَالْجَمَلْ
وَالذَّهَبِ الإِبْرِيزِ وَاللُّبَابِ مَخَافَةَ الزَّيْغِ عَنِ الصَّوَابِ

فنلاحظ هنا تنوع المراجع عند المفسرين الشنقيطيين وذلك من أسباب تعدد الاتجاهات التي سنتحدث عنها في باب مستقل من هذه الرسالة.

كما نلاحظ أن كثيراً من هذه المراجع كان من تفاسير المرحلة الرابعة عند الدكتور فهد الرومي، فقد انفتح فيها باب التفسير على مصراعيه، فدخل منه الغث والسمين، والصحيح والعليل، ولم يزل مفتوحاً إلى يومنا هذا، فبعد أن كان التفسير يعتمد على النقل عن الرسول ﷺ وأصحابه، والتابعين، رأيناه في تلك المرحلة يعتمد على التفسير بالرأي، وذلك نتيجة لنشأة كثير من الفرق والملل والمذاهب في الإسلام، فأصبح أصحاب كل مذهب يتجهون إلى آيات القرآن ويفسرونها حسب ما يوافق مذاهبهم ومعتقداتهم، كما اعتنى أرباب العلوم بما يوافق علومهم، فكان كل من برع في علم من العلوم، يغلب ذلك على تفسيره... الخ[1].

أما الدكتور عفت الشرقاوي فهي المرحلة الثالثة عنده[2].

---

(١) بحوث في أصول التفسير ومنهاجه ص٣٨ وانظر مناهل العرفان للزرقاني ج٢، ص٢٨ (شركة الرياض) ط٣، ١٤١٩هـ.

(٢) الدكتور الشرقاوي: قسم التفسير في الحضارة الإسلامية إلى أربع مراحل وهي كالتالي:
(أ) مرحلة التفسير العلمي، وتعتمد في إجلاء معاني القرآن، على الآثار (النقل) وتحليل الألفاظ لغوياً، وتنتهي بالطبري الذي يمثل قمتها.
(ب) مرحلة التأويل النظري ويمثل لها بالزمخشري في اعتماد البلاغة والذوق الأدبي الرفيع للأساليب البيانية، والفخر الرازي في إجادة علم الكلام، والفلسفة.
(ج) المرحلة التي يصفها بالركود، والتي يقول عنها وهكذا نستطيع أن نقول إن التفسير الذي يقوم على جهد فني، أو تخريج عقلي، لا يجد له الباحث أثراً في هذه المرحلة (مرحلة الركود) وكل ما تقرؤه من محاولات في هذا الصدد إنما هو ترديد لجهود السابقين من الأعلام... الخ، انظر قضايا إنساني في أعمال المفسرين في التفسير، الدكتور عفت محمد الشرقاوي ص٢٦.
وأعقبت هذه المرحلة مرحلة تسمى بالنهضة الحديثة رائدها الشيخ محمد عبده.

وهذه المرحلة الثالثة أو الرابعة تتميز بغلبة الاستهلاك، أي أن المؤلف يكتفي بإعادة ترتيب المادة دون أن يضيف إلى المضمون شيئاً جديداً، فالخازن مثلاً والذي يكثرون من الأخذ عنه بشكل كبير تلخيص لتفسير البغوي، ولم يضف إلى عمل البغوي سوى أنه وقع فيما كان سلفه قد تجنبه من ذكر الروايات الضعيفة والإسرائيليات[١].

كما نلاحظ كذلك أن نقلهم عن مراجع المرحلة الأولى أو الثانية كان قليلاً جداً كالطبري، والمهدوي، والزمخشري، وقد انعكس هذا على إنتاج كثير منهم في أغلب الأحيان، حتى جاء العلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي والذي جمع بين الرواية والدراية، أما الرواية فإنه أولاها عناية فائقة فانتقى مصادره انتقاء شديداً فله تركيز على كتب العمدة مثل الطبري، وابن كثير، وابن العربي، وابن عطية، والقرطبي[٢] وكتب ابن تيمية، وابن القيم، وغيرهم ومع ذلك فكل رواية رواها يخضعها لقواعد علم الجرح والتعديل، لهذا كثر استدراكه على العلماء، ومناقشته لهم.

والحاصل أنه أعمل فكره الثاقب، ونظرته العميقة، في معاني كتاب الله، حتى استخلص ذلك التفسير العجيب، وذلك الإنتاج الثرى، الذي يدل على توجهه الإصلاحي، واجتهاده المطلق، وحق لنا أن ننشد فيه قول الشاعر:

وَإِنِّي وَإِن كُنتُ الأَخِيرَ زَمَانُهُ   لآتٍ بِمَا لَمْ تَسْتَطِعْهُ الأَوَائِلُ[٣]

وفي تفسير غيره فوائد جليلة ومزايا كثيرة تعرضنا لها في حديثنا...

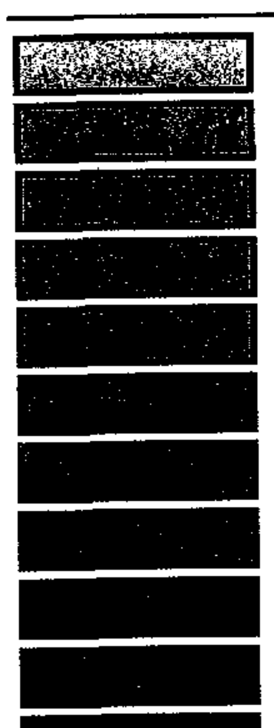
---

(١) تطور منهج التفسير في موريتانيا ص٣٣.

(٢) وكثيراً ما يأخذ عن الكشاف بعض الفوائد والنكت اللغوية وربما يرد عليه مسائل لا يوافقه فيها.

(٣) هذا البيت لأبي العلاء المعري من قصيدته الشهيرة:
أَلاَ فِي سَبِيلِ الْمَجْدِ مَا أنا فَاعِلُ   عَفَافٌ وَإِقْدَامٌ وَعَزْمٌ وَنَائِلُ
انظر كتاب: أروع ما قيل في الشعر الدكتور يحيى السامي دار الفكر العربي، ط١، ١٩٩٩م بيروت، نقلاً عن سقط الزند للمعري ص٥٧.





الباب الثالث
اتجاهات التفسير في بلاد شنقيط

الفصل الأول



الاتجاه الأثري

الاتجاه مصطلح حديث ويطلق على الهدف الذي يتجه إليه المفسرون في تفاسيرهم ويجعلونه نصب أعينهم وهم يكتبون.

وبيان ذلك أن الهدف أو الاتجاه قد يكون في مسائل العقيدة وتقريرها وبسط معالمها والذود عنها وما يتعلق بهذا ويظهر هذا الهدف على مجموعة من التفاسير فيكون الاتجاه لهذه التفاسير: الاتجاه العقدي وكذلك إذا كان اتجاههم الفقه، أو اللغة، أو التصوف مثلاً.

ويراد بالتفسير الأثري، أو التفسير بالمأثور ما جاء في القرآن الكريم نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته، وما نقل عن الرسول ﷺ، وما نقل عن أصحابه ـ رضي الله عنهم ـ في ذلك، واختلفوا فيما نقل عن التابعين ـ رحمهم الله تعالى ـ هل هو من التفسير بالمأثور أم لا؟ وعلى هذا فإنهم يعرفون التفسير بالمأثور بأنه: «التفسير الذي يعتمد صحيح المنقول والآثار الواردة في الآية، فيذكرها ولا يجتهد في بيان معنى من غير دليل، ويتوقف عما لا طائل تحته ولا فائدة في معرفته ما لم يرد فيه نقل صحيح»[(١)].

---

(١) أصول التفسير ومناهجه، فهد الرومي، ص٧٠.

● **مصادر التفسير الأثري:**

أول مصدر من مصادر التفسير بالمأثور: القرآن الكريم، قال ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ: «أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنه قد فسر في موضع آخر وما اختصر في مكان فقد بسط في مكان آخر»(١).

ثانيها: السنة النبوية: قال ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ: «فإن أعياك ذلك ـ يعني تفسير القرآن بالقرآن ـ فعليك بالسنة، فإنها شارحة للقرآن وموضحة له، بل قد قال الإمام أبو عبدالله محمد بن إدريس الشافعي: كل ما حكم به رسول الله ﷺ فهو مما فهم من القرآن»(٢).

وثالثها: تفسير الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ: قال ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ: «وحينئذ إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعت في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرائن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، لاسيما علماؤهم وكبراؤهم»(٣).

رابعها: التابعون على الأصح: ونختار ـ هنا ـ تفسيرين برز فيهما الاتجاه الأثري بشكل أوضح، ونقتصر عليهما، أما أحدهما فهو تفسير: «أضواء البيان»، وأما الثاني فهو: «التنوير في علم التفسير».

⇦ أولاً ـ الشنقيطي وتفسيره الأثري:

يقول الشنقيطي في أضواء البيان: «واعلم أن أهم المقصود بتأليفه أمران:

أحدهما: بيان القرآن بالقرآن، لإجماع العلماء على أن أشرف أنواع

---

(١) مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية ص٩٣.
(٢) نفس المصدر، والصفحة.
(٣) نفس المصدر، ص٩٥.

التفسير وأجلها تفسير كتاب الله بكتاب الله، إذ لا أحد أعلم بمعنى كلام الله جل وعلا من الله جل وعلا»[١].

وقد تناول الدكتور فهد الرومي منهج تفسير أضواء البيان، وقدمه على أنه نموذج ناصع من نماذج التفسير على منهج أهل السنة، واتبع في بيانه لذلك الخطوات التالية:

- بين اعتماده على تفسير القرآن بالقرآن.
- اعتماده على تفسير القرآن بالسنة.
- اعتماده على تفسير القرآن بأقوال الصحابة.

ثم يقول فهد ـ بعد أن قدم نماذج من تفسير الأضواء ـ:

«ومن هذه الأمثلة التي سقناها من تفسير القرآن بالقرآن، وبالسنة، وبأقوال الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ يظهر أثر التفسير بالمأثور في تفسير «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» مما يجعله في مقدمة التفاسير في العصر الحديث من غير منازع ـ حسبما اطلعت عليه من التفاسير»[٢].

والشنقيطي في تفسيره عندما يتكلم على الآية يجمل المعاني التي تضمنتها، وإذا كان المعنى المتبادر من الآية فيه إشكال بين ذلك الإشكال، ثم يبدأ في الردود عليه.

وقد التزم الشنقيطي في إيضاحه القرآن بالقرآن أن لا يفسر إلا بآية متواترة، خاصة القراءات السبع، يقول:

«وقد التزمنا أن لا نبين القرآن إلا بقراءة سبعية سواء كانت قراءة أخرى في الآية المبينة نفسها، أو آية أخرى غيرها، ولا نعتمد على القراءات الشاذة، وربما ذكرنا القراءة الشاذة استشهاداً للبيان بقراءة سبعية، وقراءة أبي

(١) أضواء البيان ج١، ص٦٧.
(٢) اتجاهات التفسير في القرن الهجري الرابع عشر ج٢، ص٥٢٣ إلى ٥٣٤.

جعفر، ويعقوب، وخلف ليست من الشاذ عندنا، ولا عند المحققين من أهل العلم بالقراءات».

ولقد تكفل الشنقيطي ـ في مقدمة الأضواء ـ بتوضيح منهجه في إيضاح القرآن بالقرآن، يقول: «واعلم أن أنواع البيان المذكورة في هذا الكتاب ـ المبارك ـ كثيرة جداً، وقد أردنا أن نذكر في هذه الترجمة جملاً من ذلك ليعلم بها الناظر كثرة ما تضمنه هذا الكتاب المبارك من أنواع بيان القرآن بالقرآن، ويكون على بصيرة في الجملة من فائدته قبل الوقوف على جميع ما فيه»، فذكر من ذلك:

١ ـ بيان الإجمال الواقع بسبب الاشتراك في اسم، مثل قوله تعالى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٧] فإن العتيق يطلق بالاشتراك على القديم وعلى المعتق من الجبابرة وعلى الكريم وكلها قيل به في الآية، وتصريح الله بأنه أقدم البيوت التي وضعت للناس في قوله: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾ [آل عمران: ٩٦] يدل للأول.

٢ ـ بيان الإجمال بسبب الاشتراك في فعل، مثل قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾﴾ [التكوير: ١٧] فإنه مشترك بين إقبال الليل وإدباره، وقد جاءت آية تؤيد أن معناه في الآية: أدبر، وهي قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾﴾ [المدثر: ٣٣، ٣٤] فكون «عسعس» في الآية بمعنى أدبر يطابق معنى آية المدثر هذه كما ترى، ولكن الغالب في القرآن أنه تعالى يقسم بالليل وظلامه إذا أقبل، وبالفجر وضيائه إذا أشرق، كقوله: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾﴾ [الليل: ١، ٢]، وقوله: ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴿٤﴾﴾ [الشمس: ٣، ٤] وقوله: ﴿وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾﴾ [الضحى: ١، ٢]، إلى غير ذلك من الآيات والحمل على الغالب أولى وهذا هو اختيار ابن كثير وهو الظاهر خلافاً لابن جرير.

٣ ـ بيان الإجمال بسبب الاشتراك الواقع في حرف قوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ [البقرة: ٧] فإن الواو في قوله:

﴿وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ﴾، وقوله: ﴿وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ﴾ محتملة للعطف على ما قبلها، وللاستئناف، ولكنه تعالى بين في سورة الجاثية أن قوله هنا: ﴿وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ﴾ معطوف على ﴿قُلُوبِهِمۡ﴾، وأن قوله: ﴿وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ﴾ جملة مستأنفة مبتدأ وخبره، فيكون الختم على القلوب والأسماع، والغشاوة على خصوص الأبصار، والآية التي بين بها هي قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ﴾ [الجاثية: ٢٣][(١)].

٤ ـ بيان الإجمال الواقع بسبب إبهام في اسم جنس، جمعاً كان، أو مفرداً، أو اسم جمع، أو صلة موصول، أو معنى حرف...

٥ ـ بيان الإجمال الواقع بسبب احتمال في مفسر الضمير وهو كثير، ومن أمثلته قوله تعالى في سورة العاديات: ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٞ ۝٧﴾ [العاديات: ٧] فإن الضمير يحتمل أن يكون عائداً إلى الإنسان وأن يكون عائداً إلى رب الإنسان، المذكور في قوله: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ ۝٦﴾ [العاديات: ٦]، ولكن النظم الكريم يدل على عوده إلى الإنسان وإن كان هو الأول في اللفظ بدليل قوله بعده: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ ۝٨﴾ [العاديات: ٨]، فإنه للإنسان بلا منازع، وتفريق الضمائر بجعل الأول للرب، والثاني للإنسان، لا يليق بالنظم الكريم[(٢)]...

فذكر الشنقيطي أشياء كثيرة مما تضمنها الأضواء من بيان القرآن للقرآن، ولم نتمكن من الإتيان عليها جميعاً، واكتفينا بهذا القدر للتمثيل، كما أن الشنقيطي كل ما يأتي به في المقدمة لأجل المثال.

ومن الأساليب التي يستخدمها الشنقيطي في إيضاح القرآن بالقرآن الأوصاف المختلفة المذكورة في الآية من آيات أخرى مثل ما قام به عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا﴾ [النساء: ٥٧]، حيث جمع أوصاف ظل أهل الجنة المذكورة في آيات متفرقة، يقول: ﴿وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا﴾

---

(١) الأضواء ٧١/١.

(٢) المصدر السابق ج١، ص٧٦.

وصف في هذه الآية الكريمة ظل أهل الجنة بأنه ظليل، ووصفه في آية أخرى بأنه دائم، وهي قوله: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَاۚ﴾ [الرعد: ٣٥]، ووصفه في آية أخرى بأنه ممدود، وهي قوله: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الواقعة: ٣٠]، وبين في مواضع أخرى أنها ظلال متعددة، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾﴾ وفي مواضع أخرى ذكر أنهم في تلك الظلال متكئون مع أزواجهم على الأرائك، وهي قوله: ﴿هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾﴾ [يس: ٥٦]، والأرائك جمع أريكة، وهي السرير في الحجلة، والحجلة بيت للعروس يزيَّن بجميع أنواع الزينة.

وسبق أن بين أن ظل أهل النار ليس كذلك بقوله: ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ﴾ [المرسلات: ٢٩ ـ ٣١]، وقوله: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾﴾ [الواقعة: ٤١ ـ ٤٤].

ومن الأساليب التي يستخدمها الشنقيطي في بيانه: تعرضه لذكر الحكم المتعددة لما خلق الله، عند تفسيره لآية ذكرت إحدى تلك الحكم المتعددة، فيقوم بجمع الحكم الأخرى بذكر الآيات المتضمنة لها، مثال ذلك: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِۗ﴾ [الأنعام: ٩٧]، ظاهر هذه الآية الكريمة أن حكمة خلق النجوم هي الاهتداء بها فقط، كقوله: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦]، ولكنه تعالى بين في غير هذا الموضع أن لها حكمتين أخريين، وهما: تزيين السماء الدنيا، ورجم الشياطين بها: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِۖ﴾ [الملك: ٥]، ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [الصافات: ٦ ـ ٨]، وقوله: ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [فصلت: ١٢].

إن التزام الشنقيطي بهذا المبدأ فيه مراعاة لأصل فكرة التفسير الموضوعي، وهي أن يكون الموضع القرآني محوراً للتفسير، في محور واحد تاريخي متكامل.

● تفسير القرآن بالسنة عند الشنقيطي:

يلتزم الشنقيطي عند تفسيره الآية بحديث أو أحاديث:

ـ أن يكون هذا الحديث صحيحاً في نظره، ويكتسب الحديث الصحة عنده من أمور مستقاة من علوم الحديث:

١ ـ إذا ورد الحديث في الصحيحين، أو في أحدهما، فهذا محكوم عليه بالصحة.

٢ ـ إذا ورد الحديث في أحد الكتب الستة مع تصحيح أحد النقاد للحديث له، أو وجد في كتاب التزم مؤلفه بالصحة، فهذا صحيح أيضاً، يقول في طلعة الأنوار:

مَا فِي الصَّحِيحَيْنِ إذَا مَا يَبْرُزُ بِالشَّرْطِ قَدْ صَحَّحَهُ الْمُبَرِّزُ
وَغَيْرَهُ يُعْرَفُ مِن تَنصِيصِ مُعْتَمَدٍ وَكُتبِ التَّخْصِيصِ

ونلاحظ أن الشيخ في محاولة حكمه على الرجال الذين يبحث عن حجيتهم في رواية الحديث يعتمد على كتب الرجال، كما يعتمد على شروح الأئمة، كفتح الباري، ونأخذ الآن نموذجاً من التفسير بالحديث عنده:

يقول عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ [الحجر: ٨٧]، ذكر في هذه الآية الكريمة أنه آتى نبيه سبعاً من المثاني والقرآن العظيم، ولم يبين هنا المراد بذلك، وقد قدمنا في ترجمة هذا الكتاب أن الآية إن كانت لها بيان في كتاب الله غير واف بالمقصود فإننا نتمم ذلك البيان من السنة، فإذا علمت ذلك فاعلم أن النبي ﷺ بيّن في الحديث الصحيح أن المراد بالسبع المثاني والقرآن العظيم في هذه الآية الكريمة هو «فاتحة الكتاب»، ففاتحة الكتاب مبينة للمراد بالسبع المثاني والقرآن العظيم، وإنما بينت ذلك بإيضاح النبي ﷺ في الحديث الصحيح:

قال البخاري في صحيحه في تفسير هذه الآية الكريمة، ثم ساق سند حديث أبي سعيد بن المعلى قال: مر بي النبي ﷺ وأنا أصلي فدعاني فلم

آته حتى صليت، ثم أتيته فقال: «**ما منعك أن تأتيني**»، فقلت: كنت أصلي، فقال: «**ألم يقل الله**: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]»، ثم قال: «**ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن، قبل أن أخرج من المسجد**... إلى أن قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٢﴾ **هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته**».

ثم ساق حديث أبي هريرة بسنده: «**أم القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم**». فهذا نص صحيح من النبي ﷺ أن المراد بالسبع المثاني والقرآن العظيم «فاتحة الكتاب»، وبه تعلم أن قول من قال إنها السبع الطوال غير صحيح، إذ لا كلام لأحد معه ﷺ، ومما يدل على عدم صحة ذلك القول أن آية الحجر هي مكية، وأن السبع الطوال ما نزلت إلا بالمدينة، والعلم عند الله تعالى[(١)].

وهذا مثال آخر من تفسيره، يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ [النساء: ١٠١].

قال بعض العلماء: المراد بالقصر في قوله: ﴿أَن تَقْصُرُوا۟﴾ في هذه الآية قصر كيفيتها لا كميتها، ومعنى قصر كيفيتها أن يجوز فيها من الأمور ما لا يجوز في صلاة الأمن، كأن يصلي بعضهم مع الإمام ركعة واحدة، ويقف الإمام حتى يأتي البعض الآخر فيصلي معهم الركعة الأخرى، وكصلاتهم إيماء رجالاً وركباناً، وغير متوجهين إلى القبلة، ويدل على أن المراد هو هذا القصر من كيفيتها:

قوله تعالى بعده يليه مبيناً له: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ [النساء: ١٠٢]، وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾ [البقرة: ٢٣٩] ويزيده إيضاحاً أنه قال هنا: ﴿فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [النساء: ١٠٣]،

---

(١) أضواء البيان ج٣ ص١٤٩.

وقال في سورة البقرة: ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٣٩]؛ لأن معناه: فإذا أمنتم فأتموا كيفيتها بركوعها، وسجودها، وجميع ما يلزم فيها مما يتعذر وقت الخوف.

وعلى هذا التفسير، فشرط الخوف في قوله: ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ معتبر أي: وإن لم تخافوا منهم أن يفتنوكم فلا تقصروا من كيفيتها، بل صلوها على أكمل الهيئات، كما صرح به في قوله: ﴿فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، وصرح باشتراط الخوف أيضاً لقصر كيفيتها بأن يصليها الماشي والراكب بقوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾ ثم قال: ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم﴾ الآية يعني: فإذا أمنتم فأقيموا صلاتكم كما أمرتكم بركوعها وسجودها، وقيامها وقعودها، على أكمل هيئة وأتمها. وخير ما يبين القرآن بالقرآن، ويدل على أن المراد بالقصر في هذه الآية القصر من كيفيتها كما ذكرنا، أن البخاري صدر باب صلاة الخوف بقوله: «باب صلاة الخوف وقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا۟ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُوا۟ حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾﴾ وما ذكره ابن حجر وغيره من أن البخاري ساق الآيتين في الترجمة ليشير إلى خروج صلاة الخوف عن هيئة بقية الصلوات بالكتاب قولاً، وبالسنة فعلاً، لا ينافي ما أشرنا إليه من أنه ساق الآيتين في الترجمة لينبه على أن قصر الكيفية الوارد في أحاديث الباب هو المراد بقصر الصلاة في قوله: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ ويؤيده أيضاً أن قصر عددها لا يشترط فيه الخوف، وقد كان ﷺ يقصر هو وأصحابه في السفر، وهم في غاية الأمن، كما وقع في حجة الوداع وغيرها، وكما قال ﷺ لأهل مكة: «**أتموا فإنا قوم سفر**».

وممن قال بأن المراد بالقصر في هذه الآية قصر الكيفية لا الكمية: مجاهد، والضحاك، والسدي، نقله عنهم ابن كثير، وهو قول أبي بكر الرازي الحنفي. ونقل ابن جرير نحوه عن ابن عمر، ولما نقل ابن كثير هذا القول عن من ذكرنا قال: واعتضدوا بما رواه الإمام مالك عن صالح بن كيسان عن عروة بن الزبير عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنها قالت: «فرضت الصلاة ركعتين ركعتين، في السفر والحضر، فأقرت صلاة السفر، وزيد في صلاة الحضر».

وقد روي هذا الحديث عن عبدالله بن يوسف التنيسي، ومسلم عن يحيى بن يحيى وأبو داود عن القعنبي، والنسائي عن قتيبة أربعتهم عن مالك به قالوا: «فإذا كان أصل الصلاة في السفر اثنتين فكيف يكون المراد بالقصر هنا قصر الكمية؟، لأن ما هو الأصل لا يقال فيه: فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة».

وأصرح من ذلك دلالة على هذا ما رواه الإمام أحمد، حدثنا وكيع، وسفيان، وعبدالرحمن عن زبيد اليامي، عن عبدالرحمن بن أبي ليلى عن عمر ـ رضي الله عنه ـ قال: «صلاة السفر ركعتان، وصلاة الأضحى ركعتان، وصلاة الفطر ركعتان، وصلاة الجمعة ركعتان، تمام غير قصر، على لسان محمد ﷺ».

وهكذا رواه النسائي، وابن ماجه وابن حبان في صحيحه من طرق عن زبيد اليامي به، وهذا إسناد على شرط مسلم، وقد حكم مسلم في مقدمة كتابه بسماع ابن أبي ليلى عن عمر، وقد جاء مصرحاً به في هذا الحديث وغيره، وهو الصواب ـ إن شاء الله تعالى ـ وإن كان يحيى بن معين وأبو حاتم، والنسائي قد قالوا: إنه لم يسمع منه.

وعلى هذا أيضاً فقد وقع في بعض طرق أبي يعلى الموصلي من طريق الثوري عن زبيد عن عبدالرحمن بن أبي ليلى، عن الثقة عن عمر، فذكره، وعند ابن ماجه من طريق يزيد بن زياد بن أبي الجعدي عن زبيد عن عبدالرحمن عن كعب بن عجرة عن عمر، فالله أعلم.

وقد روى مسلم في صحيحه، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه من حديث أبي عوانة الوضاح بن عبدالله اليشكري زاد مسلم، والنسائي، وأيوب بن عائد كلاهما عن بكير بن الأخنس عن مجاهد عن عبدالله بن عباس قال: «فرض الله الصلاة على لسان نبيكم محمد ﷺ في الحضر أربعاً، وفي السفر ركعتين، وفي الخوف ركعة، فكما يصلي في الحضر قبلها وبعدها فكذلك يصلي في السفر».

ورواه ابن ماجه من حديث أسامة بن زيد عن طاووس نفسه، فهذا ثابت عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ، ولا ينافي ما تقدم عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ؛ لأنها أخبرت أن أصل الصلاة ركعتان، ولكن زيد في صلاة الحضر، فلما استقر ذلك صح أن يقال: إن فرض صلاة الحضر أربع، كما قاله ابن عباس، والله أعلم.

لكن اتفق حديث ابن عباس وعائشة على أن صلاة السفر ركعتان، وأنها تامة غير مقصورة كما هو مصرح به في حديث عمر ـ رضي الله عنه ـ.

واعلم أن حديث عائشة المذكور تكلم فيه من ثمان جهات:

الأولى: أنه معارض بالإجماع.

قال القاضي أبو بكر بن العربي المالكي في كتابه المسمى: بالقبس: قال علماؤنا هذا الحديث مردود بالإجماع.

الثانية: أنها هي خالفته، والراوي من أعلم الناس بما روى، فهي ـ رضي الله عنها ـ كانت تتم بالسفر ومخالفتها لروايتها توهن الحديث.

الثالثة: إجماع فقهاء الأمصار على أنه ليس بأصل يعتبر في صلاة المسافر خلف المقيم.

الرابعة: أن غيرها من الصحابة خالفها كعمر وابن عباس، وجبير بن مطعم، فقالوا: إن الصلاة فرضت في الحضر أربعاً، وفي السفر ركعتين، وفي الخوف ركعة. وقد قدمنا رواية مسلم وغيره له عن ابن عباس.

الخامسة: دعوى أنه مضطرب؛ لأنه رواه ابن عجلان عن صالح بن

كيسان عن عروة عن عائشة قالت: «فرض رسول الله ﷺ الصلاة ركعتين»، وقال فيه الأوزاعي عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة قالت: «فرض الله الصلاة على رسول الله ﷺ ركعتين ركعتين» الحديث، قالوا: فهذا مضطرب.

السادسة: أنه ليس على ظاهره؛ لأن المغرب والصبح لم يزد فيهما، ولم ينقص.

السابعة: أنه من قول عائشة لا مرفوعاً.

الثامنة: قول إمام الحرمين لو صح لنقل متواتراً.

قال مقيده ـ عفا الله عنه ـ وهذه الاعتراضات الموردة على حديث عائشة المذكور كلها ساقطة:

أما معارضته بالإجماع فلا يخفى سقوطها؛ لأنه لا يصح فيه إجماع، وذكر ابن العربي نفسه الخلاف فيه. وقال القرطبي بعد ذكر دعوى ابن العربي الإجماع المذكور.

قلت: وهذا لا يصح، وقد ذكر هو وغيره الخلاف والنزاع، فلم يصح ما ادعوه من الإجماع.

وأما معارضته بمخالفة عائشة له فهي أيضاً ظاهرة السقوط؛ لأن العبرة بروايتها، لا برأيها، كما هو التحقيق عند الجمهور.

وأما معارضته بإجماع فقهاء الأمصار على أنه ليس بأصل يعتبر في صلاة المسافر خلف المقيم، فجوابه: أن فقهاء الأمصار لم يجمعوا على ذلك، فقد ذهب جماعة من العلماء إلى أن المسافر لا يصح اقتداؤه بالمقيم لمخالفتهما في العدد، والنية، واحتجوا بحديث: «لا تختلفوا على إمامكم»، وممن ذهب إلى ذلك الشعبي، وطاووس، وداود الظاهري، وغيرهما.

وأما معارضته بمخالفة بعض الصحابة لها كابن عباس، فجوابه: ما قدمناه ـ آنفاً ـ عن ابن كثير من أن صلاة الحضر لما زيد فيها واستقر ذلك صح أن يقال: إن فرض صلاة الحضر أربعاً، كما قال ابن عباس.

وأما تضعيفه بالاضطراب، فهو ظاهر السقوط؛ لأنه ليس فيه اضطراب أصلاً، ومعنى فرض الله وفرض رسول الله واحد؛ لأن الله هو المشرع، والرسول هو المبين، فإذا قيل فرض رسول الله كذا، فالمراد أنه مبلغ ذلك عن الله فلا ينافي أن الله هو الذي فرض ذلك كما قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾، ونظيره حديث: «**إن إبراهيم حرم مكة**»، مع حديث: «**إن مكة حرمها الله**» الحديث.

وأما رده بأن المغرب والصبح لم يزد فيهما، فهو ظاهر السقوط أيضاً؛ لأن المراد بالحديث الصلوات التي تقصر خاصة، كما هو ظاهر، مع أن بعض الروايات عند ابن خزيمة، وابن حبان، والبيهقي. قالت: «فرضت صلاة السفر والحضر ركعتين ركعتين، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة، واطمأن زيد في صلاة الحضر ركعتان ركعتان، وتركت صلاة الفجر لطول القراءة، وصلاة المغرب؛ لأنها وتر النهار»، وعند أحمد من طريق ابن كيسان في حديث عائشة المذكور: «إلا المغرب فإنها كانت ثلاثاً»(١).

أما الشيخ عبدالودود بن حمية فقد التزم في تفسيره: «التنوير» بما أوثر عن النبي ﷺ، وهو من العلماء الملتزمين بالتفسير بالأثر، ويرون في التفسير بالرأي خطراً جسيماً، يقول في التنوير:

وَالرَّأْيَ دَعْ بِالرَّأْيِ لاَ تُفَسِّرِ ... وَلاَ تَقُلْ بِغَيْرِ عِلْمِ احْذَرِ

وموضوع التفسير بالرأي قد تعرضنا له فيما سبق بما يغني عن التعليق هنا، وطريقة الشيخ عبدالودود هو أنه يلتزم بالتفسير بالمأثور إذا كان في الصحيحين، يقول:

وأَنَا فِي صَحِيحَيِ الشَّيْخَيْنِ مَا ... أَسْلَفْتُهُ عَنِ النَّبِيِّ كِلَيْهِمَا

فإذا لم يجده إلا في البخاري أتى به، وكذلك إذا لم يكن في أحد الصحيحين وكان في أحد الخمسة يأتي به، يقول:

---

(١) الأضواء ج١، ص من ٣٣٧ إلى ٣٤٣.

إلا يَسِيرة يَراهَا الْقَارِي مِمَّا قَدِ اخْتَصَّ بِهِ الْبُخَارِي
وَخَمْسَةُ الأُصُولِ مِنْ أُصُولِ مَا سَوْفَ أُبْدِيهِ إِلَى الرَّسُولِ

ثم أشار إلى أنه قد ينقل عن السيوطي في كتابه: «الإتقان في علوم القرآن»، يقول:

وبَعْضُ مَا جَلَتْهُ لِي إتْقَانُ مَا قَدْ جَلَوْتُ أَصْلُهُ الإتْقَانُ
فَجِئْتُ عَنْهُ بِالَّذِي يُبْدِيهِ مُصَرِّحاً بِذِكْرِ الآي فِيهِ

فابن حميه يقتصر في تفسيره على ما ورد عن النبي ﷺ، حسبما رواه الخمسة، وقد يأخذ من السيوطي، وهو دقيق في عزوه، فلا يعزو لكتاب إلا ما رآه فيه، يقول:

أَلاَ وَلاَ أَعْزُو الذي تُلْفِيهِ إلا لِمَا عَيْنِي رَأَتْهُ فِيهِ

● **نماذج من تفسيره:**

١ ـ تفسيره للآية ١٥٨ سورة الأنعام قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ قال ـ رحمه الله ـ:

وَ «يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ» عَنهُمَا بِهَا عَنى طُلُوعَ الشَّمْسِ مِن مَغْرِبِهَا
وَمُسْلِمٌ فِيهِ ثَلاَثٌ جَا إِذَا خَرَجْنَ لاَ يَنْفَعُ الآيَةَ إِذَا
عَنِي طُلُوعَ الشَّمْسِ مِن مَغْرِبِهَا وَدَابَّةُ الأَرْضِ كَتِى أَتىٰ بِهَا
وَبَيْنَ ذَيْنِ ذكر الدَّجَالاَ خُذِ الصَّحِيحَ وَاحْذِفِ الْمَقَالاَ

يشير ـ رحمه الله تعالى ـ إلى ما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة مرفوعاً: «**لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا رآها الناس آمن من عليها فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل**».

ويشير ـ كذلك ـ إلى ما رواه مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً: «**ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل، أو كسبت في إيمانه خيراً، طلوع الشمس من مغربها، والدجال ودابة الأرض**».

٢ ـ تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾﴾ [محمد: ٢٢]، قال ـ رحمه الله ـ:

وَعَنْهُمَا خَلَقَ خَلْقَهُ فَلَمْـ ... مَا فَرَغَ الإِلهُ قَامَتِ الرَّحِمْ
مَقَامَ عَائِذٍ مِنَ الْقَطِيعَةِ ... قَالَ أَمَا تَرْضَيْنَ رَبُّ الْعِزَةِ
إِذْ ذَاكَ أن أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ ... لَهَا وَأَقْطَعُ الَّذِي قَطَعَكِ
وَقَالَ ذَاكَ لَكَ وَالْمُتَمِّمُ ... ذكر النبي لِ: «فهل عسيتم»

يشير ـ رحمه الله ـ إلى ما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة مرفوعاً: «**إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ من خلقه قامت الرحم، فقال: مه، قالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك، قالت: بلى، قال: فذلك لك**».

٣ ـ تفسير لقوله تعالى: ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٩]، قال:

سَرَادِقُ النَّارِ لَهُ إِذْ يُوصَفُ ... جُدُرٌ أَرْبَعَةٌ اعْلَمْ كُثُفُ
كُلُّ جِدَارٍ مِثْلَمَا يُسَارِ فِيـ ... ـهِ أَرْبَعِينَ سَنَةً بِذَاكَ فِي
والتِّرْمَذِيُّ قَدْ رَوَاهُ وَكَثَفْ ... كُلُّ جِدَارٍ غِلَظٌ بِهِ اتَّصَفْ
وابْنُ الأَثِيرِ كِثَفٌ بِالْجَمْعِ ... رَوى فَكُلٌّ أروِ لَهُ بِالرَّفْعِ

يشير إلى ما رواه الترمذي عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً: «**السرادق النار أربعة جدر كثافة كل جدار مسافة أربعين سنة**»، وأخرجه أحمد، وابن جرير في تفسيره، وقال ابن جرير: «قال ابن عباس: ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾، قال: حائط النار».

٤ ـ ويفسر الآية: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] بالحديث القدسي، في قوله:

وَهَمُّهُ فِي السَّيِّئَاتِ يُهْمَلُ ... وهْيَ بِمِثْلِهَا إِذَا مَا يَعْمَلُ
وإن بِهَا لَمْ يَعْمَلِ اكْتُتِبَتِ ... حَسَنَةً مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ

بإشارته للحديث الذي رواه الترمذي عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ قال: «**قال الله تبارك وتعالى، وقوله الحق، إذا هم عبدي بحسنة فاكتبوها له حسنة، فإن عملها فاكتبوها له بعشر أمثالها، وإذا هم بسيئة فلا تكتبوها، فإن عملها فاكتبوها بمثلها، فإن تركها**، وربما قال **فإن لم يعمل بها، فاكتبوها له حسنة**»، ثم قرأ ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ الآية.

٥ ـ وقال ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ﴾ [البقرة: ٢٢٢]:

وَمُسْلِمٌ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءِ فِي الْـ ... ـمَحِيضِ فِيهِ أَنَّهُ لَمَا نَزَلْ
عَلَيْهِ قَالَ كُلَّ شَيْءٍ اصْنَعُوا ... إِلاَّ النِّكَاحَ فَافْهَمُوا ذَاكَ وَعُوا

يشير إلى ما روى مسلم من حديث أنس أن اليهود كانت إذا حاضت المرأة لم يؤاكلوها، ولم يجامعوها في البيت، فسأل أصحاب النبي ﷺ، فأنزل الله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ حتى فرغ من الآية، فقال ﷺ: «**اصنعوا كل شيء إلا النكاح**»، فبلغ ذلك اليهود، فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا هذا شيئاً إلا خالفنا فيه، فجاء أسيد بن حضير، وعباد بن بشر، فقالا: يا رسول الله إن اليهود قالت كذا وكذا، أفلا نجامعهن، فتغير وجه رسول الله ﷺ حتى ظننا أن وجد عليهما، فخرجا فاستقبلتهما هدية من لبن إلى رسول الله ﷺ فأرسل في أثرهما فسقاهما، فعلما أنه لم يجد عليهما.

٦ ـ وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، قال:

وَعَنْ أَبِي دَاوُدَ وَالتِّرْمَذِي فِي ... أَخَذَ ربُّكَ م الآيَةِ اعْرِفِ
خَلَقَ آدَمَ وظَهْرَه مَسَحْ ... وبِيَمِينِه قَدِ اسْتَخْرَجَ صَحْ
ذُرِّيَّةً فَقَالَ جَنَّتِي لِهَـ ... ـؤُلاَ وَيَعْمَلُونَ فِعْلَ أَهْلِهَا
وَمَسَحَ أَيْضاً ظَهْرَهُ فَاسْتَخْرَجَا ... مِنْهُ وَقَالَ ضِدَّ مَا قَدْ كَانَ جَا

يشير إلى ما رواه أبو داود، والترمذي، والنسائي عن عمر بن

الخطاب، قال: سمعت رسول الله ﷺ سئل عنها يعني آية ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ الآية، فقال: «**إن الله خلق آدم عليه السلام ثم مسح ظهره بيمينه، فاستخرج منه ذرية، قال: خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية، قال: خلقت هؤلاء للنار، وبعمل أهلها يعملون**»، فقال رجل: يا رسول الله ففيم العمل؟ قال رسول الله ﷺ: «**إذا خلق الله العبد للجنة استعمله بأعمال أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخل الجنة، وإذا خلق العبد للنار استعمله بأعمال أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله به النار**».

٧ ـ وقال في تفسيره للآية **١٠٥** من سورة المائدة: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ﴾ الآية:

وَعَنْ أَبِي دَاوُدَ وَالتِّرْمَذِي فِي ... عَلَيْكُمُ أنفُسَكُمْ ع يَاوَفِي
إن سَأَلُوا عَنْهَا فَقَالَ ائْتَمِرُوا ... بِالْعُرْفِ مَع أَن لاَ يُقَرَّ الْمُنكَرُ
حَتىٰ إِذَا رَيْتَ هَوَى مُتَّبَعَا ... مَعْ رُؤيَةِ مُطَاعِ شُحٍّ قَدْ دَعَا
وَرَيْتَ مَعْ رُؤيَةِ دُنْيَا مُؤثَرَهْ ... إِعْجَابَ كُلِّهِمْ بِرَأْيِ إنْ يَرَهْ
فَلْتَدَعِ الْعَوَامَّ وَاخْصُصَنَّا ... نَفْسَكَ رُشْدَ نَفْسِكَ الْزَمَنَّا
فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَامَا ... كَالْجَمْرِ قَبْضاً صَبْرُهَا مَنْ رَامَا
كَأَجْرِ عَامِلٍ بِهَا خَمْسُونَا ... كَعَمَلِ الصَّحَابِ يَعْمَلُونَا

يشير إلى ما رواه أبو داود في الملاحم، باب الأمر والنهي، والترمذي في تفسير سورة المائدة، وابن ماجه في الفتن، باب قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ عن أبي ثعلبة الخشني أنه سأل رسول الله ﷺ عن هذه الآية ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾، فقال ﷺ: «**ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بنفسك، ودع رأي العوام، وإن من ورائكم أيام الصبر، القابض فيه على دينه كالقابض على الجمر، للعامل فيها مثل أجر الخمسين منكم يعملون مثل عمله**». قال وزاد في غيرها قال: يا رسول الله أجر خمسين منهم؟ قال: «**أجر خمسين منكم**».

٨ ـ وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ الآيات الأربع إلى قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٧٨ ـ ٨١].

قال:

وَعَـنْ أَبِـي دَاوُدَ والـتِّـرمَـذْ رَوَا	أَنْ وَلَـدَ إِسْـرَائِـيـلَ لَـمَّـا أَن رَوَا
نَـهَـاهُـمُ الـنَّـاهُـونَ ثُـمَّ اجْـتَـمَـعُـوا	بِـهِـمْ وَمِـنْ خِـلاَطِـهِـمْ مَـا امْـتَـنَـعُـوا
فَـضَـرَبَ الـلَّـهُ قُـلُـوبَ بَـعْـضِـهِـمْ	بِـبَـعْـضِ اعْـلَـمْ وَأَتَـىٰ بِـلَـعْـنِـهِـمْ
عـلـىٰ لِـسَـانِ اقْـرَأ تَـمَـامَ الأَرْبَـعِ	فَـكَـونُ ذِي الأَرْبَـعِ فِـيـهُـمْ وُعِـى
وَحَـلَـفَ الـنَّـبِـيُّ فِـي إِنـبَـائِـهِ	وَقَـال جَـالِـسـاً مِـن اتِّـكَـائِـهِ
لاَ وَالَّـذِي بِـيَـدِهِ نَـفْـسِ حَـتَّـىٰ	تَـأْطُـرُوهُـمُ عَـلَـى الْـحَـقِّ اثْـبِـتَـا

يشير إلى ما رواه أبو داود في الملاحم، باب الأمر والنهي، والترمذي في تفسير سورة المائدة، وابن ماجه في الفتن من حديث عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا، فجالسوهم في مجالسهم**»، قال يزيد (أحد رواته) أحسبه قال: وأسواقهم وآكلوهم وشاربوهم، فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون، وكان رسول الله ﷺ متكئاً فجلس فقال: «**لا والذي نفسي بيده لتأطروهم على الحق أطراً**».

٩ ـ وقال في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً...﴾ [آل عمران: ١٣٥، ١٣٦].

وَعَـنْ أَبِـي دَاوُدَ والـتِـرمَـذِي مَـا	مِـن رَجُـلٍ يُـذْنِـب ذَنْـبـاً اعْـلَـمَـا
ثُـمَّ يَـقُـومُ يَـتَـطَـهَّـرُ يُـصَـلْ	يَـسْـتَـغْـفِـرْ إِلاَّ غَـفَـرَ الإِلَـهُ جَـلْ
ثُـمَّ قَـرَأَ الَّـذِيـنَ الآتِـي مَـعْ إِذَا	فَـعَـلُـوا الآيَـةَ الْـكَـرِيـمَـةَ لِـذَا

يشير إلى ما رواه أبو داود في الصلاة: «باب في الاستغفار»، والترمذي في الصلاة: «باب ما جاء في الصلاة عند التوبة»، وفي تفسير

سورة آل عمران والنسائي في اليوم والليلة، وابن ماجه في الصلاة «باب ما جاء أن الصلاة كَفَّارَة». كلهم من رواية علي بن أبي طالب عن أبي بكر الصديق، قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما من عبد يذنب ذنباً، فيتوضأ، فيحسن الطهور، ثم يصلي ركعتين، فيستغفر الله تعالى إلا غفر الله له»**، ثم تلا: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً...﴾ الآية.

وفي رواية للإمام أحمد: **«ما من مسلم يذنب ذنباً، ثم يتوضأ فيصلي ركعتين، ثم يستغفر الله تعالى لذلك الذنب إلا غفر الله له»**، وقرأ هاتين الآيتين: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء: ١١٠]، ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ...﴾ [آل عمران: ١٣٥، ١٣٦].

١٠ ـ وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾ [البقرة: ٢٧٦]:

وَالتِّرْمِذِي أَنْ يَأْخُذَ الصَّدَقَةَ الْـ ... ـإِلـهُ بِالْيَمِينِ قَابِلاً نُقِلْ
فَهْوَ يُرَبِّيهَا كَمَا الرَّجُلُ مِنْـ ... ـكُمْ يُرَبِّي فُلُوَهُ عَنْهُ زُكِنْ
وَفِيهِ حَتَّى مَعَ أَنَّ اللُّقْمَهْ ... مَعْ لِتَصِيرَ مِثْلَ أُحْدٍ ثَمَّهْ
وَفِيهِ أَنَّ فِي كِتَابِ اللَّهِ ... تَصْدِيقَ ذَاكَ وَتَلاَ ذُو الْجَاهِ
قُرآنَ الأَخْذُ مَعْ قَبُولِ التَّوْبِ ... وَيَمْحَقُ الله الرِّبا ويُرْبِي

يشير إلى ما رواه البخاري في كتاب الزكاة، وفي كتاب التوحيد من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ـ ولا يقبل الله إلا الطيب ـ فإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل»**. وفي رواية للنسائي: **«إن الله عز وجل يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه فيربيها لأحدكم، كما يربي أحدكم مهره، أو فلوه، حتى إن اللقمة لتصير مثل أحد»**. وتصديق ذلك في كتاب الله: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾.

ثم ذكر انتهاءهما إلى الصخرة، وأن أصل تلك الصخرة فيها عين

تسمى عين الحياة لا يصيب ماؤها شيئاً إلا حيي، فأصاب الحوت من ماء تلك العين، فتحرك وانسل من المكتل، ثم بين أن ذلك ـ أي: نسيانهما للحوت عند الصخرة ـ علامة على قرب تلاقيهما مع الخضر، ثم بين أنهما وجدا الخضر على طنفسة خضراء مسجى بثوب، وأن موسى أخبره بغايته، وهي أن يعلمه مما علمه الله، فقال الخضر: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الكهف: ٦٨]، فإني على علم من علم الله لا تعلمه أنت، وأنت على علم من علم الله لا أعلمه أنا، وبين له أن ما عندهما من العلم بالنسبة لعلم الله مثل ما ينقص العصفور من البحر إذا نقر فيه، ﴿أَخَرَقْتَهَا﴾ [الكهف: ٧١]، وكانت السفينة تجري به على البحر بغير أجر، وليس هذا جزاء الإحسان، كما أحس موسى عليه السلام بذلك، لكنه نسي الشرط الذي شرطه عليه الخضر عليه السلام في هذه المسألة الأولى، أما بعدها فإن موسى كان متعمداً، كما نلمس ذلك في قوله: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا﴾ [الكهف: ٧٤].

وقد أنكر عليه سؤاله له مرة أخرى أشد من نكره في الأولى. ثم ذكر اعتراض موسى على إقامته للحائط بدون أجر، وشرح الخضر لموسى ما خفي عليه من السفينة، وهو أن إمامهم يأخذ السفن السليمة فقط، وأن الغلام كان أبواه من أهل الإيمان، وكانا يحبانه، وبالتالي فهما على خطر من أن يسبب لهما ذلك اتباعه على ما هو فيه من الضلال والكفر، ولأن الله تعالى يريد أن يبدلهما به مولوداً أبر بهما منه، وهما أرحم به أيضاً، وقد ذكر أن ما بدل لهما به كان أنثى.

ثم ذكر أنه بعد أن يأتي التفسير بالمأثور أن بعضهم قال يجوز التفسير بغير المأثور، وبعضهم حذر من ذلك.

وقد بين المصنف أن التفسير بالرأي ممنوع تماماً مثل القول بغير علم، وهي ـ أي مسألة التفسير بالرأي ـ مسألة خلافية بين أهل العلم، فبعضهم تشدد في ذلك المنع، وبعضهم تساهل.

ثم ذكر أن ما قدمه في قصة موسى وفتاه مخرج في الصحيحين إلا

يسيراً مما اختص به البخاري، وذكر أن ما سوف يرويه من الآثار أصله الأصول الخمسة، ويعني بها: البخاري، ومسلماً، والنسائي، وأبا داود، والترمذي، بالإضافة إلى أنه يأخذ كذلك من الإتقان للإمام السيوطي ويصرح في هذا النظم بالآيات، وذكر كذلك أن ما في التفسير يعزى للبخاري فهو في باب التفسير.

وفي الختام: فإننا نقول: إن للبعد الأثري أهمية بالغة في علم تفسير كتاب الله عز وجل، فهو في الحقيقة لب التفسير وحقيقته، والجاهل بهذا النوع من التفسير، وإن تضلع في كافة الاتجاهات التفسيرية الأخرى يبقى عالة على غيره، لأنه التفسير المنقول عن رسول الله ﷺ، وأصحابه الأجلاء، والتابعين الكرماء، وأتباعهم، وهذا التفسير الذي سماه عبدالله بن عباس بالتفسير الذي لا يعذر الناس بجهله(*)، فهو يتمثل فيما جاء في القرآن من بيان وتفصيل لمدلول آياته بالدرجة الأولى، وبعد ذلك ما نقل بيانه وتفسيره عن رسول الله ﷺ للآيات وما تعلق بها من عقيدة، أو ناسخها ومنسوخها ومبهماتها بإسناد صحيح عنه، ثم بعد ذلك ما نقل عن الصحابة والتابعين من آثار، وروايات عنهم في ذلك، سوى ما له حكم الرفع من تفاسيرهم، وأسباب نزول الآيات، أو ما كان موقوفاً عليهم وباجتهادهم، كعلماء في لغة العرب مع فصاحتهم، زد على ذلك شهودهم للتنزيل وأثره على حياتهم، مما جعلهم أبعد الناس من الافتراء على الله ورسوله ﷺ مع ورعهم وتقواهم وتزكية الله لهم.



(*) فقد قال بأن عباس ما معناه: التفسير على أربعة أقسام: قسم لا يعذر أحد بجهله، وقسم يعلمه العامة، وقسم يعلمه العلماء، وقسم لا يعلمه إلا الله.

الفصل الثاني

الاتجاه اللغوي

العناية باللغة هي أهم مميزات التفسير ببلاد شنقيط كما تقدمت الإشارة إلى ذلك، ويظهر ذلك في مؤلفاتهم فأكثر من نصفها خاص بالتفسير اللغوي، أما النصف الآخر فلا يخلو من حضور لغوي كبير، ولا غرابة في ذلك فالقوم أهل عناية خاصة باللغة؛ أدباً ونحواً وصرفاً وبلاغة، وينعكس ذلك على ما يكتبونه ويؤلفونه، فتجد:

١ ـ علم النحو.

٢ ـ علم التصريف.

٣ ـ علم البلاغة.

٤ ـ علم الغريب، أو علم المعاني.

وسوف آتي ببعض النماذج من هذه الجوانب بقدر ما يميط اللثام عن تفاسير الشنقيطيين اللغوية مع محاولة الاختصار ما أمكن وعدم الإطناب الممل.

١ ـ علم النحو:

علم النحو من أهم العلوم التي يجب أن يتقنها المفسر لكتاب الله تعالى، قال أبو بكر الأنباري: جاء عن النبي ﷺ وعن أصحابه وتابعيهم

رضوان الله عليهم من تفضيل إعراب القرآن الكريم والحض عليه والحض على تعليمه وذم اللحن وكراهيته فأوجب على قراء القرآن أخذ أنفسهم بالاجتهاد في تعليمه ويعتبر ابن قتيبة النحو «وشي الكلام» ولقد اهتم المفسرون الشنقيطيون بإعراب القرآن بشكل بارز وظهر ذلك جلياً في تفاسيرهم، ومنهم من ألف في إعراب القرآن خاصة، مثل:

- كتاب العلامة محمد فال بن أحمد بن العاقل «دمية المحراب» خصص الجزء الأول منه لإعراب الكلمات القرآنية.

- وكتاب العلامة محمد عبدالله بن الصديق «المقتطف» خصصه كله لإعراب القرآن ولو أن عنوانه يشير إلى أنه اختصار لكتاب العكبري: «إملاء ما من به الرحمٰن من إعراب القرآن» فهو يتضمن إضافات كثيرة على هذا الكتاب، ونأخذ نموذجاً من إعراب الكلمات من «دمية المحراب» ﴿فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا﴾ [البقرة: ٦١].

فالظرف حال ﴿ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا﴾ [البقرة: ٦١] أي أنزلوا مصراً من الأمصار أو مصر المعروفة وصرفت لسكون وسطها.

وقوله تعالى: ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ...﴾ [البقرة: ٨٨] يقول في «دمية المحراب» «ما» محتملة للزيادة، إما لمجرد تقوية الكلام نحو: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾، فتكون حرفاً باتفاق، وقليلاً في معنى النفي(١)، وإما لإفادة التقليل مثلها: أكلت أكلاً ما، وعلى هذا تكون تقليلاً بعد تقليل ويكون قليلاً على معناه.

وزعم قوم أن «ما» هذه اسم كما قيل ذلك في ﴿مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً﴾ [البقرة: ٢٦].

وإما محتملة للنفي وقليلاً نعت لمصدر محذوف أو الظرف محذوف أي إيماناً قليلاً وزمناً قليلاً ويرده أمران:

---

(١) أي: فما يؤمنون قليلاً ولا كثيراً ومثله: «قليلاً ما تشكرون» العكبري: ج١، ص٥٠.

أحدهما: أن ما النافية لها الصدر فلا يعمل ما بعدها فيما قبلها.

والثاني: أنهم لا يجمعون بين مجازين ولهذا لم يجيزوا «دخلت الأمر» لئلا يجمعوا بين حذف «في» وتعليق الدخول وأجازوا دخلت في الأمر ودخلت الدار إلى آخر كلامه(١) وإما محتملة لأن تكون مصدرية وهي وصلتها فاعل بـ «قليلاً» وقليلاً حال معمول لمحذوف ودل عليه المعنى أي لعنهم الله فأخذوا قليلاً إيمانهم أجازه ابن الحاجب ورجح معناه على غيره قاله في مغني اللبيب(٢) ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ...﴾ [البقرة: ٩٦] الواو عاطفة الذين على الناس عطف خاص على عام أو استثناء فيه أي ومن الذين أشركوا يود أحدهم فقامت صفة المبتدأ مقامه ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ﴾ لو حرف مصدري عند الفراء (ت٢٧٠هـ) وأبي علي الفارس، وأبي البقاء العكبري (ت٦١٦هـ)(٣) والتبريزي (ت٥٠٢هـ) وابن مالك، وهي وصلتها مفعول «يود» عندهم، والمانعون من مصدريتها قالوا إن لو شرطية وإن جوابها مفعول يود محذوفان، والتقدير يود أحدهم التعمير لو يعمر ألف سنة لسره ذلك، ولا يخفى ما في هذا من التكليف، ويشهد للمثبتين مصدريتها قراءة بعضهم: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۝﴾ [القلم: ٩] بحذف النون، بعطف يدهنوا بالنصب على تدهن لما كان معناه أن تدهن ويشكل عليهم دخولها على أن في: ﴿وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠] وجوابه أن لو إنما دخلت على فعل محذوف تقديره لو ثبت ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ﴾ [البقرة: ٩٦] أن يعمر فاعل بمزحزحه وقول بعضهم هو ضمير شأن وأن يعمر مبتدأ وبمزحزحه خبره لو كان كذلك لم تدخل الباء الخبر. ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ [البقرة: ٩٧] الجواب محذوف أي فليمت غيظاً، ويقول في إعراب قوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩] قيل إنه من باب العطف على

---

(١) قال أبو البقاء العكبري: ولا يجوز أن تكون ما مصدرية لأن قليلاً لا يبقى لها ناصباً، ج١، ص٥٠.
(٢) انظر ج٢، ص٣١.
(٣) انظر العكبري ج١، ص٥٠.

المعنى، ويقال له في غير كتاب الله العطف على التوهم إذ كأنه على معنى أرأيت كالذي حاج إبراهيم، أو كالذي مر ويجوز أن يكون على إضمار فعل أي أرأيت مثل الذي حذف لدلالة: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ﴾ عليه لأن كليهما تعجب وهذا التأويل أولى لأن إضمار الفعل لدلالة المعنى عليه أسهل من العطف على المعنى، وقيل الكاف زائدة فيكون المعنى ألم تر الذي حاج أو الذي مر، قاله في المغني[١] ﴿أَنَّى يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ﴾ إن جعلت أنى بمعنى متى نصبتها بيحيى ظرفاً أو بمعنى كيف نصبتها حالاً من هذه قاله الكواشي[٢]. ﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ﴾ مائة منصوب بأماته لكن بعد تضمنه معنى ألبثه فكأنه قيل فألبثه الله بالموت مائة عام ولا يكون ظرفاً لأماته لأن الإماتة تقع في أيسر زمان قاله ابن هشام[٣]، والكواشي[٤].

● ومن الشنقيطيين الذين اهتموا بإعراب القرآن: الشيخ محمد اليدالي، فقد تعرض لإعراب الكلمات القرآنية في أكثر من مناسبة وتعرض كذلك للألغاز والنكت والتنبيهات المفيدة، فمن ذلك عند قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ﴾ [المائدة: ٣٨] و «السارق والسارقة»: «أل» فيهما موصولة مبتدأ ولشبهه بالشرط دخلت الفاء في خبره وهو «فاقطعوا أيديهما» أو الخبر محذوف أي فيما يتلى عليكم. السارق أي حكم السارق، قاله سيبويه، والأول قول المبرد، وقال البيضاوي: وقرىء: «والسارق» بالنصب، وهو المختار لأمثاله لأن الإنشاء لا يقع خبراً إلا بإضمار وتأويل.

ووجه قول المبرد أن الفاء جيء بها لتدل على السببية كما في نحو الذي يأتيني فله درهم: فالسببية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها، وشرط النصب على الاشتغال أن الفعل لو سلط على الاسم لنصبه.

---

(١) المغني لابن هشام ج٢، ص٩٨.
(٢) الكواشي ج١، ص٨٥.
(٣) المغني لابن هشام ج٢، ص١٢٠.
(٤) والذي في الكواشي لفظه: أماته الله أي ألبثه ميتاً مائة عام ولا يكون ظرفاً لإماته لأن الإماتة تقع في أيسر زمان، انظر الكواشي ج١، ص٨٥.

وقد أجمع القراء السبعة على الرفع هنا، وفي قوله: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا﴾ [النور: ٢]، قاله ابن هشام.

ووضع الجمع في الأيد موضع الاثنين لئلا يجمع في كلمة واحدة بين التثنيتين، اكتفاء بتثنية المضاف إليه، نحو: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤]. . . إلى أن يقول: «جزاء» نصب على المصدر.

٢ - ومن الاتجاهات اللغوية العناية بالتصريف:

وهو علم يبحث عن أحكام بنية الكلمة العربية وما لحروفها من الأصالة والصحة والإعلال وغير ذلك، وفائدته حصول المعاني المختلفة المتشعبة عن معنى واحد، فالعلم به أهم من معرفة النحو في تعرف اللغة لأن التصريف نظر في ذات الكلمة والنحو نظر في عوارضها، وهو من العلوم التي يحتاج إليها المفسر، قال ابن فارس من فاته علمه فاته المعظم[١] لأنا نقول «وجد» كلمة مبهمة فإذا صرفناها اتضحت فقلنا في المال (وجدا) وفي الضالة (وجداناً) وفي الغضب (موجدة) وفي الحزن (وجدا)، وقال تعالى: ﴿وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩]، فانظر كيف تحول المعنى بالتصريف من الجور إلى العدل[٢].

وقد اعتنى المفسرون الشنقيطيون كغيرهم بالتصريف وذلك شيء طبيعي بالنظر إلى اهتمامهم باللغة كما تقدم الحديث عن ذلك، وقد وضع العلامة الجليل محمد بن سيدي بن الحبيب كتاباً خاصاً بتصريف الكلمات القرآنية من سورة الفاتحة إلى سورة «الناس» وطبع في مجلدين، يقول في مقدمة هذا الكتاب الذي سماه البيان والتعريف بما في القرآن من أنواع التصريف[٣]: هذا ولما كان المنتسبون للعلم في أي زمان ملزمين ببث ما علمهم الله من العلم ونشره لتحصل الإفادة بذلك وكان أشرف العلوم علم

---

(١) دراسات في أصول تفسير القرآن: د. محسن عبدالحميد ص٢٩.

(٢) الزركشي في البرهان ج١، ص٢٩٧.

(٣) نشرت دار القبلة هذا الكتاب ط أولى ١٤١٣هـ.

القرآن لأن شرف العلم بحسب شرف المعلوم، لذلك كنت أقدم رجلاً وأؤخر أخرى في القدوم على نوع من خدمة كتاب الله تعالى أشارك بذلك علماء الإسلام في خدمة هذا الكتاب الذي لا تنقضي عجائبه حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وكنت أفكر دائماً في نوع من أنواع علومه لم يكتب فيه حيث إن العلوم التي تتعلق بالقرآن كتب فيها المتقدمون والمتأخرون من قديم الزمان إلى وقتنا هذا، ومع ذلك فإني لم أطلع على أحد كتب فيما يتعلق بتصريف الكلمات القرآنية حسب موازين التصريف التي وضعها علماء العربية، فقد كتب العلماء في إعرابه وفي ناسخه ومنسوخه وإعجازه وتفسيره ورسمه وضبطه وعدد آياته وكلماته ومكيه ومدنيه إلى غير ذلك وبالرغم من كثرة الكاتبين في علومه فإني لم أجد تأليفاً مستقلاً في هذا النوع من علوم القرآن إنما يذكر بعض المفسرين لا كلهم نبذة من ذلك قليلة جداً. . .

أما منهجه في هذا الكتاب فقد ذكره موضحاً ومفصلاً بقوله ونهجت فيه المنهج التالي:

١ ـ أبدأ بأول سورة من القرآن وهي فاتحة الكتاب وهكذا حسب ترتيب المصحف الكريم ولا أذكر من السورة إلا محل الحاجة.

٢ ـ أبين تصريف الكلمة وميزانها الصرفي عند أول مناسبة، ثم أكتفي بذلك عن إعادة تصريفها مرة أخرى لكثرة دوران الكلمات التي تحتاج إلى تصريف في القرآن ولو تتبعت تصريف كل كلمة تكررت لطال الأمر جداً وكثر التكرار، إلا في بعض الكلمات الخفية فإني سوف أعيد تصريفها مرة أو مرتين أو أكثر بعد المناسبة الأولى وذلك مثل:

(الميزان، دينار، ميعاد، وما شابه ذلك من الكلمات الخفية).

٣ ـ هناك أشياء يدخلها الصرفيون في فن التصريف مثل اسم الفاعل واسم المفعول وجموع التكسير وما شابه ذلك فهذه الأشياء لا أتتبعها بكاملها لكني أذكر من جموع التكسير ما كان فيه إعلال مثل: خطايا وأشباه ذلك وأذكر من الأوصاف ما حدث الإعلال في فعله: مثل لذائقوا، قائلون

من اسم الفاعل، ومن اسم المفعول ما وقع في بنائه تغيير لسبب صرفي فإني أذكره أيضاً مثل: مقضياً، منسياً وما أشبه ذلك.

٤ - وسوف أكتفي - إن شاء الله - في بعض الأحيان بتصريف الكلمة على أحد تخاريجها عند علماء العربية إذا كان مختلفاً في أصلها، إذا كنت مقتنعاً أنه أولى من غيره فإذا لم يظهر ترجح أحد التخريجين أو التخريجات على غيره ذكرت الوجهين أو الأوجه كما سيأتي إن شاء الله في سورة المائدة بقوله تعالى: ﴿أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١]، قيل أصلها أشيئاء بوزن أفعلاء، وقيل أصلها شيئاء بوزن فعلاء وكلا القولين وجيه ومدعم من قبل قائله فعندئذ أذكر الوجهين في أصلها. . . الخ[(١)].

وقد تعرض اليدالي في تفسيره للتصريف في أكثر من مناسبة، ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَا تُضَآرَّ وَالِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣٣] يقول: بسببه بأن يكلف فوق طاقته أو تلقي المرأة الولد إلى أبيه وقد ألفها تضاره بذلك فعلى هذا يرجع الضرار إلى الوالدين ويكون أصل الكلمة: لا تضارر بفتح الراء الأولى مجهولاً ووالدة ومولود نائباً عن الفاعل، ويحتمل أن يكون الضرار راجعاً إلى الولد ويكون أصل الكلمة لا تضارر بكسر الراء الأولى أي لا يضارر كل من الوالدين الولد بأن لا ترضعه هي حتى يتضرر بذلك ولا ينفق عليه الأب أو ينزعه من أمه فيضره ذلك، فعلى هذا الباء أصلية أي لا تضار والدة ولدها ولا أب ولده[(٢)].

ومن المفسرين الشنقيطيين الذين تعرضوا في تفاسيرهم للجانب الصرفي وأولوه عناية كبيرة أحمد بن أحمذي في نظم مراقي الأواه، فهو يتعرض للبنية الصرفية، ونورد من ذلك: ذكره لبعض المصادر والمجموع والنسب.

فمن المصادر التي تعرض لها «مفعلة» عندما فسر التهلكة حيث أضاف إليها نظيراتها فقال:

---

(١) مقدمة البيان والتعريف.

(٢) الذهب الإبريز ص١٨٩.

تَـسُـرُّهُ تَـضُـرُّهُ وَتَـهْـلِـكَـهْ مَـصَـادِرٌ فـي وزنـهـا مـشْـتَـرَكَـه[١]

والجدير بالذكر أن هذا المصدر سماعي أورده في اللسان ثم عاد فقال التهلكة من النوادر المصادر وليست مما يجرى على القياس.

وتعرض أحمد للمصادر المشتقة من نكل فقال:

ونَـكَـلَ الْـمَـرْءُ بِـشَـخْـصٍ صَـنَـعَـا بـه صَـنِـيـعـاً لِـسِـوَاهُ مُـقـمِـعَـا
وذلـك الـصَّـنِـيـعُ قُـلْ فِـيـهِ نَـكَـالْ ومَـنـكَـلُ نَـكِـلَـة فِـيـمَـا يُـقَـالْ

وتعرض إلى حطة بوزن فعلة بالكسر فهي اسم هيأة من حطة كجلسة بقوله:

فـحِـطَّـةٌ مِـنْ حَـطَّ لَـمْ يَـكُ أسَـا جَـاعِـلُـهَـا كـجِـلْـسَـةٍ مِـن جَـلَـسَـا

أما الجموع فقد أورد الناظم منها عدة نماذج، بدأها بمناقشة كلمة «غلف» صرفياً ذاكراً الأقوال الواردة فيها، فقيل إن مفردها أغلف، وقيل إنها مثل رسل فخففت وواحدها على ذلك يكون غلاف يقول عند تفسير الآية ٨٨ من سورة البقرة ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾:

غُـلْـفٌ مُـغَـطَّـاةٌ مُـغَـشَّـاةٌ فَـلاَ تـفـقـهُ مَـا يَـقُـولُـهُ مَـن أُرْسِـلاَ
مُـفْـرَدُهَـا أَغْـلَـفُ قَـالُـوا هُـوَ مِـن أَغْلَف لِلشَّخْصِ الَّذِي لَمْ يُخْتَتَنْ
وقِيلَ غُلْفٌ مِثل رُسْلٍ فِي رُسُلْ فُـعْـلٌ تُـخَـفَّـفُ بِـهَـا قِـدْمـاً فُـعُـلْ
وَاحِـدُهَـا غِـلاَفٌ أَيْ قُـلُـوبُـنَـا أوعـيَـةٌ لِـلْـعِـلْـم نَـحْـنُ فِـي غِـنَـى

وفي آية أخرى يشير إلى جمع غاز مورداً لها جمعين أحدهما: هو الوارد في القرآن وهو: ﴿غزى﴾ والآخر ﴿غزاة﴾ وأشار الناظم إلى أن هذا الأخير هو المقيس، وعلى كل فالجمع الأول الوارد به الذكر مبين قال في اللسان:

---

(١) انظر الكشاف ج١، ص١١٦.

«ورجل غاز وقوم غزى مثل سابق وسبق[١] وراكع وركع وساجد وسجد».

وقد أورد الناظم هذين الجمعين قائلاً:

غُـزَى يُـوَحَّـدُ بِـغَـازٍ فَـيُـقَـالْ ... جُـمِـعَ مُـعْـتَـلاً كَـغَـيْـرِ ذِي اعْـتِـلاَلْ

وَجَـمْـعُـهُ غُـزَاةُ الْـمَـقِـيـسُ لَـهْ ... «فـي نَـحْـو رَامٍ ذو اطـراد فـعـلـه»[٢]

وفي النسب: تعرض لكلمة ﴿رِبِّيُّونَ﴾ التي أشار الشوكاني إلى أنها جمع ربى بكسر الراء وهو المنسوب إلى الرب وقيل الربى بكسر الراء وضمها منسوب إلى الربة بالكسر والفتح وهي الجماعة، وقيل هم العلماء وقال الخليل: الربيُّ الواحد من العباد الذين صبروا مع الأنبياء وهم الربانيون نسبوا إلى التأله والعبادة ومعرفة الربوبية[٣].

قال:

الـرُّبَّـةُ الْـجَـمَـاعَـةُ الـمـجْـتَـمِـعُـون ... فِـي طَـاعَـةٍ لِـرِبَّـةٍ يـنـتَـسِـبُـون

وَقِـيـلَ هٰـذِي نِـسْـبَـةٌ لِـلـرَّبِ لَـمْ ... تَـجِـيءْ عَـلَـىٰ قِـيَـاسِـهَـا الَّـذِي عُـلِـمْ

ونَـائِـبُ الْـفَـاعِـل عَـائِـدُ الـنَّـبِـي ... وَقِـيـلَ رِبِـيُّـونَ إذ لَـمْ يُـنْـسَـبِ

إِلَـىٰ نَـبِـيٍّ فِـي قِـتَـالٍ مَـوْتُ ... وسَـبَـبُ الـنُّـزُولِ هُـوَ صَـوْتُ

قـد سَـمِـعُـوه (مـن أَرَب الـعَـقَـبَـهْ) ... عَـضَّـدَ ذَلِـكَ وَذَا تـعـقَّـبَـهْ

● ومن المفسرين الشنقيطيين الذين اعتنوا بالتصريف ومباحثه، فناقشوا المسائل الصرفية بتعمق كبير وتوسع مع إيراد الشواهد الشعرية والتعرض لمذاهب أئمة اللغة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ونحن هنا نورد أمثلة من هذا الجانب:

يقول الشنقيطي عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا﴾ [النساء: ٣] أي: لا تجوروا في الحقوق الشرعية والعرب تقول: عال يعول إذا جار ومال وهو عائل ومنه قول أبي طالب:

---

(١) لسان العرب ج١٥ ص١٢٣.

(٢) هذا صدر بيت من ألفية ابن مالك الشهيرة وتمامه: (وشاع نحو كامل وكمله).

(٣) تفسير الشوكاني ص٣٢٠.

بِمِيزَانِ قِسْطٍ لاَ يَعِيلُ شَعِيرَةً   لَهُ شَاهِدٌ مِن نَفْسِهِ غَيْرُ عَائِلِ

أي غير مائل ولا جائر، كقول الآخر:

قَالُوا اتَّبعْنَا رَسُولَ الله واطَّرَحُوا   قَوْلَ الرَّسُولِ وعَالُوا فِي الْمَوَازِينِ

أما قول أحيحة بن الحلاج الأنصاري:

وَمَا يَدْري الْفَقِيرُ مَتَىٰ غِنَاهُ   وَمَا يَدْرِي الْغَنِيُّ مَتَىٰ يَعِيلُ

وقول جرير:

اللَّهُ نَزَّلَ فِي الْكِتَابِ فَرِيضَةً   لابْنِ السَّبِيلِ وَلِلْفَقِيرِ الْعَائِلِ

وقوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [الضحى: ٨]، فكل ذلك من العيلة وهي الفقر، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [التوبة: ٢٨].

فعال التي بمعنى جار واوية العين، والتي بمعنى افتقر ونفد ما عنده يائية العين، وقال الشافعي رحمه الله تعالى: معنى قوله تعالى: ﴿أَلَّا تَعُولُواْ﴾ أي: يكثر عيالكم من عال الرجل إذا كثر عياله، وقول بعضهم إن هذا لا يصح وأن المسموع أعال الرجل بصيغة الرباعي، على وزن أفعل فهو معيل إذا كثر عياله فلا وجه له لأن الشافعي من أدرى الناس باللغة العربية ولأن عال بمعنى كثر عياله لغة حمير، وقرأ الآية طلحة بن مصرف: ﴿أَلَّا تَعُولُواْ﴾، من أعال إذا كثر عياله على اللغة المشهورة[١] وترجع أيضاً في جمع التكسير فالهمزة في الدماء مبدلة من الياء التي هي لام الكلمة، وربما تثبت أيضاً في التثنية ومنه قول سحيم الرياحي:

وَلَوْ أَنَّا عَلَىٰ حَجَرٍ ذُبِحْنَا   جَرَي الدَّمَيَانِ بِالْخَبَرِ الْيَقِينِ

(١) أضواء البيان ج١، ص٤٨٨ وما بعدها، وانظر طاهر بن عاشور التحرير والتنوير ج٤، ص٢٢٨.

وكذلك تثبت لامه في الماضي والمضارع في حالة الاشتقاق، فتقول في الماضي دميت يده كرضي، ومنه قوله:

هَلْ أَنتِ إلاَّ أُصْبُعُ دمِيتِ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَقِيتِ

وتقول في المضارع يدمى بإبدال الياء ألفاً، كما في يرضى، ويسعى، ويخشى، ومنه قول الشاعر:

ولسْنَا عَلى الأَعْقَابِ تَدْمِي كُلُومُنَا وَلَكِنْ عَلَىٰ أَقْدَامِنَا تَقْطُرُ الدِّمَا

وتقول في الوصف أصبح جرحاً دامياً، والتحقيق أن لامه أصلها ياء، وقيل أصلها واو وإنما أبدلت ياء في الماضي لتطرفها بعد الكسر كما في قرى، ورضى، وشجى التي أصلها واويات اللام في الأصل، لأنها من الرضوان والقوة والشجو، وقال بعضهم الأصل فيه دمى بفتح الميم والله أعلم[1].

٣ - علم البلاغة:

من المعروف أن المفسر يحتاج إلى علوم البلاغة، ذلك أن مراعاة ما يقتضيه الإعجاز أمر لازم في التفسير فلا بد من إشارة إلى نواحي الجمال الفني في الآية وتحليلها.

ومن أجل ذلك كله كان التذوق الأدبي أمراً ضرورياً لكل من يتصدى للتفسير، ولا ينمو هذا التذوق إلا بعد طول معاناة لكلام البلغاء وقراءة آثارهم وحفظ مختارات منها واطلاع على نتاج النقاد ودراسة للشعر والرسائل والخطب واشتغال بالكتابة، قال الزمخشري: «من حق مفسر كتاب الله الباهر وكلامه المعجز أن يتعاهد بقاء النظم على حسنه والبلاغة على كمالها وما وقع به التحدي سليماً من القادح»[2].

---

(١) الأضواء ج١، ص١٦٧.

(٢) الدكتور محمد بن لطفي الصباغ: بحوث في أصول التفسير، ص٦٠، ط١ عام ١٤٠٨هـ، المكتبة الإسلامية ببيروت.

من هنا فإن المتتبع للمفسرين الشنقيطيين يلحظ اهتمامهم الواضح بفنون اللغة وعلوم البلاغة على سبيل المثال من معاني، وبيان، وبديع، ومن إبراز الصور الفنية في القرآن الكريم:

أولاً:

- من أمثلة التشبيه قول ابن أحمذي عند تفسير الآية: ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ ...﴾ [البقرة: ١٥١]، يقول:

وَقَـــوْلُـــهُ جَـــلَّ: ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا﴾ أَيْ: كَـمَـا أَنْـعَـمْـنَـا

هَـذَا الـرَّسُـولُ نِـعْـمَـةٌ قَـدْ شُـبِّـهَـتْ بِـنِـعَـمٍ مِـن قَـبْـلِـهَـا تَـقَـدَّمَـتْ[1]

- ومن الاستعارة قول ابن أحمذي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ﴾، يقول:

شَـبَّـهَ رَبِّـي سَـرَيَـانَ حُـبِّ الْـعِـجْـلِ فِـي قُـلُـوبِـهِـمْ بِـشِـرْبِ

الْـجِـلْـدِ لِـلـصَّـبْـغِ ولـكـنْ حُـذِفَـا الْـحُـبُّ فِـي الْـكَـلاَمِ لَـمَّـا عُـرِفَـا

فالاستعارة هنا هي تشبيه سريان حب العجل في القلوب بامتصاص الجلود للصبغ وتسربه في أجزائها وكلمة الحب قد حذفت هنا لوضوحها من السياق، فأصل الكلام: وأشربوا في قلوبهم حب العجل، ذلك أن تداخلهم حبه والحرص على عبادته كما يتداخل الثوب الصبغ كما قال الزمخشري[2].

- ومن الكناية قول ابن أحمذي:

ألا تـعُـولُـوا أي: تَـمِـيـلُـوا عَـالاَ يَـعُـولُ ذا الْـمِـيـزَانُ يَـعْـنِـي مَـالاَ

والـشَّـافِـعِـيُّ يَـقُـولُ ألاَّ يَـكْـثُـرَا عِـيَـالُـكُـم واعـتـرضَـتْـهُ الـبُـصَـرَا

بـأنـهُ بِـذلـك الْـمَـعْـنَـىٰ يُـقَـالْ أَعَـالَ بِـالْـهَـمْـزِ وَلاَ يُـقَـالُ عَـالْ

وَقَـدْ أُجِـيـبَ الاِعْـتِـرَاضُ ذَا بِـأَنْ يُـقَـالُ مِـنْ عَـالَ الْـعِـيَـالَ أي مَـأَنْ

---

(١) تحقيق مراقي الأواه: أحمد بن اباه ص١٠٦.

(٢) أحمد بن اباه ص١٠٧، والكشاف ج١، ص٨١ ط١٩٧٧.

لأن مـن عِـيَـالُـهُ قَـدْ كَـثُـرَا يَـلْـزَمُ أَنْ يَـعـولَـهُ والـكُـبَـرَا
كـلامُـهُـمْ عَـلـى الـسَّـدَادِ يُـحْـمَـلُ وَالـشَّـافِـعِـيُّ مَـثَـلاً لاَ يُـجْـهَـلُ
أنـظُـرْ هُـنَـا الأَحْـكَـامَ لابْـنِ الْـعَـرَبِـي وَالـنَّـسَـفِـي فَـهْـوَ عَـلَـىٰ ذَا الْـمَـذْهَـبِ
كَـأَنَّـهُ طَـرِيـقَـةَ الْـكِـنَـايَـهْ سـلـك فِـي تَـفْـسِـيـرِ هٰـذِي الآيَـهْ

ثانياً: أما البديع فقد أكثروا من المشاكلة، ومن أسلوب الحكيم والتضمين[1]، مثل قول ابن أحمذي:

وأبـلَـسَ الـرَّسْـمُ إذا تـغَـيَّـرَا عَـنْ حَـالِـهِ أنـشَـدَ بَـعْـضُ الـشُّـعَـرَا
يَـا صَـاحِ هَـلْ تَـعْـرِفُ رَسْـماً مُـكْـرِسَـا قَـالَ نَـعَـمْ أَعْـرِفُـهُ وَأَبْـلَـسَـا

ثالثاً: وأما علم المعاني فقد ورد في كلامهم كثيراً، فمن ذلك:

ـ الالتفات.

ـ خروج الخبر عن مقتضى الظاهر.

ـ الإيجاز... ولم يتسع المقام للإطناب في هذه المسائل المعروفة[2]، والإشارة على ذلك كافية.

ـ أما الصور الفنية:

فهي الأداة البيانية التي من خلالها تتجلى المعاني وتتكشف أمام العيون حتى يخيل إلى القارىء أو السامع، أن الموضوع المتحدث عنه حي ناطق ومجسد محسوس فهي تنقل الفكرة من المجرد إلى المجسم من الغائب إلى المشاهد، وسنسوق هنا تعريف بعض الدارسين المعاصرين ممن اهتم بالصورة الفنية في القرآن وعالجها كثيراً، فهي عنده التعبير بالصورة المتخيلة عن المعنى الذهني، والحالة النفسية وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية

(١) المصدر السابق ص١١٦.

(٢) المصدر السابق ص١٢٢.

عن الحادث المحسوس والمشهد المنظور، فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد، وإذا النموذج الإنساني شاخص حي[١].

ويبدو أن الصورة الفنية حاضرة في البيان القرآني حضوراً كبيراً يرى المرحوم سيد قطب أنها هي الأداة المفضلة في أسلوب القرآن، وهي القاعدة الأولى فيه للبيان، وهي الطريقة التي تتناول جميع الأغراض[٢].

وتوجد إشارات خفيفة للمفسرين على هذا اللون من البيان ولكنهم لم يقطعوا به أشواطاً ولم يتخذوه منهجاً، كما سيأتي توضيح ذلك قريباً ـ بحول الله تعالى ـ.

ولم يتأثر التفسير ببلاد شنقيط بمدرسة الإصلاح التي يتزعمها في مصر الشيخ محمد عبده ت١٩٠٩، مع صلتهم الوثيقة به فقد كان الشيخ محمد محمود بن التلاميذ الشنقيطي من العلماء المقربين للشيخ محمد عبده، وقد كلفه بتدريس اللغة العربية بالأزهر وبمهام علمية أخرى، وقد نوه ابنُ التلاميذ بهذا العلامة في بعض شعره يقول:

تَذَكَّرْتُ مَنْ يَبْكِي عَلَيَّ فَلَمْ أَجِدْ ... سِوى أُمَّهَاتِ الْكُتْبِ بَعْدِيَ أَوْ عِلْمِ
وَغَيرِ الْفَتَىٰ الْمُفْتِي مُحَمَّد عَبْدِه ... صَدِيقِي الصُّدُوقِ الصَّادِقِ الْوُدِّ وَالْكَلْمِ
وَعِضمِ عُلُومٍ كُنتُ أنزِلُهَا لَهُ ... إِذَا عَزَّ أَرْوَاهَا[٣] عَلَىٰ كُلِّ ذِي فَهْمِ[٤]

وأما التفسير البياني بالمعنى الحديث الذي رسمه الأستاذ أمين الخولي في كتابه: (التفسير معالمه حياته منهجه اليوم)، والذي وضع فيه بعض المؤلفات وألفت الدكتورة عائشة عبدالرحمن بعض المؤلفات كذلك على أساسه، مثل كتابها (مقال في الإنسان ـ دراسة قرآنية)، فلم أجد من تأثر به من المفسرين الشنقيطيين، ولا يدل هذا على تفريط هؤلاء في الدراسات

(١) التصوير الفني في القرآن السيد قطب ص٧١ .ط٤ دار الشروق ١٩٨٢.
(٢) المصدر السابق ـ وانظر أحمد بن اباه تحقيق جزء مراقي الأواه، ص١١١.
(٣) أرواها أي روايتها وحفظها.
(٤) بلاد شنقيط ص٢٧١.

اللغوية البيانية المتعلقة بالقرآن الكريم، فهم يهتمون بها أيما اهتمام، ولكن بطريقة مخالفة لهذه المدرسة التي قد تتعدى الحدود في نظر هؤلاء وتجعل النص القرآني كغيره من النصوص اللغوية الأخرى، فمنطق أصحاب الاتجاه الأدبي ينطلق من أن القرآن هو كتاب العربية الأقدس يجري عليه ما يجري على نصوصها ويطبق في دراسته ما يطبق على دراستها ويحتوي في مضمونه ما تحتوي عليه اللغة العربية بأساليبها المختلفة ففيها الرمز والأسطورة مثلاً[(١)]، وهذا يتنافى مع قدسية الإسلام وما يجب لله من صفات.

أما الشيخ محمد الأمين الشنقيطي الذي استقر بالحجاز وكان بالإمكان أن يتفاعل مع هذه المدرسة البيانية اللغوية باعتباره إماماً من أئمة اللغة، فإنه كان أبعد العلماء منها، فهو يرى منع المجاز في القرآن وألف في ذلك كتابه: «منع المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز»، وإذا كان الإمامان ابن تيمية وتلميذه ابن القيم[(٢)] يمنعان المجاز في اللغة، فإن التطبيق الصارم الذي التزم به الشنقيطي في منهجه القائم على منع المجاز في القرآن، لم يلتزم به شيخ الإسلام ابن تيمية ولا غيره بل إن ابن تيمية يقول: «نحن نقول بالمجاز الذي قام دليله وبالتأويل الجاري على نهج السلف، ولكننا ننكر ما خالف الحق والصواب وما فتح به الباب إلى هدم السنة والكتاب واللحاق بمحرفة أهل الكتاب»[(٣)].

وأما منهج التذوق الأدبي الذي ذكره الدكتور فهد الرومي وعرفه بقوله: «التذوق للقرآن الكريم حركة نفسية وانطباع ذاتي لا يملك الإنسان له رداً، ولا يستطيع له منعاً بل لا بد أن يظهر أثره في خلجات سامعه وسكناته شاء ذلك أم أبى»[(٤)].

---

(١) د. محمد أحمد خلف الله: الفن القصصي في القرآن ص١٧٩ وما بعدها ١٩٦٥ ـ القاهرة عن تطور منهج التفسير.

(٢) يقول د. صبري المتولي في كتابه جهود ابن القيم في التفسير إن آراء ابن القيم في كتابه الصواعق المرسلة والتي منع فيها المجاز: رجع عنها في كتابه الفؤاد المشوق إلى علوم القرآن ص٤٢٧.

(٣) ابن تيمية وجهوده في التفسير ١٥٩ نقلاً عن تطور منهج التفسير في موريتانيا ص١٤٣.

(٤) في أصول التفسير ص١١٠.

والذي بينه المرحوم سيد قطب بقوله: «إن في هذا القرآن سراً خاصاً يشعر به كل من يواجه نصوصه ابتداء قبل أن يبحث عن مواضيع الإعجاز فيها، إنه يشعر بسلطان خاص في عبارات هذا القرآن، يشعر أن هناك شيئاً ما وراء المعاني التي يدركها العقل، من التعبير، وأن هنالك عنصراً ما ينسكب في الحس بمجرد الاستماع إلى هذا القرآن»[١]. فهذا المنهج لم يسلكه أي مفسر شنقيطي بشكل واضح، وقد قال فهد الرومي: «وهذا التفسير شق سيد قطب طريقه وهو الذي وضع معالمه، وهو الذي قام به فلم يكد يعرف إلا به، ولم يكد يسلكه أحد من بعده»[٢].

وإذا كنا حكمنا على التفاسير الشنقيطية بأنها خلت من التفسير البياني ومن منهج التذوق الأدبي الذي رسم سيد طريقه، فإن هذا الحكم لا ينطبق على المناهج العلمية والمدارس القائمة في الوقت الحاضر لأنها تأثرت بالظلال تأثراً كبيراً، فلا يكاد يخلو عمل تفسيري من الاستشهاد بالظلال أو الاقتباس من أسلوبه، وبالتالي فأثره بارز على طلاب العلم في الوقت الحالي.

وأقرب تفسير للتفسير البياني هو حاشية البشير بن امباريكي الذي يسمى: «كشف الأستار عن بعض ما في الذكر من الإضمار» القائمة على الإضمار وهو نوع من المجاز، والاهتمام بالمحذوف قديم عند علماء العربية، واتفقوا على أن تعيينه لا يصح إلا بقرينة، قال ابن جني في الخصائص: «قد حذفت العرب الجملة، والمفرد، والحرف، والحركة، وليس شيء من ذلك إلا عن دليل عليه، وإلا كان فيه ضرب تكليف علم الغيب في معرفته»[٣].

وقد تعرض البشير لأنواع المحذوف في حاشيته هذه بقوله:

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب ج٦، ص٣٩٩.
(٢) فهد الرومي، بحوث في أصول التفسير ص١١٣.
(٣) الخصائص لابن جني، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٥/٣، والمشهداني ص١٦٣.

«. . . فشرعت مستعيناً بالله في حاشية تبين جل ما وقفت عليه من ذلك، من حذف عامل، أو معمول، أو شرط، أو قسم، أو جوابهما، أو عطف، أو معطوف عليه، أو صفة، أو موصوف، أو حرف نداء، أو جر، أو نفي إلا ما اتضح جداً. وربما أبين المبهم من «ما» أو «من» الشرطيتين والموصولتين وغيرهما، وكثيراً ما أذكر تفسير المطلق، وأبين مرجع ضمير خفي مرجعه بسبب بعده أو التباسه بغيره، وكذلك معمول خفى عامله بأحد السببين.

وأذكر في ترجمة كل سورة ما ظهر لي فيها من الأحكام الشرعية. . . ».

٤ ـ علم غريب القرآن:

أما علم غريب القرآن، وهو العلم المختص بتفسير الألفاظ الغامضة في القرآن الكريم وتوضيح معانيها بما جاء في لغة العرب، وكلامهم، فهو علم في غاية الأهمية ومعرفته ضرورية للمفسر لا بد منها، وإلا فلا يحل له الإقدام على كتاب الله تعالى، قال مالك بن أنس ـ رحمة الله تعالى عليه ـ: «لا أوتى برجل يفسر كتاب الله تعالى غير عالم بلغة العرب إلا جعلته نكالاً»[1].

وروى سعيد بن المسيب قال: بينما عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ على المنبر قال: أيها الناس ما تقولون في قول الله عز وجل: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾ [النحل: ٤٧]، فسكت الناس فقال شيخ من هذيل هي لغتنا يا أمير المؤمنين، التخوف: التنقص.

وخرج رجل فقال: يا فلان ما فعل دَيْنُك؟ قال: تخوفته، أي: تنقصته، فقال عمر: أتعرف العرب ذلك في أشعارها؟ قال: نعم، قال شاعرنا أبو كبير الهذلي يصف ناقة تنقص السير سنامها بعد اكتنازه:

تَخَوَّفَ الرَّحْلُ مِنْهَا تَامِكاً[*] قَرِداً[**] كَمَا تَخَوَّفَ عُودَ النَّبْعَةِ السَّفِنُ

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي ج١، ص٢٩٣، والإتقان للسيوطي ج١، ص١١٩.
(*) تَمَكَ السنام يَتْمَكُ وَيَتمِك تمكاً وتموكاً طال وارتفع وتزوى واكتنز. . التامك: السنام.
(**) والقَردُ محركة ما تمعط من الوبر والصوف ومعنى تمعط تطايَر.

فقال عمر يا أيها الناس عليكم بديوانكم شعر الجاهلية فإن فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم[(١)].

وقال ابن عباس - رضي الله عنهما -: ما كنت أدري ما قول الله تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩]، حتى سمعت ابنة ذي يزن الحميري وهي تقول: أفاتحك، يعني: أقاضيك، وقال أيضاً ما كنت أدري: ما فاطر السموات والأرض حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها يعني ابتدأتها[(٢)].

قال الزركشي وهذا الباب عظيم الخطر، ومن هنا تهيب كثير من السلف من تفسير القرآن وتركوا القول فيه حذراً أن يزلوا فيذهبوا عن المراد، وإن كانوا علماء في اللسان فقهاء في الدين[(٣)].

وكان هذا العلم: غريب القرآن يسمى بأسماء أخرى هي:

١ - **معاني القرآن**: وحيث جاء في كتب التفسير قال أهل المعاني فالمراد مصنفو الكتب في معاني القرآن كالزجاج، والفراء، والأخفش، وابن الأنباري[(٤)].

٢ - ويسمى أيضاً: **إعراب القرآن**، وليس المراد الإعراب المصطلح عليه عند النحاة.

٣ - كما يسمى **مجاز القرآن**، وليس المراد المجاز عند علماء البلاغة، وإنما المراد معاني ألفاظه، ولذلك فإن أبا عبيدة في كتابه مجاز القرآن يستعمل في تفسيره للآيات مجاز القرآن يقصد المعنى.

والمؤلفات في هذا العلم تنقسم من حيث الترتيب إلى ثلاثة أقسام:

---

(١) جامع البيان للطبري ج٧، ص٥٩٠، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج١٠، ص١١١.
(٢) البرهان ج١، ص٢٩٣.
(٣) الزركشي ج١٢، ص٢٩٥.
(٤) الإتقان ج١، ص١١٣.

ـ قسم رتب على أساس السور، وتبع هذه الطريقة أبو عبيدة في مجاز القرآن، وابن قتيبة...

ـ قسم رتب على حروف الهجاء، مثل السجستاني، والأصفهاني.

ـ قسم رتب على أساس قاموسي طريقه الباب لآخر الكلمة، والفصل لأولها.

والمؤلفات في غريب القرآن كثيرة جداً، قال السيوطي في الإتقان: «أفرده بالتأليف خلائق لا يحصون»[1]، وذكر الدكتور علي شواخ إسحاق في كتابه: «معجم مصنفات القرآن الكريم»[2] أكثر من مائة مصنف في غريب القرآن ولم يدع الحصر.

والشناقطة تبع لغيرهم في هذا الشأن، فقد أكثروا من التأليف فيه حتى بلغت المؤلفات في غريب القرآن أكثر من عشرين مؤلفاً كما أن تفاسيرهم الأخرى غلب عليها الجانب اللغوي إلى حد كبير، ونبدأ بذكر نماذج من كتب الغريب:

أولاً ـ المفردات: أحمدو بن أحمذي من الذين اعتنوا بتفسير السور متسلسلة مع اهتمام بالغ بالمفردات اللغوية، مع وضوح الموقف من القضايا الموجودة في الساحة التي يعيش فيها كموقفه من تفسير فواتح السور:

فَوَاتِحُ السُّوَرِ طُراً أَسْلَمُ مَا قِيلَ فِيهِنَّ الإلٰهُ أَعْلَمُ
يَجِبُ الإيمَانُ بِهَا وأَنَّهَا مِن رَبِّنَا إذْ هِيَ مِمَّا اشتَبَها[3]

وورد في قوله تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٤٩].

لِلخَيْرِ وَالشَّرِ البَلاَءُ يَأْتِي كِلاَهُمَا مُحْتَمَلٌ فِي هَاتِ

---

(١) نفس المصدر والصفحة.

(٢) ج٣، من ص٢٩٢ إلى ص٣٢٢ الرياض ١٤٠٣هـ.

(٣) بحث لنيل دبلوم في الدراسات العليا تحقيق مراقي الأواه للأستاذ أحمد ولد اباه ص١٤٨.

وَذَاكَ الاحْتِمَال قَدْ أَثَارَه أنهُمَا بِحَسَبِ الإِشَارَه[1]

وتحدث عن نزول السحر ابتلاء للناس، وأن الملكين علما ما ينجي في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾ [البقرة: ١٠٢] فقال:

المُنزِل السِّحْرَ ابْتِلاَءَ لِلأَنَام فمَن تجنَّبَ نَجَا مِنَ المَلاَمْ
ومَنْ بِهِ عَمِل إذ تَعلَّمَهْ أصْبَحَ بِالسِّحْرِ مِنْ أَهْلِ المشأَمَهْ
وَالمَلَكَان فَاعْلَمِ المُعَلِّمَان قَدْ بَيَّنَا ذٰلِك أَحْسَنَ بيَان[2]

وتكلم على قوله تعالى: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ﴾ [آل عمران: ١٤٠] من ناحية ضم القاف وفتحها في القراءتين:

الجُهْدُ مِن جُوع لَهُ قَرْحٌ أَتَىٰ بِالْفَتْحِ وَالضَّم وَبَعْضُ الْبُلَتَا(*)
يَرَاه إن فَتَحْتَهُ جُرحاً وَمَا قَدْ جَاءَ مَضْمُوماً يَرَاهُ أَلَمَا[3]

فذكر هنا القولين أن القرح يطلق على الجهد، وذكر التفريق وهو أنه بالفتح للجرح، وبالضم للألم.

وفسر قوله تعالى: ﴿فَٱنفِرُوا۟ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُوا۟ جَمِيعًا﴾ [النساء: ٧١] بمفترقين سرية، وفسر النفير بالنهوض قال:

ثُبَاتِ أَيْ مُفْتَرِقِينَ سَرِيَهْ بَعْدَ سَرِيَّةٍ وَنِعْمَ مَا هِيَهْ
وَقَوْلُهُ جَلَّ انْفِرُوا لَهُ انْهَضُوا إِلَى الْعِدَا لاَ تَفْشَلُوا لاَ تُعْرِضُوا[4]

ويتعرض أحياناً للغات العرب في كلامه في سورة النساء على لفظه: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا﴾ [النساء: ٨٥].

---

(١) نفس المصدر ص١٥٣.
(٢) نفس المصدر ص٦٣.
(*) الْبُلَتَاء: أي البلغاء.
(٣) نفس المصدر ص٢٠٢.
(٤) نفس المصدر ص٢٢١.

أَمَّا الْمُقِيتُ عِندَهُمْ فَهْوَ الْقَدِيرْ وَبِقُرَيْشٍ خَصَّهَا نَجْلُ جَرِيرْ

فذكر أن ابن جرير جعلها بمعنى قدير في لغة قريش فقط.

وقال في قوله تعالى ﴿كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣] فسرها بأنه مؤكد مقدر. قال:

كِتَاباً أَيْ مَكْتُوباً أَيْ مَفْرُوضاً وَذَاكَ قُلْ فِي شَأْنِهِ تَحْرِيضَا
مَوْقُوتاً أَيْ مُقَدَّرَ الأَوْقَاتِ فَلاَ تُضِيعُوا زَمَنَ الصَّلاَةِ

وأورد عنه في قوله تعالى: ﴿وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟﴾ [النساء: ١٣٥] أن اللَّيّ التَّحْريف والإعراض ترك الأداء.

(لَيُّ الشَّهَادَةِ بِتَحْرِيفٍ بَدَا وَأَمَّا الإِعْرَاضُ فَتَرْكُكَ الأَدَا)

ومن ردوده على المعتزلة في الكلام على (السيئة والحسنة) في قوله تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩] إذ حملوها على الطاعة والمعصية في فلسفتهم المعروفة فقال:

وَهَذِهِ الْحَسَنَةُ الْمُرَادُ بِهَا الْمُرَادُ تُعْرَفُ الأَضْدَادُ
وَلَوْ بِهَا أُرِيدَ مَا كَسَبْتَا مِنْ عَمَلٍ لَقِيلَ مَا أَصَبْتَا
فَالْقَدَرِيُّ سَاقِطُ التَّعَلُّقِ بِظَاهِرِ الآيَةِ إِذْ يَرَى الشَّقِي
أَنَّ الْمُرَادَ هَاهُنَا بِالسَّيِّئَةْ سَيِئَةُ الأَعْمَالِ بِئْسَتِ الْفِئَةْ[1]

ومن أساليبه تفسير الكلمة بالكلمة المجاورة لها فمثلاً في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا﴾ [النساء: ١١٢] أن الخطيئة الصغيرة أو ما لا عمد فيه فعلم أن الإثم ضدها.

---

(١) يقصد بالفئة المعتزلة، ورد عليهم النسفي حيث قال: وحمل المعتزلة السّيئة في الآية الثانية على الطاعة والمعصية تَعَسُّف بين، إلى آخر كلامه كما رد عليهم غيره - انظر تفسير النسفي ٢٣٨/١.

قال:

خَطِيئَةٌ صَغِيرَةٌ فِيمَا نُقِلْ أَوْ هِيَ مَا لاَ عَمْدَ فِيهِ إِذْ فُعِلْ
وَالإِثْمُ لاَ يَخْفَىٰ عَلَيْكَ بَعْدَ ذَا إِذَا عَلِمْتَ أَنَّ هٰذَا هَكَذَا

وأورد في قوله تعالى: ﴿وَإِن تُصْلِحُوا۟ وَتَتَّقُوا۟﴾ [النساء: ١٢٩].

فقال:

إِنْ تُصْلِحُوا بِالْعَدْلِ لاَ تَجُورُوا فَذلِكَ الْمَيْلُ لَكُمْ مَغْفُورُ

وأورد الأقوال في قوله تعالى: ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [النساء: ١٤١]، وذكر تفسيره بالتطهر والتمحيص والتمييز.

قال:

قَدْ فَسَّرُوا التَّمْحِيصَ بِالتَّطْهِيرِ كَذَاكَ بِالتَّمْيِيزِ عَنْ تَحْرِيرِ
وَالطَّبَرِي أَفْضَلُ مَنْ قَدْ فَسَّرَا فَسَّرَهُ بِالابْتِلاَ وَاقْتَصَرَا

وأورد في قوله تعالى: ﴿إذ تحسونهم بأمره﴾ [النساء: ١٥٢] أن الحس هو القتل. فقال:

الْحَسُّ بِالْقَتْلِ الذَّرِيعِ يَبْدُو وَأَمَّا الإِصْعَادُ فَقَالُوا الْبُعْدُ

وأورد في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ﴾ [البقرة: ١٨٨]. أن الأصل في الإدلاء إرخاء الدلو ثم استعمل في إرسال الحجة.

فقال:

(وَاعْلَمْ بِأَنَّ الأَصْلَ فِي الإِدْلاَءِ إِرْسَالُكَ الدَّلْوَ لِلاِسْتِقَاءِ
فَقِيلَ لِلْمُحْتَجِّ فِي الْخِصَامِ أَدْلَىٰ بِحُجَّةٍ إِلَى الْحُكَّامِ)

وأورد في قوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ أن الإنذار بمعنى التخويف والإعلام قال الناظم:

الإِنْـذَارُ الإِعْـلاَمُ مَـعَ الـتَّـخْـوِيـفِ وَلَـيْـسَ يُـخْـتَـشَـى سِوَى الْـحَـنِـيـفِ

وذكر عدة تفسيرات في كلمة إبليس فقال: إنها بمعنى بئس وندم وانقطعت حجته، وأبلس الرسم إذا تغير وذكر الشواهد الشعرية على ذلك فقال:

يُـقَـالُ أَبْـلَـسَ إِذَا مَـا يَـئِـسَـا وَلَـمْ يُـطِـقْ مِـن نَّـدَمٍ أَنْ يَـنْـبُـسَـا
وَقِـيـلَ بَـلْ مَـعْـنَـاهُ أَبْـلَـسَ الْـفَـتَـىٰ انْـقَـطَـعَـتْ حُـجَّـتُـهُ فَـسَـكَـتَـا
وَأَبْـلَـسَ الـرَّسْـمُ إِذَا تَـغَـيَّـرَا عَنْ حَالِهِ أَنْشَدَ بَعْضُ الشُّعَرَا
يَا صَاحِ هَلْ تَعْلَمُ رَسْماً مُكْرَسَا قَـالَ نَـعَـمْ أَعْـرِفُـهُ وَأَبْـلَـسَـا

وأورد في قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ﴾ [البقرة: ١٢٤]، معاني الابتلاء والكلمات فقال:

مَـعْـنَـى ابْـتِـلاَئِـهِ تَـعَـالَـى وَهْـوَ عَـا لِـمٌ بِـظَـاهِـرٍ وَبَـاطِـنٍ مَـعَـا
إِظْـهَـارُهُ لِـلْـخَـلْـقِ مَـا قَـدْ سَـبَـقَـا فِي سَابِقِ الْعِلْمِ الْقَدِيمِ ذِي الْبَقَا
وَالسَّوْقُ لِلسَّابِقِ فِي عِلْمِ الْعَلِي مَـعْـنَـاهُ هَـذَا الابْـتِـلاَ عِـنْـدَ عَـلِـي
وَالْـكَـلِـمَـاتُ مَـا بِـهِ الله اخْـتَـبَـرْ عِـبَـادَهُ مِـمَّـا نَـهَـىٰ وَمَـا أَمَـرْ
فَـقَـامَ بِـالأَمْـرَيْـنِ لِـلْـعَـلاَّمِ عَـلَـى الـدَّوَامِ أَحْـسَـنَ الْـقِـيَـامِ
وَقِيلَ أَيْضاً هِيَ خَمْسٌ فِي الْجَسَدْ وَخَـمْـسٌ الـرَّأْسُ بِـهَـا قَـدِ انْـفَـرَدْ
مَـضْـمَـضَـةٌ اسْـتِـنْـشَـاقُ السِّـوَاكُ فَـرْقٌ وَقَـصُّ شَـارِبٍ كَـذَاكَ
وَالْـجَـسَـدِيَّـاتُ الْـخِـتَـانُ قَـلْـمُ ظُـفْـرٍ وَنَـتْـفُ إِبْـطٍ يَـنْـضَـمُّ
كَـذَاكَ الاسْـتِـنْـجَـاءُ حَـلْـقُ الْـعَـانَـهْ أَعَـانَـنَـا الـلَّـهُ كَـمَـا أَعَـانَـهْ
أَوْ هِـيَ ثَـلاَثُـونَ مِـنَ الـسِّـهَـامِ سِـهَـامُ الإِسْـلاَمِ لَـدَى الإِمَـامِ
سَـلِـيـلُ عَـبَّـاسٍ فَـفِـي بَـرَاءَهْ الـتَّـائِـبُـونَ لانْـتِـهَـاءِ الآيَـهْ
كَذَاكَ فِي الأَحْزَابِ إن الْمُسْلِمِين لِـقَـوْلِـهِ سُـبْـحَـانَـهُ وَالـذَّاكِـرِيـنَ
وَالْـمُـؤْمِـنُـونَ وَالْـمَـعَـارِجِ أَتَـتْ بَـيْـنَـهُـمَـا عَـشْـرٌ فَـتَـمَّـتْ وَانْـتَـهَـتْ
وَبَـعْـضُ مَـنْ فَـرَطَ قَـدْ جَـعَـلَـهَـا مَـنَـاسِـكَ الْـحَـجِّ بِـذَا أَوَّلَـهَـا

فانظر كيف استطرد كل هذه المعاني والنقول المفيدة في النظم وقد يتعرض للاشتقاق يقول في اشتقاق كلمة إبليس:

وَأَبْلَسَ الْوَجْهُ إِذَا مَا كَسَفَا مُكْتَئِباً وَقَوْلُ رُؤْبَة كَفَى
وَحَضَرَتْ يَوْمَ خَمِيسِ الأَخْمَاسْ وَفِي الْوُجُوهِ صُفْرَةٌ وَإِبْلاَسْ[1]
إِبْلِيسُ مِنْ هَذِي الْمَعَانِي اشْتَقَّا حُقَّتْ لَهُ وَهُوَ لَهَا قَدْ حُقَّا[2]

وقد احتوى النظم على معارف كثيرة لم يتسع لنا المقام بتتبع أكثر مما أوردنا نرجو الله التوفيق والتسديد.

⇦ ثانياً ـ نماذج من نظم أمين بن عبدالحي:

من كتابه في غريب القرآن، وهو من الذين رتبوا حسب السور:

بدأ بمقدمات ثم شرع في الغريب، يفسر المفردات ويتتبع الغريب تتبعاً جميلاً، فمثلاً في تفسير سورة الفاتحة بعد ذكر عدد الآيات، بدأ بتفسير الحمد، وفسره بالثناء.

قال:

الحَمْدُ لِلَّهِ الثَّنَاءُ بِالْجَمِيلْ كَذَلِكَ الْجَمِيعُ بِالْوَصْفِ الْجَزِيلْ

وفسر العالمين فقال:

وَالْعَالَمُونَ مَا سِوَى الْوَدُودِ مِن كُلِّ حَادِثٍ لَدَى الْوُجُودِ

وفسر قوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ﴾ [البقرة: ٧].

وَالْخَتْمُ الانطِبَاعُ، وَالْغِشَاوَهْ فَهْيَ غِطَاءُ الْقَلْبِ بِالْعَدَاوَهْ

---

(١) الإبلاس: القنوط.

(٢) مراقي الأواه تحقيق أحمد بن اباه ص١٥٢ (مرقونة).

وفسر قوله تعالى: ﴿ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًاۗ﴾ [آل عمران: ٤١].

وَالـرَّمْـزُ: الإشَـارَةُ الْـمُـبَـيِّـنَـهْ ... لِـطَـلَـبٍ أَوْ كِـلْـمَـة مُـعَـيَّـنَـهْ

وفسر قوله تعالى: ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ﴾ [النساء: ٣٤].

قال:

وَحَـافِـظَـاتُ الْـغَـيْـبِ هُـنَّ الـلاَّتِـي ... يَـحْـفَـظْـنَ الأَمْـوَالَ مِـنَ الـزَّوْجَـاتِ

وَيَـحْـفَـظْـنَ الـنَّـفْـسَ حِـيـنَ الـرَّجُـلِ ... غَـابَ فَـذَلِـكَ أَسَـاسُ أَوَّلِ

وَحِـفْـظِ بَـيْـتِـهَـا وَمَـنْ سِـوَاهَـا ... فَـنَـاشِـز إِيَّـاكَ أَنْ تَـلْـقَـاهَـا[(١)]

وفسر قوله تعالى: ﴿لَا تُحِلُّوا شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ بأنه معالم دين الله قال:

شَـعَـائِـرَ الـلَّـهِ مَـعَـالِـمُ عَـلَـىٰ ... دِيَـانَـةٍ وَجُـلُّـهُـمْ قَـدْ حَـظَـلا[(٢)]

وفسر قوله: ﴿وَيَنْعِهِۦٓ﴾ الإنعام بنضج الثمار:

وَيَـنْـعِـهِ لِـمَـا مِـنَ الـثِّـمَـارِ ... طَـابَ وَجَـادَ عَـن ذَوِي الأَبْـصَـارِ

وأورد عند قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِۖ﴾ المعاني الواردة في المائدة، فقال[(٣)]:

مَـائِـدَةٌ يَـحْـصُـلُ مِـنْـهَـا الْـقُـوتُ ... وَأَنَّـهَـا دُهْـنُ وَخُـبْـزٌ حُـوتُ

وأورد في تفسير: ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾[(٤)] أنها بمعنى المعذبين. قال ـ رحمه الله ـ:

---

(١) الافتتاح والامتنان في تفسير ألفاظ القرآن لأمين بن عبدالحي ص١٣ شركة الكتب الإسلامية انواكشوط.

(٢) م س ١٥.

(٣) المرجع السابق ص١٦.

(٤) المرجع السابق ص١٨.

وَالْغَابِرُ السَّاكِنُ فِي الْعَذَابِ مُنقَطِعُ الأَسْبَابِ وَالأَنْسَابِ

وفسر قوله تعالى: ﴿إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾ بأنها الصفير والتصفيق، قال:

أَمَّا الْمُكَاءُ فَهُوَ الصَّفِيرُ يَفْعَلُهُ الصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ
مِنَ الْجَهَالَةِ وَلِلتَّصْدِيَةِ تَصْفِيقُ جَاهِلٍ أَمَامَ الْكَعْبَةِ

وفسر قوله تعالى: ﴿أُوْلُوا الطَّوْلِ﴾ بالمعذرون فقال:

والطَّوْلُ فَهُوَ الْمَالُ وَالْمَعْذُرُ مَنْ ظَلَّ يَعْتَذِرُ أَوْ يَسْتَغْفِرُ[١]

وأورد في تفسير: ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ [هود: ٧٠] ففسر التوجس بالإضمار قال ـ رحمه الله ـ:

وَأَوْجَسَ الْمَرْءُ إذا مَا أَضْمَرَا مَخَافَةً فِي نَفْسِهِ وَاعْتَبَرَا[٢]

وأورد في تفسير ﴿مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ﴾ [يوسف: ٨٨] بأنها درهم مغشوشة، قال ـ رحمه الله ـ:

بِضَاعَةٌ مُزجِيَةٌ أَيْ دَرَاهِمَا مَغْشُوشَةٌ بَائِعُهَا قَدْ أَثِمَا[٣]

وأورد في تفسير: ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ﴾ [إبراهيم: ٥٠] قوله:

أَمَّا السَّرَابِيلُ سَرَاوِيلُ وَهِيَ مِن قُطْرَانٍ أَسْوَدٍ فَانتَبِهِ[٤]

وفسر قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي﴾ [الحجر: ٨٧] بأنها الفاتحة:

(١) المرجع السابق ص٢٣.
(٢) المرجع السابق ص٢٥.
(٣) المرجع السابق ص٢٧.
(٤) نفس المرجع ص٢٨.

سَبْعٌ مِنَ الْمَثَانِي فَهْيَ الْفَاتِحَهْ   قَدْ نَزَلَتْ بِمَرَّتَيْنِ وَاضِحَهْ[(١)]

وأورد عند قوله تعالى: ﴿إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾ [النحل: ٥٣] قال:

ويجئرون يرفعون الصوتا   لربنا والأمر فات فوتا[(٢)]

وأورد في تفسير كلمة «الأبّ» من قوله تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾﴾ [عبس: ٣١]، بأنه: ما تأكله الأنعام:

وَالأَبُّ مَا تَأْكُلُهُ الأَنْعَامُ   ثُمَّ بِهِ تَنْتَفِعُ الأَنَامُ[(٣)]

وأورد في تفسير: «عسعس» بأنها: بمعنى أقبل وأدبر، قال:

كذاك عَسْعَسَ إِذَا مَا أَقْبَلاَ   بِظُلْمَةٍ عِنْدَ جَمِيعِ الْفُضَلاَ
ثُمَّ بِهَا أَدْبَرَا[(٤)]   ....

ثم فسر قوله تعالى: ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المطففين: ٢٣] بالسرير، فقال:

عَلَى الأَرَائِكِ عَلَىٰ سَرِيرِ   مِن جلَّةٍ وَهْوَ مِنَ الْحَرِيرِ[(٥)]

وأورد في تفسير قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾﴾ [الانشقاق: ١] أنه بمعنى الافتراق، قال ـ رحمه الله ـ:

والانشِقَاقُ فَهْوَ الافْتِرَاقُ   إِذَا السَّمَا أَمَرَهَا الْخَلاَّقُ[(٦)]

---

(١) المرجع السابق ص٣٠.
(٢) المرجع السابق ص٣٠.
(٣) نفس المرجع ص١٠٩.
(٤) نفس المصدر والصفحة.
(٥) نفس المصدر ص١١٠.
(٦) نفس المصدر ص١١١.

وأورد في قوله تعالى: ﴿وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾﴾ [الفجر: ٩] أن «جابوا» بمعنى: قطعوا، قال:

هَـذَا وَجَـابُـوا قَـطَـعُـوا صُـخُـورَا بِـوَادِهِـمْ وَسَـكَـنُـوا دُهُـورَا[1]

⇦ ثالثاً ـ المختار بن أحمد محمود وتفسير مفردات القرآن:

لقد ألف الشيخ المختار كتاباً في غريب القرآن سماه: «الترجمان والدليل» نهج فيه نهج الراغب الأصفهاني في كتابه: «مفردات القرآن».

ونأخذ الآن نموذجين من هذا الكتاب.

النموذج الأول: (سبغ) ﴿سَٰبِغَٰتٍ﴾ من باب قعد سبوغاً، إذا طالت من أعلى إلى أسفل، فهي سابغة قال تعالى: ﴿أَنِ اعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ﴾ [سبأ: ١١]، وسبغت النعمة سبوغاً: اتسعت وتمت وفاضت، وأسبغها الله ـ تعالى ـ أتمها وأفاضها، قال تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠][2].

النموذج الثاني: (صدف) صدف عنه: أعرض، وبابه: ضرب، قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٧]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ [الأنعام: ٤٦] أي: يعرضون، والصدف بفتحتين، وبضمتين: منقطع الجبل المرتفع، وقرىء بهما قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾ [الكهف: ٩٦].

ونكتفي بهذين النموذجين للتدليل بهما على طريقة المصَنِّف في معجمه هذا.

⇦ رابعاً ـ نماذج من نظم محمد عبدالله بن الإمام الجكني، لمقدمة ابن جزي في تفسير غريب القرآن الكريم:

وهو مرتب حسب الحروف المعجمية.

---

(١) نفس المصدر ص١١٤.

(٢) الترجمان والدليل ج١، ص٢٥٨.

ومما أورده في حرف الألف في معاني الآية: آية العبرة كالبرهان، وجملة أيضاً من القرآن[(١)].

فالآية بمعنى العبرة مثل قوله تعالى: ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ [مريم: ٢١]، والآية بمعنى الجملة من القرآن مثل قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾ [آل عمران: ٧].

وأورد مثلاً في تفسير كلمة (الأيكة): أنها الشجر الملتف، فقال:

أَيْكَةُ الْغَيْضَةُ يَا بَحَّاثُ مَتَاعُ بَيْتٍ أَيْضاً الأَثَاثُ[(٢)]

وأورد في تفسير: (الأجاج، والأرائك): أن الأجاج بمعنى المر، والأرائك بمعنى السرر، فقال:

أُجَاجٌ الْمُرُّ الأَرِيكَةُ السَّرِيرْ وَجَمْعُهُ أَرَائِكٌ قَالَ الْخَبِيرْ

وأورد في شرح (ولو بسط): أنها بمعنى وسع الرزق، فقال:

وَبَسَطَ الرِّزْقَ إِذَا مَا وَسَّعَهْ نَسْأَلُهُ الرَّحْمَةَ فَضْلاً وَالسَّعَهْ[(٣)]

وهذا منهجه، وهو أنه يفسر كل كلمة بمعناها العام لتشمل أي مكان وردت فيه من القرآن. و«بسط» هذه في حرف الباء حسب ترتيبه الهجائي.

وأورد تفسير كلمة بلاء حيث وردت مثل قوله تعالى: ﴿وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٤٩] بأن البلاء الاختبار والعذاب، فقال:

بَلاَءُ الْعَذَابُ الاِخْتِبَارُ حَيْثُ وَرَدْتْ[(٤)]....

---

(١) نظم العلامة: محمد عبدالله بن الإمام الجكني لمقدمة ابن جزي لغريب القرآن، إعداد الطالب: المصطفى بن الزين، بحث لنيل الإجازة المتريز، السنة الجامعية ٩٥/٩٦، ص٨.

(٢) نفس المصدر ص٢٨.

(٣) نفس المصدر، ص٣١.

(٤) نفس المصدر، ص٣٢.

وأورد معنى: (بينات)، وقرر أنها ترد بمعنى البراهين، وهي واردة في القرآن الكريم مثل: ﴿ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ﴾ في أكثر من سورة، فقال:

وَبَــيِّـنَــاتٌ أَيْ بَــرَاهِــنُ مُــبِــيــنْ ... يُــبِــيــنُ غَــيْــرَهُ وَهُــوَ مُــسْــتَــبِــيــنْ[١]

وقد وردت «مبين» كثيراً في القرآن، مثل: ﴿كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾.

وتارة يذكر الأقوال الواردة في الكلمة مثل كلمة: ﴿مُّبْلِسُونَ﴾، فسر المبلس بالساكت المنقطع الحجة، وذو البأس، وبالنادم فقال:

والْمُبْلِسُ السَّاكِتُ حَيْثُ انْقَطَعَتْ ... حُــجَّــتُــهُ وَقِــيــلَ ذُو بَــأْسٍ ثَــبَــتْ
وَقِــيــلَ هُــوَ الــنَّــادِمُ الــحَــزِيــنُ ... أَعَــاذَنَــا مِــنْ حَــالِــهِ الْــمَــتِــيــنُ[٢]

وفي حرف التاء يذكر ـ كما تقدم ـ: معاني المفردات، أو يذكر الأقوال فيما فيه أقوال، فمثلاً في كلمة (تباب) مثل: ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ﴾، ومثل ما تفرع من تصاريف الكلمة: (تب، تبت) فسرها بالخسران والهلاك، فقال:

تــبــاب الــخــســران تــبــت خــســراً ... تــبــاب الــهــلاك فــيــمــا ســطــرا[٣]

وتارة يذكر معنى الكلمة بحسب حالها يقول إن كانت بالضمة فهي بمعنى كذا، وإن كانت بالفتح فهي بمعنى كذا، فمثلاً في حرف الجيم كلمة (جناح) بالفتح والضم يذكر معناهما فيقول:

جَــنَــاحُ لِــلــطَّــائِــرِ وَالإِنْــسَــانِ ... وَضَــمُّــهُ لِــلإِثْــمِ وَالْــعِــصْــيَــانِ[٤]

فجعل الفتح للعضو المعروف، والضم للإثم، كما هو معروف أيضاً.

---

(١) نفس المصدر، والصفحة.
(٢) نفس المصدر، ص٣٧.
(٣) نفس المصدر، ص٣٩.
(٤) نفس المصدر، ص٤٢.

ونجده ـ مثلاً ـ في حرف الحاء يذكر معنين لكلمة: «حميم» مثل قوله تعالى: ﴿مَآءً حَمِيمًا﴾ و ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾، فيأتي بها على المعنيين قائلاً:

حَمِيمٌ الصَّدِيقُ وَالْمَاءُ الَّذِي   بِهِ الْحَرَارَةُ تَقُومُ فَخُذِ[1]

وفي حرف الدال ـ مثلاً ـ يتعرض لمعنى: ﴿دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ﴾:

دَكَّتِ الأَرْضُ دَكَّتِ الْجِبَالُ   حَتَّىٰ اسْتَوَتْ بِوَجْهِهَا قَدْ قَالُوا[2]

ونجده في حرف الذال يذكر معاني: «الذكر» في القرآن الكريم، قال ـ رحمه الله ـ:

والذِّكْرُ لِلشَّرَفِ وَالْقُرْآنِ   وَضِدُّ نِسْيَانٍ وَبِاللِّسَانِ[3]

وذكر في حرف الزاي تفسير كلمة: «زلفى»، و «أزلفت»، وما بمعناهما فقال:

زُلْفَىٰ لَهُ قُرْبَىٰ وَهَذَا أَزْلَفَا   قَرُبَ وَالسَّاعَاتُ قَالُوا زُلْفَىٰ[4]

وذكر في حرف الظاء عدة معان للظلم بأنه: معنى الكفر، والعصيان، والتعدي على الناس، والنفس، وللتهمة وللتحقيق. قال:

الْكُفْرُ وَالْعِصْيَانُ وَالتَّعَدِّي   عَلَى الْوَرَىٰ وَالنَّقْصُ جَا ذَا الْعَدُّ
لِتُهْمَةٍ جَاءَ وَلِلتَّحْقِيقِ   ظَنٌّ وَجَا لِوَضْعِهِ الْحَقِيقِي

وأورد في حرف الكاف في معنى: «كفر»، و «كفّر»، قال ـ رحمه الله ـ:

كَفَرَهُ جَحَدَهُ وَسَتَرَا   زَرَعَ وَالْغُفْرَانُ فِيهِ كَفَرَا

---

(١) نفس المصدر، ص٥٠.
(٢) نفس المصدر، ص٥٩.
(٣) نفس المصدر، ص٦٠.
(٤) نفس المصدر، ص٦٧.

وأورد في حرف اللام معنى اللغو ومعنى اللؤلؤ، فقال:

اللُّغْوُ فُحْشٌ بَاطِلُ الْكَلاَمِ وَاللُّؤْلُؤُ الْجَوْهَرُ يَا غُلاَمُ[1]

وأورد في معنى الضير، والضر، والضراء أنه بمعنى السقم وشبهه، قال:

الضَّيْرُ لِلضُّرِ وَلِلضَّرَّاءِ سُقْمٌ وَشِبْهُهُ بِلاَ امْتِرَاءِ[2]

وذكر في حرف العين مجموعة المعاني الواردة في العدل أنها ضد الجور، والفدية، والمثل، وضد الفاسق. قال ـ رحمه الله تعالى ـ:

الْعَدْلُ ضِدُّ الْجَوْرِ وَالْفِدْيَةُ وَالْـ مَثَلْ وَضِدُّ فَاسِقٍ كَمَا نُقِل[3]

وأورد في حرف القاف في معنى القدوس، والتقديس، فقال:

تَقْدِيسٌ التَّنْزِيهُ وَالتَّعْظِيمُ قُدُّوسٌ الْمَنْزِلُ الْعَظِيمُ[4]

وأورد في معنى: «سحيق» في حرف السين أنها: بمعنى البعيد، والسعير ـ أعاذنا الله من ذلك! ـ:

سَحِيقٌ الْبَعِيدُ وَالسَّعِيرُ جَهَنَّمٌ أَعَاذَنَا الْقَدِيرُ[5]!

ثم تحدث في حرف الهاء عن معنى: «هادوا» و «هاد»، فقال:

وَهَادَ تَابَ وَالَّذِينَ هَادُوا تَهَوَّدُوا عَنِ الصَّوَابِ حَادُوا[6]

---

(١) نفس المصدر، ص٧٦.
(٢) نفس المصدر، ص٩٠.
(٣) نفس المصدر، والصفحة.
(٤) نفس المصدر، ص١٠٢.
(٥) نفس المصدر، ص١١١.
(٦) نفس المصدر، ص١١٥.

ثم ذكر في حرف الواو تفسير كلمة: «وجه» والأقوال الواردة فيها، قال ـ رحمه الله تعالى ـ:

وَجْـهٌ لِـجَـارِحَـةٍ أَوْ لِـجِـهَـة وَلِلأَخِيرِ جَاءَ لَفْظُ الْوَجْهَةِ
وَجْهُ النَّهَار صَدْرُهُ وَالْوَعْدُ إِنْ أُطْلِقَ لِلْخَيْرِ يَكُون يَا فطن[1]

وفي حرف السين نجده يفسر كلمة «السعي» بمعنيين هما: العمل، والإسراع، قال:

وَالسَّعْيُ لِلْمَشْيِ وَلِلإِسْرَاعِ وَعَمَلٌ أَتَىٰ بِلاَ نِزَاعِ[2]

وفي بعض الأحيان يجمع بين الكلمتين المشتركتين في الاشتقاق ذاكراً معنى كل منهما، مثل كلامه على معنى كلمة: «وزيرا» و «وزراً»، قال:

وَزِيراً الْمُعِينُ ثُمَّ الْوِزْرُ الْمَلْجَأ لِلوحي مَعْنَى يُؤثَرُ[3]

ثم ذكر معاني كلمة «الوحي» فأورد أنها بثلاثة معان، قال:

هُوَ الإِشَارَةُ وَالإِلْهَامُ كَذَا كَلاَمُ الأَمْلاَكِ لِلأَنْبِيَا خُذَا

ثم إنه يذكر في بعض الأحيان الشكل تصريحاً مثل كلامه على كلمة: «كسفاً»، قال:

الكِسْفُ جَمْعُ كِسْفَة أَيْ قُطْعَةٍ وَشَكْلُهُ بِضَمَّةٍ أَوْ كَسْرَه

ملحوظة: ومن الملاحظة هنا أني في هذه النماذج لم ألتزم ترتيب

---

(١) نفس المصدر، ص١١٦.
(٢) نفس المصدر، ص١١٠.
(٣) نفس المصدر، ص١١٩.

الحروف كما التزمه المؤلف، وإنما ذكرت بعض الأمثلة للمثال، لا بحسب ترتيب الحروف.

وينبغي أن يلاحظ أن النظم لا يذكر جميع أوجه الكلمة، لأنه نظم لمقدمة مختصرة، فمثلاً عندما يتحدث عن معنى الحكمة يذكر بعض معانيها. ففي حرف الحاء يذكر معنى الحكمة فيقول:

«الحكمة العقل وفقه الدين».

ومن المعلوم أن الحكمة تطلق على أكثر من هذا في القرآن الكريم.



الاتجاه اللغوي في تفسير أضواء البيان

يتضح لدارس تفسير أضواء البيان إحاطته الواسعة بفنون اللغة، وأساليبها، واستعمالاتها وامتلاكه لقواعد اشتقاقها وتصريفها، ومعرفة غريبها، وقدرته الفائقة على توجيه القراءات القرآنية، وحل مشاكل الإعراب الخفية[١].

يقول الشنقيطي في مقدمته:

«وقد تضمن هذا الكتاب أموراً زائدة على ذلك[٢] كتحقيق بعض المسائل اللغوية، وما يحتاج إليه من صرف، وإعراب، والاستشهاد بشعر العرب، وتحقيق ما يحتاج إليه من المسائل[٣]، فالشنقيطي يتعرض للاشتقاق اللغوي، وأصل الكلمات القرآنية التي يريد تفسيرها ففي تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٥٢]، يقول

---

(١) وقد وضع الطالب: يعقوب حسن المشهداني رسالة بعنوان:
تحقيقات الشنقيطي الدلالية في أضواء البيان قال فيها بالحرف الواحد إن الشنقيطي قد قام بـ٥٥١ واحد وخمسون وخمسمائة تحقيقاً دلالياً في مجمل حصته من الكتاب وعقد فصلاً كاملاً لنماذج من هذه التحقيقات الدلالية وهذه الرسالة عمل جاد بيّن فيها الطالب جوانب عديدة من اهتمام الشنقيطي واستعماله للدلالات وأبان فيها سعة أفقه وإمامته في اللغة فهي على صغر حجمها كثيرة الفائدة.

(٢) الإشارة ترجع إلى بيان القرآن بالقرآن وبيان الأحكام الفقهية في جميع الآيات المبينة.

(٣) أضواء البيان ج١ ص٦٨.

ومعنى الآية تحسونهم: تقتلونهم وتستأصلونهم وأصله من الحس الذي هو الإدراك بالحاسة فمعنى حسه أذهب حسه بالقتل ومنه قول جرير:

تُحِسُّهُمُ السُّيُوفُ كَمَا تَسَامىٰ   حَرِيقُ النَّارِ فِي أَجَمِ الْحَصِيدِ

وقول الآخر:

حَسَسْنَاهُمُ بِالسَّيْفِ حَسًّا فَأَصْبَحَتْ   بَقِيَّتُهُمْ قَد شُرِّدُوا وَتَبَدَّدُوا

وقول رؤبة:

إِذَا شَكَوْنَا سَنَةً حَسُوساً   تَأْكُل بَعْدَ الأَخْضَرِ الْيَبِيسَا

يعني السنة الحسوس: السنة المجدبة التي تأكل كل شيء[1].

❑ ❑ ❑ ❑

---

(١) الأضواء ج١، ص٣٥٠.

الترادف عند الشنقيطي

والترادف عند الشنقيطي حقيقة قائمة، ونأخذ نموذجاً واحداً من المباحث التي تعرض فيها له. قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ [الواقعة: ٩٥، ٩٦] الحق أصل يدل على إحكام الشيء وصحته، وقد استعمل في القرآن الكريم على عشر معان.

واليقين أصل يدل زوال الشك، وقد استعمل في القرآن الكريم بمعنى العلم والموت[١].

ومفهوم الترادف عند القدماء أن يسمى الشيء الواحد بأسماء مختلفة نحو: السيف، المهند، الحسام. وعند المحدثين: أن الترادفات ألفاظ متحدة المعنى وقابلة التبادل بينها في أي سياق.

أما الشنقيطي فيرى في تحليل حق اليقين أن الحق هو اليقين مجيزاً فيه إضافة الشيء إلى نفسه لأن ذلك أسلوب عربي معروف، وأضاف الشنقيطي أن هذا الأسلوب موجود في القرآن الكريم بكثرة، واستدل بقوله تعالى: ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ [يوسف: ١٠٩]. قال: والدار هي الآخرة، وقوله: ﴿وَمَكْرَ السَّيِّئِ﴾ [فاطر: ٤٣] هو السيء بدليل قوله بعده: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٣]، وبقوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦] والحبل هو الوريد، وقوله: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ

---

(١) تحقيقات الشنقيطي الدلالية المشهداني ص٧، والقاموس المحيط ج٤، ص٢٧٨.

﴿ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥]، قال والشهر هو رمضان.

والشيخ الشنقيطي باستدلاله هذا، لم يجعل الأمر بين الراجح والمرجوح وإنما جزم بوجوده في القرآن الكريم، قبل الاستشهاد عليه بكلام العرب، ومنه قول امرىء القيس:

كَبِكْرِ الْمُقَانَاةِ البَيَاضِ بِصُفْرَةٍ غَذَاهَا نَمِيرُ الْمَاءِ غَيْرُ الْمُحَلَّلِ

قال والبكر هي المقاناة، والشنقيطي هنا تابع في هذا لسلفه من المفسرين، مثل الطبري، وابن عطية، والرازي[١].

وهذه المسألة، أعني الترادف في اللغة مسألة خلاف، فيرى البعض أن من الألفاظ ما يحصل فيها اشتراك في معنى واحد معين، ولكنها تختلف في المعاني التي هي دون ذلك المعنى، ذلك أن الكلمات مواد أولية تتشكل بحسب أنظمة سياقية مختلفة لتقدم مفهوماً محدداً، وقد أشار صاحب مراقي السعود إلى أصل هذا الخلاف بقوله:

وَذُو التَّرَادُفِ لَهُ حُصُولُ وَقِيلَ لاَ ثَالِثُهَا التَّفْصِيلُ[٢]

قال المشهداني في بحثه: ولسنا متفقين معه رحمه الله فيما ذهب إليه من وجود الترادف في اللغة والقرآن معاً.. ثم يقول: وأحسن من أزال الغموض والإشكال وأبعد احتمال القول بوجود الترادف في اللغة والقرآن الكريم ابن جني بقوله: الغرض من الإضافة إنما هو التعريف والتخصيص، والشيء دائماً يعرفه غيره، لأنه لو كانت نفسه تعرفه لما احتيج أبداً أن يعرف بغيره، فقد طبق رحمه الله قوله هذا على الآية التي نحن بصددها فقال: فإن الحق هنا غير اليقين، وإنما هو خالصه، وواضحه، فجرى مجرى إضافة البعض إلى الكل.

---

(١) الطبري ج٧، ص٢١٤، وابن عطية ج١٤، ص٢٧٩، والرازي: ج٢٩: ٢٠٤.

(٢) مراقي السعود إلى مراقي السعود ص١٢٤ مكتبة ابن تيمية ١٤١٣هـ.

أما الجرجاني فقد فصل القول في اليقين وجعله على ثلاث مراتب: علم اليقين، وعين اليقين، وحق اليقين، وهو أعلى المراتب وقال: فعلم كل عاقل الموت علم اليقين، فإذا عاين الملائكة فهو عين اليقين، فإذا ذاق الموت فهو حق اليقين.

وأخيراً يقول المشهداني هنا مرجحاً عدم الترادف: ونحن أمام ثنائية حق اليقين نحرص على الابتعاد عن القول بوجود الترادف في القرآن الكريم خاصة، لأن كل حرف فيه له مخرجه ومدلوله وآثاره في السياق، وما المعاني إلا ثمرة الألفاظ، فإذا اختلفت المباني اختلفت المعاني بالضرورة، لأن لكل لفظة ضمن السياق قوة خاصة بها لا تغني عنها كلمة أخرى وإن كانت قريبة منها أو معطية جزءاً من معناها(١).

ويقول الشنقيطي عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١]: ليست لفظة «من» في هذه الآية للتبعيض كما يزعمه النصارى افتراء على الله، ولكن «من» هنا لابتداء الغاية، يعني أنه مبدأ ذلك الروح الذي ولد به عيسى حياً من الله تعالى، لأنه هو الذي أحياه به، ويدل على أن «من» هنا لابتداء الغاية قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣] أي: كأينا مبدأ ذلك كله منه جل وعلا، ويدل لما ذكرنا ما روي عن أبي بن كعب أنه قال: خلق الله أرواح بني آدم ثم أخذ عليهم الميثاق، ثم ردها إلى صلب آدم وأمسك عنده روح عيسى عليه السلام، فلما أراد خلقه أرسل ذلك الروح إلى مريم، فكان منه عيسى عليه السلام، وهذه الإضافة للتفضل لأن جميع الأرواح من خلقه جل وعلا، ولقوله تعالى: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ﴾ [الحج: ٢٦]، ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا﴾ [الشمس: ١٣]، وقيل قد يسمى من تظهر الأشياء العجيبة على يده

---

(١) المشهداني ص٨ (مرقونة)، وهذه المسألة اللغوية التي تعددت فيها الآراء، واختلط فيها علم الكلام بمباحث اللغة، ناقشها أستاذنا الفاضل الدكتور أحمد أبو زيد نقاشاً علمياً شاملاً، في كتابه «مقدمة في الأصول الفكرية للبلاغة وإعجاز القرآن» من ص٣٧ إلى ٤٨ دار الأمان بالمغرب ١٤٠٩هـ فليرجع إلى تلك الدراسة من أراد استقصاء هذه المسألة.

روحاً، ويضاف إلى الله فيقال هذا روح الله أي: من خلقه، وكان عيسى يبرىء الأكمه، والأبرص، ويحيي الموتى بإذن الله، فاستحق هذا الاسم، وقيل سمي بذلك لنفخة جبريل المذكورة في (الأنبياء، التحريم) والعرب تسمي النفخ روحاً، لأنه ريح تخرج من الروح، ومنه قول ذي الرمة:

فَقُلْتُ لَهُ ارْفَعْهَا إِلَيْكَ وَأَحْيِهَا بِرَوْحِكَ وَاقْتُتْهُ لَهَا قيتة قَدْرا[1]

وعلى هذا القول فقوله: روح معطوف على الضمير العائد إلى الله تعالى الذي هو فاعل «ألقاها»، قاله القرطبي[2].

فالشنقيطي اتخذ من معنى حرف الجر (من) مدخلاً للمعنى الذي رجح تفسير الآية عليه واستأنس بورود الروح في بيت ذي الرمة للمعنى الذي فسرها عليه القرطبي.

- وفي تفسير الشنقيطي لكلمة (جزءاً) في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ۝١٥﴾ [الزخرف: ١٥]، يقول: قال بعض العلماء جزءاً أي: عِدلاً ونظيراً، وقال بعض العلماء أي: ولداً، وقال بعض العلماء: جزءاً يعني البنات، وذكر ابن كثير أن الجزء النصيب، والذي يظهر لي أن قول ابن كثير رحمه الله غير صواب، وقول قتادة ومن وافقه أن المراد بالجزء العدل، والنظير، الذي هو الشريك غير صواب أيضاً، أما كون المراد بالجزء في الآية الولد، وكون المراد بالولد خصوص الإناث فهذا هو التحقيق في الآية وإطلاق الجزء على الولد في هذا الوجه لأمرين:

- **أولهما:**

أن العرب تطلق الجزء مراداً به البنات فيقولون أجزأت المرأة إذا ولدت البنات، وامرأة مجزئة أي: تلد البنات، قالوا ومنه قول الشاعر:

إِنْ أَجْزَأَتْ حُرَّةٌ يَوْماً فَلاَ عَجَبٌ قَدْ تُجْزِىءُ الْحُرَّةُ الْمِذْكَارُ أَحْيَانَا

---

(١) ديوان ذي الرمة شرح التبريزي، دار الكتاب العربي ص٤٨٧ بدون تاريخ.
(٢) أضواء البيان ج١، ص٤٩٥.

● **الوجه الثاني:**

ـ وهو التحقيق إن شاء الله ـ أن المراد بالجزء في الآية الولد، وأنه إنما أطلق عليه اسم الجزء لأن الفرع كأنه جزء من أصله، والولد كأنه بضعة من الوالد، كما لا يخفى، وأما كون المراد بالولد المعبر عنه بالجزء في الآية خصوص الإناث فقرينة السياق دالة عليه دلالة واضحة، لأن جعل الجزء المذكور لله تعالى من عباده هو بعينه الذي أنكره الله إنكاراً شديداً وقرع مرتكبه تقريعاً شديداً في قوله تعالى: ﴿أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِالْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ [الزخرف: ١٦، ١٧][١].

وأنكر الزمخشري إطلاق الجزء مراداً به البنات، وقال إن هذه اللغة كذب وافتراء على العرب، قال في الكشاف في الكلام على هذه الآية الكريمة: ومن أبدع التفاسير تفسير الجزء بالإناث وادعاء أن الجزء في لغة العرب اسم للإناث.

وما هو إلا كذب على العرب ووضع مستحدث منحول، ولم يقنعهم ذلك حتى اشتقوا منه.

أجزأت المرأة ثم صنعوا بيتاً وبيتاً.

وقال ابن منظور في اللسان: وفي التنزيل العزيز: ﴿وَجَعَلُوا لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا﴾ قال أبو إسحاق يعني به الذين جعلوا الملائكة بنات الله تعالى وتقدس عما افتروا الخ[٢].



(١) أضواء البيان ج٧، ص٢١٥ مع حذف بعض الجمل، والتصرف في بعض العبارات، تصرفاً طفيفاً.

(٢) المصدر السابق.

الفصل الثالث

الاتجاه الفقهي في تفسير الشنقيطيين

لقد أشرت في الفصل الثاني من الباب الأول في هذه الدراسة أن المدرسة العلمية الشنقيطية تقوم على الفقه بالدرجة الأولى، ولا تهتم بجانب من جوانب المعرفة أكثر من اهتمامها بالفقه، والمفسرون تنطبق عليهم هذه القاعدة، فهم جميعاً فقهاء قبل أن يكونوا مفسرين، ولكنهم في أعمالهم التفسيرية يتفاوتون في العناية بإيراد الأحكام المستنبطة من الآيات، فنجد محمد بن محمد سالم المجلسي مثلاً في كتابه الريان يتناول الأحكام الفقهية المستنبطة من الآيات بالعرض والتحليل، ونجد محمد يحيى بن سليمة اليونسي يخصص كتابه «التيسير والتسهيل لمعرفة أحكام التنزيل» لآيات الأحكام بالدرجة الأولى، ثم جاء بعدهما الشيخ محمد الأمين وقد تناول آيات الأحكام التي فسرها بالعرض والتوجيه والمناقشة والمقارنة بين آراء العلماء، معتمداً ما يراه راجحاً، غير متقيد بمذهب، ولا متعصب لأحد، وقد أكثر في تفسيره من إيراد القواعد الأصولية حتى إنه لا يخلو بحث فقهي غالباً من وضعه على محك الأصول.

كما نجد الشيخ محمد عمر حوية في تفسير سورة النجم قد أكثر من المسائل الفقهية والتفريعات الجزئية.

أما المفسرون الآخرون فقد تعرضوا للأحكام الفقهية في بعض الأحيان إلا أنهم لم يكونوا بدرجة هؤلاء في هذه العناية بالمسائل الفقهية.

• منهج ابن سليمة اليونسي في تفسير آيات الأحكام:

لقد كان تفسير اليونسي مختصراً جداً، لا يكثر البحث في المسائل التي يوردها وطريقته تتمثل في أنه يحصر الآيات المتعلقة بالأحكام في باب من الأبواب ثم يتناول بعضها بالتفسير، والتوضيح، ولم يتعرض للبعض الآخر، وتفسيره في بعض الأحيان يكون مختصراً اختصاراً شديداً لا يجد القارىء له أي مبرر، ففي كتاب الإيمان ذكر «٤٨ آية» من القرآن تتناول الإيمان تعرض لتفسير بعضها وترك البعض الآخر.

فمن الآيات التي تعرض لتفسيرها قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ فقال أي واحد وذكر معنى الصمد فقال: والصمد هو المقصود في الحوائج.

وتعرض لتفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧] قائلاً: أي الله تبارك وتعالى هو خالق أفعالنا(١) كما فسر قوله تعالى ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٣٥﴾ [الطور: ٣٥] فاستدل بهذه الآية على وجود الخالق فإن المخلوق لا بد له من خالق غير مخلوق، وإلا حصل الدور، إن قيل إنه خلق نفسه، أو التسلسل إن قيل خلقه غيره، وهذا محال عقلاً في كلتا الحالتين(٢) ثم فسر قول الله سبحانه وتعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ بقوله أي عند سؤال الملكين في القبر.

أما كتاب الطهارة فقد تعرض لبعض الآيات الواردة في أحكام الطهارة وعلق عليها تعليقاً خفيفاً من ذلك ذكره لقوله تعالى: ﴿لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ﴾ [النساء: ٤٣] أي مسافرين فلكم التيمم إن لم تجدوا ماء.

وقال الشافعي: الصلاة أي المساجد فللجنب المرور بها، وله المكث عند داود، ومعنى لامستم مسستم وقيل جامعتم ففي نقض الوضوء بمس

---

(١) المذكرة «ص٣١».

(٢) المذكرة «ص٣٢».

النساء قولان النقض لمالك وفاقاً للشافعي وعدمه لأبي حنيفة، وفي الذكر روايتان عن مالك وفاقاً للشافعي في النقض وللحنفية في عدمه(١)، ثم في نهاية بحثه أحال على كتاب الحطاب وهو محمد بن محمد بن عبدالرحمن الرويعيني المعروف بالحطاب واسم كتابه مواهب الجليل، وهو من كتب العمدة المالكية يقول النابغة القلاوي في نظم (بو طليحية):

وَاعْتَمَدُوا حاشيةَ الْحَطَّابَ واختصرت بزبدة الأوطاب

أما كتاب الصلاة فقد أورد فيه تسع عشرة آية، مفسراً بعضها، تفسيراً يستهدف الأحكام لا غير، معرجاً على خلاف الأئمة في بعض الأحكام، مثل خلافهم في تكبيرة الإحرام، وأن الجمهور قالوا به، وما خالفهم إلا شذوذ، ومثل قضاء الصلاة المتروكة عمداً وأن الجمهور يوجبون قضاءها وتعرض في أثناء تفسيره لسترة المصلي، والآذان، ومواقيت الصلاة، وستر العورة، واستقبال القبلة إلى غير ذلك(٢).

أما الزكاة فقد أورد خمس آيات توجب الزكاة في الأموال، وزكاة الفطر، وهنا أورد هذا القول ولم يشر إلى القول الذي يقول إنها واجبة بالسنة، وتعرض كذلك لأحكام الصيام، والاعتكاف، كما تعرض لآيات الحج، والإحصار، ومحل الهدى، والاستطاعة، والرمي، وصيد البر للمحرم، وأحكام أخرى كثيرة.

ثم تعرض للأطْعِمَة فبدأ بقول الله تعالى ﴿خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ قال: أي ما فيه منفعة من كل ما لا نص فيه، بخلاف ما فيه ضرر، كالتبغ فإنها حرام بلا خلاف، بين المحققين والمتصوفين، ولم يجزها إلا أهل الأهواء.

أما اليمين فقد سرد فيه مجموعة من الآيات بادئاً بقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٤] أي تكثروا التعرض للحلف

(١) المذكرة «ص٣٥».
(٢) التيسير والتسهيل «ص٤٠» الرسالة.

به، لأن تبروا وقيل: لا تجعلوا الحلف به مانعاً من فعل بر حلفتم لا تفعلوه فافعلوا وكفروا اليمين وقال تعالى: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ﴾ دليل على البر بالبعض وشرع من قبلنا شرع لنا.

وتعرض بإيجاز شديد لآيات الجهاد ثم خلص منه إلى باب النكاح فأورد فيه كثيراً من الآيات وتعرض لمجموعة من الأحكام، وكل ذلك على سبيل الإشارة، ففي تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾ قال كنكاح المريض، عند الجمهور، وروى عن مالك نكاح بنت الزوج إذا لم تكن في حجره ولم يربها لظاهر الآية ثم رجع عنه، ومال إليه ابن عبدالسلام، كما في غاية الأماني على الرسالة، وقال: إلغاء المفهوم لرعي الخلاف غرور، بل الظاهر رعيه كما في السنهوري، في باب اليمين، ووافقه إمام الحرمين، في عدم إلغائه وفي بهجة النفوس لعبدالله بن أبي جمرة جواز تقليد هذا القول عند الضرورة فانظر، عند حديث: الدين يسر، وفي نشر البنود في كتاب التعادل والتراجيح، أنه يجوز تقليد كل قول لمجتهد عند الضرورة ولو رجع عنه[١] أما البيع فقد بدأ بقول الله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟﴾ وبعد أن تكلم عليها أورد قول الله تعالى ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥] قال يؤخذ منها منع بيع الغرر والضرر، كالغش والنجش والتفرقة بين الأم وولدها، إذا لم يتغير، وتلقى الركبان... الخ.

أما في باب القضاء فقد تعرض لتفسير قول الله تعالى: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ وقال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ قال: كفراً حقيقياً إن تعمد ذلك قاله الجويني والد إمام الحرمين... الخ.

ثم قال: واعلم أن قول خليل فحكم بقول مقلده، خاص بما اختلف فيه المجتهدون كالحكم بالشاهد واليمين، في المال عند مالك، والحكم بالغالب عنده، والحكم بشهادة السماع، والنقل، وشهادة الصبيان في دمائهم عند مالك، ويمين الاستحقاق، والقضاء، وكون أجرة القاسم بالرؤوس أو

(١) التيسير والتسهيل «ص٥١» المذكرة ونشر البنود ج٢ ص٢٧٤.

بالأنصباء روايتان عن مالك وهكذا، والشهادة على الخط المشهور جوازها انظر المواق.

أما ما فيه نص كرد المغصوب، وكل باطل، فالحاكم فيه حاكم بكتاب الله عز وجل، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ وكالحكم بميراث الولد من أبيه، وضده، وغير ذلك، مما هو مجمع عليه في كتاب الله عز وجل، وكالحكم بإرث الجدة، وبنت الابن السدس مع البنت، فإنه حكم بسنة رسول الله ﷺ، ولا قول للمجتهد حيث يوجد نص مجمع عليه كما تقدم.

ويجب على المجتهد والمقلد الحكم بالكتاب والسنة كما في التسولي عند قول ابن عاصم:

تَمْيِيزُ حَالِ الْمُدَّعِي وَالْمُدَعىٰ عَلَيْهِ جُمْلَةَ الْقَضَاءِ جَمَعَا

من أول نظمه، ولا يجوز بالتخمين كما في التسولي عند قوله:

ويُسْتَحَبُّ الْعِلْمُ فِيهِ وَالْوَرَعْ مَعْ كَوْنِهِ الأُصُولَ لِلْفِقْهِ جَمَعْ

وأنه لا بد للمشاور من معرفة مشاوره والتخمين الحكم بلا نظر، وهو الحكم بالفروع دون معرفة أدلتها، من الكتاب، والسنة، والإجماع، لدليل منهما، والقياس على أصل فيهما، ولا يجوز لجاهل بهما حكم ولا فتوى ولا يغرك حال أكثر أهل الزمن، فإن العلم قد رفع ولم يبق إلا في أمكنة قليلة واتخذ الناس رؤساء جهالاً فأفتوا بغير علم فضلوا، وأضلوا[1].

وهكذا نلاحظ أن ابن سليمة حاول أن يقدم آيات الأحكام بأسلوب مختصر وحاول في بداية تفسيره وفي نهايته أن يودعه قواعد علمية مفيدة للفقيه، ففي البداية وضح معنى الأحاديث الواردة في ذم تفسير القرآن بالرأي مبيناً أن الرأي المذموم هو الذي يتبع صاحبه هواه أما من فسره بأقوال

(١) يشير إلى حديث الترمذي إن الله لا يقبض العلم.. الترمذي ١٣٩/٤ الطبعة الأولى، الفكر، وانظر التيسير والتسهيل «ص٦١» الرسالة.

العلماء أو بأدوات العلوم فذلك جائز، كما أضاف أن المفسر لا يشترط فيه أن يبلغ درجة الاجتهاد، إلا إذا استنبط الأحكام باجتهاده، أما إذا كان يعرف أحكاماً فقهية، واستشهد لصحتها بنصوص قرآنية، فهذا أمر لا بأس به، ثم قال وكل وصف مدحه الله في القرآن فهو واجب غالباً نحو: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢﴾ وكل وصف ذمه الله في القرآن فهو حرام غالباً، نحو: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠﴾ الآية، وبعد ذلك تعرض لصيغ الأمر في القرآن والسنة ودلالته...

أما نهاية هذا التفسير فقد أودعه كثيراً من الفوائد والمسائل المستنبطة من النصوص القرآنية مثل الإجماع الذي يعتبر خرقه مخرجاً عن الملة وذلك بأن كان إجماعاً على الضروري من الدين أما غير ذلك فخرقه حرام، لكنه لا يخرج من الملة، ومن المسائل التي ذكرها في القرعة قائلاً: إن دليلها من القرآن، قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ ونشير أخيراً إلى أن جل مراجع ابن سليمة في تفسيره لآيات الأحكام إنما هي كتب الفقهاء المالكيين مثل كتاب الرسالة، وخليل، والمواق، والحطاب، والبناني، والتسولي، وكتب الشيخ سيد المختار الكنتي.. الخ.

• منهج الشنقيطي في العناية بآيات الأحكام:

أما الشيخ محمد الأمين الشنقيطي فقد كان الاهتمام بالفقه من بين الاهتمامات التي كانت تغلب عليه وهو يؤلف تفسيره أضواء البيان، فقد قال في مقدمة تفسيره: واعلم أن من أهم المقصود بتأليفه أمران، فذكر أولهما ثم قال: والثاني: بيان الأحكام الفقهية في جميع الآيات المبينة بالفتح في هذا الكتاب، فإننا نبين ما فيها من الأحكام وأدلتها من السنة وأقوال العلماء في ذلك ونرجح ما ظهر لنا أنه الراجح بالدليل من غير تعصب لمذهب معين ولا قول قائل معين لأننا ننظر إلى ذات القول لا إلى قائله لأن كل كلام فيه مقبول ومردود إلا كلامه ﷺ... الخ[١].

(١) الأضواء (٦٨/١).

فمن الآيات التي استرسل في تفسيرها وبيان الأحكام المتعلقة بها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] فبين أحكام نصب الخليفة بقوله: قال مقيده عفا الله عنه من الواضح المعلوم من ضرورة الدين أن المسلمين يجب عليهم نصب إمام تجتمع به الكلمة وتنفذ به أحكام الله في أرضه...

ثم بعد ذلك بين الأمور التي تنعقد بها الإمامة وهي:

١ ـ تعيين الرسول ﷺ فلو نص على أحد لوجب تباعه والذين قالوا إن أبا بكر نص عليه جعلوها من هذا القبيل.

٢ ـ اتفاق أهل الحل والعقد على بيعته.

٣ ـ أن يعهد إليه الخليفة الذي قبله.

٤ ـ أن يتغلب على الناس بالقوة[١].

ثم بين شروط الإمام الأعظم فأولها:

١ ـ **القرشية**: وضعف الخلاف الذي أورده القرطبي لمخالفته الأحاديث الصريحة ولكن النصوص دلت على أن تقديمهم مشروط بإقامة الدين فإذا لم يقيموه، فغيرهم ممن يقيم الدين أولى منهم.

٢ ـ **الذكورة**: ولا خلاف في ذلك بين العلماء لقول رسول الله ﷺ: «**لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة**».

٣ ـ **كونه حراً**: ولا خلاف في هذا بين العلماء.

٤ ـ **أن يكون بالغاً**: فلا تجوز إمامة الصبي إجماعاً.

٥ ـ **أن يكون عاقلاً**: فلا تجوز إمامة المجنون ولا المعتوه وهذا لا خلاف فيه.

٦ ـ **أن يكون عدلاً**: فلا تجوز إمامة الفاسق.

---

(١) الأضواء (١٢٢/١).

٧ ـ **أن يكون ممن يصلح أن يكون قاضياً** من قضاة المسلمين مجتهداً يمكنه الاستغناء عن استفتاء غيره.

٨ ـ **أن يكون سليم الأعضاء.**

٩ ـ **أن يكون ذا خبرة ورأي حصيف** بأمر الحرب وتدبير الجيوش وسد الثغور وحماية المسلمين وردع الأمة والانتقام من الظالمين.

١٠ ـ **أن يكون ممن لا تلحقه رقة في إقامة الحدود**: ولا فزع من ضرب الرقاب[١] ثم ساق الأدلة الواردة في السنة على هذه الشروط وعلى وجوب السمع والطاعة لأولي الأمر ثم ساق مسألة ذات أهمية عظمى وهي حكم نصب خليفتين كلاهما مستقل دون الآخر وتعرض للأقوال الواردة في ذلك.

ووصل إلى أن القول الصحيح هو قول جماهير العلماء بأنه لا يجوز تعدد الأئمة ورد على الكرامية القائلة: بجواز ذلك مطلقاً، وأورد القول بالتفصيل وهو أنه إذا تباعدت الأقطار جاز، وذكر من قال بذلك من العلماء.

ولم ينكر هذا القول ولعله لا يستبعده، ثم تعرض لحكم عزل الإمام نفسه وأشار إلى الخلاف الوارد في ذلك، ورجح أن ذلك إن كان لمصلحة جاز، كما فعل الحسن بن علي ـ رضي الله عنهما ـ أما إذا كان لغير مصلحة فلا يجوز[٢].

ومن الموضوعات التي تعرض لها بالتفسير ذاكراً الأحكام والأدلة وآراء العلماء فيها ميتة البحر بجميع أنواعها، مثل كلب البحر، وخنزيره، وسلحفاته، والضفادع، واستشهد بمجموعة من النصوص الفقهية المالكية وغيرها، ومن الحيوانات التي بحث حكمها الضفادع وبعد أن ناقش أقوال العلماء فيها قال: قال مقيده عفا الله عنه:

---

(١) الأضواء (١/١٢٩).

(٢) الأضواء (١/١٣٤).

والظاهر: منع أكل الضفادع مطلقاً، لثبوت النهي عن قتلها عن النبي ﷺ فقد قال أبو داود في سننه: حدثنا محمد بن كثير أخبرنا سفيان عن ابن أبي ذؤيب عن سعيد بن خالد عن سعيد بن المسيب، عن عبدالرحمن بن عثمان: أن طبيباً سأل النبي ﷺ عن ضفدع يجعلها في دواء فنهاه النبي ﷺ عن قتلها.

وقال النسائي في سننه أخبرنا قتيبة، قال: حدثنا ابن أبي فديك عن ابن أبي ذؤيب عن سعيد بن خالد عن سعيد بن المسيب عن عبدالرحمن بن عثمان أن طبيباً ذكر ضفدعاً في دواء عند رسول الله ﷺ فنهى رسول الله ﷺ عن قتله. . .

ثم يقول الشيخ الأمين: وما ذكرنا من تحريم الضفدع مطلقاً قال به الإمام أحمد وجماعة وهو الصحيح من مذهب الشافعي، ونقل العبدوي عن أبي بكر الصديق وعمر وعثمان وابن عباس ـ رضي الله عنهم ـ أن جميع ميتات البحر كلها حلال إلا الضفادع قاله النووي[١].

ومن المسائل التي تعرض لها في تفسير آيات الأحكام مسألة وقوع الطلاق الثلاث في لفظ واحد عند قول الله تعالى:

﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ﴾ فقد أورد كثيراً عن الأدلة والآراء وناقش فيها جميع الأدلة النقلية والعقلية ومال فيها إلى قول الجمهور الذين يلزمون الطلاق الثلاث بدفعة واحدة، وهذا البحث استغرق أكثر من أربعين صفحة[٢] تعرض فيها اللعان هل هو فسخ أو طلاق؟ وتضمن هذا البحث مباحث نفيسة تتعلق بالبحث في نص الأحاديث، من حيث دلالتها على الموضوع المستشهد بها فيه واستخدم الشيخ القواعد الفقهية استخداماً رائعاً. كما تعرض للأحاديث من حيث السند، فتعرض لرجال الحديث من حيث ثقتهم وعدالتهم واتصال السند إلى غير ذلك من الأمور.

(١) الأضواء (١/١٦٥).
(٢) الأضواء (١/٢٢١ ـ ٢٦٨).

ولم يهمل الشعر العربي فقد استشهد بقول الشاعر:

لاَ تُخَاصِمْ بِوَاحِدٍ أَهْلَ بَيْتٍ فَضَعِيفَانِ يَغْلِبَانِ قَوِيًّا

مشيراً إلى أن الراوي قد يتقوى بغيره وأن الحسن إذا تابعه معتبر يصير صحيحاً لغيره وهكذا.

وقد تعرض الشيخ رحمه الله لقول الله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ..﴾ فبعد أن تكلم على توجيه القراءات وبعض المسائل النحوية قال: وفي المراد باللغو في الآية أقوال أشهرها عند العلماء اثنان:

القول الأول: أن اللغو ما يجري على لسان الإنسان من غير قصد كقوله: «لا والله» و «بلى والله». وذهب إلى هذا القول الشافعي، وعائشة في إحدى الروايتين عنها، وروى عن ابن عمر وابن عباس في أحد قوليه، والشعبي وعكرمة في أحد قوليه، وعروة بن الزبير، وأبي صالح، والضحاك في أحد قوليه، وأبي قلابة والزهري، كما نقل عنهم ابن كثير وغيره.

القول الثاني: أن اللغو هو أن يحلف على ما يعتقده فيظهر نفيه، وهذا هو مذهب مالك بن أنس وقال: إنه أحسن ما سمعه في معنى اللغو، وهو مروي أيضاً عن عائشة، وأبي هريرة، وابن عباس في أحد قوليه، وسليمان بن يسار، وسعيد بن جبير، ومجاهد في أحد قوليه، وإبراهيم النخعي في أحد قوليه، والحسن، وزرارة بن أبي أوفى وأبي مالك، وعطاء الخراساني، وبكر بن عبدالله، وأحد قولي عكرمة، وحبيب، ويحيى بن سعيد، وربيعة، كما نقله عنهم ابن كثير.

والقولان متقاربان، واللغو يشملهما، لأنه في الأول لم يقصد عقد اليمين أصلاً، وفي الثاني لم يقصد إلا الحق والصواب، وغير هذين من الأقوال تركته لضعفه في نظري، واللغو في اللغة: هو الكلام بما لا خير فيه ولا حاجة إليه، ومنه حديث: «**إذا قلت لصاحبك والإمام يخطب يوم الجمعة أنصت فقد لغوت أو لغيت**»[1].

---

(١) الأضواء (٢/٢٠).

ومن الآيات التي تناولها قوله تعالى: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾﴾ [البقرة: ٢٤١] ظاهر هذه الآية الكريمة أن المتعة حق لكل مطلقة على مطلقها المتقي سواء طلقت قبل الدخول أم لا؟ فرض لها صداق أم لا؟ ويدل على هذا العموم قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾﴾، مع قوله: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ الآية، وقد تقرر في الأصول أن الخطاب الخاص به ﷺ، يعم حكمه جميع الأمة، إلا بدليل على الخصوص، كما عقده في مراقي السعود بقوله:

وَمَا بِهِ قَدْ خُوطِبَ النَّبِيُّ تَعْمِيمُهُ فِي الْمَذْهَبِ السَّنِيُّ

وهو مذهب الأئمة الثلاثة، خلافاً للشافعي، القائل: بخصوصه به ﷺ، إلا بدليل على العموم، كما بيناه في غير هذا الموضع.

وإذا عرفت ذلك، فاعلم أن أزواج النبي ﷺ مفروض لهن، ومدخول بهن وقد يفهم من موضع آخر أن المتعة لخصوص المطلقة قبل الدخول، وفرض الصداق معاً لأن المطلقة بعد الدخول تستحق الصداق، والمطلقة قبل الدخول وبعد فرض الصداق تستحق نصف الصداق، والمطلقة قبلهما لا تستحق شيئاً، فالمتعة لها خاصة لجبر كسرها، وذلك في قوله تعالى: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ﴾، ثم قال: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ فهذه الآية ظاهرة في هذا التفصيل ووجهه ظاهر معقول، وقد ذكر تعالى في موضع آخر ما يدل على الأمر بالمتعة للمطلقة قبل الدخول وإن كان مفروضاً لها، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ لأن ظاهر عمومها يشمل المفروض لها الصداق وغيرها. وبكل واحدة من الآيات الثلاث أخذ جماعة من العلماء والأحوط الأخذ بالعموم، وقد تقرر في الأصول أن النص الدال على الأمر مقدم على الدال على الإباحة، وعقده في مراقي السعود بقوله:

وَنَـاقِـلٌ وَمُـثْـبِـتٌ وَالآمِـرُ بَـعْـدَ الـنَّـوَاهِـي ثُـمَّ هَـذَا الآخِـرُ

على الإباحة. . . الخ.

فقوله ثم هذا الآخر على الإباحة: يعني أن النص الدال على أمر مقدم على النص الدال على إباحة للاحتياط في الخروج من عهدة الطلب.

والتحقيق: أن قدر المتعة لا تحديد فيه شرعاً، لقوله تعالى: ﴿عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ﴾ فإن توافقا على قدر معين فالأمر واضح، وإن اختلفا فالحاكم يجتهد في تحقيق المناط فيعين القدر على ضوء قوله تعالى: ﴿عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ﴾ الآية، هذا هو الظاهر، وظاهر قوله: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾، وقوله: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ﴾ يقتضي وجوب المتعة في الجملة خلافاً لمالك ومن وافقه في عدم وجوب المتعة أصلاً، واستدل بعض المالكية على عدم وجوب المتعة بأن الله تعالى قال: ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، وقال: ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ قالوا فلو كانت واجبة لكانت حقاً على كل أحد وبأنها لو كانت واجبة لعين فيها القدر الواجب.

قال مقيده عفا الله عنه: هذا الاستدلال على عدم وجوبها لا ينهض فيما يظهر، لأن قوله: ﴿عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ و ﴿عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ تأكيد للوجوب، وليس لأحد أن يقول لست متقياً مثلاً، لوجوب التقوى على جميع الناس.

قال القرطبي: في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾ الآية ما نصه: وقوله على المتقين تأكيد لإيجابها لأن كل واحد يجب عليه أن يتقي الله في الإشراك به ومعاصيه، وقد قال تعالى في القرآن ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

وقولهم: لو كانت واجبة لعين القدر الواجب فيها ظاهر السقوط، فنفقة الأزواج والأقارب واجبة.

ولم يعين فيها القدر اللازم، وذلك النوع من تحقيق المناط مجمع عليه في جميع الشرائع كما هو معلوم[1].

---

(١) الأضواء (٢٨١/١ وما بعدها).

أما قوله تعالى: ﴿وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ فقد أطنب في تفسيرها، وفصل في أنواع الربا وبين المجمع عليه منه والمختلف فيه، وأورد كثيراً من الأحاديث متعرضاً لأسانيدها ومضامينها، واستغرق الكلام على هذا الموضوع أكثر من ثلاثين صفحة، ومن ضمن المسائل التي تعرض لها العلة في ربا النقدين، وربا الطعام، يقول في الأول:

والتحقيق أن علة الربا في النقدين كونهما جوهرين نفيسين هما: ثمن الأشياء غالباً في جميع أقطار الدنيا، وهو قول مالك والشافعي، والعلة فيهما قاصرة عليهما عندهما، وأشهر الروايات عن أحمد أن العلة فيهما كون كل منهما موزون جنس وهو مذهب أبي حنيفة.

ويقول في الثاني: وأما البر والشعير والتمر والملح فعلة الربا فيها عند مالك الاقتيات والادخار، وقيل وغلبة العيش، فلا يمنع ربا الفضل عند مالك وعامة أصحابه إلا في الذهب بالذهب والفضة بالفضة والطعام المقتات المدخر بالمقتات المدخر، وقيل يشترط مع الاقتيات والادخار غلبة العيش، وإنما جعل مالك العلة ما ذكر، لأنه أخص أوصاف الأربعة المذكورة، ونظم بعض المالكية ما فيه ربا النساء وربا الفضل عند مالك بقوله:

رِبَا نَسَإٍ فِي النَّقْدِ حَرْمٌ وَمِثْلُهُ ... طَعَامٌ وإن جِنسَاهُمَا قَد تَعَدَّدَا
وَخُصَّ رِبَا فَضْلٍ بِنَقْدٍ وَمِثْلُهُ ... طَعَامُ الرِّبَا إن جِنسُ كُلٍّ تَوَحَّدَا

ثم يقول الشيخ: وقد كنت حررت على مذهب مالك في ذلك في الكلام على الربا في الأطعمة في نظم طويل في فروع مالك بقولي:

وَكُلُّ مَا يُذَاقُ مِن طَعَام ... رِبَا النَّسَا فِيهِ مِنَ الْحَرَام
مُقْتَاتاً أَوْ مُدَّخَراً أَوْ لاَ اخْتَلَفْ ... ذَاكَ الطَّعَام جنسهُ أو ائتَلَفْ
وَإن يَكُن يُطْعَمُ لِلدَّوَاءِ ... مُجَرَّداً فَالْمَنْعُ ذُو انتِفَاءِ
وَلِرَبَا الْفَضْلِ شُرُوط يَحْرُمُ ... بِهَا وَبِانْعِدَامِهَا يَنْعَدِمُ
هِيَ اتِّحَادُ الْجِنسِ فِيمَا ذُكِرَا ... مَعَ اقْتِيَاتِهِ وَأَنْ يُدَّخَرَا
وَمَا لِحَدِّ الادِّخَار مُدَّهْ ... وَالتَّادِلِي بِسَتَّةٍ قَدْ حَدَّهْ

وَالْخُلْفُ فِي اشْتِرَاطِ كَوْنِهِ اتُّخِذْ لِلْعَيْشِ عُرْفاً وَبِالإسْقَاطِ أُخِذْ

ثم يقول: وأصح الروايات عن الشافعي أن علة الربا في الأربعة الطعم... الخ[1].

وتكلم الشنقيطي عن الإشهاد في البيع، كما تعرض لكتابة الدين، وذكر الخلاف في الأمر في قوله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ وفي قوله تعالى: ﴿فَٱكْتُبُوهُ﴾، هل هو للوجوب أو الندب، فذكر آراء العلماء في ذلك مع ذكر دليل كل، وفي الأخير خلص إلى قوله:

قال مقيده عفا الله عنه، وفيما نقلنا الدلالة الواضحة على أن الإشهاد والكتابة مندوب إليهما لا فرضان واجبان كما قال ابن جرير الطبري وغيره، ولم يبين الله تعالى في هذه الآية، أعني قوله جل وعلا: ﴿وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ اشتراط العدالة في الشهود، ولكنه بينه في مواضع أخر كقوله: ﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ﴾، وقوله: ﴿وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ وقد تقرر في الأصول أن المطلق يحمل على المقيد كما بيناه في غير هذا الموضع[2].

أما اهتمام الشيخ رحمه الله تعالى بأصول الفقه فهو أمر واضح تلحظه من بداية الأضواء إلى نهايته، ونأخذ الآن نموذجاً من ذلك وهو كلامه على الاستثناء الذي هو أحد المخصصات المتصلة عند أهل الأصول، كما هو معروف. فقد تعرض للاستثناء بعد جمل متعاطفة هل يرجع إلى جميعها أم للأخير فقط؟ وبين الراجح من الخلاف.

فالشيخ الأمين رحمه الله يرى أن الصواب في رجوع الاستثناء لجميع الجمل المتعاطفة قبله أو بعضها، يحتاج إلى دليل منفصل، لأن الدليل قد يدل على رجوعه للجميع، أو لبعضها دون بعض، وربما دل الدليل على عدم رجوعه للأخيرة التي تليه، صرح الشيخ بترجيحه هذا، واستدل له بعد

---

(١) الأضواء (٣١٠/١).
(٢) الأضواء (٣٢٦/١).

أن رد استدلال داود الظاهري بقوله تعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ [المؤمنون: ٦] على إباحة جمع الأختين بملك اليمين من خمسة أوجه[1] قال بعد أن بينها ما نصه:

فهذه الأوجه الخمسة يرد بها استدلال داود الظاهري، ومن تبعه، على إباحة جمع الأختين بملك اليمين محتجاً بقوله: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ...﴾ ولكن داود يحتج بآية أخرى يعسر التخلص منها بحسبب المقرر في أصول الفقه، المالكي والشافعي والحنبلي وإيضاح ذلك أن المقرر في أصول الأئمة الثلاثة المذكورين أنه إن ورد استثناء بعد جمل متعاطفة أو مفردات متعاطفة، أن الاستثناء المذكور يرجع لجميعها، خلافاً لأبي حنيفة القائل يرجع إلى الجملة الأخيرة فقط.

قال في مراقي السعود:

وَكُلُّ مَا يَكُونُ فِيهِ الْعَطْفُ مِنْ قَبْلِ الاِسْتِثْنَا فَكُلاًّ يَقْفُو
دُونَ دَلِيلِ الْعَقْلِ أَوْ ذِي السَّمْعِ ....

وإذا علمت أن المقرر في أصول الأئمة الثلاثة المذكورين رجوع الاستثناء لكل المتعاطفات، وأنه لو قال الواقف في صيغة وقفه هو وقف على بني تميم، وبني زهرة، والفقراء، إلا الفساق منهم، أنه يخرج من الوقف فاسق الجميع، لرجوع الاستثناء إلى الجميع، وأن أبا حنيفة وحده هو القائل برجوعه إلى الجملة الأخيرة فقط، ولذلك لم يقبل شهادة القاذف، ولو تاب وأصلح وأصبح أعدل أهل زمانه، لأن قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ الْفَٰسِقُونَ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ أي فقد زال عنهم الفسق، ولا يقبل رجوعه لقوله تعالى: ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً إلا الذين تابوا فاقبلوا شهادتهم بل يقول: لا تقبلوا لهم شهادة أبداً مطلقاً، بلا استثناء لاختصاص الاستثناء عنده بالجملة الأخيرة، ولم يخالف أبو حنيفة أصوله في قوله

(١) منهج الشيخ في تفسير آيات الأحكام ص٤١٩ وانظر أضواء البيان ٥١٩/٥، دار الكتب العلمية ١٤١٧هـ.

تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾ الآية فإن هذا الاستثناء راجع لجميع الجمل المتعاطفة قبله عند أبي حنيفة وغيره، ولكن أبا حنيفة لم يخالف فيه أصله، لأن الجمل الثلاث المذكورة جمعت في الجملة الأخيرة التي هي: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ لأن الإشارة في قوله ذلك راجعة إلى الشرك والقتل والزنى، في الجمل المتعاطفة قبله، فشملت الجملة الأخيرة معاني الجمل قبلها، فصار رجوع الاستثناء لها وحدها، عند أبي حنيفة، على أصله المقرر مستلزماً لرجوعه للجميع.

وإذا حققت ذلك فاعلم أن داود يحتج لجواز جمع الأختين بملك اليمين أيضاً برجوع الاستثناء في قوله: ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ لقوله: ﴿وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ﴾، فيقول: قوله تعالى: ﴿وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ﴾ وقوله: ﴿وَالْمُحْصَنَٰتُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ يرجع كل منهما إلى الاستثناء في قوله: ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ فيكون المعنى وحرم عليكم أن تجمعوا بين الأختين إلا ما ملكت أيمانكم، فلا يحرم عليكم فيه الجمع بينهما، وحرمت عليكم المحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم فلا يحرم عليكم، وقد أوضحنا معنى الاستثناء من المحصنات في محله من هذا الكتاب المبارك، وبهذا تعلم أن احتجاج داود برجوع الاستثناء في قوله إلا ما ملكت أيمانكم إلى قوله وأن تجمعوا بين الأختين جار على أصول المالكية والشافعية والحنابلة، فيصعب عليهم التخلص من احتجاج داود هذا.

قال مقيده عفا الله عنه وغفر له: الذي يظهر لي أن الجواب على استدلال داود المذكور من وجهين:

الأول منهما: أن في الآية نفسها قرينة مانعة من رجوع الاستثناء إلى قوله: ﴿وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ﴾ لما قدمنا من أن قوله: ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ أي بالسبي خاصة مع الكفر وأن المعنى: والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم، أي وحرمت المتزوجات من النساء، لأن

المتزوجة لا تحل لغير زوجها، إلا ما ملكت أيمانكم بالسبي مع الكفر، فإن السبي يرفع حكم الزوجية، عن المسبية وتحل لسابيها بعد الاستبراء كما قال الفرزدق:

وذات حليل أنكحتها رماحنا   حلال لمن يبنى بها لم تطلق

وإذا كان ملك اليمين في قوله: ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ في السبي خاصة كما هو مذهب الجمهور كان ذلك مانعاً من رجوعه إلى قوله وأن تجمعوا بين الأختين، لأن محل النزاع في ملك اليمين مطلقاً، وقد قدمنا في سورة النساء أن قول من قال إلا ما ملكت أيمانكم مطلقاً وأن بيع الأمة طلاقها أنه خلاف التحقيق[(١)]، وأوضحنا الأدلة على ذلك.

الوجه الثاني: هو أن استقراء القرآن يدل على أن الصواب في رجوع الاستثناء لجميع الجمل المتعاطفة قبله أو بعضها يحتاج إلى دليل منفصل لأن الدليل قد يدل على رجوعه للجميع، أو بعضها دون بعض، وربما دل الدليل على عدم رجوعه للأخيرة التي تليه، وإذا كان الاستثناء ربما كان راجعاً لغير الجملة الأخيرة التي تليه، تبين أنه لا ينبغي الحكم برجوعه إلى الجميع إلا بعد النظر في الأدلة ومعرفة ذلك منها، وهذا القول الذي هو الوقف عن رجوع الاستثناء إلى الجميع وبعضها المعين دون بعض إلا دليل، مروي عن ابن الحاجب، من المالكية، والغزالي من الشافعية، والآمدي من الحنابلة، واستقراء القرآن يدل على أن هذا القول هو الأصح، لأن الله تعالى يقول: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ الآية، وإذا رددنا هذه المسألة إلى الله وجدنا القرآن دالاً على صحة هذا القول وبه يندفع أيضاً استدلال داود فمن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟﴾، فالاستثناء راجع للدية، فهي تسقط بتصدق مستحقها بها، ولا يرجع لتحرير الرقبة قولاً واحداً، لأن تصدق مستحق الدية بها لا يسقط كفارة القتل خطأ.

---

(١) انظر أضواء البيان ٣٨٣/١، وما عقبها.

ومنها قوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾، فالاستثناء في قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾، الآية، لا يرجع قولاً واحداً إلى الجملة الأخيرة التي تليها، أعني قوله: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ لأنه لا يجوز اتخاذ ولي ونصير من الكفار أبداً، ولو وصلوا إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق، بل الاستثناء راجع للأخذ والقتل في قوله: ﴿فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ﴾ والمعنى: فخذوهم بالأسر واقتلوهم إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق، فليس لكم أخذهم بأسر، ولا قتلهم لأن الميثاق الكائن لمن وصلوا إليهم يمنع من أسرهم وقتلهم، كما اشترطه هلال بن عويمر الأسلمي في صلحه مع النبي ﷺ، كما ذكروا أن هذه الآية نزلت فيه وفي سراقة بن مالك المدلجي وفي بني جذيمة بن عامر، وإذا كان الاستثناء ربما لا يرجع لأقرب الجمل إليه في القرآن العظيم الذي هو في الطرف الأعلى من الإعجاز، تبين أنه ليس نصاً في الرجوع إلى غيرها.

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾، على ما قاله جماعات من المفسرين، لأنه لولا فضل الله ورحمته لاتبعتم الشيطان، كلا بدون استثناء، قليل أو كثير كما ترى.

واختلفوا في مرجع هذا الاستثناء فقيل راجع لقوله: ﴿أَذَاعُوا بِهِ﴾ وقيل راجع لقوله: ﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ وإذا لم يرجع للجملة التي تليه، لم يكن نصاً في رجوعه لغيرها.

وقيل: إن هذا الاستثناء راجع للجملة التي تليه، وأن المعنى لولا فضل الله عليكم ورحمته بإرسال محمد ﷺ، لاتبعتم الشيطان في الاستمرار على ملة آبائكم من الكفر، وعبادة الأوثان، إلا قليلاً، كمن كان على ملة إبراهيم في الجاهلية، كزيد بن نفيل وقس بن ساعدة، وورقة بن نوفل، وأمثالهم، وذكر ابن كثير أن عبدالرزاق روى عن معمر عن قتادة في قوله

لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً، معناه لاتبعتم الشيطان كلا، قال والعرب تطلق القلة وتريد بها العدم، واستدل قائل هذا القول بقول الطرماح بن حكيم يمدح يزيد بن المهلب:

أَشَمُّ نَدَىً كَثِيرُ النَّوَادِي ... قَلِيلُ الْمَثَالِبِ وَالْقَادِحَهْ

يعني لا مثلبة فيه ولا قادحة، وهذا القول ليس بظاهر كل الظهور.

وإن كانت العرب تطلق القلة في لغتها وتريد بها العدم كقولهم مررت بأرض قليل بها الكراث والبصل، يعنون لا كراث فيها ولا بصل، ومنه قول ذي الرمة:

أُنِيخَتْ فَأَلْقَتْ بَلْدَةً فَوْقَ بَلْدَةٍ ... قَليلٌ بِهَا الأَصْوَاتُ إِلاَّ بُغَامُهَا

يريد: أن تلك الفلاة لا صوت فيها غير بغام ناقته، وقول الآخر:

فَمَا بَأْسٌ لَوْ رَدَّتْ عَلَيْنَا تَحِيَّةً ... قَلِيلاً لَدَى مَنْ يَعْرِفُ الْحَقَّ عَابُهَا

يعني لا عاب فيها أي لا عيب فيها عند من يعرف الحق وأمثال هذا كثير في كلام العرب، وبالآيات التي ذكرنا تعلم أن الوقف عن القطع برجوع الاستثناء لجميع الجمل المتعاطفة قبله إلا لدليل، هو الذي دل عليه القرآن في آيات متعددة، وبدلالتها يرد استدلال داود المذكور أيضاً والعلم عند الله تعالى.

ولا يكاد القارىء يتجاوز موضوعاً إلا ويجد فيه فقهاً مؤصلاً بالأدلة مع ذكر آراء العلماء وأدلتهم ومناقشتهم في ذلك.

وهذا الاهتمام الكبير بالناحية الفقهية، والأصولية، جعل بعض الباحثين يصرح بأن الشيخ الأمين ينظر إلى القرآن نظرة تكاد تنحصر في بعده التشريعي[١]، كما يقول السيد عبدالله بن أحمد عبيد في بحثه، تطور منهج التفسير في موريتانيا.

---

(١) تطور منهج التفسير في موريتانيا، ص١٩٢ (مرقونة).

وليس الأمر كما قال، بل الشيخ ينظر إلى جميع النواحي التي يتضمنها القرآن عقدية، أو تشريعية، أو تربوية، صحيح أن له موقفاً من بعض الاتجاهات التفسيرية كالتفسير العلمي والتفسير البياني... وأنه ليس ملتزماً ولا متقيداً بطريقة ومنهج مدرسة المنار الإصلاحية وذلك لأكثر من سبب، ولكن ذلك لا يجعله ينظر إلى القرآن نظرة تشريعية بحتة، فهذه الملاحظة التي أوردها تنقصها الدقة في نظرنا، فالشيخ الأمين لم يلتزم في تفسيره للقرآن إلا بإيضاح القرآن بالقرآن، وبالسنة المطهرة، وتبيين الأحكام، وقد وفى بما وعد به وزاد عليه كثيراً من الفوائد والتوجيهات، رحمه الله رحمة واسعة.



الفصل الرابع

الاتجاه الصوفي

قدمت في الفصل الثاني من الباب الأول من هذا البحث أن من ضمن المدارس الفكرية التي كان لها دور كبير في تكوين الثقافة الشنقيطية «المدرسة الصوفية» وهنا، لم أعرف بهذه المدرسة ولا بطبيعتها، واكتفيت بالإشارة إلى بعض المقولات المؤيدة أو المعارضة لها، أما الآن فأعتقد أن البحث يفرض علي أن أعرف بالتصوف وما هو مقبول منه وما هو مردود لأن ذلك يسهل علينا التعامل مع آرائهم في التفسير قبولاً ورداً، وكل ذلك على سبيل الإشارة والتلميح(١).

- **أصل التصوف:**

اختلف أهل العمل في أصل التصوف فقيل:

١ ـ إنه مشتق من الصوف، وذلك أن الصوفية خالفوا الناس في لُبْسِ فاخِرِ الثياب فلبسوا الصوف تقشفاً وزهداً.

٢ ـ وقيل إن الصوفيين نسبة إلى أهل الصفة الذين كانوا منقطعين في مسجد رسول الله ﷺ.

---

(١) وقد تعرض الكثير من الباحثين والمؤلفين للتفسير الصوفي فمن المؤلفات المفيدة: مقدمة في أصول التفسير للعلامة ابن تيمية ومن المعاصرين الدكتور: محمد حسين الذهبي في كتابه (التفسير والمفسرون) ٣٣٧/٢ وغيرهما كثير.

٣ ـ وبعضهم قال إنها مشتقة من الصفاء وذلك لصفاء قلب المريد، وطهارة باطنه وظاهره.

٤ ـ وبعضهم قال إنها من الصف فكأنهم في الصف الأول، في قلوبهم.

قال القشيري: ولا يشهد لهذا الاسم اشتقاق من جهة العربية، ولا قياس، فالظاهر أنه لقب[1].

وكما اختلف في أصل التصوف اختلف في معناه اختلافاً كثيراً[2] سئل الجنيد البغدادي (ت٢٩٧هـ) عن التصوف فقال:

التصوف أن يميتك الحق عنك ويحييك به.

وسئل أبو بكر الكتاني (ت٣٢٢هـ) عن التصوف فقال: «التصوف صفاء ومشاهدة، وقيل إن التصوف إرسال النفس مع الله، على ما يريده. وقد مر التصوف بأدوار معروفة تخللها كثير من الجدل والنقاش، وللصوفية مقامات للطالبين، ومنازل للسالكين، يرتقي فيها الطالب منزلة منزلة، ومقاماً مقاماً، هذه المنازل والمقامات هي:

١ ـ التوبة.

٢ ـ الورع.

٣ ـ الزهد.

٤ ـ التوكل.

٥ ـ المحبة.

٦ ـ الرضا.

---

(١) انظر التفسير للمفسرون المصدر السابق واتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر للهجرة للدكتور فهد الرومي، ج١/ ص٣٥٧.

(٢) الدكتور فهد الرومي اتجاهات التفسير، ج١ /ص٣٦٠.

والتصوف كسلوك حسن تصاحبه مجاهدة للنفس البشرية وتصفية لها من جميع الأمراض والعاهات، وترق في مقامات الكمال، وزهد في الدنيا، واتباع لمنهاج النبي ﷺ لا غبار عليه، ولا ينكره إلا مكابر.

يقول الشنقيطي محدداً موقفه من التصوف عموماً عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿قَالُواْ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾﴾ [طه: ٩١] قدمنا في سورة مريم أن بعض الصوفيين على الحق، ولا شك أن منهم من هو على الطريق المستقيم من العمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

وبذلك عالجوا أمراض قلوبهم، وحرسوها، وراقبوها، وعرفوا أحوالها، وتكلموا عن أحوال القلوب كلاماً مفصلاً، كما هو معلوم كعبدالرحمن بن عطية، والجنيد بن محمد، ومن سار على منوالهم لأنهم عالجوا أمراض أنفسهم بالكتاب والسنة، ولا يحيدون عن العمل بهما ظاهراً أو باطناً، ولم يظهر منهم ما يخالف الشرع.

فالحكم على جميع الصوفية بالضلال لا ينبغي، ولا يصح على إطلاقه، والميزان الفارق بين الحق والضلال في ذلك هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فمن كان متبعاً لهما كمن ذكرنا وأمثالهم فهو من جملة العلماء العاملين، ولا يجوز الحكم عليهم بالضلال، ومن كان خلاف ذلك فهو الضال[١]. غير أن التصوف الصحيح اختلط ببعض الأفكار المنحرفة والفلسفات، فأذهبت بهاءه، وانحرفت به عن الجادة مما جعل جمهور أهل السنة يحاربون هذا النوع من التصوف الكاذب. وربما عمم البعض فحارب الجميع، آخذاً المستقيم بجريرة المنحرف، لكثرة شيوع الانحراف بينهم وذلك خطأ فادح، وقد قسم الباحثون التصوف إلى قسمين:

* **تصوف نظري**: وهو التصوف الذي يقوم على البحث والدراسة.

* **تصوف عملي**: وهو التصوف الذي يقوم على التقشف والزهد والتفاني في طاعة الله.

---

(١) أضواء البيان جزء (٤) ص١٦١ .وجزء (٢) ص٢٠٣.

وكل من القسمين كان له أثره في تفسير القرآن الكريم مما جعل تفسير الصوفية ينقسم إلى قسمين:

١ ـ تفسير صوفي نظري.

٢ ـ تفسير صوفي عملي.

أما الأول فمرفوض لأن أصحابه يحاولون تحويل القرآن عن هدفه ومقصده إلى ما يقصدون[1].

قال الدكتور الذهبي: بعد أن ذكر نماذج من تفسير محي الدين بن عربي رائد هذا الاتجاه:

«إن مثل هذا التفسير القائم على نظرية وحدة الوجود ما كان لنا أن نقبله مهما كان قائله»[2].

وأما الثاني ففيه تفصيل: وبعض العلماء يسمي هذا النوع من التفسير: التفسير الفيضي، أو الإشاري، وحقيقته: هو تأويل آيات القرآن الكريم على خلاف ما يظهر منها بمقتضى إشارات خفية، ورموز باطنية، تظهر لأرباب السلوك[3].

والمقبول من هذا التفسير عند من اعتبره هو ما توفرت فيه شروط أربعة هي:

١ ـ ألا يتنافى وظاهر النظم القرآني الكريم.

٢ ـ أن يكون له شاهد شرعي يؤيده.

٣ ـ أن لا يكون له معارض شرعي أو عقلي.

٤ ـ أن لا يدعي أن التفسير الإشاري هو المراد وحده دون الظاهر، بل لا بد من الاعتراف والتسليم بالمعنى الظاهر أولاً، إذ لا يطمع في الوصول إلى

---

(١) اتجاهات التفسير، الدكتور فهد الرومي ج١ ص٣٦٦، والتفسير والمفسرون ج٢ ص٣٤١.

(٢) التفسير والمفسرون ج٢ ص٣٥٠.

(٣) التفسير والمفسرون ج٢ ص٣٥٢ دار الكتب الحديثة ط٢/ ١٣٩٦هـ.

الباطن قبل إحكام الظاهر، ومن ادعى فهم أسرار القرآن ولم يحكم التفسير الظاهر فهو كمن ادعى البلوغ إلى وسط البيت قبل أن يتجاوز الباب[(١)].

ثم إن المراد بالمقبول هنا عدم رفضه لا وجوب اتباعه والأخذ به، أما عدم رفضه فلعدم منافاته لظاهر القرآن، ولوجود الشاهد الذي يعضده من الشرع، وكل ما كان كذلك لا يرفض، وأما عدم وجوب الأخذ به فإن النص القرآني لم يوضع للدلالة عليه، ونورد هنا أقوال بعض العلماء في التفسير الإشاري المرفوض.

قال الزركشي في البرهان، كلام الصوفية في القرآن، قيل إنه ليس بتفسير وإنما هو معان ومواجيد يجدونها عند التلاوة[(٢)].

وقال ابن الصلاح في فتاويه، وقد سئل عن كلام الصوفية في القرآن:

وجدت عن الإمام أبي الحسن الواحدي المفسر أنه قال:

صنف أبو عبدالرحمن السلمي حقائق التفسير، فإن كان قد اعتقد أن ذلك تفسير فقد كفر. قال ابن الصلاح، وأنا أقول الظن بمن يوثق به منهم أنه إذا قال شيئاً من أمثال ذلك أنه لم يذكره تفسيراً، ولا ذهب مذهب الشرح للكلمة المذكورة في القرآن الكريم، فإنه لو كان كذلك كانوا قد سلكوا مسلك الباطنية، وإنما ذلك منهم نظير، لما ورد به القرآن، فإن النظير يذكر بالنظير... ثم قال:

ومع ذلك فيا ليتهم لم يتساهلوا في مثل ذلك لما فيه من الإيهام والإلباس[(٣)].

---

(١) إحياء علوم الدين للغزالي ٢٩٨/٨ والموافقات للإمام الشاطبي جزء (٣) ص٣٨٢، والإتقان ج٢ ص١٨٥، ومدرسة التفسير بالأندلس ص٦٣٩ والتفسير واتجاهاته في القرن الرابع عشر للهجرة للرومي ٣٧٤/١.

(٢) البرهان بدر الدين الزركشي ١٧٠/٢.

(٣) فتاوي ابن الصلاح ص٣٩ نقل عن اتجاهات التفسير ٣٧٠/١ وانظر إحياء علوم الدين للغزالي ج٤٢/١ وما بعدها، ومناهل العرفان للشيخ عبدالعظيم الزرقاني ٧٥٥/١ والتفسير والمفسرون للذهبي ٣٥٢/٢.

وقال النسفي في العقائد:

النصوص على ظاهرها، والعدول عنها إلى معان يدعيها أهل الباطن إلحاد. وعلق التفتازاني في شرحه للعقائد على هذا بقوله:

سميت الملاحدة باطنية لادعائهم أن النصوص ليست على ظاهرها، بل لها معان لا يعرفها إلا المعلم، وقصدهم بذلك نفي الشريعة بالكلية، قال: وأمّا ما يذهب إليه بعض المحققين من أن النصوص على ظواهرها، ومع ذلك فيها إشارات خفية إلى دقائق تنكشف لأرباب السلوك يمكن التوفيق بينها وبين الظواهر المرادة، فهي من كمال الإيمان ومحض العرفان[١].

وبعد أن عرفنا التفسير الصوفي وما يقبل منه وما لا يقبل ننتقل إلى موضوعنا وهو: الاتجاه الصوفي في تفسير الشنقيطيين.

وفي البداية أذكر بأن المقصود بالاتجاه الصوفي في تفسير الشنقيطيين، هو عنايتهم بمسائل التصوف، والنقل عن تفاسير الصوفيين المشهورين، من أمثال محي الدين بن عربي الحاتمي، وأبي عبدالرحمن السلمي، والقشيري وغيرهم.

كما أنبه على أن المفسرين الشنقيطيين الذين يمثلون الاتجاه الصوفي لا علاقة لهم بالتفسير الصوفي الباطني، الذي يؤدي في النهاية إلى التحلل من التكاليف بدعوى أن للشريعة ظاهراً وباطناً، والباطن هو الأهم والمقصود عندهم، بل إنهم يميلون إلى التصوف المقبول، ويرفضون غيره رفضاً باتاً، فاليدالي وهو أول مفسر صوفي وأكثرهم شهرة به، يرد على التفسير الباطني رداً عنيفاً في أكثر من مناسبة[٢].

• الشيخ اليدالي والتصوف:

اعتنى الشيخ محمد اليدالي بالناحية الصوفية عناية كبيرة، ذلك أنه قبل كل شيء كان صوفياً من الطراز الأول، ومؤلفاته شاهدة على ذلك، ومن

---

(١) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر هجرية (ج١ ص٣٧٠).

(٢) انظر مثلاً الذهب الإبريز (ج١ ص١٥) نسخة أ.

وقف على كتابه «خاتمة التصوف» يظهر له ذلك بجلاء، أما طريقته الصوفية، فهي الشاذلية كما قدمنا، ويبدو أنه تأثر بإشعاع الزاوية المغربية الصوفية في «تامكروت» كما يقول الباحث لاكونت في بحثه عن توجهات اليدالي الصوفية في الذهب الإبريز، ثم يقول مؤكداً هذا المعنى «لم يلتفت اليدالي إلى تفسير الطبري، ولا إلى تفسير ابن كثير، إلا قليلاً، وربما كان ذلك راجعاً إلى أن هذين العالمين لم تعتمدهما زاوية تامكروت..[1] والواقع أن اليدالي كان ملتزماً بمنهج وقواعد التفسير المعروفة، فهو يلتزم، بأن يكون تفسيره للقرآن على النحو التالي:

١ ـ أن يفسر القرآن بالقرآن.

٢ ـ أن يفسر القرآن بالسنة.

٣ ـ أن يفسر القرآن بأقوال الصحابة، ثم بأقوال التابعين.

٤ ـ الدلالة اللغوية.

واليدالي في مقدمته لم يشر إلى اعتماده على تفاسير الصوفية، كما أنه لم يعن بنقل أقوال هؤلاء في كل مناسبة، بل إنه من حين لآخر ينقل عنهم بعض أقوالهم، وآرائهم التي قد يشاركهم الرأي فيها، أو في بعضها، ويرى الباحث افرانك لاكونت في كتابه قراءة في الجانب الصوفي من تفسير اليدالي: أن اليدالي لم ينس ذكر التفسير الصوفي في مقدمته، وإنما تناساه، لأن ذلك يدخل في منطقه واستراتيجيته، إذ لو صرح بأن تفسيره للقرآن يعتمد على الناحية الصوفية لقلل من قيمة هذا الكتاب وقلل من قرائه والمتحمسين له[2].

ولسنا متفقين معه في هذا، فاليدالي من أكثر العلماء وضوحاً، وصراحةً في آرائه وأفكاره، والمجتمع الشنقيطي في ذلك الوقت لا يرفض

---

(١) لاكونت الأصل الفرنسي (ص٣٠ مرقونة).

(٢) لاكونت (ص٢٠).

التصوف بكامله، وإنما يرفض البدع والانحراف عن السنة المطهرة، سواء صدرت من شيخ ينتمي للتصوف، أو لمدرسة فكرية أخرى.

والحاصل أن الذهب الإبريز مليء بالنقول عن مشايخ التصوف، لكن الشيء المثير للاستغراب نقله لبعض الأمور التي هي خالية من الدليل، وربما يلزم منها محظور، ونحن متأكدون أنه لا يقول به، ومع ذلك لا يعلق عليه أي تعليق، فمن ذلك نقله عن ابن عربي أنه تتلمذ على ملائكة واستفاد منهم، ففي تفسيره لأوائل سورة البقرة وبعد أن تكلم كلاماً مستفيضاً عن الحروف المقطعة في أوائل السور، عند الكلام على ﴿الٓمٓ﴾ فاتحة سورة البقرة قال:

وقال محي الدين بن عربي في الفتوحات المكية التي اختصرها الشعراني: لا يعرف حقائق الحروف المقطعة إلا أهل الكشف فإنها ملائكة، وأسماؤهم أسماء الحروف، قال: وقد اجتمعت بهم وما منهم ملك إلا وقد أفادني علماً لم يكن عندي، فهم من جملة أشياخي من الملائكة، فإذا نظر القارىء لهذه الحروف، كان مثل نداء لهم، فيجيبونه يقول القارىء: ﴿الٓمٓ﴾ فيقول هؤلاء الثلاثة ما يقول؟ فيقول القارىء ما بعد هذه الحروف، فيقولون صدقت إن كان خبراً، أو يقولون هذا مؤمن حقاً نطق حقاً وأخبر حقاً فيستغفرون له[1].

ويا ليت الشيخ اليدالي جنب نفسه هذه النقول التي لا يشهد لها عقل، ولا نقل، ولا ينبني عليها حكم شرعي، ولا ترجى منها فائدة، خاصة وأنها صادرة من رجل معروف بهذا النوع من الأفكار التي جعلت الكثير من أئمة المسلمين وعلمائهم، لا يترددون في وصفه بالأوصاف الشنيعة.

وليته اقتصر على النقول التي سبقت ذلك ففيها كفاية، لمن لم يعرض بالكلية عن تفسير الحروف المقطعة في أوائل السور، وننقل هنا عنه كلاماً آخر من كلام أهل الصوفية، وعن ابن عربي أيضاً بواسطة الشعراني.

---

(١) الذهب الإبريز ج١ ص٦٩ نسخة أ.

ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ ينقل عن الشعراني في كتابه «الكبريت الأحمر» في اختصاره للفتوحات المكية لابن عربي قوله: إنما قال نعبد ونستعين بصيغة الجمع، لأنه تعالى أراد منا أن نعبده بجميع أعضائنا الظاهرة والباطنة، ونستعين به في كليتنا، كذلك ومتى لم يجمع المصلي عالمه كله على العبادة، كان كاذباً في قوله نعبد ونستعين، فإذا التفت إلى شيء قال له تعالى: كذبت، وكذلك إن قال الحمد لله بلسانه فقط، يقال له كذبت، وإن حضر بكليته قال تعالى: «حمدني عبدي، وقال له في الأولى حمدني لسانُ عبدي» وذلك أن الله تعالى فرض على العبد أن يناجيه بالكلية فلا تقوم جارحة من جوارحه إلا عن نفسها فقط، وإنما جاء بعض الأذكار مثلثاً أي يقال ثلاثاً ليحصل بذلك الثواب المحسوس، والثواب المتخيل، والثواب المعنوي، فينعم حساً وخيالاً ومعنى انتهى[1].

وفي تفسيره لقول الله تعالى: ﴿كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا﴾ [البقرة: ٢٦٤] تعرض للرياء وتكلم عليه كلاماً مستفيضاً، وأكثر من النقول عن العلماء في حقيقته مع الاستشهاد بالأحاديث الواردة في ذلك، وبعد أن أفاض في البحث ختم بقوله: «ومن الرياء فعل الطاعات استحلاء لها وأن يقصد بها التقرب من الحضرة الإلهية، أو الوصول إلى الله تعالى، لأنه لم يقصد بها امتثال الأوامر، بل استدعاء للتعظيم من الناس، واستدعاء الكرامات، والخوارق من الله تعالى، ومنه حب شعور الناس بعمله، وهو الرياء الخفي، والإطراق، والخشوع عند ملاقاة الناس، وترك العمل لأجلهم والشكر لله طلباً للزيادة بقوله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾، والرياء عند الصوفية: العمل لغير الله أياً كان ذلك الغير، ولو بقصد دخول الجنان، والتمتع بالحور الحسان، أو بقصد السلامة من النيران، بل الإخلاص: العمل لله امتثالاً لأوامره[2].

---

(١) الذهب الإبريز ج١ ص٦٥ النسخة أ.

(٢) الذهب الإبريز ج١ ص٢١٦ النسخة أ.

ويرد ابن العربي هنا على الصوفية كلامهم هذا بقوله:

وغرض الصوفية ساقط، فما عبد الله نبي مرسل، ولا ولي مكمل، إلا طلب النجاة[١].

ويقول اليدالي في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ بعد أن تعرض لاسم الله الأعظم، واعلم أن توحيد خلق الله على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: توحيد العامة، وهو الذي يعصم النفس والمال في الدنيا، وينجي من الخلود في النار في الآخرة، وهو نفي الأنداد، والصاحبة والأولاد، والأشباه والأضداد.

الدرجة الثانية: توحيد الخاصة، وهو أن يرى الأفعال كلها لله تعالى، ويشاهد ذلك بطريق المكاشفة، لأن معرفة ذلك بطريق الاستدلال حاصلة لكل مؤمن، وإنما مقام الخاصة في التوحيد يقوم في القلب بعلم الضرورة، ولا يحتاج إلى دليل، وثمرة هذا العلم الانقطاع إلى الله تعالى والتوكل عليه وحده، واطراح جميع الخلق فلا يرجو إلا الله، ولا يخاف أحداً إلا الله، ليس يرى فاعلاً إلا إياه، ويرى جميع الخلق في قبضة القهار ليس بيدهم شيء من الأمر فيطرح الأسباب وينبذ الأرباب.

الدرجة الثالثة: أن لا يرى في الوجود إلا الله وحده، فيغيب عن النظر إلى المخلوقات، حتى كأنها معدومة عنده، وهذا تسميه الصوفية مقام الفناء بمعنى الغيبة عن الخلق، حتى كأنه قد فنى بنفسه عن توحيده، أي يغيب عن ذلك باستغراقه في مشاهدة الله.

ومما يمكن أن ينسب للتفسير الصوفي الذي لا يلتزم بدلالة الألفاظ المنطوقة، والمفهومة، ما روي في تفسير الشيخ، محمد المامي بن البخاري

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي ١/ ص١٠٩٨ الطبعة الأولى ١٩٥٧ دار إحياء الكتاب العربي عيسى البابي الحلبي تحقيق علي محمد البجاوي.

لقول الله تعالى: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾.

يقول الدكتور عبدالله بن حمدي في مقال له بعنوان «الصراع الفكري في القرن الثالث عشر هجرية» منشور في مجلة حوليات كلية الآداب بجامعة نواكشوط العدد الرابع سنة ١٩٩٤م (ص١٥٢) كما نقلته عنه الباحثة مريم بنت محمد عبدالله.

ولنتبين مع الشيخ محمد المامي هذه الإشارات التي تبدت له من الآية لنلمس النور الوهاج والقريحة الهائجة حيث يقول: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ﴾ فظهر لي أن الآباء هي أصول الفقه إجماعية الثلاثة (الكتاب، السنة، الإجماع) لأن الآباء هم مصدر الاستمرار، والنماء، والحركة في الكائنات الحية، فكذلك هذه الأصول الثلاثة، هي مصدر الحركية والديناميكية، والعطاء المستمر في التفكير الفقهي، فظهر لي أن الأمر في ادعوهم أمر بالقياس ورد على نفاته ﴿فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ أي فإن لم يتيسر ما يقاس عليه ويخرج فلكم عوض من ذلك، وهو الأدلة من كتب الأصوليين ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ﴾ يعني معنى الحديث إن اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر واحد فالأجر يدل على انتفاء الجناح ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ فيه تأنيس للمستدلين، وعدم تنفيرهم من القضاء، الذي فيه غرر على الدين لعامة المسلمين... الخ[1].

ولست متأكداً من نسبة هذا النص للشيخ محمد المامي، بل استعبد ذلك، وربما يكون مدسوساً عليه، كما نسمع بعض العامة ينسب له شعراً عامياً مضمونه خطير للغاية وهو ما يلي:

عِطْب الكَون أنفد انطب ومن الكون انقدا نْرِيحُ
والعَبْدِ إلىٰ فِلْشْ رَبْ فَيْدِيه إدِيزْ مْفَاتِيحُ

(١) انظر المنحى التأصلي عند العلامة محمد مولود اليعقوبي المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية ١٩٩٨م ص١٠/١١.

ومعناه أن المتكلم يزعم أنه قادر على أن يعالج ما يقع في الكون من خلل وأنه قادر على إفنائه بالكلية.

ثم يضرب لذلك مثلاً وهو: أن العبد إذا رضي عنه سيده، ووثق به، يعطيه مفاتيح خزائنه، ويوليه أموره، وهذا الكلام لا يصدر عن العلماء العارفين[١]، ونسبته إليهم تجن على مكانتهم العلمية والدينية، وبما أنه غير ثابت فإنني أبرىء الشيخ منه وأعتبره كذباً، ولا أعلق عليه لأنه لا يحتاج إلى تعليق.

وأخيراً ننقل نموذجاً من تفسير معروف البركني تأويل محكم التنزيل نختم به كلامنا عن الاتجاه الصوفي في تفسير الشنقيطيين.

ومع أن معروفاً لم يشتهر بالتصوف فإن تفسيره مليء بالنقل عن أهل التصوف والاعتناء بإيراد كلامهم، ونقل تجاربهم. والظاهر أنه متأثر بتفسير الذهب الإبريز، لليدالي، فتارة يصرح بالنقل عنه وتارة لا يصرح بذلك، وهذا النموذج من بداية تفسير سورة فاطر، ففي تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وبعد أن أورد كثيراً من الحكم المنقولة عن الصحابة كالإمام علي وغيره، ونقولاً أخرى منسوبة للكتب السابقة كالتورية، أورد النص التالي: «قال بعض إخوان معروف ـ رضي الله عنه ـ له أخبرني عنك يا أبا محفوظ، أي شيء أهاجك على العبادة والانقطاع عن الخلق؟ فسكت، فقلت: ذكر الموت، فقال: وأي شيء الموت؟ فذكر القبر، فقال: وأي شيء القبر؟ فقلت: خوف النار ورجاء الجنة فقال: وأي شيء هذان؟ هذا كله بيده إن أحببته أنساك جميع هذا وإن كان بينك وبينه معرفة كفاك جميع هذا قال أبو طالب وحدثونا عن علي بن الموفق قال: رأيت في النوم كأني أدخلت الجنة فرأيت رجلاً قاعداً على مائدة وملكان عن يمينه وعن شماله، يلقمانه من جميع الطيبات، وهو يأكل، ورأيت رجلاً قائماً على باب الجنة يتصفح وجوه قوم فيدخل بعضهم الجنة ويرد آخرين، قال ثم جاوزتهما إلى حضرت القدس، فرأيت في سرادق العرش رجلاً قد شخص

---

(١) بل هو من كلام غلاة الصوفية كما سيأتي قريباً.

ببصره، ينظر إلى الله تعالى لا يتطرق فقلت لرضوان من هذا؟ فقال هذا معروف الكرخي عبد الله تعالى لا خوفاً من ناره ولا شوقاً إلى جنته، بل حباً له فقد أباحه النظر إليه إلى يوم القيامة[1] وذكر أن الآخرين بشر بن الحارث وأحمد بن حنبل ـ رضي الله عن جميعهم ـ «وهذه المقولات التي يرددها بعض الصوفيين من حين لآخر محجوجة بالكتاب، والسنة، وتقدم قريباً رد ابن العربي في أحكامه عليها.

وفي ختام الحديث عن الاتجاه الصوفي في التفسير نذكر القول الراجح عند المحققين في التفسير الصوفي فهم يفرقون بين نوعين من التفسير.

أحدهما: التفسير الإشاري.

ثانيهماً: التفسير الرمزي.

أما الأول فمقبول عندهم وهو ينقسم إلى قسمين:

١ ـ تفسير إشاري معنوي.

٢ ـ تفسير إشاري لفظي.

فالتفسير الإشاري المعنوي هو التفسير المرتبط بإشارة المعنى العام للآية أو السورة وهي الدلالة على معنى آخر، يستبطن المعنى الإجمالي فهماً يؤتيه الله من يشاء من عباده، لا يخالف نصاً ولا يخالف لفظاً، ولا يجاوز معنى حقاً، ومن هذا النوع استدعاء عمر لابن عباس ـ رضي الله عنهم ـ في مجلسه، مع شيوخ بدر ـ رضي الله عنهم ـ، وسؤال عمر لهم ما تقولون في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾ فقال بعضهم أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً فقال لي أكذلك تقول يا ابن عباس؟.

فقلت: لا، قال فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ اعلمه له، قال إذا جاء نصر الله والفتح، وذلك علامة أجلك فسبح بحمد ربك

---

(١) تأويل محكم التنزيل لمعروف بن الكوري ج٢ ص٢٥٧ و٢٥٨.

واستغفره إنه كان تواباً، فقال عمر ما أعلم منها إلا ما تقول»[(١)] ومن هذا النوع أيضاً ما رواه ابن جرير الطبري، لما نزلت ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] وذلك يوم الحج الأكبر، بكى عمر، فقال له النبي ﷺ: «**ما يبكيك؟**» قال: أبكاني أنا كنا في زيادة من ديننا، فأما إذ كمل فإنه لم يكمل شيء إلا نقص! فقال: «**صدقت**»[(٢)] كل هذه المعاني معان باطنة لا تخالف المعنى الظاهري للآية ولا تنتهك نطاق لفظه، ولا حدود معانيه، فكان القبول لها حليفاً.

أما التفسير الإشاري اللفظي فهو التفسير المرتبط بإشارة لفظة خاصة يستدل بها على معنى آخر يستبطن معناها في سياقها العام، ومن هذا النوع من التفسير ما استدل به العز بن عبدالسلام على صحة أنكحة الكفار من قوله تعالى: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤﴾ [المسد: ٤] ومنه أيضاً ما استدل به المفسرون من قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٣] بأنه عبر عنه بهذه العبارة إشارة إلى جهة وجوب المؤن عليه، لأن الوالدات إنما ولدن للآباء، ولذلك ينسب الولد للأب دون الأم[(٣)].

قال الدكتور فهد الرومي:

هذا هو التفسير الإشاري السليم بقسميه، فهو لا يعكر معنى، ولا يخالف نصاً ولا يخالف لفظاً، بل يستمد مقوماته من النص الماثل أمامه، من غير تحريف، ولا تأويل خارج عن حدود الدين واللغة وهو الذي تدل عليه النصوص والأدلة التي استدلوا بها لصحة التفسير الإشاري إذ هذا هو ما تدل عليه[(٤)] ثم يقول:

أما النوع الذي يجب أن نفرق بينه وبين التفسير الإشاري فهو التفسير

---

(١) رواه البخاري باب التفسير ج٦ ص٢٢١.

(٢) تفسير الطبري ج٩ ص٥١٩.

(٣) محاسن التأويل للقاسمي ٣/٦١٠.

(٤) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر ج١ ص٤٠٩.

الرمزي، وهو التفسير الذي سلكه الصوفيون[١] وهم يحسبون أنهم يسلكون الأول وما هم بسالكيه.

ذلكم أن التفسير الرمزي تفسير صوفي يعتمد في سبيل الوصول إلى المعرفة على منهج قوامه الوجد، والذوق، والترقي، في مقاماتهم، حتى يصل المتصوف مقام العرفان فتفيض عليه ـ بزعمهم ـ مكنونات العلم وأسرار المعرفة بل يصل إلى أبعد من هذا فتفوض جملة الأمور إليه بحيث لا يسقط ورق من شجر، إلا بإذن، وكتاب، وأجل منه، وليس وراء هذه مقام ومرتبة[٢] ولأنهم لا يخضعون لضوابط لغوية أو شرعية اتخذوا لأنفسهم مصطلحات لا يمكن فهمها لغيرهم، بل حتى هم أنفسهم لا يعرفون بعضها، ويحذرون المريد من الشك فيما لا يفهمه من طلاسمهم[٣].

وهذا النوع هو الذي أراده الإمام الغزالي في الصنف الثاني من الشطح عند الصوفية، حيث قال عنه: «كلمات غير مفهومة لها ظواهر رائعة، وفيها عبارات هائلة، وليس وراءها طائل، وتلك إما أن تكون غير مفهومة عند قائلها بل يصدرها عن خبط في عقله، وتشويش في خياله، لقلة إحاطته بمعنى كلام قرع سمعه، وهذا هو الأكثر، وإما أن تكون مفهومة له، ولكنه لا يقدر على تفهيمها وإيرادها بعبارة تدل على ضميره لقلة ممارسته للعلم وعدم تعلمه طريق التعبير عن المعاني بالألفاظ الرشيقة، ولا فائدة لهذا الجنس من الكلام، إلا أنه يشوش القلوب ويدهش العقول، ويحير الأذهان[٤] هذه ناحية من ناحيتين يؤدي إليهما التفسير الذي يقوم على الوجد والذوق.

---

(١) الصواب بعض الصوفيين لأن من الصوفيين من التزم بالتفسير الإشاري المقبول ولم يجاوزه إلى غيره.

(٢) اتجاهات التفسير ٤٠٩/١ وبيان السعادة محمد حيدر ٧٩/١.

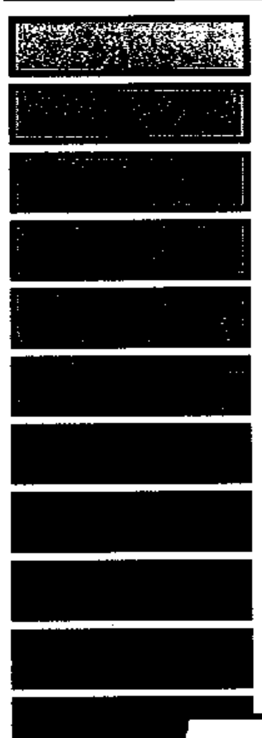
(٣) المصدر السابق ٤١٠/١.

(٤) إحياء علوم الدين ٤٢/١.

أما الناحية الثانية: فهو ما زعموه من الحب لله، وتفريغ القلب من سواه، والعشق والهيام، وقسموا أنفسهم حسب تفاوتهم في هذا إلى مراتب وأعلاها مرتبة الفناء، وهي أن ينتهي سلوكه إلى الله تعالى في الله، يستغرق في بحر التوحيد والعرفان، بحيث تضمحل ذاته في ذاته، وصفاته في صفاته، ويغيب عن كل ما سواه، ولا يرى في الوجود إلا الله، وهو الذي يسمونه الفناء في التوحيد[١].



(١) اتجاهات التفسير ٤١٠/١ وإحياء علوم الدين ج١ ص٤٦.



الباب الرابع
المفسرون وتفاسيرهم من القرن الثاني عشر إلى نهاية القرن الرابع عشر



الفصل الأول

المفسرون وتفاسيرهم في القرن الثاني عشر

يعتبر القرن الثاني عشر للهجرة من العصور التي انتعشت فيها الثقافة الإسلامية العربية في بلاد شنقيط، لكن الثقافة في هذا العصر لم تصل إلى ما وصلت إليه في القرن الثالث عشر كما سيأتي الكلام عليه لاحقاً.

وبالعموم فالدارسون ينوهون بالنهضة التي حصلت في هذين القرنين في هذه البلاد، فيقول الطاهر الحاجري:

إن الصورة التي أتيح لنا أن نراها لشنقيط في هذين القرنين ١٢، ١٣هـ جديرة بأن تعدل الحكم الذي اتفق مؤرخو الأدب العربي على إطلاقه[1].

في هذا العصر برزت شخصيات علمية ولغوية كثيرة، وفي علم التفسير الذي يهمنا بالذات ظهر علماء اشتهروا به منهم:

- محمد امو بن عبدالرحمن التشيتي (ت١١٣٥هـ).
- محمد بن أبي بكر الولاتي المحجوبي (ت١١٣٧هـ).
- سيدي عبدالله بن محمد العلوي (ت١١٤٣هـ).

---

(١) بلاد شنقيط: المنارة والرباط، ص٣.

ـ محمد بن سعيد اليدالي (ت١١٦٦هـ).

ـ أحمد بن الحاج حمى الله القلاوي (ت١١٩٣هـ).

لكن لم يبق أثر لتفسير هؤلاء باستثناء العلامة اليدالي ١١٦٦هـ.

وبما أنه المفسر الوحيد الذي ترك لنا آثاراً باقية في التفسير فإننا أعطيناه عناية خاصة وعلقنا على تفسيره من عدة جوانب.

* * *

العلامة محمد اليدالي (ت١١٦٦هـ)

ـ مؤلف تفسير الذهب الإبريز في تفسير كتاب الله العزيز.

ولد محمد اليدالي سنة ١٠٩٦هـ عند بير شهيرة تسمى (بيرتند كسم) بولاية اترارزة وكان ميلاد اليدالي المذكور بعد شربب الشهيرة بعشر سنوات تلك الحرب التي اصطلى بنارها المغافرة (بنو حسان) في ولاية اترارزة وبعض زوايا تلك المنطقة خاصة قبيلة اليدالي فأذاق فيها القوم بعضهم بأس بعض وهلك فيها خلق كثير منهم العلماء والشعراء والكتاب كما ضاعت فيها مكتبات علمية عظيمة، وانتهت المعركة بانتصار ساحق للمغافرة على حساب الزوايا ووضعت عليهم شروط قاسية(١).

في هذه الظروف الصعبة نشأ اليدالي وفتح عينيه على هذا الواقع وتأثر به أيما تأثر ولا يخفى ذلك على المتتبع لأعماله الثقافية أدبية كانت أم شرعية.

● نسبه:

هو: محمد بن المختار بن محمد سعيد بن المختار من قبيلة إداوداي التي تنتمي إلى تحالف تشمشه المعروف ويتألف من: إديقب وإدقبهني

---

(١) انظر بلاد شنقيط المنارة والرباط الخليل النحوي ص٣٠٧، ط أولى.

وإداشفاق وإداوداي وأولاد ديمان، وكثيراً ما ينسب اليدالي للديمانيين لأن اليداليين والديمانيين يكونان حلفاً داخل تجمع تشمشه كما أن إداشفاق وإدقمهني يكونان تحالفاً آخر وفي هذا المعنى يقول الشيخ محمد المامي بن البخاري:

وَكُنَّا خَمْسَةَ الْحُفَّاظِ مِنَّا مُضَاعَفَةٌ وَغَيْرُ مُضَاعَفِينَا
تَضَاعَفَ مَنْ تَيَامَنَ وَانْفَرَدْنَا بِثَغْرٍ لاَ يُقَالُ بِهِ مَنُونَا

يعني أن الذين ذهبوا إلى جهة اليمين كانت كل قبيلتين تكونان تجمعاً، أما اليعقوبيون فانفردوا في الناحية الشمالية وهم معروفون فيها لا يسأل عنهم لمكانتهم. وهذا هو معنى قوله: (لا يقال به منوناً) أي لا يقال من أنتم؟[1].

تلقى اليدالي مبادىء تعليمه الأولى في بيت أهله وقرأ القرآن على شيخ أشفغ أبي محمد عبدالله بن عمر التونكلي، وأخذ عن أشياخ آخرين من أبرزهم: مينحن بن مود بن مالك، وأحمد بن أشفاق المختار بابو، والمختار بن الفاغ موسى وآخرون.

وقد تميز اليدالي بموهبة نادرة وذكاء متقد كان له أثر كبير في تعليمه قبل كل شيء وقد غذى هذه الموهبة وهذا الذكاء بهمة عالية لا تلين ولا تقف عند حد، وهذا ما جعل بعض الباحثين يصفه بأنه (رجل عصامي علم نفسه بنفسه) وهكذا استمر اليدالي منكباً على العلم والتحصيل حتى غدا أحد أربعة لم يبلغ في العلم أحد مبلغهم في هذا القطر شنقيط كما يقول أحمد بن الأمين وتخرجت على يد الشيخ محمد اليدالي مجموعة بارزة من علماء هذه البلاد. ويعتبر اليدالي شخصية علمية فذة جمعت معارف متنوعة شملت مختلف العلوم الشرعية واللغوية والأدبية والتاريخية.

فهو شاعر مفلق وناقد لامع يحترم الجميع رأيه ويعترفون له بالإمامة والسبق في هذا الميدان.

---

(١) وانظر شرح ابن عقيل للألفية في باب الحكاية ٣٣٣/٢ عند قول ابن مالك: (ونادرٌ منون في نظم عرو) والقياس من أنتم؟.

وكانت أغلب أغراضه الشعرية المديحيات والابتهالات وما شاكلها وقد ترك اليدالي ديواناً شعرياً يقارب ألف بيت، ولكن أشهر شعره قصيدته المبتكرة الجميلة في مدح النبي ﷺ في سبعة وأربعين بيتاً خارجة عن بحور الخليل الخمسة عشر وعن المتدارك والخبب[1] ومطلعها:

صَلاَة رَبِّي مَعَ السَّلاَمِ عَلَىٰ حَبِيبِي خَيْرِ الأَنَامِ
بَادِي الشُّفُوفِ دَانِي القُطُوفِ بَرٌّ عَطُوفِ لَيْثٍ هُمَامِ
ذَاكَ النَّبِيُّ الْهَاشِمِيُّ ذَاكَ الْعَلِيُّ الْهَادِي التِّهَامِي

وقد اعتنى اليدالي نفسه بقصيدته هذه فشرحها شرحاً مستوفياً سماه (المربي على شرح صلاة ربي) وبين فيه المناسبة التي قالها فيها، وهي أن أحد الشعراء الشعبيين مدح الأمير أحمد بن الهيبة البركني بقصيدة جميلة من الشعر الحساني المحلي، فغار الشيخ اليدالي فيها، وقال إن هذا الشعر الجميل لا يستحقه إلا رسول الله ﷺ، وقال هذه القصيدة في مدح النبي ﷺ وفي نفس البحر والروي، فغضب الأمير واستدعاه قائلاً له ما معناه ما حملك على أن تفرغ المديح الذي قيل في مدحي من محتواه فرد عليه اليدالي ردوداً قوية وصريحة، وأخيراً رضخ الأمير للحق وتقبل الواقع، مما ولد في نفس اليدالي شعوراً بمحبته حيث آل الأمر إلى أن قال قصيدة في مدح هذا الأمير مطلعها:

قَضَتْ حِكْمَةُ الْجَبَّارِ بِالْفَتْحِ وَالنَّصْرِ لِأَبْنَاءِ أُمِّ الْعِزِّ بِالْعِزِّ وَالظَّفْرِ

ـ واليدالي فقيه بارز له فتاوى وشروح فقهية، شملت عدداً من المواضيع، كما أنه أصولي بارز، وسيري مشهور، وتآليفه في هذا الميدان بارزة، وقد أوصل البعض تآلفه إلى خمسين تأليفاً، وهو يستقل ما ألف ويتمنى لو أتيحت له الفرصة ليقدم أكثر ولكن حياة البادية حالت دون ذلك، يقول (لو لم أكن بدوياً لألفت مثل ما ألف السيوطي)، والشيخ اليدالي

---

(١) الشعر والشعراء للدكتور محمد المختار ابن اباه ص٧٦.

صوفي على الطريقة الشاذلية وقد أخذها عن شيخه: مختار بن المصطفى ويقال إن هذا الشيخ هو أول من أدخل الشاذلية إلى منطقة (القبلة)، وهي المنطقة التي نشأ وعاش فيها اليدالي.

ويعتبر اليدالي من أبرز أوائل مؤسّسي الصوفية الشنقيطية الذين صبغوا حياتهم الثقافية بصبغة صوفية خالصة، ويتجلى ذلك في كتبه بصفة عامة وخاصة تفسيره الذهب الإبريز، وكتاب: الأفعَى، وخاتمة التصوف، وغير ذلك من كتبه، كما أن الذين كتبوا عن حياته بينوا جوانب كثيرة من تصوفه مثل النابغة القلاوي في كتابه (النجم الثاقب في بعض ما لليدالي من مناقب).

● **تآليفه:**

لليدالي تآليف كثيرة في موضوعات متعددة، تدل على مكانته العلمية، وهو من أول المؤلفين الشنقيطيين الذين وصلت إلينا كتبهم - إن لم يكن أولهم ومن مؤلفاته:

١ - الذهب الإبريز في كتاب الله العزيز، وهو تفسير يقع في أربع مجلدات ويبلغ ١٥٦٠ صفحة بالمقاس ٢٩×٢٢، وعدد الأسطر في الصفحات تتراوح بين ٣٤ و٣٢، أي ما يقارب ٥١٤٨٠ سطراً، وعدد الكلمات في السطر ١٣ كلمة في الغالب، أي ما يقارب ٦٦٩٢٤٠ كلمة، وقد اعتنى بهذا التفسير الأستاذ الجليل الراجل بن أحمد سالم، حفيد المؤلف فكتبه جميعاً بيده وصححه تصحيحاً دقيقاً، حيث بحث عن جميع نسخ الكتاب الموجودة، وأخرج منها نسخة مصححة مكتوبة بخط جميل على ورق قوي، وقد اعتمدنا على هذه النسخة في النماذج التي أخذنا من الذهب، كما قام بعض طلبة المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية بتحقيق أجزاء متفرقة من هذا التفسير، وقد كتب لاكونت أفرانك الفرنسي الجنسية بحثاً عن التفسير الصوفي في الذهب الإبريز وحصل به على شهادة الدراسات المعمقة من جامعة مارسيليا ١٩٩٥م.

٢ ـ خاتمة التصوف وشرحها.

٣ ـ شِيَمُ الزَّوَايَا، تحدَّثَ في هذا الكتاب عن أخلاق زوايا «تَشَمْشَهْ».

٤ ـ فوائد الفوائد: وهو كتاب في العقائد على طريقة المتكلمين الأشاعرة.

٥ ـ النصيحة لأبناء عمومته.

٦ ـ الصوارم الهندوانية في رد شبه الجيم السودانية.

٧ ـ حلة السيرا في أنساب خير الورى في «السيرة النبوية».

٨ ـ رسالة اللفعة.

٩ ـ أمر الولي ناصر الدين.

١٠ ـ المربي على شرح صلاة ربي، وكتب أخرى..

وقد كتب العلامة محمد النابغة سيرة الشيخ العلامة محمد اليدالي بأسلوب جميل في كتابه: النجم الثاقب في ما لليدالي من مناقب[١]، ويذكر له كتاب آخر قريب من هذا واسمه (السند العالي في مناقب اليدالي) ولم أطلع عليه.

ويذكر الشيخ ابن محمد عينينا في تحقيقه لجزء سورة يوسف من تفسير الذهب أن العلامة اليدالي تأثر تأثراً بالغاً بأربع علماء كان لهم أثر بالغ في تكوين شخصيته، اثنان منهم من أشياخه وهما:

١ ـ الفقيه مينحن ولد مودي مالك الذي تقدم أنه شيخه.

٢ ـ مختار ولد المصطفى وهو شيخه الذي أخذ عنه الطريقة الشاذلية كما تقدم أيضاً.

---

(١) هذا الكتاب حققه الأستاذ محمدن ابن باباه، كما اعتنى الأستاذ محمدن بشخصية اليدالي، فكتب عن سيرته فصولاً وافية، كما حقق كتاب اللفعة الذي ذكرناه من قبل، وهو كتاب حافل بالشواهد الشعرية والحكم والأمثال والمواعظ، وقد نشر هذا الكتاب أيضاً.

أما الآخران فلم يدركهما ولكنه متأثر بهما وهما:

١ ـ الإمام السيوطي (ت٩١١هـ) الذي تأثر بكتبه تأثراً بالغاً وقد تقدم قوله: لو لم أكن بدوياً لألفت مثل ما ألف السيوطي.

٢ ـ ناصر الدين الديماني (ت١٠٧٥هـ)، الذي كان قائداً لطائفة الزوايا في حرب شربب المتقدمة الذكر، فقد أعجب بعلمه وورعه وكان متأثراً به تأثراً بيناً، وقد ألف في مناقبه كتاباً سماه أمر الولي ناصر الدين.

• مكانة الشيخ محمد اليدالي الاجتماعية:

لقد تبوأ الشيخ اليدالي مكانة اجتماعية متميزة في قومه بفضل علمه وأدبه وأخلاقه، فقد عرف عنه أنه لم يركز بصره على أحد لأدبه الجم وخلقه الرفيع، وكان قريباً من مجتمعه متفاعلاً معه، معلماً وناصحاً ومصلحاً يسعى لبناء مجتمع الفضيلة الذي ينشده والذي حدد أسسه في كتابه «شيم الزوايا»، وكانت له صلات ومودة مع العلماء والأمراء في عصره، كما نصحهم وتعرض لمآخذهم، فرد عليهم الرد الجميل المقنع، ويمكن أن نقول بدون مبالغة أن اليدالي كان لسان حلف تشمشه الناطق، جرد قلمه لذكر مآثرهم والدفاع عن قضاياهم، وقد ظهر ذلك في كتبه ومواقفه.

• وقفة مع الذهب الإبريز:

لقد وعدت قبل قليل بالعودة إلى تفسير الشيخ اليدالي للتوسع في الحديث عنه وها أنا أنجز وعدي فأقول: إن لليدالي تفسيراً متميزاً سماه الذهب الإبريز في تفسير كتاب الله العزيز.

ويعتبر هذا الكتاب موسوعة تفسيرية إذ يقع في أربع مجلدات ضخمة تتصدرها مقدمة بالغة الأهمية، وتختتم كذلك بخاتمة مفصلة، وقد كان اليدالي وهو يعقد العزم على تأليف كتابه يحس أنه مقبل على مشروع كبير، لذلك نظم منظومة مطولة توسلية يطلب العون خلالها من الله ويستغيث به وقد استفتحها قائلاً:

إنَّ هَمِّي كِتَابُكَ الْمُسْتَبِينُ يَا إِلٰهِي يَا مَنْ بِهِ نَسْتَعِينُ
أَنَا مِنْ خَادِمِيهِ وَالْمُسْتَحِقُّ الدَّهْشَرَ لِلْخِدْمَةِ الْكِتَابُ الْمُبِينُ
حُبُّهُ فِي قَلْبِي وَخِدْمَتُهُ مَا عِشْتُ دَأْبٌ وَدَيْدَنٌ لِي وَدِينُ

إلى أن يقول:

وَأَعِنِّي يَا ذَا الْجَلاَلِ عَلَيْهِ وَأَعِنْ مَنْ يُعِينُنِي يَا مُعِينُ
يَا إِلٰهِي وَاجْعَلْهُ لِي شَافِعاً لاَ مَاحِلاً لِلْفِعْلِ الْقَبِيحِ يُبِينُ[1]

واستفتح مقدمته بالتأكيد على أفضلية القرآن داعياً إلى الاهتمام بهذا النص المحكم وتدارسه، إذ هو أعظم ما جرى به النطق وأكمل ما سطر به في الطروس وهو عماد معارف الشرع ومنطلق علوم اللسان:

«إن أجل القربات على الإطلاق، وأفضل ما فاهت به ألسن النطاق، وسطرته الأقلام في الألواح والأوراق، كلام الله وكتابه المجيد، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، الذي هو جماع العلوم الربانية ونظامها، ومالك الشريعة الحنيفية وقوامها، ومبدأ خيرات الدنيا والآخرة وختامها ورئيس العلوم الدينية ورأسها، ومبنى قواعد الشرع وأساسها».

وإثر ذلك يحدد لنا الدوافع التي دعته إلى هذا التأليف جاعلاً من أبرزها أفضلية خدمة القرآن، منبهاً إلى أن علم التفسير هو تاج العلوم وجوهرها الكريم، دون أن ينسى كثرة عجائبه وعلومه، إذ هو معين لا ينضب وعين ثرة ولعل ما زاد اهتمام الرجل بالتفسير صدود معاصريه عنه وإعراضهم عن سبيله، إذ يكاد يكون همهم منحصراً في الحفظ والاستظهار دون التدبر والتفكر في الدلالات والمعاني يقول: «ثم لما كانت خدمته من أفضل الأعمال وأمتنها حبالاً، وعلومه أقرب العلوم إلى الله وأرسخها جبالاً، وعلم تفسيره أعظم العلوم قدراً، وأرفعها شرفاً ومناراً، وكانت عجائبه

(١) ص٧ نسخة أ.

وعلومه غزيرة جمة، ولم تطمح من أبناء الزمان إليها الهمة، بل جل اهتمامه إنما هو مقاساة حفظه ومعاناته، معرضين عن تدبر معاني آياته، حتى أنك ترى مكلفهم يستغرق في دراسته الأوقات، وهو لم يحصل فرض العين في أمور الديانات، فحُرموا بذلك شريف فضله وجزيل خيره، ولم يعلموا أن حرف تدبر أفضل من حرفي غيره.

نهضت بحول الله تعالى وحسن عونه إلى تفسيره، راغباً إلى الله في قبوله وتسهيله، وتيسيره، ومتضرعاً إليه في التوفيق للاقتداء به، والعمل به وفهم أسراره ونكته وآدابه».

ولا ينسى اليدالي أن يحدثنا عن تعامله مع مصادره في هذا التفسير التي استأنس بها أو رجع إليها في ثنايا مؤلفه، منوهاً بقيمة كتابه منتهياً إلى انفراده بذخائر لا توجد في غيره من الكتب.

وقد أوجز مميزات هذا التفسير في ثلاثة أمور:

أولها: اعتناؤه بغريب القرآن ومشكلاته وتركيزه على المتشابه والمختلف والمتكرر.

ثانيها: الحديث عن بدع التفسير والضعيف من الأقوال والتأويلات.

ثالثها: استفراغ الجهد في إخراج زبدة نفائس نادرة جمعت من صفوة التفاسير.

يقول: ومعتنياً في هذا الكتاب بثلاثة أشياء لا تكاد توجد مجموعة في غيره من التفاسير.

أحدها: كشف مشكلات القرآن ومتشابهاته ومختلفاته ومكرراته، وجل اعتمادي في ذلك على كتاب فتح الرحمن بكشف ما يلتبس من القرآن وكتاب الفخر الرازي في مشكلات القرآن (...)[1].

والثاني: ذكر الباطل من التأويلات والأقوال الضعيفة منها...

---

(١) مقدمة الذهب ص٢ (مخطوطة).

والثالث: جمع المهم من ما افترق من التفاسير التي بأيدينا بحسب الطاقة، مع زيادة الفوائد ونفائس ولطائف من غيرها.

وأكثر من ذلك يعرض لجانب منهاجه القائم على الاختصار، والجمع والترجيح، فأحياناً يفسر القرآن بالقرآن أو الحديث أو بكلام أئمة الصحابة من المفسرين، كما قد يتناول الأقوال الضعيفة في الآية مبيناً درجة الاحتجاج بها وقيمتها التشريعية، دون أن ينسى علوم اللسان كالإعراب والتصريف والبلاغة، وهو كذلك يعنى برد الباطل من التأويلات والأقوال، كما أنه أحياناً يرجح بوجه من وجوه الترجيحات كتفسير بعض القرآن ببعض أو بحديث يوافقه في المعنى أو بكثرة القائل به أو كون القائل ممن يقتدى به كابن عباس، كما إذا دل على صحة التأويل لغة، أو إعراب، أو تصريف أو اشتقاق، وكتقدم الحقيقة على المجاز، ومع أن اليدالي أطنب في تفسيره إطناباً كثيراً، وتطرق لموضوعات شتى، وأكثر من النقول عن المتقدمين والمتأخرين فيما له صلة بالتفسير وما لا صلة له به، نراه يعتذر لقارىء كتابه من الاختصار. فيقول: وإنما آثرت الاختصار لقصور همم أهل هذا الزمان، لانهزام جيش العلم وإدباره، وإقبال الجهل بجيوشه، ولا ينبغي أن يسأم طالب التحقيق من البسط، وينتهي به الحديث إلى تحديد مصادره التي بلغت على ما يبدو ما يربو على خمسة عشر مفسراً جمعت نوادر كتب التفسير المتميزة كتفاسير مكي بن أبي طالب، والثعالبي، والقرطبي، دون أن ينسى الاستئناس بتفاسير المتأخرين كالسيوطي مثلاً، فهو غالباً يزاوج بين مختلف هذه الكتب مخرجاً منها سبيكة بديعة التأليف مختلفاً ألوانها تضم المأثور إلى الفقه وتجمع النحو إلى الأدب وتلائم بين التصوف وعلم الكلام.

والحسنة التي تسجل لليدالي في هذا السياق هو حرصه الشديد على كُلِّ قول إلى قائله، مستشهداً بقولة ابن المبارك المشهورة: «الإسناد من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء»[1].

---

(١) أخرجه مسلم في المقدمة المجلد ١ ص١٥.

وبعد ذلك يصرح اليدالي بعنوان كتابه يقول: ولما جاء هذا الكتاب بحمد الله تعالى محتوياً على ما تضمنته الدواوين الكثيرة والطويلة، ولكن بعد تلخيصها ومحلى بعقود الأحاديث النبوية، والأحكام الشرعية، ومطرزاً بيواقيت الفوائد السنية، والنكت الحسان البهية، ومرصعاً بفوائد درر القصص الشهية والوقائع، وموشحاً باللطائف والنفائس الجليلة، وجامعاً للزوائد، ومقتنصاً للشوارد، وكافياً من اقتصر عليه، ووافياً ببغية من جنح عليه، تقربه عين الودود، وتكمد به عين الحسود، سميته «بالدر الفريد، في تفسير القرآن المجيد، أو بالذهب الإبريز، في تفسير كتاب الله العزيز»[١].

وكما يبدو اختار له عنوانين غير أن أحدهما هو الذي راج وكتب له البقاء مع الزمن.

ويبدو أن هذا التفسير شغل بال الرجل وأخذ عليه وقته فأعجب به إعجاباً غير يسير، فهو عصارة فكره وزبدة درسه وعمله؛ لذلك طفق يتصور في ذهنه مسبقاً تجاوب المجتمع معه مقسماً الناس إلى أربعة فرق.

أولاها: اعترفت بالفضل والجميل فأقبلت إلى الكتاب بشغف ونهم.

وثانيتها: أنكرت وأعرضت إذ صرفها داء الحسد والبغض، فلم تنتفع به.

وثالثتها: جانبت سبيله جهلاً منها بقيمة العلم والعلماء قصوراً عن الدرس والمطالعة.

أما **رابعتها**: فإنها تشكك في معرفته ومستواه العلمي، قاصرة الفضل على المتقدم واصفة من يشمر عن ساعد الجد في ذلك العهد لتفسير القرآن بالجرأة والتجاسر على القرآن بغير حق، ثم يأخذ بالرد على هذه الفرقة ضمن أسلوب ممتع يميل إلى الجدل والإقناع، وقد صرح من خلاله بحاجة كل من يشتغل بتفسير القرآن إلى التسلح بالفقه والأصول والتمكن من ناصية الأدب وعلوم اللسان، منتهياً إلى أن الفضل لا يرتبط بزمن ولا يتعلق

---

(١) الذهب الإبريز ص٣.

بشخص معين، فهو للأفضل ولو تأخر به الزمان، معززاً رأيه بحديث: «**أمتي كالمطر لا يدرى أوله خير أم آخره**»[١] أو كما قال ﷺ كما استدل أيضاً بقول ابن مالك الطائي «إذا كانت العلوم منحاً إلهية ومواهب اختصاصية، فغير مستبعد أن يدخر لبعض المتأخرين ما عسر على بعض المتقدمين، أعوذ بالله من حسد يسد باب الإنصاف، ويصد عن جميل الأوصاف، وفي هذه المقدمة الأولية يطلب اليدالي الرحمة لكل من يسعى جاهداً إلى إصلاح كتابه أو إطلاعه على الأخطاء يقول: «رحم الله عبداً رأى خللاً فأصلحه وأطلعني عليه، أو طغيان قلم ناظر بعين النصح والإنصاف إليه، وبعين القبول والرضى، معرضاً عما فيه من قصور».

فإن عين الكريم عن المساوىء عمياء، وأذنه عن المصائب صماء، قال[٢]:

فَقُلْتُ لَهُمْ لاَ تَنسوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ تَرىٰ عَيْنُ الْكَرِيمِ سِوَى الْفَضْلِ

يشير اليدالي في أسلوب من التواضع غير يسير إلى أنه ليس له في كتابه سوى الجمع والتنسيق إلى مختلف المصادر والمراجع لينسق بينها ويضم بعضها إلى بعض يقول في الرد على كل من ينتقد هذا الكتاب أو يتوجه إليه باللوم[٣].

ومن رأى خللاً في هذا الكتاب، فليراجع الأمهات المنقول منها،

---

(١) رواه الترمذي في الأمثال وأخرجه ابن عبدالبر في التمهيد بروايات حسان من حديث أنس وعبدالله بن عمرو بن العاصي وعمار بن ياسر وعمران بن الحصين انظر المجلد ١ ص٣٣٨، ٣٣٩ فتح المالك بتوفيق الشهيد لابن عبدالبر، الدكتور مصطفى، دار الكتب العلمية.

(٢) تفسير الذهب الإبريز ص٥٨.

(٣) وهذا القدر من التواضع الذي يصل إلى درجة نكران الذات كان شائعاً في بعض العصور فنلاحظ مثلاً أن علاء الدين أبا الحسن عليا بن محمد الخازن قال في ديباجة كتابه لباب التأويل، في معاني التنزيل إنه ليس له منه سوى النقل والانتخاب مع حذف الأسانيد وتجنب التطويل.

لا تصرف لي فيه إلا محض نقل كلامهم وجمعه، لأن دأبي التقاط درر العبارات من حياض العلماء، وأخذ غزير الإشارات من عياض الحكماء، فهو لسانهم وبيانهم لا بياني، وأرجو من المولى الكريم أن يجعل سعيي في هذا الكتاب خالصاً لوجهه الكريم[1].

ثم ينبه إلى أن تفسيره هذا إن كانت فيه جوانب مناقشة غير مرضية فأغلبه مقبول مرضي، ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها لذلك قال: «والذنب الواحد لا يهجر له الحبيب، والروضة الحسناء لا تترك لموضع منها جديب، ومن عثر في هذا الكتاب على سهو أو زلل فسيقف على إحسان كثير، وقد نفع الله الأئمة بكتب طارت كل مطار، وجاوزت الفلوات وشواطىء البحار، وما منها باب إلا وقد وقع فيه عيب وعرف فيه غلط بغير شك ولا ريب».

واستشهد في هذا السياق بعدة أبيات منها:

يَا نَاظِراً فِي مَا عَمِدتُ لِجَمْعِهِ ... أَعْذُرْ فَإِنَّ أَخَا الْبَصِيرَةِ مُعْذِرُ
فَإِذَا ظَفَرْتَ بِزَلَّةٍ فَافْتَحْ لَهَا ... بَابَ التَّجَاوُزِ فَالتَّجَاوُزُ أَجْدَرُ

ويردد أيضاً قول الحريري في هذا الموضوع حيث يقول[2]:

اسْمَعْ أَخِي وَصِيَّةَ نَاصِحٍ ... مَا شِيبَ مَحْضُ الْوُدِ مِنْهُ بِغِشِّهِ
لاَ تَعْجَلن بِقَضِيَّةٍ مَبْثُوثَةٍ ... فِي مَدْحِ مَن لَمْ تَبلُهُ أو خَدْشِهِ
وَقِفِ الْقَضِيَّةَ فِيهِ حَتىٰ تَجْتَلِي ... وَصْفَيْهِ فِي حَالَيْ رِضَاهُ وَبَطْشِهِ
وَيبِينَ خُلَّبُ بَرْقِهِ مِن صِدْقِهِ ... لِلشَّامِتِينَ وَوَبْلِهِ مِن طَشِّهِ
فَهُنَاكَ إن تَرَ مَا يَشِينُ فَوَارِهِ ... فَوْراً وإن تَرَ مَا يَزِين فَأَفْشِهِ

وفي الأخير يبين اليدالي عذره الواضح في صعوبة الحياة البدوية وكثرة المشاغل والهموم، يقول: «فعذري فيه أني اختطفته من بين أساود الهموم

(١) الذهب الإبريز ص٦٣.
(٢) الذهب الإبريز ص٥٩.

وأسود الأهوال، مع تشويش الخاطر وشغل البال، وتوالي العوائق الرائحة والغادية، وترادف الأسفار وجولان البادية، وفكرتي قد استولى عليها عوائق الفتور، وفطرتي قد شغلها علائق القصور».

وكثيراً ما يعتذر الشناقطة عن درك ما يريدون إدراكه من المعارف ببداوتهم، يقول الشيخ محمد المامي في مقدمة نظمه لخليل:

وَإِنَّنِي مُلْتَمِسُ الْمَعَاذِرِ ... بِالسِّنِ وَالْبَدْوِ مِنَ الأَكَابِرِ
فَلَمْ تَكُن مَعَاهِدُ الأَعْرَابِ ... أَهْلاً لِتَأْلِيفٍ وَلاَ إِعْرَابِ[1]

وإثر ذلك يتعرض للتأويل ليبينه لغة واصطلاحاً، فهو في الأصل «الرجوع من الأول يقال أولته فئال أي صرفته فانصرف، وهو رد الشيء إلى الغاية فالتأويل بيان المعاني والوجوه المستنبطة الموافقة للفظ الآية، وهو متوقف على الفهم الصحيح، أما من الوجهة الاصطلاحية فهو حمل الكلام على معنى غير المعنى الذي يقتضيه ظاهر اللفظ لموجب اقتضى أن يحمل عليه ذلك اللفظ ويخرج عن ظاهره».

وبعد هذه التعريفات حاول اليدالي أن يقدم جملة من المقولات والاستشهادات التي تروم التفريق بين هاتين الكلمتين المتقاربتين دلالياً، فساق كلام الكواشي[2] في هذه المسألة حيث يقول: «التأويل ما يرجع في كشفه إلى معنى الكلمة، وبيان ذلك لو قيل ما معنى (لا ريب) فنقول لا شك فهذا تفسير، فإن قيل فقد نفيت الريب، وقد ارتابوا فإن أجبت وقلت أنه في نفسه صدق وإذا تؤمل وجد كذلك فانتفى عنه الريب فهذا تأويل».

---

(١) بلاد شنقيط النحوي ص١٠٩.

(٢) الكواشي هو أحمد بن يوسف بن الحسن بن رافع بن الحسن بن سويدان الشيباني الموصلي موفق الدين أبو العباس الكواشي عالم بالتفسير من فقهاء الشافعية من أهل الموصل كان يزوره الملك ومن دونه فلا يعبأ بهم من كتبه كشف الحقائق ويعرف بتفسير الكواشي وكواش قلعة بالموصل ت٦٨٠هـ الأعلام ج١ ص٢٧٤.

وأكثر من ذلك يوضح الحدود الفاصلة بين التأويل والتفسير بقوله: «التفسير ما يتعلق بالرواية، والتأويل ما يتعلق بالدراية».

ونمر يسيراً على الفصل الرابع الذي تعرض أثناءه لحكم التفسير بالرأي، دون أن ينسى التشنيع على من حفظ القرآن ثم نسيه، أو لم يتعاهده، فقد أورد جملة من الأحاديث تحذر من القول في القرآن بغير علم أو تناوله بالرأي، فساق المحاورة التي دارت بين أبي بكر - رضي الله عنه - وأحد الصحابة، لما سأله عن معنى كلمة «أبا» الواردة في الآية ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١﴾ ونصها: «سئل أبو بكر - رضي الله عنه - عن معنى ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١﴾ فقال: أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إن قلت في كتاب الله بغير علم»[(١)]، وفي الحديث[(٢)] أيضاً: «**من قال في كتاب الله عز وجل برأيه فأصاب فقد أخطأ الطريق**»، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦].

ويذكرنا هذا الاستشهاد بموضوع التهيب من التفسير الذي كان حاضراً بشكل مكثف في أذهان الناس بهذا البلد كما أشرنا لذلك من قبل.

وبعد هذه المقدمة النظرية التي بسط خلالها اليدالي منهاجه يتناول مقدمات أخرى مألوفة عند أهل التفسير، وهكذا نجده يخصص للمقدمات ١٨ فصلاً يناقش في أولها قرآنية البسملة مستعرضاً مختلف الأقوال والآراء الواردة في ذلك دون أن يرجح أحدها.

أما الفصل الثاني فإنه يعرض للاستعاذة ودلالتها ومعناها، مشيراً إلى أن معناها التضرع واللجوء إلى الخالق والاحتماء به من المكاره والشرور، يقول:

---

(١) في الذهب الإبريز ص٦٤ وتقدم تخريجه وأثر أبي بكر رواه ابن أبي شيبة.. في المصنف مجلد ٦ ص١٣٧.

(٢) رواه أبو داود في كتاب العلم باب الكلام في كتاب الله بغير علم الرقم ٣٦٥٢ والترمذي في تفسير باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه ص٢٩٥٣.

«ومعنى أعوذ بالله ألتجىء إليه مضارعاً لأن معنى الاستعاذة لا يتعلق إلا بالمستقبل لأنه كالدعاء».

لينتهي إلى الغاية من الاستعاذة مؤكداً أنه ضرب من النظافة الإيمانية والاستعداد القلبي لتدبر القرآن والابتعاد عن الشواغل، يقول: «وبالجملة فالاستعاذة تطهر القلب من كل شيء يشغل عن الله، ومن لطائفها أنها إقرار من العبد بالعجز والضعف وبقدرة الباري تعالى بأنه القادر على رفع وسوسة الشيطان».

ونصل إلى فصله الثالث الذي محضه لتبيان دلالات التفسير والتأويل، مبدياً الفرق بينهما حيث بدأ بالتفسير ليعرفه تعريفاً لغوياً يحصره في معاني الكشف وإزالة الغطاء... يقول: «أما التفسير فأصله الكشف من الفسر وهو كشف ما غطي أو من الفسرة وهي الدليل ينظر فيه الطبيب فيكشف عن علة المريض، فكذلك المفسر يكشف عن معنى الآية وشأنها وقصتها»، ليعرض بعد ذلك إلى التفسير من الوجهة الاصطلاحية متناولاً أقسامه، يقول: «اعلم أن علم التفسير علم يبحث فيه عن أحوال القرآن من حيث دلالته على مراده بحسب الطاقة البشرية ثم هو قسمان: تفسير، وهو ما لا يدرك إلا بالنقل كأسباب النزول، ومكي الآيات ومدنيها، ومحكمها وناسخها، ومتشابهها ومنسوخها، والقراءات وقصص الأمم الماضية وأخبار ما هو كائن من الحوادث وأمور الحشر والميعاد.

والتأويل وهو ما يكون إدراكه بالقواعد العربية فهو مما يتعلق بالدراية»[1]. ويفسر اليدالي القول في كلام الله بغير علم أحسن تفسير ضارباً لنا مثلاً واضحاً يقول: «ومعنى ذلك التفسير بالرأي أن يسأل الرجل عن معنى في القرآن فيتسور عليه برأيه دون نظر فيما قال العلماء، أو اقتضته قوانين العلوم كالنحو والأصول، ثم يتعمق في هذا البحث مخرجاً منه نتيجة كبيرة وهي أن ما يتوصل إليه أهل الاختصاص بحكم درايتهم ومراسهم على استنباط المعاني واستخراجها ليس رأياً مجرداً، فإن أصحاب العلوم

---

(١) الذهب ص٦١.

يستطيعون أن يفسروا القرآن بحكم اختصاصهم دون أن يقعوا في المحظور، ولأن تحريم التفسير بالرأي الذي اشتهر على ألسنة العلماء إنما المقصود به ما كان مجرداً عن سند، يقول اليدالي: «ولا يدخل في هذا - يعني القول بالرأي - أن يفسر اللغوي لغته والنحوي نحوه والفقيه معانيه، ويقول كل واحد باجتهاده المبني على قوانين علم ونظر فالقائل على هذه الصفة ليس قائلاً بمجرد رأيه»، وقد استدل اليدالي لكلامه بإيراد لائحة كبيرة بأسماء بعض الصحابة والتابعين العلماء ممن نشروا القرآن على قدر ما أوتوا من العلم والمعرفة وقد امتد به الاستطراد إلى الحديث عن التفاسير الباطنية والصوفية ذاكراً منها أمثلة محذراً من اعتمادها نافياً عنها قداسة التفسير، يقول: «وكلام الصوفية في القرآن ليس تفسيراً»[1]، ثم ينتهي إلى التحذير من نسيان القرآن وعدم تعهده سائقاً قول السيوطي الذي يتضمن أن نسيان القرآن كبيرة، يقول: (وقال السيوطي: نسيان القرآن كبيرة جزم بذلك النووي لحديث[*]: «**عرضت علي أمتي فلم أر ذنباً أعظم من سورة من القرآن أوتيها رجل ثم نسيها**»، غير أنه سرعان ما يستدرك على هذا الرأي مورداً رأياً آخر يخالفه يقول: «وفي الدرر الملتقطة ما يفهم أنه يعني نسيان القرآن ليس بكبيرة وتوهم بعضهم أن هذا هو المراد من قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه: ١٢٦] وهذا غلط عظيم والآية إنما هي في الكافر. . .) وفصل فيه ابن رشد فقال: إن تركه للاشتغال بواجب أو مندوب حتى نسيه لا يأثم وإن تركه استخفافاً بحقه ورغبة عن ثوابه أثم.

ونعرج على الفصل الخامس الذي يتناول خلاله الرجل (جمع القرآن وتدوينه مفصلاً بشأنه القول مبيناً الأسباب الموضوعية التي جعلت هذا التدوين يتأخر إلى أيام الخلفاء الراشدين، يقول: وإنما ترك جمعه لأن النسخ كان يرد على بعضه ويرفع الشيء بعد الشيء من التلاوة كما ينسخ ببعض أحكامه (. . .) فحفظ الله كتابه في القلوب إلى انقضاء زمن النسخ،

---

(١) ص٧٠ المذكرة.

(*) رواه أبو داود كتاب الصلاة باب كنز المسجد رقم ٤٦١ والترمذي في جواب القرآن رقم ٢٩١٧.

ثم وفق لجمعه الخلفاء الراشدين ثم أكد على دقة الصحابة في جمع القرآن حيث اعتمدوا منهجاً صارماً يعتمد على القطع إذ أخذوا هذا النص بالتواتر الثابت الذي لا يتطرق إليه شك بقوله: «وثبت بالدليل الصحيح أن الصحابة إنما جمعوا القرآن بين الدفتين كما أنزله الله عز وجل على رسوله ﷺ من غير أن زادوا فيه أو نقصوا شيئاً، ثم استطرد الأسباب التي دعت إلى تدوين القرآن وجمعه، وقد ردها إلى حرص الصحابة على بقاء هذا النص المحكم مرتباً محفوظاً كما أنزله الله يقول: والذي حملهم على جمعه ما جاء مبيناً في الأثر، وهو أنه كان مفرقاً في العسب واللخاف والرقاع والأقتاب، والألواح والأكتاف، وفي صدور الرجال، حيث لم يوجد مكتوباً وبعد أن أطنب في تفسير هذه المفردات، حيث تناولها واحداً تلو الآخر بالشرح والتفسير، وذلك لأن قومه بحاجة إلى ذلك إذ هم بدو رحل والمصادر عندهم شحيحة والمكتوب قليل، فالكتاب بالأساس للتعليم والتدريس، فلنستمع إليه يقدم درساً معجمياً يقول: العُسُبُ كعُنُقٍ جمع عسيب وهو: جريد النخل وسعفه، واللخاف جمع لخفة حجارة بيض رقاق، والرقاع جمع رقة وهي: ما يكتب فيها والأقتاب جمع قتب وهي: الخشب التي توضع على ظهر البعير ليركب عليه[١].

ثم يسوق اليدالي قصة استحرار القتل يوم اليمامة وما ولدت في نفوس الصحابة من اقتناع بضرورة التدوين والجمع، إذ كثر القتل في صفوف حفظة القرآن يقول: ولما استحر القتل يوم اليمامة بقراء القرآن، فقتل منهم خلق كثير جمعه أبو بكر وعمر خوف ذهابه (. . .) ثم ساق القصة المعروفة بكاملها ناقلاً عن السيوطي في الإتقان وغيره، ثم نبه إلى ترتيب السور المكية في أنفسها ليتبعها بالسرد والمدنية كذلك، ثم تابع الحديث عن أحد المصاحف العثمانية متتبعاً مسيرته بالأندلس من العهد الأموي إلى أيام الموحدين.

ونصل إلى الفصل السادس من هذه المقدمة الطويلة والذي خصصه للحديث عن إنزال القرآن على سبعة أحرف، فذكر الحديث المعروف وبين

---

(١) ص٧٠ المذكرة.

أن رواته من الصحابة يبلغون واحداً وعشرين، ثم تعرض لاختلاف العلماء في دلالته، وأن أقوالهم بلغت الأربعين، ذكر منها من قال من العلماء: أنه من المشكل الذي لا يدرى معناه، ثم ذكر القول الذاهب إلى أن المراد بالسبعة هنا ليس العدد، بل المراد التيسير والتسهيل والسعة، قال: ولفظ السبعة يطلق على إرادة الكثرة في الآحاد، كما يطلق السبعون في العشرات والسبع مائة في المئين ولا يراد العدد المعين[1].

وبعد أن استعرض أقوالاً أخرى في تفسير هذا الحديث تناول مسألة الجمع بين القرآن في سورة واحدة أو في آية ناقلاً كلام ابن العربي يقول: وقال ابن العربي في عارضته يصح أن يبتدىء السورة لنافع ويختمها لابن عامر، بل ذلك سائغ في الآية الواحدة، ويقرأ الفاتحة في الصلاة كل آية بقراءة واحد من السبع، وتصح قراءته لأن الكل قرآن، قال: وربط النفس على قراءة واحدة تحكم على الله بغير دليل من غير نظر ولا تنزيل، وإنما اللازم أن لا يخرج أحد عن القراءة المتواترة عن النبي ﷺ إلى الشاذ[2]. ثم بالغ في جواز الجمع بين رواية ورش، وقالون، ناقلاً كلام سيد أحمد بن ملوكة: يقول: قال سيد أحمد بن ملوكة خلط قراءة ورش وقالون في الصلاة كمن خلط السمن بالعسل[3].

---

(١) ص٧١ انظر صحيح البخاري ج٦/١٠٠ ومسلم ٢/٢٠٤ البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة ص٣٣٢ والإتقان المجاد ١/١٣٥ والبرهان للزركشي ١/٢١٤.

(٢) انظر ص٧ المذكرة.

(٣) تكلم علماء القراءات وأهل الفن في موضوع جمع الروايات في القراءة في الصلاة أو في غيرها وخلصوا إلى ما يلي: يحرم الجمع في كلمة واحدة كالآخرة مثلاً، فإذا همزت لقالون يجب أن تفخم الراء وإذا نقلت الحركة لورش يجب أن ترقق له، وكذلك إذا كان يخل بالقواعد النحوية فإذا قرأت قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ فإذا رفعت آدم وجب أن تنصب كلمات ورفعها ممنوع والأولى القراءة برواية واحدة ولكن الجمع في غير الحالتين السابقتين غير ممتنع قال محمد مولود ابن أحمد فال الموسوي اليعقوبي المتوفى ١٣٢٣هـ.

والجمع إن فارق نهج العربي ... أو كان في كلمة عنه أبى

وليس بالحسن ممن يقتدى ... به ولكن لم يروه ملحدا

انظر المقبول النافع ص٩٦ (مرقونة).

ثم أشار في بحثه إلى تبيين شروط القراءة المقبولة يقول: ولا يجوز أن يقرأ في حرف إلا بثلاثة شروط:

١ ـ موافقته مصحف عثمان.

٢ ـ موافقته لكلام العرب ولو على بعض الوجوه أو بعض اللغات.

٣ ـ نقله نقلاً متواتراً أو مستفيضاً.

ثم ذكر من فوائد إنزاله على سبعة أحرف:

ـ التهوين على الأمة والتسهيل.

ـ إظهار شرف هذه الأمة على الأمم.

ـ إظهار أجرها.

ـ إظهار سر الله في كتابته وصيانته له من التبديل والاختلاف ثم عقد الفصل السابع لعلوم القرآن(١) وهي اثني عشر فناً:

١ ـ التفسير، ٢ ـ القراءات، ٣ ـ الأحكام، ٤ ـ النسخ، ٥ ـ الحديث، ٦ ـ القصص، ٧ ـ التصوف(٢)، ٨ ـ أصول الدين، ٩ ـ أصول الفقه، ١٠ ـ اللغة، ١١ ـ البيان، ١٢ ـ النحو ثم تناول بعد ذلك المعاني المتضمنة في القرآن وذكر أنها سبعة:

١ ـ علم الربوبية، ٢ ـ علم النبوءة، ٣ ـ المعاد، ٤ ـ الأحكام، ٥ ـ الوعد، ٦ ـ الوعيد، ٧ ـ القصص.

ثم خاض في مسألة كثرة المعاني في كتاب الله، وأن أفهام الناس

---

(١) يعني العلوم المتعلقة بالقرآن سواء كانت أداة في فهمه كعلوم اللغة مثلاً أو تؤخذ منه كالفقه والعقائد.

(٢) بعض العلماء يرى أن التصوف له تعلق بالقرآن لما ورد في القرآن من المعارف إلهية ورياضة النفوس وتنوير القلوب وتطهيرها باكتساب الأخلاق الحميدة واجتناب الأخلاق الذميمة، قال في الرباني وقد تكلمت المتصوفة في تفسير القرآن فمنهم من أحسن وأجاد ووصل بنور بصيرته إلى دقائق المعاني.

تتفاوت في الأخذ منه وتتقاصر عن الإحاطة به، استشهد لما قاله بكلام أبي بكر بن مجاهد الذي قال: (ما من شيء إلا وهو يمكن استخراجه من القرآن لمن فهمه الله تعالى)[١].

أما الفصل الثامن فإنه خصصه لذكر فضل القرآن، فذكر الحديث «إن الله تعالى يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين» كما ذكر الأحاديث الواردة في فضله وهي كثيرة جداً تناول العام منها والخاص، وجمع بين ذكر الصحيح وغيره ثم انتهى من ذلك إلى مسألة تدبر القرآن وفهمه وأفضلية ذلك فقال:

والحاصل: أن قلة القراءة مع التفهم أفضل من كثرتها مع عدمه، فقراءة آية بتفكر وفهم خير من ختم من غير تدبر وفهم، فإن تحت كل كلمة منه أسراراً لا تنحصر ولا يوقف عليها إلا بتدقيق الفكر عن صفاء القلب، فالتدبر والتفهم هما اللذان تحصل معهما الإنابة والخشوع وكل خير[٢].

ثم تعرض للخلاف الوارد في أجر غير المتدبر لكتاب الله مستشهداً ببعض شراح الرسالة يقول:

وذكر بعض شراح الرسالة في غير المتدبر قولين هل له أجر أم لا؟

والقول بعدم الأجر ضعيف وهذا الخلاف في غير المتعلم والله أعلم ثم يختم هذا الموضوع بقول التابعي الجليل محمد بن كعب القرظي المتوفي ١١٨هـ لأن أقرأ في ليلي حتى أصبح بإذا زلزلت والقارعة فقط بتفكر وتدبر أحب إلي من هذ القرآن ليلي... وتعرض في الفصل التاسع لختم القرآن مبيناً فضله ذاكراً جملة من الأحاديث التي تدعو إلى تلاوة القرآن وتعهده

---

(١) قال الإمام علي بن أبي طالب ما من شيء إلا علمه في القرآن ولكن رأي الرجال يعجز عنه.

(٢) ص٧٢ المذكرة.

يقول: (اعلم أنه ورد في ختم القرآن من الخير والفضل ما لا يحصى في الحديث: «إن أفضل الأعمال الحال المرتحل» وفسره في الحديث بصاحب القرآن يضرب من أوله إلى آخره، وفي آخره إلى أوله كلما حل ارتحل أي هو الذي يستفتحه في أثر ختمه)(١).

وقد جمع اليدالي جملة من الأدعية المأثورة عند ختم القرآن واستودعها تفسيره.

ونمر على الفصل العاشر الذي يتحدث الرجل فيه عن استحباب قراءة القرآن بالتجويد والصوت الحسن منبهاً إلى تحريم قراءته باللحون المرجعة كترجيع الغناء مستفتحاً كلامه في هذا الفصل برأي النووي روى الإجماع على استحباب قراءة القرآن بالصوت الحسن والتجويد: يقول: (قال النووي: أجمعوا على استحباب قراءة القرآن بالصوت الحسن والتجويد، وهو أمر محمود شرعاً قال تعالى: ﴿يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ﴾ الآية من سورة فاطر قيل أنه الصوت الحسن(*).

وقد ساق اليدالي بعد ذلك حديث استماع الرسول ﷺ لأبي موسى الأشعري ومحاورته معه يقول (استمع رسول الله ﷺ لقراءة أبي موسى الأشعري وأخبره بذلك فقال: لو كنت أعلم أنك تستمعه لحبرته لك تحبيراً أي لحسنته ولزينته بصوتي تزييناً، فقال ﷺ: «**لقد أوتي هذا مزماراً من مزامير آل داود**»).

ونتجاوز إلى الفصل الحادي عشر الذي جاء مستفتحاً له بالوعيد والتشديد الوارد في من لم يعمل بالقرآن، فقد ساق في هذا المعنى حديثاً مشهوراً ونصه (كنا أصحاب رسول الله ﷺ قد أوتينا الإيمان قبل القرآن، وسيأتي قوم بعدكم يؤتون القرآن قبل الإيمان، ويقيمون حروفه ويضيعون

---

(١) ص٨٢.

(*) ذكره ابن كثير في جامع المسانيد والسنن في مسند ابن عباس ج٣٠ ص١٤٩ وهو ضعيف. البخاري في فضائل القرآن، باب حسن الصوت ومسلم رقم ٧٩٣ رواه الترمذي أبواب القراءات ج١١ ص٦٦ مع العارضة لم أجده.

حدوده، يقولون قرأنا القرآن فمن أقر منا، علمنا فمن أعلم منا، وذلك حظهم منه)[١] وأكثر من ذلك يورد كلاماً مأثوراً عن أنس بن مالك ونصه: (رب قارىء للقرآن، والقرآن يلعنه، ثم يقرأ ألا لعنة الله على الظالمين، وهو قد ظلم نفسه).

ونعبر إلى الفصل الثاني عشر الذي جاء لينبهنا إلى ما جاء من أن القرآن شفاء وقد أورد خلاله بعض الآثار لينهي إلى تبيان شروط الاستشفاء، وقد أوجزها في إخلاص النية وحسن الاعتقاد، يقول: (وشروط الاستشفاء بالقرآن استعماله بنية الشفاء، وخلوص الاعتماد على الله تعالى، وصدق التوكل عليه بتفرغ قلبه من الأغيار، وإقباله على الله تعالى بكليته بحيث لا تستولي الغفلة على القلب لحديث: إن الله تعالى لا يقبل الدعاء من قلب غافل لاه فمتى تخلف الشفاء به فلمانع كضعف اعتقاد الشفاء به، وضعف تأثير الفاعل، أو لعدم قبول المحل المنفعل ـ قاله الهيثمي).

أما الفصل الثالث عشر فقد تناول فيه الناسخ والمنسوخ، واستفتحه بتعريف النسخ بأنواعه ثم أكد على جواز النسخ عملاً ووقوعه شرعاً متعرضاً لمن منعه من اليهود كالسمعونية التي منعته عقلاً وسمعاً، يقول: (والنسخ رفع الحكم الشرعي بحكم شرعي متأخر عنه، وأجمع المسلمون على جواز النسخ، قاله في اللباب إلا طائفة منهم قليلة أنكرته، ودليل الجمهور أنه لا تصح نبوءته ﷺ دون نسخ شرع من قبله، وأنكره اليهود فمنعته الشمعونية منهم عقلاً وسمعاً).

ومنعته العنانية سمعاً فقط، والعيسوية قالوا بجوازه ووقوعه، وإنما منعته اليهود لوجوه: **أحدها**: أنهم ظنوا أن النسخ والبداء واحد قالوا كالذي يرى الرأي ثم يبدو له غيره، **والثاني**: أنهم قالوا إن الفعل إما حسن فيستحيل النهي عنه وإما قبيح فيستحيل الأمر به[٢].

(١) ص٨٢.

(٢) ص٨٣.

ويأخذ اليدالي في الرد على موقف اليهود ومن في شاكلتهم مبيناً الفرق بين النسخ والبداء موضحاً أن أحوال المكلفين واختلاف الأزمنة والمصالح يقتضي اختلاف الأحكام، يقول: (أما بطلان قولهم أن النسخ بداء فبيانه أن النسخ بيان مدة الحكم كالإحياء بعد الإماتة، والمرض بعد الصحة، والفقر بعد الغناء، وعكس كل ذلك لا يكون بدءاً، ولأن المصالح الداعية للنسخ ترجع لأحوال المكلفين أو الأزمنة وذلك لا يلتزم بل ولا يقتضي أن الله تعالى ظهر له شيء بعد أن لم يكن).

ونلاحظ هنا أن اليدالي لم يكتف بتدوين آراء علماء المسلمين بل إنه يتجاوز ذلك إلى آراء علماء اليهود بطوائفهم المختلفة، عازياً كل قول للطائفة التي تقول به وبعد انتهائه من استعراض الأقوال بدأ في الرد عليها بالنقل وبالعقل واستطاع أن يفند كل حجة يحتجون بها موضحاً مذهب الجمهور الموافق للنقل والعقل مستخدماً أسلوبه المشبع بالمنطق والبيان، وذلك في شيء من الاستطراد غير يسير دعاه إلى تتبع الأقوال الواردة في النسخ والتوسع فيها ويأتي الفصل الرابع عشر ليعرض فيه للمحكم والمتشابه بادئاً بتوضيح التوسيعات المنطقية لوجود المتشابه في القرآن معللاً ذلك ببيان أسلوبه وتمييزه، حيث نزل بلسان عربي مبين يقول: وإنما لم يكن كله محكماً بل فيه متشابه للمعان:

الأول أن القرآن نزل بألفاظ العرب، وكلام العرب فيه المجاز والإشارات والتلويحات، وإغماض بعض المعاني وهذا موجود في القرآن ليتحقق عجزهم عن الإتيان بمثله ومن لم ينتبه لإعجاز القرآن فهو كما قال:

والنجم تستصغر الأبصار صورته والذنب للطرف لا للنجم في الصغر

ولا ينسى أن يعدد فوائد المتشابه ذاكراً منها اشتغال أهل العلم بردهم المتشابه إلى المحكم فيطول بذلك فكرهم فيثابون على ذلك، ثم أضاف أنه لو كان كله محكماً لاستوى فيه العالم والجاهل ولماتت الخواطر وخمدت الأفكار وبعد ذلك يعرض للآراء المختلفة حول المحكم والمتشابه، فصدرها

بتعريف ابن الحاجب الذي قال فيه: المحكم المتضح المعنى والمتشابه مقابله.

ليوسع في شأنه ذاكراً في تعريفه أربعة عشر قولاً، محيلاً على الكواشي وغيره، وقد ختم هذا الباب بقوله: ومضى صدر هذه الأمة وساداتها وأئمتها الفقهاء وقادتها على ترك التعرض للمتشابه.

أما الفصل الخامس عشر فقد خصصه لحكم الوقف في القرآن ذاكراً مراتبه مستدلاً بما ورد فيه من الآثار عن السلف، وهذا البحث في الواقع من مباحث النحو والقراءات.

ونصل إلى الفصل السادس عشر الذي تعرض فيه لبيان السور المكية والمدنية مبيناً آراء العلماء حولها، موضحاً سماتها وعلاماتها وما تمتاز به كل عن الأخرى.

أما الفصل السابع عشر فإنه خصصه للكلام على نقط القرآن وتحزيبه وتعشيره ومشكله، وقد أوجز الكلام في هذا الفصل بشكل غير معهود عنده، وأخيراً خصص الفصل الثامن عشر للبحوث المتعلقة بعدد الآي وعدد ما يخص كل موضوع، وختم هذه المقدمة الطويلة بأنظام لشيخه الفقيه أبي محمد عبدالله بن عمر التونكلي ووصفها بأنها تسهل الحفظ وتقرب المعنى، ونورد الآن بداية النظم:

الْقَوْلُ فِي عَدَدِ آيَاتِ السُّوَرْ فَخُذْهُ نَظْماً آخِذاً بِمَا اشْتَهَرْ

وبعد هذه المقدمة الطويلة المشحونة بعلوم القرآن بدأ الحديث عن الفاتحة مشيراً إلى مكيتها معدداً أسماءها، ذاكراً الأحاديث الواردة في فضلها، واقفاً مع البسملة يسيراً حيث تعرض لمعنى الاسم ولغاته العشر، مستشهداً ببيتين لعمه الأمير ابن محمد السعيد:

لُغَاتُ الاِسْمِ قَدْ حَوَاهَا الْحَصْرُ فِي بَيْتِ شِعْرٍ وَهُوَ هَذَا الشِّعْرُ
اسْمٌ وَحَذْفُ هَمْزَةٍ وَالْقَصْرُ مُثَلَّثَاتٌ مَعْ سِمَاتٍ عَشْرُ

ثم تعرض لمعنى الرحمن الرحيم ذاكراً أنهما صفتان من الرحمة ومعناها الإحسان، فهي صفة فعل وقيل إرادة الإحسان فهي صفة ذات وفي الحديث أن الرحمن في الدنيا والآخرة والرحيم في الآخرة.

ونلاحظ أن اليدالي انطلق من شرح المفردات اللغوية ليتجاوز إلى الآثار معدداً الأقوال الواردة غير مكتف ببعضها منتهياً إلى ذكر بعض الأقوال الشاذة ليرد عليها. قال: من الشاذ ما روى المبرد وثعلب أن الرحمن عبراني، والرحيم عربي وضعفه ابن الأنباري، والزجاج وغيرهما، وقد وجد في اللسان العبراني، ولكن بالخاء المعجمة والله أعلم[١].

ثم وصل إلى تفسير الفاتحة، بادئاً بتعريف الحمد مفرقاً بينه وبين الشكر، وقد أطنب في هذا المعنى واستخدم اللغة والأثر، وأكثر من العزو إلى أهل التصوف معضداً تفسيره بجملة من القصص والنوادر المأثورة عن أئمة السلوك، ومثال ذلك قوله: قال رجل لإبراهيم بن أدهم: إن الفقراء إذا أعطوا شكروا وإذا منعوا صبروا قال إبراهيم هذه أخلاق الكلب، ولكن الفقراء إذا منعوا شكروا وإذا أعطوا آثروا[٢] ثم تعرض لتفضيل الحمد لله على لا إله إلا الله سائقاً حديثين قال: ذلك لوجهين أحدهما: ما أخرجه النسائي عن رسول الله ﷺ: «**من قال لا إله إلا الله كتبت له عشرون حسنة ومن قال الحمد لله** رب **العالمين كتبت له ثلاثون حسنة**»، والثاني: أن التوحيد الذي تقتضيه «**أفضل ما قلته أنا والنبيئون من قبلي: لا إله إلا الله**»، فإنما ذلك للتوحيد الذي تقتضيه وقد شاركتها الحمد لله رب العالمين في ذلك وزادت عليها، وهذا لمؤمن يقولها لطلب الثواب[٣] ويتناول بعد ذلك قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝﴾ مبيناً المعاني النحوية والصرفية مركزاً على الدلالات اللغوية، منتهياً إلى ذكر بعض أحوال أهل التصوف وما نقلوه في كتبهم يقول: إياك مفعول للفعل وهو نعبد، وإنما

---

(١) ص٦٢.

(٢) ص٦٣ الموطأ ج١ ص٤٢٣ مرسلاً ويتقوى بما رواه الترمذي رقم ٣٥٧٩.

(٣) ص٦٣.

قدم ليفيد الحصر فإن تقديم المعمولات تقتضي الحصر، فاقتضى قول العبد إياك نعبد أنه يعبد الله وحده، واقتضى قوله إياك نستعين اعترافاً بالعجز والفقر وأنه لا يستعين إلا بالله وحده فلذا قدم المعمول اهتماماً وشأن العرب تقديم الأهم، ومعنى نعبد نقيم الشرع والأوامر مع تذلل واستكانة ومعنى نستعين نطلب العون في جميع أمورنا وهذا كله تبرؤ من الأصنام.

ونتجاوز بعض استطرادات اليدالي لتفسيره لهذه الآية لنصل إلى اهتمامه بالمتصوفة ونقله عنهم يقول: قال الشعراني في كتابه الكبريت الأحمر: وإنما قال نعبد ونستعين بنون الجمع لأنه تعالى أراد هنا أن نعبده بجميع أعضائنا الظاهرة والباطنة ونستعين به بكليتنا كذلك ومتى لم يجمع المصلي عالمه كله كان كاذباً في قوله: «نعبد ونستعين فإذا التفت إلى شيء قال له تعالى كذبت وكذا إن قال الحمد لله بلسانه فقط يقال كذبت وإن حضر بكامله يقول تعالى حمدني عبدي وقال له في الأولى حمدني لسان عبدي».

لينتهي إلى شرح دلالة الصراط واشتقاقه اللغوي يقول: «والصراط وهو لغة الطريق المحسوس الذي يمشي عليه، من سرط الطعام إذا ابتلعه فكأنه يسرط السابلة ولذا سمي لقماً لأنه يلتقمهم قاله البيضاوي، ثم استعير للطريقة التي يكون عليها الإنسان من الخير أو الشر» وختم حديثه عن الفاتحة بالكلام على لفظة آمين مؤكداً أنها ليست من القرآن ناقلاً كلام الكواشي في شأنها يقول:

آمين ليست من القرآن لأنها لم تكتب في مصحف الإمام ولم ينقل عن أحد من السلف أنها قرآن، وفي زماننا من يعتقد أنها من القرآن، وأنها قديمة، ويعتمد قدم اللفظ والشكل وأنهما من القرآن ويبرهنون على ذلك وقد أفتى علماء زماننا بردتهم وأنه لا تصح أنكحتهم ولا تحل ذبيحتهم، ويعزز اليدالي هذا الرأي بما نقل عن البيضاوي مبيناً السر في ختم سورة الفاتحة بلفظة آمين يقول: آمين ليست من القرآن وفاقاً لكن سر ختم السورة به لما ورد: علمني جبريل آمين عند فراغي من قراءة الفاتحة، وقال: إنه كالختم على الكتاب وفي معناه قول علي ـ رضي الله عنه ـ آمين خاتم رب

العالمين ختم بها دعاء عبده وتأكيداً على فضل الفاتحة وتبياناً لمكانتها يختتم هذا المبحث بالحديث الرباني، ونصه: **«قال الله عز وجل قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين قال الله تعالى: حمدني عبدي، فإذا قال: الرحمن الرحيم قال الله تعالى: أثنى علي عبدي وإذا قال: ملك يوم الدين قال: مجدني عبدي وإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين قال الله: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، فإذا قال: اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال الله: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل»**[1].

أما سورة البقرة فقد استفتحها برأيه في تفسير فواتح السور مؤكداً أن المختار في تفسيرها التوقف! وإرجاع العلم إلى الله، فهي مما استأثر الله بعلمه وهي من الأسرار الخاصة التي لا يعلمها إلا الله، لذلك توقف السلف الصالح عن الخوض في أمرها واعتبروها من المتشابه الذي يجب الإيمان به على مراد الله. يقول:

﴿الٓمٓ﴾ الله أعلم بمراده بذلك، قيل إن حروف الهجاء في أوائل السور سر الله في القرآن من المتشابه، والمختار في أوائل السور أنها من الأسرار التي لا يعلمها إلا الله تعالى، ورغم صرامة المنهاج السلفي الذي صدر به اليدالي تفسيره لهذه السورة فإنه قد ساق بعد ذلك جملة من أقوال أهل التفسير التي تركن إلى الخوض في أمور المتشابه محاولة أن تعطي لكل حرف دلالة معينة وتأويلاً خاصاً[2].

ونقف يسيراً عند تفسير الرجل لكلمة «للمتقين» التي أفاض في شأنها واستطرد كثيراً، مستعرضاً جانباً من ثقافته الأدبية ورؤيته الصوفية، منطلقاً أولاً من الدلالات اللغوية والشرعية لهذه الكلمة، ليقسم التقوى إلى ثلاثة مراحل مستشهداً لكل مرحلة بآية كريمة، وقد كشف هذا التقسيم عن تدرج

---

(١) الحديث في صحيح مسلم رقم ٣٩٥.

(٢) الذهب ٦٧.

العبد وترقيه ضمن مقامات اليقين ومدارج السلوك، يقول: وللتقوى ثلاث مراتب:

الأولى: التوقي من العذاب المخلد، والتبري من الشرك، وعليه قوله تعالى ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [الفتح: ٢٦].

والثانية: التجنب عن كل ما يؤثم من قول أو فعل حتى الصغائر عند قوم وهو التقوى شرعاً، كما يتنزه عما يشغل سره عن الحق وهو التقوى الحقيقي المطلوب لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢] وقد فسر المتقين هنا على الأوجه الثلاثة[١]، ولم يكتف اليدالي بالحديث عن مراتب التقوى، بل امتد به الأمر إلى تناول بواعثها ودوافعها، وقد أوجزها في عشرة أمور، يقول: البواعث على التقوى عشرة:

١ ـ خوف العقاب الدنيوي.

٢ ـ رجاء الثواب الأخروي.

٣ ـ خوف الحساب.

٤ ـ الحياء من نظر الله تعالى وهو مقام المراقبة.

٥ ـ والشكر على نعمه بطاعته.

٦ ـ والعلم، لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨].

٧ ـ وتعظيم الإجلال إليه وهو مقام الهيبة.

٨ ـ وصدق النية فيه.

ويبدو أن اليدالي لم يذكر من هذه العشرة إلا الثمانية المتقدمة، وفي تفسير هذه الكلمة يورد بعض الأبيات الشعرية التي تدعو إلى الصدق في المحبة، وما يلزم على ذلك من الطاعة والبعد عن المعصية، فقد استشهد بقول الشاعر:

---

(١) ص٧٢.

تَعْصِي الإِلَهَ وَأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ هَذَا لَعَمْرِي فِي الْقِيَاسِ بَدِيعُ
لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقاً لأَطَعْتَهُ إِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعُ

وبعد ذلك يعرض لتفسير قول الله تعالى: ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة: ٢] وبدأ يستطرد ـ كما هي عادته ـ مبيناً المعاني التي تحملها إقامة الصلاة التي تشمل الإتيان بها وبحقوقها من الإدامة عليها في مواقيتها وإتمام أركانها والمحافظة من أن يقع فيها خلل، سواء في فرائضها أو في سننها، مركزاً على أهمية الخشوع فيها وإيقاعها في جماعة، ثم استشهد بقول الشاذلي المتوفى ٦٥٦هـ في هذا المعنى: «إذا رأيتم الرجل يتهاون بصلاة الجمعة فلا تعبئوا به»[(١)]، كما ساق جانباً مما كان عليه السلف الصالح من المحافظة على الصلاة في الجماعة وتعظيم شأنها حتى أنهم كانوا يعزون أنفسهم سبعة أيام إذا فاتت أحدهم صلاة الجماعة ويقولون: «هذا ذنب عجلت عقوبته»، ولم يكتف بهذا بل استمر في الاستطرادات فعزا لأبي مدين التلمساني المتوفي ٥٩٤هـ قوله: «إنما فضلت صلاة الجماعة لأنه يكتب لكل أحد من صلاته ما حضر فيه منها ويرمي بما غفل فيه، فيكتب من صلاة عشرها ومن صلاة ثلثها، ومن صلاة سدسها إلى غير ذلك، فيرتفع للجميع صلاة واحدة فقط من تكملة الأجزاء بعضها ببعض ببركة الاجتماع والحضور مع الجماعة فيكتب لكل واحد صلاة كاملة، ومن هنا جعل بعض الأئمة الصلاة في الجماعة فرض عين كعطاء وأحمد وأبي ثور، ودليلهم حديث ابن أم مكتوم[(٢)] ولا ينسى أن يناقش الاشتقاقات اللغوية لكلمة (يقيمون الصلاة)، (فهي من أقام العود جعله قويماً لا اعوجاج فيه أم من أقام السوق جعلها نافقة غير كاسدة)[(٣)].

ويستمر في استطراداته معرجاً على الجانب الصوفي الذي دعاه إلى الحديث عن الخشوع والتركيز عليه إذ هو لب الصلاة قال: «ومن إقامة

---

(١) ص٧٢.
(٢) ابن مكتوب ص٧٣ مسلم ٣٥٣ وأبو داود كتاب الصلاة باب التشديد في ترك الجماعة ٥٥٢.
(٣) ص٧٣.

الصلاة الخشوع فيها وبالخشوع شرط الفلاح قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾ [المؤمنون: ١، ٢]، والصلاة التي لا خشوع فيها باطلة عند الصوفية[١] وأما عند الفقهاء فإن شغل عن الحضور فيها بالتفكير بأمر دنيوي وكان ملاصقاً لها فكأنه لم يدخل الصلاة وإن كان مما لا شعور له به، ولكن تقدم له ويخطر بباله فلا يضره إن كان يدري ما صلى، ولكن تندب له الإعادة إن كان شغله به زائداً على المعتاد قاله القباب ـ المتوفي ٧٧٨هـ ـ وإن شغله حتى لا يدري ما صلى أعاد أبداً على ظاهر المذهب قاله الحطاب المتوفي ٩٥٤هـ.

ويستخلص اليدالي من الأقوال السابقة زبدة لخصها في قوله: «والحاصل أن استرسال النفس مع الخواطر مضر، وأما هجومها على العبد بغير اختياره دافعاً لها ومجاهداً نفسه وشيطانه فيها فإنه لا يضر بل يؤجر عليه لأن ذلك خارج عن التكليف، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها، لأن المرء لا يستطيع أن يخلص في الصلاة من الفكر في أمور دنياه لأنه عليه الصلاة والسلام أخبر[*] أن الشيطان يأتي إليه في صلاته فمن جاهد نفسه وجبت له الجنة[٢]. والمتبع لتفسير هذه الآية يلحظ طول نفس الرجل حيث يتوسع في المناقشة وجمع النظائر والأشباه ملتقطاً الدر والفوائد مكثراً من إيراد كلام أهل الصوفية وهنا أورد النص الطويل للشيخ زروق الصوفي المعروف المتوفي ٨٩٩هـ فمن له كمال الصفا طولب بكمال الحضور، ومن له دون ذلك طولب بحسب المقام ولكل مقام مقال وصاحب الحال يسلم له وإلا فقد تذكر ﷺ البزة ونظر في الستر الذي كان عند عائشة ونظر إلى أعلام الخميصة ورمى بها وقال[*]: **«كادت أن تفتني في صلاتي ائتوني**

---

(١) القبس على الموطأ.

(*) البخاري في الأنبياء باب قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۝٣٠﴾ وفي عدة مواضع أخرى ورواه مسلم ٥٤.

(٢) ص٧٣.

(*) البخاري في الأنبياء باب قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۝٣٠﴾ وفي عدة مواضيع أخرى رواه مسلم ٤٤١. البخاري في الصلاة رقم ٥٦٦.

بانبجانية أبي جهم»، وغير ذلك من شواهد التوسعة وإن كان التحفظ هو المطلوب فدين الله يسر[١]. ونتجاوز إلى قوله تعالى: إن الذين كفروا...

فقد وقف معها اليدالي وقفة غير يسيرة، مبيناً أنواع الكفر، ضارباً لكل نوع منه مثلاً، مورداً فيه أحياناً بعض الآيات، ومنشداً فيه أحياناً أخرى بعض الشعر، لينتهي إلى تحديد الكافر، وتبيان صفاته وخلوده في النار وامتناع الغفران له، يقول: والكفر على أربعة أضرب:

- كفر إنكار، وهو أن لا يعرف الله أصلاً ككفر فرعون وهو قوله ما علمت لكم من إله غيري.

- وكفر جحود، وهو أن يعرف الله بقلبه ولا يقر بلسانه ولا يدين ككفر أمية بن أبي الصلت وأبي طالب الذي يقول في شعره:

وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ ... مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ الْبَرِيَّةِ دِينَا
لَوْلاَ المَلاَمَةُ أو حِذَارِي مَسَبَّةٍ ... لوجدْتَنِي سَمْحاً بِذَاكَ مُبِينَا
والله لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ بِجَمْعِهِمْ ... حَتَّىٰ أوَسَّدَ فِي التُّرَابِ دَفِينَا
فَاصْدَعْ بِأَمْرِكَ مَا عَلَيْكَ غَضَاضَةٌ ... وأبشر وَقُر بذاك منك عُيُونَا

- وكفر نفاق، وهو أن يقر بلسانه ولا يعتقد صحة ذلك بقلبه، وحاصله أن من جحد الله وأنكر شيئاً مما أنزل على رسوله أو أنكر النبوءة أو نبوءته ﷺ أو أحداً من الرسل فهو كافر مخلد في النار إن مات على ذلك ولا يغفر له، ولا ينسى اليدالي أن يتحدث عن أسباب النزول مشيراً إلى أن هذه الآية نزلت في مشركي العرب واليهود.

ولم يهمل اليدالي جانب القراءات وتوجيهها ولكنه يشير إليها عرضاً وتلميحاً دون شرح وتفصيل ففي تفسيره للآية ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: ١٠] نجده يشير إلى هذا البحث بإيجاز شديد حيث يقول بما كانوا يكذبون بالتشديد أي نبي الله.

---

(١) ص٧٣.

وبالتخفيف أي قوله آمنا وهم غير مؤمنين[١].

وإنا لنعجب من توسع اليدالي في بعض الجوانب إلى حد الإطناب واختصاره القول في جانب آخر كالقراءات هنا إلى درجة التلميح والإشارة في الوقت الذي يبدو فيه موضوع اختلاف القراءات من أبرز الموضوعات التي تعين على فهم النص القرآني واستكناه أبعاده ودلالاته وبالعموم فإن اليدالي في أغلب حالاته يفضل الاستطراد، وكثرة الإيراد للشواهد، واقتناص الفوائد، وطول النفس، حتى يبدو وكأنه لا يريد أن يترك شاردة، ولا واردة إلا أتى بها، فكاد تفسيره هذا أن يتحول إلى جامع للحكم والفوائد، وقد يطغى جانب الاستطراد على بعض المفسرين حتى يوصف صاحبه أحياناً بأنه ليس صاحب تفسير، وإنما جاء بشيء يعتبر خارجاً عن نطاق التفسير، ونحن هنا في هذا المقام نتذكر قولة أبي حيان في البحر المحيط جمع الإمام - يعني الفخر الرازي - في تفسيره أشياء كثيرة طويلة، لا حاجة بها في علم التفسير وقال بعض العلماء (فيه كل شيء إلا التفسير) ونسوق في هذا المقام أيضاً ما قال ابن خلكان إنه - أي الفخر الرازي -: جمع في تفسيره كل غريبة وغريب[٢].

ويواصل اليدالي تفسيره للآيات الواردة في سورة البقرة متوقفاً مع قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ إلى قوله: ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥ - ١٥٧].

وليتبع المفردات اللغوية واحدة تلو الأخرى مسترسلاً في نفس طويل يشعر القارىء أن المؤلف ترك التفسير إلى غيره من العلوم ومثال ذلك قوله:

---

(١) من المعروف أن نافعاً وابن كثير وأبا عمرو وابن عامر وأبا جعفر قرأوا يكذبون بضم الياء وفتح الكاف وكسر الذال مشددة على أنه مضارع كذب المضعف من التكذيب لله ولرسوله وقد عدا بالتضعيف والمفعول محذوف تقديره: يكذبونه، وقرأ الباقون بفتح الياء وسكون الكاف كسر الذال مخففة على أنه مضارع كذب اللازم وهو من الكذب الذي اتصفوا به كما أخبر الله عنهم، النشر في القراءات العشر لابن الجزري ٣٩٢/٢ والمغني في توجيه القراءات ١٢٩/١.

(٢) البحر المحيط ١/ ٢٨٦ - والتفسير والمفسرون للذهبي ٢٦٧/١.

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم﴾ لنختبرنكم هل تصبرون أم لا؟، ليعلم شيئاً من لم يكن عالماً به فإنه تعالى يعلم بجميع الأشياء قبل كونها لينبه على بعض الأسرار اللغوية المتعلقة بالفرق بين المفرد والجمع يقول:

﴿بِشَىْءٍ﴾ ولم يقل بأشياء لئلا يوهم أن أشياء تدل على ضروب من الخوف وكذا الباقي أي بشيء، من الخوف أو بشيء من الجوع أو معناه بشيء قليل من هذه الأشياء من الخوف: العدو والجوع: القحط ونقص من الأموال بالهلاك وبالأنفس بالقتل والموت والمرض ﴿وَٱلثَّمَرَٰتِ﴾ بالجوع وترك العمل والعمارة في الأشجار[1].

ونجد الرجل يزاوج بين عدة تفسيرات بادئاً غالباً بالتفسير اللغوي ليشفعه بتفسير آخر بمثل التصوف ويركن إلى الوجدان يقول «أو الخوف خوف الله والجوع الصوم ونقص من الأموال الزكاة والصدقة والأنفس: بالأمراض والثمرات: موت الولد لأن الولد ثمرة القلب) ثم يستخلص من هذا الترتيب الواقع بين هذه المذكورات السابقة ضروباً من الحكم محاولاً تثبيت أفئدة المؤمنين والكشف عن تلون المنافقين، ولينبه على بعض معجزاته ﷺ، إذ يخبر عن بعض الغيب بقوله: وفي الابتلاء بهذه الأشياء حكم منها: أن العبد إذا علم أنه مبتلى بشيء وطن نفسه على الصبر، وإذا نزل به البلاء لم يجزع ومنها: أن الكفار إذا شاهدوا المؤمنين مقيمين على دينهم ثابتين عند نزول البلاء صابرين على ذلك علموا بذلك، صحة الدين فيدعوهم ذلك إلى الدخول فيه، ومنها أن الله تعالى أخبر عن ذلك إخباراً عن الغيب فيكون معجزة للنبي ﷺ، ومنها: أن المنافقين أظهروا الإيمان طمعاً في المال وسعة الرزق من الغنائم فلما أخبر الله تعالى أنه مبتل عباده، فعند ذلك يميز المؤمن من المنافق، والصادق من الكاذب، وإثر ذلك يأخذ في شرح المصيبة والبلاء، متحدثاً عن الأمراض والطواعن المشهورة التي وقعت بعد ظهور الإسلام يقول: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ على البلاء بالجنة وهم:

---

(١) الذهب الإبريز ص٨٧.

﴿الَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٌ﴾ بلاء والبلايا قليلة بالنسبة إلى ما تقدم وكانت الطواعن المشهورة في الإسلام خمسة[١].

ثم استطرد في هذه الطواعن واحداً تلو الآخر، محدداً أمكنتها وأزمنتها ومبيناً من مات فيها من الناس ثم ختم بذلك يقول: «ولم يقع في الحرمين طاعون قط»[٢].

ثم استرسل يبين أن نزول البلاء على العبد لا يدل على هوانه عند الله، ومن ظن ذلك فهو جاهل أعمى القلب، ثم عدد جماعة من الصالحين ابتلوا من بين الصحابة والتابعين منهم عمر وعثمان وابن جبير وابن المسيب وكأنه يشير إلى الحديث[*]: «**أشد الناس ابتلاء الأنبياء فالأولياء فالأمثل فالأمثل**» أو كما قال ﷺ[٣]، ولم يكتف بهذا بل استمر يسترسل في تتبع معاني الآية «قالوا: إنا لله» ملكاً وعبيداً يفعل بنا ما يشاء الله: «وإنا إليه راجعون» في الآخرة فيجازينا ثم يورد جملة من الآثار ليدلل بها على ما يريده من المعاني، ولم يكتف بالأحاديث المرفوعة مع توفرها في هذا الموضوع، بل تجاوزها إلى الموقوفات والمقطوعات قال: «وفي الحديث[*] **من استرجع عند المصيبة آجره الله فيها وأخلفه عليه خيراً**»[٤]، وفيه أيضاً أن مصباح النبي ﷺ انطفأ واسترجع وقالت عائشة إنما هذا مصباح فقال: «**كل ما أساء المؤمن فهو مصيبة**»[٥] وقيل ما أعطي أحد في المصيبة ما أعطيت هذه الأمة يعني الاسترجاع، ولو أعطي أحداً لأعطيه يعقوب فإنه قال: يا أسفي على يوسف: قال ابن الزبير لو عرف يعقوب الاسترجاع لقاله[٦].

---

(١) ص٢٢ جزء الرحاب.
(٢) ص٢٤ جزء الرحاب.
(٣) صحيح البخاري.
(*) رواه الترمذي في الزهد باب ما جاء في الصبر على البلاء وقال حسن صحيح رقم ٢٣٩٨.
(٤) الذهب ص٢٩ جزء حققه رحاب عباس.
(٥) نفس المرجع والصفحة.
(٦) نفس المصدر والصفحة.

وبعد أن خاض في معاني الكلمات اللغوية الواردة في بعض الأحاديث أخذ يبين معنى الاسترجاع وأنه تفويض إلى الله تعالى ورضى بكل ما نزل من المصائب، ثم بعد ذلك بدأ يشرح الصبر وأنواعه مبيناً حدوداته وحقائقه فقال: «وحقيقة الصبر في البلاء حبس النفس والحواس عن الجزع والصبر عند الصدمة الأولى ومفاجآت المصيبة فلا ثواب لها إلا بذلك، بخلاف ما بعد عن ذلك فإنه على الأيام يسلو، ويخرج عن الصبر الجزع وشق الجيوب وضرب الخدود والمبالغة في الشكوى وإظهار الكآبة والسخط والتبرم وتغيير العادة في الملبس والمفرش والمطعم فهذا كله داخل تحت الاختيار وأما ما ليس داخلاً تحت الاختيار، فلا يخرجه ذلك عن الصبر، كتوجع القلب وفيضان الدموع وكراهية النفس ووجدان الألم، فإن ذلك مقتضى البشرية ولا يفارق الإنسان إلى الموت»[1] وبعد أن استطرد بعض الآثار قال: «وذكر الصبر في القرآن في نيف وسبعين موضعاً وذلك لعظم موقعه في الدين، فما من قربة إلا وأجرها بتقدير وحساب إلا الصبر قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١١] أي يغرف لهم غرفاً ويجازون مجازات بغير ميزان، ثم يعدد ميزات الصابرين وخصائصهم وما خصوا به من الكرامات متابعاً في ذلك ابن جزي الذي أوصل كرامات الصابرين إلى ثمانية أنواع.

قال ابن جزي وذكر الله للصابرين ثمانية أنواع من الكرامات:

- المحبة: قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٦].
- النصر: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣].
- الجنة: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ﴾ [الشعراء: ٧٥].
- الأجر الجزيل: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

والأربعة الأخرى المذكورة في هذه الآية فمنها:

- البشارة: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥].

---

(١) نفس المرجع والصفحة السابقين.

- الصلاة.

- الرحمة.

- الهداية: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥٧].

ويستخلص اليدالي مما سبق جملة من المعاني الأساسية التي يقوم عليها الصبر، وكأنه هنا يجعل من الصبر مدرسة يتعلم فيها الإنسان الكثير من الأخلاق الفاضلة ليتخرج وهو قادر على معايشة الآخرين ومساكنتهم، فالصبر يدعو إلى الحلم والتواضع، كما أنه يستلزم كف الأذى عن الخلق، ويتضمن حسن الخلق، وكظم الغيظ، وحمل النفس على المكروه، يقول: وفي الصبر خصال كثيرة من عزائم الأمور التي يضيق عنها أكثر الصدور كالحلم والتواضع والكتم والأدب وحسن الخلق وكف الأذى عن الخلق واحتمال الأذى منهم والكظم والذل وفيه إكراه النفوس وحملها على الشدة والبأس وهو أشق شيء على النفوس وأكرهه وأمره على الطبع وأصعبه.

وبعد ذلك يأخذ في أنواع الصبر وتفريعاته، ذاكراً منه ضروباً عديدة فمنه ما يتعلق بحبس النفس عن الشر، ومنه ما يرتبط بملازمة حسن الأدب أو المواظبة على الإنفاق واحتمال الأذى، وقد يتعلق بالصبر على العبادة أو الحرص على إخفاء أعمال البر والابتعاد عن التمتع والفكاهة.

ولم يكتف الرجل بهذا القدر لذلك نراه في أعقاب هذا البحث يحيل إلى كتابه خاتمة التصوف ويتفرع الصبر أيضاً إلى معان شتى...

...وقد ذكر في شرح الخاتمة من فضل الصبر ما فيه الكفاية[1].

وبعد أن وقفنا مع سورة البقرة وقفات نتجاوز الآن إلى سورة آل عمران لنتناول تفسير اليدالي لقول الله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

---

(١) ص٢٧.

حيث شرح هذه المفردات القرآنية شرحاً لغوياً مبيناً جملة الأقوال الواردة فيها معتمداً بعد ذلك ما أثر عن الصحابة والتابعين من الأقوال الواردة في تفسيرها يقول: ﴿وَٱعْتَصِمُوا﴾ استمسكوا ﴿بِحَبْلِ ٱللَّهِ﴾ دينه ﴿جَمِيعًا﴾ والحبل سبب يتوصل به إلى البغية، وسمي الإيمان حبلاً لأنه يتوصل به إلى زوال الخوف ودين الله سبب يوصل إليه، أو الحبل هو القرآن لأنه يوصل إليه، أو الجماعة فإنها حبل الله الذي أمر به، قال ابن مسعود وفي الحديث(*) أن القرآن هو حبل الله ثم تابع يقول: ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ بعد الإسلام كما تفرقت اليهود والنصارى، أو لا تحدثوا ما يكون معه التفرق ويزول معه الاجتماع والألفة، أو لا تتفرقوا في أصول الدين ولا يدخل في النهي الاختلاف في الفروع بل هو الذي ورد فيه اختلاف أمتي رحمة؟(*).

واختلفت الصحابة في الفروع أشد اختلاف وهم يد واحدة على كل كافر قاله الثعالبي(١).

ثم يواصل تفسيره لهذه الآيات مبيناً معنى ذكر النعمة والتأليف بين القلوب والمؤاخاة بين المسلمين يقول: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٠٣] إنعامه ﴿عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً﴾ تطاولت العداوة بينكم نحو عشرين ومائة سنة بسبب قتيل ﴿فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ برسوله وبالإسلام ﴿فَأَصْبَحْتُم﴾ صرتم ﴿بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ في الدين والولاية، وهنا يستطرد قليلاً ليردد بعض الحكم والمعاني ناقلاً رأي الفخر الرازي في هذه الآية يقول: قال الفخر: اعلم أن كل من كان وجهه إلى الدنيا كان معادياً لأكثر الخلق، ومن كان وجهه إلى الله تعالى لم يعاد أحداً لأنه يرى الكل أسيراً في قبضة القضاء والقدر، ولهذا قيل إن العارف إذا أمر أمر برفق ونصح، لا بعنف وعسر، وكيف وهو مستنصر بالله في القدر ويواصل مع هذه الآيات مفسراً ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا

(*) الترمذي في فضائل القرآن وضعفه وأخرجه ابن مشيبة ج١ ص٤٨٣.

(*) فيض القدير رقم ٢٨٨ انظر التميز الطيب من الخبث ص١٦.

(١) ص١٩.

حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ الآية مورداً بشأنها قصصاً طويلة ترتبط بالسيرة وعلاقة الأوس بالخزرج، وهو في هذا ينقل عن سيرة ابن إسحاق يقول: ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا﴾ طرف ﴿حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ ليس بينكم وبين الوقوع فيها إلا أن تموتوا كفاراً ﴿فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ بالإيمان ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ وقال ابن إسحاق وغيره كان الأوس والخزرج شقيقين فتحاربا بسبب قتيل وطال الحرب بينهما مائة وعشرين سنة إلى أن أطفأ الله ذلك بالإسلام وألف بينهم بنبيه ﷺ[(١)].

والجدير بالذكر أن اليدالي يستطرد دائماً في أمور التواريخ والسير استطراداً يدل على طول النفس في هذه المواضيع، ففي تفسيره لهذه الآية مثلاً وحديثه عن الأوس والخزرج يطول كلامه حتى يغطي ست صفحات من الحجم الكبير[(٢)] [(٣)].

ويتواصل تفسير الرجل للآيات ليفسر قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤] مبيناً أدلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ليبسط القول في هذه المسألة التي هي أساس النصح والتوجيه والإرشاد بل مصدر خيرية هذه الأمة وتفضيلها يقول: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ﴾ الإسلام ﴿وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ الداعون الآمرون الناهون ﴿هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون ومن للتبعيض لأن ما ذكر فرض كفاية ولا يلزم كل الأمة ولا يليق بكل أحد كالجاهل والعاجز والضعيف، وقيل زائدة لتكونوا أمة ومثل بالحديث[(*)]: **«المداهن في حدود الله والواقع فيها والقائم عليها بثلاثة نفر استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على**

---

(١) ص١٩.
(٢) ص١٩.
(٣) ص٢٥.
(*) البخاري في الشهادات باب القرعة في المشكلات وفي الشركة باب أهل يقره والاستفهام فيه.

من فوقهم فقالوا: إنا نخرق في نصيبنا خرقاً لئلا نؤذي من فوقنا ولنغرف من الماء فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً»[1].

ثم يعرض للتلازم بين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مورداً أقوال النووي في هذا الموضوع، داعياً العاقل إلى الاعتناء بهذا الجانب المغمور والباب المسدود مؤكداً نصرة الله لمن ينصره بالدعوة إليه يقول: والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شيئان من جهة الصورة وإن كانا في المعنى واحداً فمن أمر بالمعروف فقد نهى عن ضده كما إذا قال اسكن فكأنه قال لا تتحرك، إذ لا يتحقق السكون دون الكف عن التحرك، وقال النووي في شرح مسلم هذا الباب أي باب الأمر والنهي قد ضيع أكثره في أزمان متطاولة ولم يبق منه إلا رسوم قليلة، وهو باب عظيم به قوام الأمر وملاكه، وإذا كثر الخبث عم العقاب الصالح والطالح وينبغي للعاقل أن يعتني بهذا الباب، فإن نفعه عظيم لاسيما وقد ذهب معظمه، ويخلص نيته ولا يهاب أحداً لارتفاع مرتبته وعلو منزلته، فإن الله تعالى قال:

﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ [الحج: ٤٠] ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١]، ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وبعد أن ألممنا يسيراً بجوانب من تفسير اليدالي للبقرة وآل عمران، نأخذ نموذجاً من القصص القرآني وبالذات قصة يوسف عليه السلام تلك القصة المليئة بالعبر، وهي التي لم تتكرر في القرآن وقد علل المفسرون ذلك بجملة من التعليلات نكتفي منها برأي القرطبي في الموضوع الذي أرجع ذلك إلى الإعجاز القرآني يقول: ذكر الله أقاصيص الأنبياء في القرآن وكررها بمعنى واحد في وجوه مختلفة وبألفاظ متباينة على درجات البلاغة

---

(١) الذهب ج تحقيق الرحاب ص٢٥.

وذكر قصة يوسف عليه السلام ولم يكررها، فلم يقدر مخالف على معارضة المكرر ولا على معارضة غير المكرر والإعجاز واضح لمن تأمل[١] وصدق الله جل جلاله القائل: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [يوسف: ١١١].

وقد توقف اليدالي في فاتحة هذه السورة مع قوله تعالى: أحسن القصص محاولاً تبيان هذه الأفضلية منها إلى خصوصيات هذه السورة وما امتازت به من الحديث عن الحكم والعبر وما تضمنت من اللطائف والعجائب يقول: وإنما سماها أحسن القصص لما فيها من العبر والحكم والنكت والفوائد... وسير الملوك وحال الرجال والنساء ومكرهن، وفيها ذكر التوحيد والعفة وتعبير الرؤيا وآداب السياسة والمعاشرة وتدبير المعاش»[٢].

ثم نراه يقدم تعليلاً لحضور القصص في القرآن مشيراً إلى أن فيه نوعاً من التسلية للنبي ﷺ وأخباره بماضي الأمور ليعلم بذلك فضله وفضل أمته، وما خصهم الله به من المنح ورفع عنهم من الإصر يقول: «إنما قص الله تعالى على نبينا محمد ﷺ قصص الأنبياء الماضين وأممهم ليرى بذلك فضله وفضل أمته، إذ عوفي هو وأمته من كثير مما امتحنوا به، وخفف عنهم في الشرائع ورفع عنهم الأغلال والأوزار التي كانت على الأمم السابقة»[٣].

ونراه يقدم تفسيراً آخر حيث يرى في هذه القصص سبباً لبقاء أخبار الأنبياء السابقين إذ يبقي لهم عبرها لسان صدق في الآخرين يقول: «أو لأن في ذكر قصص الأنبياء في القرآن إحياء لذكرهم وآثارهم الحسنة إلى قيام الساعة تعجيلاً لبعض جزائهم في الدنيا كما قال إبراهيم الخليل: ﴿وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الشعراء: ٨٤] قيل: ما أنفق

---

(١) القرطبي ج٩ ص١١٨ انظر الإتقان.

(٢) ص٥٦ تفسير سورة يوسف.

(٣) ص٥٧.

الملوك والأغنياء الأموال على المصانع والحصون إلا لإبقاء الذكر وأنشد الوزير:

وَإِنَّمَا الْمَرْءُ حَدِيثاً بَعْدَهُ فَكُن حَدِيثاً حَسَناً لِمَنْ وَعَىٰ

ثم أورد بعض الآثار عن السلف تبين بعض مزايا هذه السورة فمنها أن أهل الجنة يتفكهون بها وأنها تسلي المحزون يقول:

قال خالد بن معدان اليمني المتوفى ١٠٤هـ: سورة يوسف وسورة مريم يتفكه بها أهل الجنة في الجنة، وقال عطاء المتوفى ١١٤هـ: لا يسمع سورة يوسف محزون إلا استراح إليها[1].

ونقف عند قوله ﴿بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ [يوسف: ١٨] بحيث قدم في شأنها عدة تفسيرات تركن في معظمها إلى اللغة دون أن ينسى بعض القراءات وتوجيهها مستنبطاً بعض الآراء الفقهية كاستناد الفقهاء إلى هذه المسألة في إعمال الإمارات في مسائل كالقسامة يقول: «بدم كذب» أي ذي كذب بمعنى مكذوب فيه، ويجوز أن يكون وصفاً بمصدر للمبالغة وقرىء بالنصب كذباً على الحال من الواو أي جاءوا كاذبين وذلك بأن ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وذهلوا عن شق القميص وقالوا: إنه دمه، فقال لهم يعقوب: كيف يأكله ولم يشق قميصه فاتهمهم.

قال الثعالبي: إنه استدل على كذبهم بصحة القميص، واستند الفقهاء إلى هذا في إعمال الإمارات في مسائل كالقسامة، ويواصل تفسير هذه الآيات مبيناً معنى قوله تعالى: ﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ﴾ [يوسف: ١٩] مسافرون من مدين إلى مصر، وقيل هم أعراب، وكان ذلك بعد ثلاث ليال من إلقائه فيه فأخطأوا الطريق فنزلوا قريباً من جب يوسف، وكان الجب بعيداً من العمران، ليفسر بعد ذلك معنى قوله فأرسلوا واردهم الذي يرد الماء ليستقي لهم منه، ويواصل مع هذه الآيات ليقف مع قوله تعالى: ﴿وَأَسَرُّوهُ﴾ أي

---

(١) ص٥٨.

أخفوا أمره جاعلينه بضاعة بأن قالوا هذا عبدنا أبق وسكت خوف أن يقتلوه، وأسره مالك بن دعر عن التجار الذين معه وقال هو بضاعة، استبضعناها أهل الماء إلى مصر.

وفي الآية الموالية يشرح معنى «وشروه» أي باعوه منهم: «بثمن بخس» ناقص أو حرام أو زيف «دراهم معدودة» عشرين أو اثنين وعشرين يأخذ كل واحد منهم درهمين قال الواحدي إلا يهوذا فإنه لم يأخذ شيئاً[1].

ونقف مع اليدالي في تفسيره للآية: ﴿قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ﴾ [يوسف: ٥٥]، فقد بين دلالة هذه الآية وتناول حكم العمل معه دون أن ينسى الإشارة إلى أن الأنبياء والعلماء قد يعرفون بكفاءاتهم ولا يكون ذلك من باب تزكية النفس المذمومة يقول «قال» يوسف ﴿ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ﴾ أرض مصر أي خزائن الطعام والأموال... ﴿إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ ذو حفظ وعلم بأمرها أو حفيظ للحساب عليم بلسان كل من يأتيني أو حفيظ بتقدير السنين الخصبة، عليم بوقت الجوع حين يقع في الأرض، وإنما طلب يوسف هذا وقال له اجعلني على خزائن الأرض مع زهده ليتوصل بذلك إلى إقامة الحق ولبسط العدل وغير ذلك ولعلمه أن أحداً لا يقوم مقامه في ذلك.

وفي تفسيره للآية ﴿ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ﴾ يناقش اليدالي بعض المسائل اللغوية مبيناً مرجع الضمير في وعاء أخيه، مشيراً إلى أن هذه المسألة غامضة لا يدركها إلا أهل العلم فهي مما يلغز به فقد جعلها ابن رازكة المتوفى ١١٤٤هـ في شعر أرسله لغزاً إلى أهل فاس ويخص بالذكر بينهم ابن زكري يقول:

شُيُوخَ الْبَيَانِ الذَّائِقِينَ حَلاَوَةً ... مِنَ الْعِلْمِ لَمْ تُخْلَقْ لِغَيْرِ ذَوِيهِ

(١) وهذه تفصيلات من الإسرائيليات التي لا يعلم صحتها ولا يعتمد عليها في إثبات الأخبار، مع أن الحاجة إلى ذكرها قليلة.

سَلاَمٌ مِنَ اللَّهِ السَّلاَمِ وَرَحْمَةٌ ... يَعُمَّانِكُمْ مِن خَامِلٍ وَنَبِيهِ
سُؤَالٌ غَرِيبٌ دُونَ شِنقِيطَ أَرْضُهُ ... مِنَ الأَرْضِ تِيهٌ يَتَّصِلْنَ بِتِيهِ
أُسَائِلُكُمْ مَا سِرُّ إِظْهَارِ رَبِّنَا ... تَبَارَكَ مَجْداً مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ
فَلَمْ يَأْتِ عَنْهُ مِنْهُ أَوْ مِن وِعَائِهِ ... لِأَمْرٍ دَقِيقٍ جَلَّ ثُمَّ يَخِيهِ
فَإِن تَكُ أَسْرَارُ الْمَعَانِي خَفِيَّةً ... فَمِرْآتُهَا أَفْكَارُ كُلِّ نَبِيهِ
وَأَنتَ ابْنَ زُكْرِي نَبِيهٌ مُحَقِّقٌ ... تَفَرَّدتَ فِي الدُّنْيَا بِغَيْرِ شَبِيهِ

وقد أجاب صاحبنا هذا اللغز يقول: وقد أجاب هذا اللغز الفقير إلى الله تعالى جامع الكتاب ـ يعني «الذهب الإبريز» محمد بن سعيد اليدالي بقصيدة اقتصرت منها على محل الفائدة فقال:

سُؤَالٌ بَلِيغٌ فِي الْبَيَانِ نَبِيهِ ... أَدِيبٍ مِن أَرْبَابِ الْهُدَىٰ وَذَوِيهِ
عَلَيْهِ مَدَارُ الْعَصْرِ فِي الْعِلْمِ سِيمَا ... عُلُومُ الْمَعَانِي وَهْوَ قُطْبُ رَحِيهِ
سَبُوقٌ إِلَى قَيْدِ الشَّوَارِدِ رَاكِبٌ ... مِنَ الْفَهْمِ مَتْنَىٰ لاَحِقٍ وَوَجِيهِ
عَنِ السِّرِّ فِي إِتْيَانِ رَبِّي بِظَاهِرٍ ... مَكَانَ ضَمِيرٍ فِي وِعَاءِ أَخِيهِ
معمى قد أعيا أهل فاس وغيرهم ... فكنا بحمد الله مفتتحيه
وَكَلَّفَنِي نُصْحَ الْبَرِيَّةِ فَكُّهُ ... فَأَعْظِمْ بِمَا قَدْ كَانَ كَلَّفَنِيهِ
فَقُلْتُ وَبِالله الصَّوَابُ مُجَاوِباً ... لَهُ بِقِيَاسٍ فِي الأُصُولِ وَجِيهِ
فَلَوْ قَالَ فَرْضاً رَبُّنَا مِن وِعَائِهِ ... فَذَٰلِكُمْ بَعْدَ التَّفَكُّرِ فِيهِ
يُؤَدِّي إِلَىٰ عَوْدِ الضَّمِيرِ لِيُوسِفٍ ... فَيَفْسُدُ مَعْنَاهُ لِمُخْتَبِرِيهِ
لأَنَّ الضَّمِيرَ فِي الصِّنَاعَةِ عَائِدٌ ... لِأَقْرَبِ مَذْكُورٍ هُنَاكَ يَلِيهِ
وَإِن قَالَ مِنه اخْتَلَّ أَيْضاً لأَنَّهُ ... يُؤَدِّي لِعَوْدِ مُضْمَرٍ لأَخِيهِ
فتنزَعُ مِنه الصَّاعَ لاَ مِن وِعَائِهِ ... وتأنفُ عن ذَا نَفْسُ كُلِّ نَزِيهِ
لَمَا فِي انْتِزَاعٍ مِن أَذَىً وَمَهَانَةٍ ... وَلَمْ يُرِدِ الرحْمَنُ ذَا بِنَبِيهِ
وَنَصَّ عَلَىٰ هَذَا السُّيُوطِي فَهَاكَهُ ... بِوَجْهٍ بَيَانِيٍّ وَنَصِّ فَقِيهِ

ثم قال اليدالي معلقاً على صعوبة هذا اللغز: «وهذا اللغز له نحو من

٤٠ سنة ولم يفكه أحد وقد أعيا أهل فاس الموجه إليهم وغيرهم من أهل بلادنا حتى ورد علينا ففتحه الله تعالى»[١].

ورغم نزعة الاستطراد الطاغية على خطاب اليدالي في هذا التفسير فإنه يختصر في تفسير بعض الموضوعات اختصاراً شديداً، ومثالاً على ذلك تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [يوسف: ١١١] فقد اكتفى بقوله: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ﴾ أي الرسل ﴿عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أصحاب العقول ﴿مَا كَانَ﴾ هذا القرآن ﴿حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ﴾ مختلق ﴿وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ قبله من الكتب ﴿وَتَفْصِيلَ﴾ تبيين ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه في الدين ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ خصوا بالذكر لانتفاعهم به دون غيرهم.

ففي الوقت الذي كنا نتوقع من اليدالي أن يتوسع في هذه الآية، ويحدثنا عن قصص الأنبياء والغاية منه ودوره في تثبيت الأفئدة وطمأنة القلوب نجده يكتفي بالمفردات اللغوية دون أن يتجاوزها إلى غيرها من المعاني الهامة والأحداث التاريخية[٢].

وبعد أن أكمل اليدالي تفسيره الضخم الذي أنفق فيه وقتاً غير يسير، واستخدم فيه ثقافته المتنوعة ومعارفه الجمة، التمس خلالها الدعاء الصالح من المؤمنين راجياً منهم أن يسألوا الله له التجاوز عن الذنب، معبراً في الوقت نفسه عن تخوفه على مصير هذا التفسير من بعده، فهو يخشى عليه ورثة يزهدون فيه رغم أنه يحتوي نفائس علمية ودرراً نادرة وشوارد جمة، ونراه يجعل مطالعته أشهى من معاطاة الخمر، وأكثر من ذلك يصرح بتخوفه على هذا الكتاب أيضاً من النقدة والمحرفين ممن لا يقدرون العلم حق قدره، وبالمقابل فإن اليدالي يفتح المجال للناقد المتبصر، والعالم المتمكن، والثقة العبقري، وصاحب الفهم الذكي، فهؤلاء جميعاً لهم أن يصححوا ما يرونه بحاجة إلى ذلك، ولا ينسى اليدالي أن يبدي تخوفه كذلك على هذا التفسير من مستعير يضيعه، غير مكترث بما عاناه صاحبه من تعب، وما قاسى من جهد في رسمه وكتابته وهنا

---

(١) ص١٤٦.

(٢) وقدمنا بعض الكلام على هذه الملاحظة في مرة سابقة.

يصرح اليدالي: أن هذا التفسير نفس من أنفاسه بل فلذة كبده، لقد سخر لصالحه جميع جوارحه من قلب وناظر وبنان وفكر وهم...[١]

وفي آخر هذه الأبيات يتساءل اليدالي عن مصير تفسيره هذا بعد وفاته، فهل سيجد من يخصه بالعناية والرعاية والحفظ من الورثة وأبناء العم وعامة المسلمين الراغبين في السعادة الأخروية؟

ولا ينسى في الأخير أن يختم نصه بالتضرع إلى الله تعالى راجياً منه الفضل الكثير وداعياً لكل من يطالع هذا التفسير أو يهتم به من العرب والعجم، وقد صاغ اليدالي هذه الأبيات في أسلوب جميل، ونفس شعري أخاذ يستميل الأفئدة ويستهوي القلوب لما به من روعة ومحسنات بديعية، حيث اعتمد الجناس ومراعاة النظير وغيره يقول:

فَهَاكَ أَخِي هَذَا الْكِتَابَ مُفَسَّراً ... كِتَابَ الإِلٰهِ الْمُعْجِبِ الْمُعجِزِ النَّظْمِ
فَبِاللهِ فَادْعُ اللَّهَ بِالصِّدْقِ يَا أَخِي ... لِجَامِعِهِ بِالْعَفْوِ عن ذَنْبِهِ الجَمّ
أَخَافُ عَلَيْهِ وَارِثاً لاَ يَصُونُهُ ... وَيَزْهَدُ فِي مَا فِيهِ مِن دُرَرِ الْعِلْمِ
وَمِن شَارِدَاتٍ جَمَّةٍ وَنَفَائِسٍ ... أَلَذُّ وَأَشْهَىٰ من تَعَاطِي ابْنَةَ الكَرْمِ
وَأَخْشَىٰ عَلَيْهِ نَاقِداً وَمُحَرِّفاً ... لَهُ لَمْ يَكُن فِي الرَّأْسِ مِنْهُ سِوَى الْعَظْمِ
نَعَمْ فَلْيُصَحِّحْ نَاقِدٌ ذُو بَصِيرَةٍ ... أَخُو ثِقَةٍ ثَبْتٌ ذَكِيٌّ أَخُو فَهْمِ
وَأَخْشَىٰ عَلَيهِ مُسْتَعِيراً يُضِيعُهُ ... وَلَمْ يَدْرِ مَا قَاسَيْتُ مِن تَعَبِ الرَّسْمِ
وَلَمْ يَعْلَمِ الجُهْدَ الَّذِي نَالَنِي بِهِ ... وَمَا نِلْتُ فِي تَحْصِيلِهِ مِن أَذَى الْجِسْمِ
فَأَتعَبْتُ قَلْبِي وَالْبَنَانَ وَنَاظِرِي ... وَصَرَّفْتُ فِيه مُعْظَمَ الفِكْرِ وَالْهَمّ
فَيَا لَيْتَ شِعْرِي مَن إِذَا مِتُّ يَعْتَنِي ... بِهِ رَاغِباً مِن وَارِثٍ وَبَنِي عَمّ
وَمِن مُسْلِمٍ يَرْجُو السَّعَادَةَ يَبْتَغِي ... رِضَى الله والْحُسْنَىٰ وَمَغْفِرَةَ الإِثْمِ
فَيَا رَبِّ هَبْ هٰذِي الْخِصَالَ تَفَضُّلاً ... لِمَنْ يَتَعَاطَاهُ مِنَ الْعُرْبِ وَالْعُجْمِ

---

(١) وقد اعتنى الناس بالذهب الإبريز عناية كبيرة وأكبر شخصية علمية خدمه هو: حفيد المؤلف: الراجل بن أحمد سالم حفظه الله فقد جمع نسخه ونسخه بخطه نسخاً متقناً جميلاً على أوراق قوية وهو يعده الآن للطبع بحول الله.

وقد أنهاه سنة ١١٦٠هـ من أوائل ذي القعدة.

فهذه الخاتمة تدل دلالة واضحة على أن الشيخ اليدالي لم يمت إلا بعد أن أكمل جميع كتابة الذهب الإبريز، وأبرزه للناس مع دعوة صريحة لتلقيه والعناية به ومما يؤكد ذلك أن الفترة الزمنية بين إتمام الكتاب ووفاة اليدالي طويلة، تمكن من تصحيح الكتاب فقد أنهاه سنة ١١٦٠ وتوفي بعد ذلك بست سنين ١١٦٦هـ وهذا يرد على من يزعم أن اليدالي توفي عن الذهب قبل أن يصححه ويأذن في نقله، ونحن نقول لهؤلاء أليست الأبيات الشعرية في خاتمة هذا الكتاب صريحة في الإذن بروايته عنه بل فيها دعوة صريحة إلى أخذه والعناية به.

وقد تعرض النابغة القلاوي في كتابه النجم الثاقب في بعض ما لليدالي من مناقب، لهذا الموضوع بشيء من التفصيل فقال[1]:

● **تنبيه:**

كثيراً ما يجري على ألسنة بعض الناس أن الذهب الإبريز غير مصحح، وأن مؤلفه توفي ـ رحمه الله ـ عن أحد أجزائه ولم يأذن لأحد في نقله، ولا يعرفون أيها ويكون ذلك سبباً لتركه وهجره والتفريط فيه، والتحقيق في ذلك أن الأول من الترجمة إلى قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝٥٧﴾ [مريم: ٥٧] بالغ الشيخ في تصحيحه وتنقيحه وأذن في نقله، وأما الثاني فإنه اخترمته المنية دون الإذن فيه لعزمه على زيادات كثيرة فيه، كما أخبرني بذلك جماعة من الثقات قائلين إنه أخبرهم بذلك والد رحمه الله تعالى، ثم إني سألت شيخنا أحمد بن محمد العاقل عن حكم ذلك، فأجاب بأنه يحمل على الصحة، ثم إني سألت عنه الفغ أحمد بن المختار بن الطالب أجود فأجاب بأنه يرجع في ذلك إلى الكتب التي كان ينقل منها ثم إنه أجابني إلهاماً بكلام ابن دقيق العيد في الرد على من عاب كلام ابن الحاجب بما نصه: أما بعد فإن الذنب الواحد لا يهجر له الحبيب والروضة

---

(١) ص١٥. ط المعهد التربوي ـ انواكشوط.

الحسناء لا تترك لموضع منها جديب، ومن عثر في هذا الكتاب على سهو، أو زلل، أو نسيان، فسيقف على حسنات كثيرة، وقد نفع الله الأمة بكتب طارت كل مطار، وجاوزت الفلوات وشواطىء البحار وما منها كتاب إلا وقد وقع فيه عيب وعرف فيه غلط بلا شك ولا ريب، ولم يجعل الناس ذلك سبباً لرفضها وهجرها ولا توقفوا عن الاستضاءة بأنواع فجرها قال المتنبي:

فَإِنْ يَكُنِ الْفِعْلُ الَّذِي سَاءَ وَاحِداً فَأَفْعَالُهُ اللائِي سَرَرْنَ أُلُوفُ

فانشرح صدري بهذا والحمد لله وعلمت أن من تركه بعد هذا فإنما هو مفرط أو محروم من بركته وتربيته[1].

وذكر العلامة المختار بن حامدن في الحياة الثقافية[2] ـ من المفسرين في القرن ١٢هـ أشفغ انجبنان الشمشوي ولم يذكر تاريخ وفاته.

وبهذا نختم هذا الفصل المتعلق بالتفسير في القرن ١٢هـ، ونصل إلى التفسير في القرن الثالث عشر هجري.



(١) النجم الثاقب ص١٥ نشر المعهد التربوي انواكشوط بتحقيق محمد بن باباه ط أولى، وأنوار الذهب ص٥ نسخة الحفيد الراجل بن أحمد سالم.

(٢) حياة موريتانيا ص٤٤.

الفصل الثاني



المفسرون وتفاسيرهم خلال القرن ١٣هـ

لقد ازدهرت الثقافة العربية الإسلامية في بلاد شنقيط في القرن الثالث عشر الهجري ازدهاراً عظيماً، فنمت فيها حركات العلوم العربية والشرعية ـ عامة ـ نمواً كبيراً، وظهرت المدارس الكبرى، وبرز علماء أجلاء وأدباء بارعون، تمكنوا من أزمة العلوم، معقولها ومنقولها، وملكوا نواصي اللغة العربية بجميع فنونها، مما خلق نهضة علمية شاملة، فاض إنتاجها، وانتشر إشعاعها في المشرق والمغرب وفي إفريقيا الغربية بصفة عامة، وبلغت حركة التأليف في هذا العصر أوجها.

يقول الخليل النحوي:

إن حركة التأليف في بلاد شنقيط، ولدت في القرن الهجري العاشر، وازدهرت في القرن الثالث عشر، وبلغت أوجها، ثم بدأت تنهار في القرن الرابع عشر[١] وقد نال التفسير في هذا العصر حظاً من الانتشار مع أن العناية به لم تصل إلى الدرجة المطلوبة، لكنه بالنظر إلى القرن الثاني عشر الهجري الذي لم نعثر فيه على مفسر واحد ترك بعده أثراً باقياً، غير الشيخ

(١) بلاد شنقيط ص٢٣٩ ومكانة أصول الفقه في الثقافة المحظرية ص٨٣.

محمد اليدالي الذي ترك الذهب الإبريز، فإنه يعتبر قد خطا خطوات كبيرة فقد وضعت فيه مؤلفات في التفسير تبلغ أحد عشر، وستة منها على الأقل ما زالت موجودة ماثلة للعيان.

ولكن هذا التطور الكمي لم يصحبه تطور نوعي يذكر حسب اطلاعي، ولو أن هناك بعض النقاط الإيجابية التي لاحظتها عند بعض هؤلاء وسأتعرض لها بعد قليل إن شاء الله تعالى.

فالتفسير في هذا العصر لم يتغير عن التفسير في العصور السابقة عليه تغيراً شاملاً، لا في الأسلوب ولا في المنهج، وجل ما أشرت إليه من ملاحظات فيما يتعلق بالذهب الإبريز للشيخ اليدالي فإنه ينطبق كلياً أو جزئياً على هؤلاء المفسرين.

فاظهر الجمع للمعلومات الكثيرة، والاستطراد الطويل، وتخلل التفسير بالقصص، والروايات، وعدم التحفظ ـ بالقدر الكافي ـ من الإسرائيليات، والآثار الواهية، كل هذا يوجد في تفاسير هذا العصر مثل: كشف النقاب للشيخ سيد المختار الكنتي ومثل كتاب: محكم التنزيل للشيخ معروف بن الكوري البركني.

ويستثنى من هذا من اهتموا باللغة فقط مع أن إطلاق اسم المفسرين عليهم فيه تجوز، لكننا أدخلناهم في المفسرين حسب مصطلحنا الذي تقدم، مثل عجالة الراكب وقبس الذاهب لآلويمنات، والتذريب من لغة القرآن بالغريب للعلامة محمد فال بن الأمين بن آبني التمكلاوي، فهذان المؤلفان يتعلقان باللغة فقط وخاصة الغريب، ولا اهتمام لهما بنواحي التفسير الأخرى، إلا أنه في نهاية هذا القرن طرأ تطور في بعض الجوانب ظهر مع العلامة محمد بن محمد سالم المجلسي، الذي حاول التخلص من بعض الأمور التي أصابت التفسير في العصور السابقة له، وركز على بعض الجوانب التي لا تخلو من أهمية، ولو أنه لم يصل في هذا الاتجاه إلى الحد الذي كان ينتظر منه، فإمامته العلمية أشهر من أن تذكر، وبالتالي كان بمقدوره أن يخطو بالتفسير خطوات على جهة التحرر مما علق به من أمور.

وسوف أحاول هنا أن أمر مر الكرام على هذه النواحي الإيجابية في تفسير المجلسي ملخصاً لها في نقاط بارزة هي:

أولاً: أنه أدرك أن جل المفسرين قد يعتمدون على الروايات الواهية والموضوعة في بعض المناسبات، ولا يقفون عند إيرادها ناقدين لها ومبينين للناس بطلانها، فيظن البعض أنها من جملة التفسير الصحيح، فحذر من ذلك قائلاً: «ولا تصغ هنا لما يذكره بعض المفسرين من الأحاديث الموضوعة من قرأ سورة كذا وكذا فله كذا»[1].

ثانياً: الشيخ المجلسي كثيراً ما يعلق على بعض الموضوعات مبرزاً رأيه فيها بشكل واضح فيقول دائماً: «قال صاحب هذا التفسير»، وهذا يدل على أنه ليس أسيراً للمنقولات التي يوردها، والتي أشرنا سابقاً إلى أنه يكثر منها إلى حد بعيد، فالملاحظات التي أشرنا إليها من قبل في هذا الصدد ليست على إطلاقها، فهو وإن كان يبالغ في النقل عن السابقين ولو كانوا مقاربين له في الزمان، ولا يفوقونه في العلم ـ حسب تصورنا ـ فإنه يبدي رأيه في موضوعات أخرى بشكل واضح، ولا يكتفي بالنقول[2] كما أنه كثيراً ما يستخدم أساليب حوارية جيدة مثل: «إن قلت كذا وكذا قلنا كذا وكذا، أو فالجواب كذا»، ومثال ذلك عندما تعرض لتفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ﴾ [البقرة: ١٥٤]، قال: «فإن قلت نحن نراهم موتى فما معنى قوله عز وجل بل أحياء؟ وما وجه النهي في قوله: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ﴾.

قلت: معناه. . . «أن لا تقولوا بمنزلة غيرهم من الأموات، بل هم أحياء تصل أرواحهم إلى الجنان، كما ورد أن أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر تسرح في الجنة، فهم أحياء من هذه الناحية، وإن كانوا أمواتاً من جهة خروج الروح من أجسادهم، وجواب آخر وهو أنهم أحياء عند

---

(١) جزء المذكرة ص٦٧.

(٢) انظر المذكرة ص(٥١) و(٥٣) و(١٥٧) و(١٦٣) وغيرها.

ربهم في غالم الغيب، لأنهم صاروا إلى الآخرة فنحن لا نشاهدهم كذلك[١]. .

ثالثاً: له ملاحظات واردة على بعض المفسرين الذين أهملوا أصول الفقه كعلم من علوم الآلة يحتاج إليه المفسر في فهم النصوص وتفسيرها تفسيراً صحيحاً، والجمع بينها جمعاً علمياً مقبولاً، والترجيح بينها. . .

يقول: «وأما أصول الفقه فإنه من أدوات تفسير القرآن على أن كثيراً من المفسرين لم يشتغلوا بها، وإنها لنعم العون على فهم المعاني وترجيح الأقوال، وما أحوج المفسر إلى معرفة النص، والظاهر، والمجمل، والمبين، وفحوى الخطاب، ولحن الخطاب، ودليل الخطاب، وشروط النسخ ووجوه التعارض، وغير ذلك من علم الأصول».

رابعاً: له موقف حازم من القصص التي لا تروى بأسانيد أصلاً أو بأسانيد واهية، فهو يرى أن بعض الناس ـ يقصد المفسرين ـ تجاوزوا فيها الحدود ولم يذكر في تفسيره شيئاً من ذلك[٢].

خامساً: له موقف معتدل من التصوف، فيرى أن التصوف له تعلق بالقرآن لما ورد في القرآن من المعارف الإلهية، ورياضة النفوس، وتنوير القلوب وتطهيرها، باكتساب الأخلاق الحميدة واجتناب الأخلاق الذميمة، يقول: «وقد تكلمت المتصوفة في تفسير القرآن، فمنهم من أحسن وأجاد، ووصل بنور بصيرته إلى دقائق المعاني ووقف على حقيقة المراد، ومنهم من توغل في الباطنية وحمل القرآن على ما لا تقتضيه هذه اللغة العربية»[٣].

سادساً: كان مهتماً بإعطاء خلاصة عما تضمنته السورة وتكون هذه الخلاصة عادة في شكل أسلوب سجع جذاب يقول في نهاية سورة تبت:

انتهت هذه السورة المنبئة عن شرف النبي ﷺ بخزي أعاديه وتتبيبهم، وتدميرهم، وتخريبهم، وجمعهم في أسوأ الأحوال، وتعميمهم بأشنع

---

(١) الريان ص١٦٨ نسخة أ.

(٢) جزء المذكرة من الريان ص٤٤.

(٣) المرجع السابق.

الأهوال، خابوا وخسروا، وندموا وتحسروا، فما لهم من ناصرين، وما تنفعهم شفاعة الشافعين، هم أهل الخسران، المحرومون من الغفران[1].

والعلماء الشنقيطيون الذين اشتهروا بالتفسير خلال هذا القرن وألفوا فيه تفاسير معروفة عنهم هم:

١ ـ عبدالله بن الفاضل المعروف ببلا الشقروي **ت١٢٢٣هـ**[2].

٢ ـ الشيخ سيد المختار الكنتي **ت١٢٢٦هـ**.

٣ ـ حبيب الله آلا بن الأمين الشقروي **ت١٢٧٠هـ**.

٤ ـ الشيخ محمد المامي بن البخاري الشمشوي **ت١٢٨٢هـ**.

٥ ـ محمذن فال بن متالي التندغي **ت١٢٨٧هـ**.

٦ ـ الأمين بن محمد بن سيد أحمد الملقب آلويمنات الديماني توفي في نهاية **ق١٣هـ**.

٧ ـ محمد امبارك بن حبيب الله بن الأمين اللمتوني **ت١٢٩٠هـ**.

٨ ـ محمد بن حنبل الحسني **ت١٣٠٠هـ**.

٩ ـ معروف بن الكوري البركني **ت١٣٠٠هـ**.

١٠ ـ محمد بن محمد سالم المجلسي **ت١٣٠٢هـ**.

١١ ـ محمد فال بن الأمين بن آبني التمكلاوي **ت١٣٠٩هـ**.

وسوف أتعرض في هذا الفصل لحياتهم كما سأتعرض بحول الله لتفاسيرهم بشيء من الإيجاز علماً بأن البعض منهم لم أتمكن من الوقوف على كتبه إما لكونها فقدت نهائياً، أو لأن الحصول على شيء منها تعذر علي..

كما أنني أتعرض في بعض الأحيان لتآليف أخرى لهؤلاء إظهاراً لأساليبهم ولمكانتهم العلمية.

***

(١) الريان المجلد الرابع ص١٠٦٩ نسخة أ.

(٢) حياة موريتانيا ص٤٣.

المفسر الأول:
العلامة بلا الشقروي ت١٢٢٣هـ

هو عبدالله بن الفاضل (الفال) بن أحمد بن ميجة بن أعطى العمر يفلج الشقروي من أبناء الشريف أبي بزولة، ويقول العلامة المختار بن حامدن في حياة موريتانيا: (بلا) وهو عبدالله بن الفاضل الحسني[1] ولد وعاش في منطقة لعقل ورقابها في ضواحي أبي تلميت بولاية اترارزة بموريتانيا.

ويقول عنه صاحب الوسيط في تراجم أدباء شنقيط: كان بلا هذا عالماً مشهوراً، ونحوياً كبيراً، وهو ممن تخرجوا على المختار بن بون الجكني كان بلا أستاذاً مرموقاً ومتميزاً في تدريسه، وقد أعجب به عبدالودود الحيبلي النحوي المشهور الذي تخرج هو الآخر من محضرة ابن بون، وسبب ذلك أنه خرج في عير فنزلوا عِنْده بلا فرآه عبدالودود مع تلامذته يشرح لهم الدروس ويناقشها معهم فسمع تحريراً لم يعهده من قبل، فلما وصل إلى أهله رجع إلى بلا المذكور ولازمه حتى أتقن النحو وبرز فيه، وبلغ مبلغاً لم يبلغه أحد في عصره، ولقد نال بلا ثقة العلماء والشعراء ونعتوه بالصفات الحميدة، يقول فيه أحد الشعراء:

يَـا رَبِّ أَبْـقِ لَـنَـا بُـلاً لِـنَـسْـأَلَـهُ عَن كُلِّ سِرٍّ مِنَ الْقُرْآن مُـحْـتَـجَـبِ
وَعَـن دَوَاويـنِ شِـعْـرٍ لاَ يُـفَـسِّـرُهَـا إِلاَّ ابْنُ بَجْدَتِهَا ابْنُ الْفَاضِلِيِّ أَبِي

وكان بلا قد تعرض لإهانة ممن لا يعرف النحو فسلى نفسه بقوله:

لاَ يُؤْلِـمُ الضَّـرْب مِمَّنْ لاَ يُمَيِّزُ لِلـ ـزَّيـدُونَ يَـدْعُـونَ وَالْـهِـنْـدَات يَـدْعُـونَا

وقد ضاع تراث العلامة بلا ولم يبق منه إلا العناوين (ربما تكون انحرقت كتبه في أخصاص قومه).

---

(١) حياة موريتانيا ص٤٣ وص٦٣.

● **من تآليفه:**

١ ـ تأليف في غريب القرآن.

٢ ـ عجالة الراكب في اللغة.

٣ ـ طرة على مختصر خليل.

* * *

المفسر الثاني: الشيخ سيد المختار الكنتي ت١٢٢٦هـ

هو العلامة الشيخ سيد المختار بن أحمد بن أبي بكر الكنتي، ولد بأزواد **١١٤٢هـ** طلب العلم منذ صغره وانتقل لذلك فزار تينبكتو وغيرها حتى استقر عند شيخه الأكبر سيدي علي بن النجيب **ت١١٧٠هـ** فوجد عنده بغيته وسيدي علي هذا من أعلى الشخصيات القادرية سنداً في هذه المنطقة، كان الشيخ سيد المختار نابغة في العلم والتصوف واشتهر شهرة كبيرة فاقت كل التصورات، وله مؤلفات كثيرة في جميع فنون العلم كما أن له قصائد جميلة تعالج قضايا علمية، فمن مؤلفاته:

* فتح الودود: شرح المقصور والممدود لابن مالك، وقد طبع بالمملكة العربية السعودية بتحقيق مامون محمد أحمد الكنتي **١٩٩١م** ط ثانية.

* ألفية في العربية.

* الأجوبة المهمة لمن له بأمر الدين همة.

* بلوغ الوسع على الآيات التسع، وهي تسع آيات سأله عنها بعض علماء السودان على وجه الامتحان فأجابهم عنها بأحسن ما ينبغي.

* تفسير البسملة والفاتحة (وقد تقدم ذكره).

* جذوة الأنوار في الذب عن أولياء الله الأخيار.

* وقصيدة مطلعها: (شغف الفؤاد بحب ذات الواحد...).

أوصل النحوي كتبه إلى ٢٨ مؤلفاً في مختلف الفنون[1] ومناقبه كثيرة اعتنى بها المترجمون له، وقد وضع ابنه العلامة الشيخ سيد محمد فيه كتاب الطرائف والتلائد في مناقب الوالدة والوالد (مطبوع).

ونأخذ الآن نموذجاً من أحد مؤلفاته وهو من مقدمة كتابه فتح الودود:

يقول:

الحمد لله ذي الكرم والجود، لا شريك له في الوجود، إذ أتحفني بفيضه المجدود[2] حتى تيسر ما قصدته من شرح تحفة المودود، حسب ما طلب مني ذلك أخ في الله ودود، والصلاة والسلام على النبي المحمود، المخصص بقصر جميع الممدود، من أهل الكفر والجحود، فجاء بحمد الله على المنية والمقصود بل زاد بهاء وبهجة على كل شارح جيء به على المقصور والممدود، إذ جاريت مصنفه أبا عبدالله محمد بن مالك، وطاولته في جميع المسالك، حتى غطى بحري نهره، واجتاح ثمري زهره، إلا أن دهري، لا يوازي دهره إذ له رتبة السابق، كما أن لي مزية اللاحق، فأبرزت مخدرات عرائسه، والتقطت من قاموس بحره يواقيت نفائسه، وهذبت ما فيه من دسائسه[3]، وأجهزت على ما أتحفه من فرائسه[4] فأربيت على كل شارح يزعم أنه من مكايسه[5]، إذ جاريته على متون الاحوجيات[6] حين جاروه على البرذان والسكينات[7] فلما تحاكت بنا الركبان، وظن الجاهل

(١) بلاد شنقيط ص٥٦١.

(٢) الواسع العظيم.

(٣) الدسائس جمع دسيسة دفن الشيء تحت الشيء لإخفائه.

(٤) ويقال: أنحف في العدو بالغ الجراحة منهم والفرائس جمع فريسة، وفرس الأسد فريسته أي دق عنقها والفريس القتيل.

(٥) المكايس: الكيس، الغلبة بالكياسة، والعقل.

(٦) الأحوجيات: لعلها نسبة إلى أحوج فرس لبني هلال، ولعله هنا يريد جياد الخيل.

(٧) البرذن: لعله يريد البراذن والسكينات جمع سكينة كجهينة (الأتان).

القرب والتدان خضت به بحر الحقائق والمعاني فكع[١] جواده عن خوض ما رمته، ولم يحم حول ما حمته، فحبرت كتابه بآي التنزيل تحبيراً، وطرزته بغرائب اللغات تنويراً، فجئت فيه بالمواعظ الهائلة، والغرر السائلة، والمذاهب المائلة، عن الطرق الباطلة، وبحكايات الأمجاد، وروايات الأجواد، وبنفائس الاعراب، وغرائب الاعراب، ونبذ من الآداب والأدباء، وقصص الأنبياء والأولياء، وكيفية بدء الخلف والانتهاء، والزجر عن الظلم والاعتداء، وما يجران إليه من البلاء والجلاء، ونكت من الترغيب والترهيب، بما يذيب أو يكاد ذهن اللبيب، ومن غرائب المسائل الفقهية، وبصوص[٢] نصوص الدلائل العقلية، مما يفوق ويروق، ويوجب على من سمعه أن لا يقابله بالعقوق، ومن الحكم الطيبة والنفحات الغيبية ما يشوق كل مشوق، وإليه النفوس الزكية تتوق، ورتبت طوالعه، وبينت لوامعه، ترتيب المنازل الفلكية، بالأحاديث النبوية، فجريت فيه بين الإسهاب والإطناب، وصنته عن التطويل الممل، والتقصير المخل، والهذيان المزل، فصار أذكى من الزبد، وأحلى من الشهد، إذ لا تنقضي نفيسة من نفائسه، إلا أسفرت لك عن وجه عروس من عرائسه، ثم ختمته بشذا مسك سيرته الشريفة، والتوجع بوفاته المنيفة، وذكر آله وأصحابه والصلاة عليه وعلى آله . . . الخ.

واكتفينا هنا بهذا النموذج من المقدمة. . . ولو علقنا على هذا النص تعليقاً ضافياً، ورمنا تحليله وشرحه شرحاً وافياً، لطال منا الكلام، وابتعدنا عن موضوعنا بما لا ينسجم والمقام، ولكنه يدل على عمق الرجل، وسعة ثقافته وتنوعها.

والآن نتحول إلى تفسيره للبسملة والفاتحة وهو الذي يعنينا أساساً، فأما تفسيره للبسملة والفاتحة فهو تفسير ضاف جمع فيه علوماً شتى، ومعارف لا تدخل تحت حصر ويقع هذا التفسير في ٢٦٤ صفحة من

---

(١) كع: جبن وضعف فهو كع وكاع.

(٢) بص: برق ولمع.

الحجم الكبير، وقبل أن يبدأ التفسير جاء بمقدمة طويلة استخدم فيها أسلوب السجع وضمنها كثيراً من الأفكار والعقائد وضمنها روايات تؤكد أن الفاتحة تضمنت جميع العلوم الموجودة في القرآن بل وفي الكتب السماوية السابقة، ثم بعد ذلك بدأ يبين الأسباب التي جعلته يعتني بتفسير الفاتحة، يقول: ولما كانت الفاتحة هي أساس القرآن الذي تبنى عليه أصوله، وروح الصلاة التي لا تصلح بدونها، رأساً وجب الاعتناء بها، وصرف الهمة إليها، لأن من قرأها في الصلاة غير مستحضر لمعانيها وأسرارها ومبانيها فصلاته خداج، كما يشهد لذلك قوله عليه الصلاة والسلام: «**كل صلاة لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج**» أي ناقصة وقيل: باطلة من أصلها فإن النقص عين البطلان والصحيح المرتضى وجوبها في جميع الصلاة لأنها روحها ومحل مناجاة الرب، منها ولأن الله تبارك وتعالى سماها بالصلاة لأن الصلاة لا تصح بدونها فمن قرأها غير مستحضر فصلاته مردودة غير مقبولة.

إلى آخر كلامه الذي يتجه إلى مذهب أهل التصوف الذين يرون أن الصلاة التي لا حضور فيها باطلة.

ثم قال: وإنما لخصت هذه النبذة من عدة كتب مرضيات منها: كتاب ابن محمد عالي بن إبراهيم البغدادي، وكتاب القاضي أبي بكر بن العربي المسمى بـ مطلع البدرين ومجمع البحرين، وكتاب الرازي في التفسير، وسميته: بكشف النقاب عن أسرار فاتحة الكتاب.

ويبدو أن الشيخ سيد المختار تأثر هنا كثيراً بالفخر الرازي **ت٦٠٦هـ** في تفسيره للفاتحة الذي يقول في بدايته: اعلم أنه مر على لساني في بعض الأوقات أن هذه السورة الكريمة ـ يريد الفاتحة ـ يمكن أن يستنبط من فوائدها ونفائسها عشرة آلاف مسألة فاستبعد هذا بعض الحساد، وقوم من أهل الجهل والغي والعناد، وحملوا ذلك على ما ألفوه من أنفسهم من التعلقات الفارغة عن المعاني، والكلمات الخالية من تحقيق المعاقد والمباني، فلما شرعت في تصنيف هذا الكتاب، قدمت هذه المقدمة لتصير

كالتنبيه على أن ما ذكرناه أمر ممكن الحصول[١]، قريب الوصول، وقد وضح الشيخ سيد المختار منهجه في تفسيره هذا في البداية فقال:

ورتبه على مقدمة وسبعة فصول.

فالمقدمة ذكر فيها الفرق بين التفسير والتأويل ومشروعية التعوذ قبل القراءة وحكمه وما ورد فيه.

أما **الفصل الأول**: فقد خصصه للبسملة وأحكامها، وهل هي آية من الفاتحة ومن كل سورة، أو من الفاتحة فقط، أو ليست بآية من الفاتحة ولا من غيرها، وإنما هي آية مستقلة، أو إنما هي للفصل بين السور القرآنية وهي من غير القرآن.

أما **الفصل الثاني**: فقد خصصه لفضل البسملة وبعض أسرارها وبعض ما ورد في ذلك من الأحاديث والآثار.

وأما **الفصل الثالث**: فقد ذكر فيه أسماء الفاتحة وما يتعلق بذلك وهل هي مكية أو مدنية أم أنها نزلت مرة أو مرتين؟ وهل نزلت قبل سورة العلق أو بعدها؟.

وأما **الفصل الرابع**: فقد تعرض فيه لكلام السلف فيها وفي المعوذتين.

وأما **الفصل الخامس**: فقد ذكر فيه معانيها وما ورد في ذلك عن السلف.

وأما **الفصل السادس**: فقد تعرض فيه لأسرارها، وخواصها.

وأما **الفصل السابع**: فقد تعرض فيه لمدلولاتها ومقتضياتها[٢].

---

(١) مفاتيح الغيب للفخر الرازي ٣/١ وانظر التفسير والمفسرون للذهبي ج١ ص٢٩٠.

(٢) توجد نسختان من كشف النقاب في مكتبة زاوية الشيخ سيد المختار الكنتي بانواكشوط.

● **وهذا نموذج من تفسيره:**

يقول الكنتي ويروى أن جبريل عليه السلام نزل على النبي ﷺ يوماً وهو يرعد كالسنبلة في الريح العاصف ودموعه تنهل فقال له: ما هذا الجزع يا جبريل وقد مدحك الله وأثنى عليك في تنزيله بقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾، فقال له يا محمد: وما يؤمنني مع سعة علم الله فإنه منذ أصاب إبليس ما أصابه لم يجف دمع مقرب ولم يسكن روع، ولقد كان أعلمنا وأعبدنا فقد كان رأس الملائكة وخازن الجنة[١]، وكان اسمه عزرائيل ومعناه كذا[*] لأنه تفرد بعبادته واعتزل الخلق لأجل التبتل حتى يقول فأسقط قدره وأبطل عمله، وغير اسمه وبدل صفته، فصار شيطاناً مريداً مرجوماً طريداً، فصار رأس الغواة، بعدما كان إمام الهداة فاسأل الله يا محمد أن يجيرني وإياك من سقوط القدر... الخ[٢].

والظاهر أن الشيخ سيد المختار كان مقتنعاً بهذا الخبر لأنه لو كان غير مقتنع به لرده، ولما أتبعه بتلك القصص التي من ضمنها قصة رجل أعطاه الله ثلاث دعوات مستجابة ثم سلب[٣]...

وقصص أخرى مماثلة.

❋ ❋ ❋

المفسر الثالث:
الشيخ حبيب الله آلاً بن الأمين بن الحاج الشقروي ولد عام ١١٩٦ ت١٢٧٠هـ

نشأ وعاش في منطقة رقاب العقل في ضواحي أبي تلميت الجنوبية الغربية في ولاية اترارزة، وتربى في بيت علم ومعرفة وفي كنف والديه

(١) تعرض الشيخ محمد الأمين في الأضواء للأحاديث التي يوردها بعض المفسرين عن ابن عباس بشأن أن إبليس كان من خزنة الجنة من أشراف الملائكة، وقال إنها كلها من الإسرائيليات. الأضواء ج٤، ص١٢٤.

(*) لم تتضح لي هذه الكلمة ولعلها (عبدالله).

(٢) كشف النقاب ص١٠٣.

(٣) المصدر السابق ص١٤.

وأخويه الشاعرين محمد والمقري وأخواته الخمس ومنهن مريم الشاعرة التي مدحت الشيخ سيدي الكبير ت١٢٨٤هـ بقصيدة رائعة وقال: المرأة كلها عورة، استحساناً لشعرها، وكان قوي الحافظة سريع البديهة، ولم يثبت أنه طلب العلم خارج مدارس قومه، ولعل ذلك يرجع إلى الجو العلمي والتعليمي الذي عاش فيه وجعله يستغني عن الغربة في طلب العلم فكان أستاذه الأول هو والده، ثم تدرج في المعارف عند مشايخ قبيلته.

ترجم له صاحب الوسيط وقال عنه... هو العالم الذي لا يغلب في الحجاج متفنن في الكلام واللغة وغير ذلك، وكان جريئاً سليط اللسان(١).

وكتب عنه الأستاذ محمد بن الغزالي في كتابه (نبذة عن نشب الشقرويين) أنه اشتهر بالعلم، وتأكد علم التوحيد، وله تآليف كثيرة ذكر في بعضها أنه مجتهد.

وذكر المختار بن حامدن أنه كان أعجوبة زمانه، في الحفظ، والعلم، والشعر وكان ذا عبقرية كبيرة، وله تآليف كثيرة، وقد رفض الفروع ودعى إلى الاجتهاد وادعاه لنفسه ولذلك كان يفتي بأن طلاق الثلاث دفعة واحدة لا يعد إلا طلقة واحدة، لأن ذلك هو الذي عليه العمل في عهد النبي ﷺ قال: ولأن القرآن لم يذكر الطلاق إلا مفرقاً، فلا يصح إلا كذلك، فرد عليه محنض باب بن اعبيد الديماني ت١٢٧٧هـ في رسالة رماه فيها بالضلال، ولقبه فيها بمحلل الحرام، فكتب هو الآخر رسالة رد عليه فيها، وسماه فيها بمحرم الحلال، وحبيب الله هنا يحتج كما يقول بقول علي، وابن عباس، وجماعة من السلف، وهو قول الظاهرية وطائفة من العلماء(٢).

ولقد لعبت عوادي الزمن بآثاره العلمية، والأدبية، ولم يبق منها إلا القليل ومنها:

١ ـ الإجماعيات العقدية حقق سنة ١٩٨٦م.

---

(١) الوسيط في تراجم أدباء شنقيط ص٢٢٠.
(٢) الوسيط ص٣٣٦ وحياة موريتانيا ص٤٧.

٢ ـ شرح الوسيلة لابن بون الجكني سماه (الهبة الجزيلة على شرح الوسيلة).

٣ ـ تفسير القرآن الكريم (ولم نعثر عليه) وكل من ترجموا له ذكروه.

٤ ـ نظم في الأعذار، عن موهم العصيان في حق الرسل صلوات الله وسلامه عليهم.

٥ ـ كشف الجهل في التوحيد.

٦ ـ مجموعة رسائل في الحلف بالحرام.

٧ ـ له ديوان شعر ت١٢٧٠هـ رحمه الله[*].

* * *

المفسر الرابع:
الشيخ محمد المامي بن البخاري الشمشوي ١٢٨٢هـ

هو العلامة ذائع الصيت وصاحب التآليف النافعة في جميع فروع المعرفة كالتفسير وعلوم القرآن، والفقه، وأصوله، ومصطلح الحديث، واللغة العربية بفروعها، والأحكام السلطانية، والقواعد الفقهية، (وكتابه في التفسير نظم ابن جزي لم أعثر عليه).

ذكر له الأستاذ الخليل النحوي في كتابه بلاد شنقيط ستين مؤلفاً[1] منها نظم تفسير ابن جزي المذكور. اشتهر بدعوته إلى تجديد الفقه كما أعطى عناية خاصة بفقه أهل البادية التي كان من سكانها.

كما اشتهر بالدعوة إلى الجهاد في سبيل الله يقول عنه الخليل النحوي أنه ـ يعني الشيخ محمد المامي ـ كان يدعو لنصب الإمام مبشراً بما في ذلك من الخيرات:

(*) نبذة عن نسب الشقرويين للأستاذ الغزالي ص٢٢ (مخطوطة).

(١) توجد زاوية في انواكشوط تعنى بكتبه.

- اجتماع الكلمة.

- نبذ الخلافات.

- الحكم بالعدل.

- إقامة حدود الله لتطهير العصاة من ذنوبهم قال:

ودعا بقوة إلى الجهاد إما بإمام أو بدونه حتى يتهيأ نصب الإمام[١] فيقول في إحدى قصائده:

وَقُلْتُمْ لاَ جِهَادَ بِلاَ إِمَامٍ ... نُبَايِعُهُ فَهَلاَّ تَنْصِبُونَا

وَقُلْتُمْ لاَ إِمَامَ بِلاَ جِهَادٍ ... يُعَزِّزُهُ فَهَلاَّ تَضْرِبُونَا

إِذَا جَاءَ الدَّلِيلُ وَفِيهِ دَوْرٌ ... كَفَى رَداً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَا

ويضرب الأمثال من بطولات العرب الأولين ومن مآثر الشناقطة أنفسهم ليعيب على الرجال خنوعهم وقعودهم مع النساء يقول:

وَضَاعَتْ نِسْوَةٌ نَكَحَتْ رِجَالاً ... بِفِعْلِ الغَانِيات مكلفونا

فَلَمْ يُكْتَبْ عَلَيْهِم مِن قِتَالٍ ... وَلاَ قَتْلٍ عَلى ما يَزْعُمُونَا

وَهَلْ فيكُم نِسَاءٌ مُحْصَنَاتٌ ... وَمَا كنتمْ لَهَا أَبَداً حُصُونَا

وَهَلْ حَظِيَتْ نِسَاءٌ تَحْتَ بَعْلٍ ... إذا كان الرجال مُخَنَّثِينَا[٢]

أما منزلته في الفقه فهي عظيمة حتى أنه لو أراد أن يخترع مذهباً جديداً لأمكنه ذلك لكنه لا يشاء ذلك ولا يشاء له، يقول:

فَلَوْ شِئْنَا لِمَذْهَبٍ اخْتَرَعْنَا ... وَلَكِنْ لاَ نَشَاءُ وَلاَ نُشَاءُ[٣]

* * *

(١) بلاد شنقيط ص٣٨٢.

(٢) بلاد شنقيط ص٣٨٢.

(٣) ولمزيد من حياة الشيخ محمد المامي انظر الفكر الأصولي عند علماء شنقيط خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين، عثمان بن الشيخ أحمد أبي المعالي ص١٩٤.

المفسر الخامس:
محمذن فال بن متالي التندغي ت١٢٨٧هـ

عالم جليل وشاعر مجيد وصاحب حضرة متميزة كانت حرماً يلوذ به الخائفون وقد تصدر عليه الكثير من العلماء، عرف عن الشيخ ابن متالي اشتغاله الكبير بنشر العلم وبالدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، وكان من العلماء الذين يجمعون بين نشر العلوم الظاهرة كالفقه والتوحيد والسيرة واللغة والتفسير وبين التصوف، فهو من مشاهير طريقة الشاذلية التي هي من أقدم الطرق وصولاً إلى بلاد شنقيط، وقد أخذها كثير من العلماء حتى أطلق عليها طريقة الفقهاء أو طريقة العلماء، كان يرى لتعلم اللغة مزية عظيمة، حتى أنه يفضلها على التفرغ للعبادة، وفي ذلك المعنى يقول:

تَعَلُّمُ اللُّغَةِ شَرْعاً فَضِّلِ عَلَى التَّخَلِّي لِعِبَادَةِ الْعَلِي
يُؤخَذُ ذَا مِن قَوْلِهِ وَعَلَّمَا آدمَ الأَسْمَاءَ الْزَمِ التَّعَلُّمَا

له آثار كثيرة منها:

- نظم الأصول وشرحه.
- وله شرح الأربعين حديثاً النووية.
- نظم معجزات النبي ﷺ.
- نظم أصحاب النبي ﷺ وآثارهم.
- نظم النصيحة في التصوف.
- نظم قواعد الفقه.
- شافية الأبدان في الفقه.

وله أنظام شتى لا تحصى كثرة، ومن نظمه في تأكيد طلب العلم كما نقله عنه تلميذه العلامة محمد مولود:

لاَ تَعْصِ وَالِدَيكَ مَهْمَا مَنَعَا مِنَ الْخُرُوجِ لِلْكِفَائِي فَاسْمَعَا
وَاعْصِهِمَا فِي فَرْضِكَ الْعَيْنِي إِذَا لَمْ يَكُ فِي الْمَوْضِعِ مَنْ يَعْرِفُ ذَا

ومن آثاره تفسيره للقرآن المسمى (صلاح الآخرة والأولى في صلاح الآخرة والأولى) وهو موجود بدار الثقافة تحت رقم (٢١٣١).

* وتوجد زاوية في انواكشوط تعنى بمؤلفاته ولكنها ما زالت مخطوطة.

* * *

المفسر السادس:
الشيخ (آلويمنات)

هو الأمين ابن محمد ابن سيد أحمد الملقب بآلويمنات جمع مصغر الأمين الديماني.

له كتاب في غريب القرآن يسمى: عجالة الراكب وقبس الذاهب وتوجد نسخة من هذا الكتاب بالمكتبة الوطنية بدار الثقافة بالجمهورية الإسلامية الموريتانية تحت رقم ١٨٨ انواكشوط.

والأمين هذا لم أجد له ترجمة وافية فلم أجد من صرح بسنة وفاته مع أنهم يقولون أنه عاش في أواخر القرن ١٣هـ.

ولكن يبدو أن الأوساط العلمية تعرفه ولا تتردد في نسبة الكتاب إليه. النسخة الأساسية من هذا الكتاب توجد بخط يظن أنه للمقداد سك[1] كما حدثني بذلك الأستاذ أبو ميه بن ابياه الذي حقق هذا الكتاب وتخرج به من المدرسة العليا للأساتذة سنة ١٩٨٠م.

وهو شخصية سينغالية شهيرة تخرج على أهل العاقل من أبناء ديمان وهو جد محمد بن المقداد الشهير، ويقال أن الخط لمحمد بن المقداد[2]،

(١) وهذه النسخة كتب على ظهرها ما يلي لآلويمنات الديماني وليس لبلا الشقروي كما يزعم بعض إداب لحسن.

(٢) هو محمد بن المقداد السينغالي، معروف بالكرم والمعرفة امتدحه الشعراء الشنقيطيون بقصائد رائعة، لكنه من أصدقاء فرنسا المخلصين لها، الذين استعانت بتقاريرهم على السيطرة على موريتانيا، وكان يرافق كبولاني إلى تجكجة، وغور إلى أطار، انظر دور=

هذا المعجم ألفه آلويمنات على الطريقة القاموسية وهي اعتماد باب لآخر الكلمة والفصل لأولها.

وقد بدأ بمقدمة مليئة بالسجع والحكم لكن لم يضع خلالها منهاجاً واضحاً يبين من خلاله طريقته في التأليف، لكنه بين أن الحامل له على هذا التأليف هو خوض أهل زمانه في القرآن الكريم مع عدم معرفتهم بين الحق والباطل، والصحيح والسقيم، فأراد أن يؤلف تأليفاً مناسباً يتعرض فيه لبعض معاني القرآن الكريم، والواقع أن هذه المقدمة التي صدر بها هذا العمل تدل على خبرة جيدة باللغة العربية، والتحكم في أنواع الأساليب التعبيرية، إلا أنه التزم فيها بسجع متكلف قلص من أهميتها يقول:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً نعمه لا تحصى، أمد الدهر لا تعد ولا تستقصى، والصلاة والسلام على أطيب العالمين ساحة، وأنداهم بطن راحة، ما كور الليل على النهار، وانتظمت الأمواج بالبحار، وطرب الطائر المستحر، وغرد حادي العيس المدكر، وشكا الصب ليل التمام، وسبح الرعد في ظلل الغمام، وأنجدت النكباء[1] وأتهمت، وأيمنت وأشأمت.

وبعد فلما رأيت أبناء الزمان، ولاسيما في هذا الأوان، في كل واد في كتاب الله يهيمون، ويظنون به كل الظنون، وكثر فيهم القال والقيل، ويتنوعون كما تتلون الغول، واستوت فيه اليدان اليمنى والشمال، واجتمع فيه المنافيان، النساء والرجال، وتناوله الضاريان الذئب والأسد، وحاشا كتاب الصمد الأحمد، المعنى بقول القائل، المتعاطي في الأوائل:

خَلِيلَيَّ هَذا رَبْعُ عَزة فَاعْقِلاَ قَلُوصَيْكُمَا ثُمَّ ابْكِيَا حَيْثُ حَلَّتِ

= المحاظر في موريتانيا للأستاذ محمد المصطفى بن الندى رحمه الله ص٥٢ (مرقونة)، وكان محمد بن المقداد مولعاً بجمع الكتب النفيسة، لهذا كانت مكتبته من أغنى المكتبات، يقال أنه لما مات والده قال لإخوته: (بالمال يا إخوتي فوزوا وبالدور فحسبي الذهب الإبري من دوري)، يقصد تفسير الشيخ محمد اليدالي المتقدم.

(١) النكباء ريح انحرفت ووقعت بين ريحين أو بين الصبا والشمال.

حملتني الجمية الأبية، وهمة غبر أحوذية، لكن ينشد لها لسان الحال، «ألا عم صباحاً أيها الطلل البالي» ويورد عليها ما غبر في الكلام، فرب رمية من غير رام، جمعت ما لم أكن من جذيله، ولا آمل سرى ليله ولا يعاب على مثلي، بيد أني لم أر من حذا نعلي، ممن تعرض لهذا قبلي، ولله در القائل: كم ترك الأول للآخر، وسميته عجالة الراكب وقبس الذاهب، إذا رآه الجاهل الناقد حسبه غثاء سيل، أو جمعه حاطب ليل، فسبق إليه ذم، وينسى أن بعض الظن إثم، ويعجل بلوم هو ظلم، ويقفو ما ليس له به علم، أو لم يعلم أن العجول مخطىء وإن ملك، والمتثبت مصيب وإن هلك، قال:

قَدْ يُدْرِكُ الْمُتَأَنِّي بَعْضَ حَاجَتِهِ   وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعْجِلِ الزَّلَلُ

ومن أسرع في الجواب، أبطأ في الصواب...

وسوف آتي بنموذج من هذا المعجم عندما يحين الكلام على اتجاهات التفسير في هذا البحث إن شاء الله تعالى.

❋ ❋ ❋

المفسر السابع:
محمد امبارك بن حبيب الله اللمتوني ت١٢٩٠هـ

اشتهر أساساً باهتمامه بالتاريخ الشنقيطي، وبأنساب سكان هذا الإقليم، وله أنظام كثيرة في ذلك.

لكنه في الواقع شخصية علمية كبيرة، وقد لازم العلامة الشيخ سيدي الكبير وأخذ عنه العلوم الشرعية، واللغوية، حتى أنه أجازه في سائر العلوم الظاهرة (والباطنة) ويقصدون بالباطنة علم السلوك، له مؤلفات كثيرة يقول النحوي إنها تربو على ١٠٠ مؤلف[١].

---

(١) بلاد شنقيط ص٥٢٦.

ويقول محمد محفوظ بن أحمد في المكانة: قيل إن مؤلفاته بلغت عدد مائة وخمسين[١].

فمن المواضيع التي كتب فيها:

١ ـ أصول الفقه.

٢ ـ القواعد الفقهية.

٣ ـ التاريخ والأنساب.

٤ ـ التفسير.

له تفسير للقرآن الكريم لم أعثر عليه وأخبرني الأستاذ لمرابط بن محمد الأمين أنه توجد نسخة منه في مكتبتهم في قرية (ونجه) بولاية لبراكنة. عمر الشيخ محمد امبارك طويلاً حتى بلغ نحو التسعين سنة.

❋ ❋ ❋

المفسر الثامن:
الشيخ محمد بن حنبل الحسني ت١٣٠٠هـ

هو الشيخ محمد بن حنبل بن الفال بن محم بن الفك بن أحمد بن الفغ أعمر الحسني ولد عام ١٢٣٩هـ في ضواحي أبي تلميت، وقد تربى ونشأ في بيئة علمية وأدبية زاهرة مليئة بفطاحل الشعراء من أبناء عمومته، منهم الشاعر المشهور: الأحول محمد بن عبدالله ت١٢٥٠هـ وغيره.

أخذ تعليمه الأول في بيوتات أهله ثم التحق بمحضرة العلامة «بلا» ابن الفاضل الشقروي، ثم درس في محضرة محمد بن احظان الحسني الذي كان معجباً به لنبوغه وذكائه.

---

(١) مكانة أصول الفقه ص١٦٢ والفكر الأصولي ص١٩٨.

وبعد مرحلة الطلب أسس محضرته الشهيرة التي كانت منهلاً يرده طلاب العلم من كل حدب وصوب لينهلوا من جميع المعارف.

للشيخ محمد آثار كثيرة منها:

- (ري الظمآن في تفسير القرآن) في مجلدين، كان أحدهما عند الأستاذ التقي بن بلا[١].

- تأليف في الجيم.

- تنبيه المغمور على جل ضروريات الأمور في التوحيد.

- حلية الألباب (نظم في التوحيد).

- نظم المقرب في النحو.

- ضرب المجن والأسداد دون المشائخ والأوراد.

- الأجوبة المياهية: أجاب بها أحمد بن مياه الحسني.

- الناموس في حل ألفاظ خطبة القاموس للفيروز آبادي.

- تسهيل الوصول إلى ما جاء في الذكر من نبي أو رسول.

يتبوأ الشيخ محمد بن حنبل مكانة خاصة بين العلماء والأدباء الشنقيطيين، ولذلك نوه بعلمه وأدبه العلامة الشنقيطي في مستهل تفسيره الشهير «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن»، واستشهد بقطعة من شعره في مدح العلم وأهله منها:

لاَ تَسُؤْ بِالْعِلْمِ ظَنًّا يَا فَتَى ... إن سُوءَ الظَّنِ بِالْعِلْمِ عَطَبْ

***

(١) جل هذه الترجمة أخذته من خط الدكتور: أحمد بن حبيب الله أستاذ بجامعة أنواكشوط.

المفسر التاسع:
الشيخ معروف بن الكوري بن إبراهيم الأديب البركني الأحمدي

تربى في حضن والده الكوري بن إبراهيم الملقب بالأديب، لقب به لسلوكه الحسن وحلمه الجم، وذلك أنه كان يطلب العلم في إحدى المحاضر وجاء يطلب ماء للشرب فلطمته خادمة المحضرة بعصا فشجته في الرأس، فتلثم عليها ستراً لها إلى أن تعفنت فاكتشف أمرها فأطلق عليه شيخ المحضرة والطلاب إبراهيم الأديب.

طلب الشيخ معروف العلم في أول حياته في محضرة الكحلاء والصفراء[(١)] أيام الشيخ محمد محمود بن حبيب الله الإجيجبي **ت١٢٧٧هـ** وظهرت عليه آثار النبوغ والذَّكَاءِ، ثم ارتحل من هذه المحضرة إلى منطقة اترارزة، فأخذ عن العلامة محمد فال بن متالي التندغي **ت١٢٨٧هـ**، والعلامة الشيخ سيدي الكبير **ت١٢٨٥هـ**، وقد نال منزلة عظيمة عند هذين العالمين الجليلين، الذين هما أشهر العلماء الشنقيطيين في تلك الحقبة الزمنية.

ولم نعثر للشيخ معروف على مؤلف غير تفسيره المسمى:

(تأويل محكم التنزيل، في تفسير القرآن العظيم) وهو تفسير متوسط لا بالطويل ولا بالقصير، وتحتفظ مكتبة المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية بنصفه الأخير الذي يبدأ من سورة مريم إلى سورة الناس.

وقد اطلع الإمامان الجليلان محمذن بن فال بن مثالي والشيخ سيدي الكبير على التفسير المذكور فزكياه وكتبا ما يلي:

يقول محمذن فال ابن متالي: الحمد لله والصلاة والسلام على محمد وآله، وبعد فليعلم من سيقف عليه أن الذي أراني الله تعالى في هذا التفسير

---

(١) محضرة الكحلاء والصفراء محضرتان شهيرتان من محاضر إجيجبه في ولاية لبراكنه.

الذي جمع معروف أنه مرضي مشحون في تأويل الكتاب المكنون بالفوائد لا يطعن فيه إلا جاهل لا يميز بين الصحيح والفاسد، أو عالم لم يتأمله حق التأمل فينكر ببديهة رأيه لغرض غير شرعي، والسلام على محمد وآله وصحبه وأزواجه.

محمذن فال بن متالي لطف الله بهما وبجميع الأمة بجاه محمد ﷺ.

وقد كتب الشيخ سيدي الكبير بن المختار بن الهيبة تحت ما كتب فوق ما نصه: الحمد لله الذي جعل لحوم العلماء مسمومة، وعادته في هتك منتهكي حرمتهم معلومة، فمن أطلق لسانه فيهم بالثلب ابتلاه الله قبل موته بموت القلب، هذا وإن ما جمعه الأخ الصالح الحاذق اللبيب معروف بن الكوري بن إبراهيم الأديب في تأويل محكم التنزيل يتبدى على وجوه مبانيه، وفي خلال معانيه، لمن تبصر فأبصر من الفوائد والعوائد، وحسن المقاصد، وعلو الهمة، وحوز المحامد الجمة، ما يشهد شهادة قطع لجامعه بالصلاح، وأنه من أهل الفتح والفلاح، وأنه مما ينميه الحسدة الجهلة نقي العرض بريء، وأن ما صنعه مقبول عند أهل الحق والحقيقة مرضي، حفظه الله ورعاه، وحمد مسعانا ومسعاه، آمين.

عبد ربه الغني به سيدي المختار ابن الهيبة كان الله للجميع ولياً ونصيراً آمين.

وكتب المؤرخ الكبير هارون ابن الشيخ سيدي ما يلي:

معروف أغنت شهرته عن الترجمة له، وهو رجل صالح دخل أرضنا هذه في القرن ١٣هـ فظهر فيها ظهوراً لا مثيل له، وشاهدوا منه الكثير من خوارق العادات. . . توفي معروف سنة ١٣٠٠هـ بعد أن عمّر طويلاً، قيل بلغ ١٠٠ سنة، يوجد الجزء الأخير من تفسير معروف «تأويل محكم التنزيل في تفسير القرآن الكريم» في مكتبة المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية تحت رقم (١٣٣٧) كما تقدم.

وهذا نموذج من تفسير معروف: تأويل محكم التنزيل في تفسير

القرآن الكريم[١] وهو قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ [النور: ٣٠]، عما لا يحل لهم نظره كالعورات، وما لا يحل نظره من النساء، وكتاب الغير، وشبه ذلك مما يستر، ومن زائدة، أو للتبغيض، والمراد غض البصر عما يحرم، وقيل هي لابتداء الغاية لأن البصر مفتاح القلب، وفائدة ذكر من في النظر، دون حفظ الفرج أن حكم النظر أخف من حكم الفرج، إذ يحل النظر إلى بعض أعضاء المحارم، ولا يحل شيء من فروجهن، ولأن النظرة الأولى لا حرج فيها، ويحرم ما بعدها، قال ﷺ: «**ما تركت في الناس بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء**»، وقال بعض العارفين ما يئس الشيطان من إنسان إلا أتاه من قبل النساء، وقال الثوري: قال إبليس: سهمي الذي إذا رميت به لم أخطيء النساء، وفي خبر أحمد: النظر إلى محاسن المرأة سهم من سهام إبليس، ومن ثم جعل في كتاب الله رأس الشهوات كما في قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ﴾ [آل عمران: ١٤]، وقال علي - رضي الله عنه -: أيها الناس لا تطيعوا للنساء أمراً، ولا تدعوهن يدرن أمر عيش فإنهن إن تركن أفسدن الملك وعصين المالك، وجدناهن لا دين عندهن... الخ[٢] وفي الحديث: «**يا علي لا تتبع النظرة النظرة فإن الأولى لك وليست لك الأخيرة**» وذلك لأن البصر هو الباب الأكبر إلى القلب وأعظم طرق الحواس، وإنما تكون النظرة الأولى لك إذا نظرت أو لا من غير قصد، انتهى.

وإنما قدم النظر على حفظ الفرج لأن النظر رائد الزنى، ورائد الفجور والبلوى فيه أشد، ولا يحترس منه غالباً، وفي الحديث: «**لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ولا المرأة إلى عورة المرأة ولا يفضي الرجل إلى الرجل في ثوب واحد ويحفظوا فروجهم**» عما لا يحل فعله بها، فحفظ الفرج المأمور به هو من الزنى، وقال أبو العالية: كل ما في القرآن من

(١) مخطوطة المعهد العالي ج٢ ص٩٥ رقمها ١٣٣٧.

(٢) حذفت هنا فقرات تتعلق بالنساء فيها إطناب وأحكام تحتاج إلى دليل.

حفظ الفرج فهو من الزنى والحرام إلا في هذا الموضع فإنه أراد به الاستتار حتى لا يقع بصر العين عليه، والأظهر: أن الجميع مراد فحفظه هو عن الزنى وعن كشفه حيث لا يحل (ذلك) أي: غض البصر وحفظ الفرج ﴿أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾ يريد أطهر فمن غض بصره وحفظ فرجه كان أطهر له من الذنوب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ بالأبصار والفروج فيجازيهم عليه من إجالة أبصارهم، واستعمال سائر حواسهم، وتحريك جوارحهم، وما يقصدون بها، فليكونوا على حذر منه في كل حركة وسكون، وفي الحديث: «**من اطلع على بيت قوم بغير إذنهم فقد حل لهم أن يفقؤوا عينه**» وهذا الحديث تمسك به الشافعي.

﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]، قال: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ من النظر الممنوع منه، ومن غيره، وقيل إن أوامر الله ونواهيه في كل باب لا يقدر العبد الضعيف على مراعاتها، وإن اجتهد فلا ينفك عن تقصير يقع منه، فلذلك أوصى المؤمنين بالتوبة، قال في اللباب: ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ تنجون من ذلك بقبول التوبة منه، وعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: «إن كنا لنعد لرسول الله ﷺ في المجلس: رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم مائة مرة».

ـ والتوبة واجبة على كل مكلف بالكتاب والسنة وإجماع الأئمة وفرائضها ثلاثة:

ـ الندم على الذنب من حيث عُصي به ذو الجلال، لا من حيث أضر ببدن أو مال.

ـ الإقلاع عن الذنب في أول وقت الإمكان من غير تأخير.

ـ العزم أن لا يعود إليه أبداً ومهما قضى بالعود أحدث عزماً مجدداً.

وآدابها: الاعتراف بالذنب مقروناً بالانكسار، والإكثار من التضرع والاستغفار، والإكثار من الحسنات لمحو ما تقدم من السيئات.

ومراتبها سبع: توبة الكفار من الكفر، توبة العابدين من الفترات، توبة السالكين من علل القلوب والآفات، توبة أهل الورع من الشبهات، توبة أهل المشاهدة من الغفلات(١).

البواعث على التوبة سبعة:

خوف العقاب، ورجاء الثواب، والخجل من الحساب، ومحبة الحبيب، ومراقبة الرقيب، وتعظيم المقام، وشكر الإنعام.

وهذا نموذج آخر من تفسير الشيخ البركني، وهو يتعلق بالقصص القرآني، ففي تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الأنبياء: ٤٨].

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ أي التورية الفارقة بين الحق والباطل، والحلال والحرام، وقيل الفرقان النصر على الأعداء، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾ هو بدر، أي آتينا موسى النصر ﴿وَضِيَآءً﴾ بها أي هدى ونوراً قال في الذهب: ومن فسر الفرقان بالتورية جعل الواو زائدة وليست بزائدة. أي آتيناه التورية وضياء بها ﴿وَذِكْرًا﴾ أي موعظة بها ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ من قومه. البيضاوي: أي الكتاب الجامع لكونه فارقاً بين الحق والباطل، وضياء يستضاء به في ظلمات الحيرة والجهالة، وذكراً يتعظ به المتقون أو ذكر ما يحتاجون إليه من الشرائع ﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم﴾ صفة للمتقين أو مدح لهم ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ عن الناس أي في خلاء عنهم البيضاوي: حال من الفاعل أو المفعول ﴿وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ﴾ أي أهوالها ﴿مُشْفِقُونَ﴾ أي خائفون. وفي تصدير الضمير وبناء الحكم عليه مبالغة وتعريض ﴿وَهَـٰذَا﴾ أي القرآن ﴿ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ﴾ كثير خيره ﴿أَنزَلْنَـٰهُ﴾ ثم وقفهم سبحانه تقريراً وتوبيخاً، هل يصح لهم إنكار بركة القرآن وما فيه من الدعاء

---

(١) لم يذكر من هذه السبعة إلا خمسة فقط وترك المرتبتين اللتين درج عليهما العلماء وهما التوبة من كبائر الذنوب وصغائرها، فالكبائر عند العلماء لا تغفر إلا بالتوبة، أما الصغائر فتعفى باجتناب الكبائر وبالأعمال الصالحة، ولعل المؤلف أهملهما لوضوح أمرهما، واسترسل في أنواع أخرى حسب مصطلحات أهل التصوف.

إلى الله؟ فقال: ﴿أَفَأَنتُمْ﴾ يا كفار مكة ﴿لَهُ مُنكِرُونَ﴾ جاحدون فالاستفهام فيه للتوبيخ.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [الأنبياء: ٥١].

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ﴾ الرشد عام في جميع أنواع الخيرات البيضاوي: رشده الرشد الاهتداء لوجوه الإصلاح وإضافته تدل أنه رشد مثله وأن له شأناً ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي هداه قبل بلوغه وقيل قبل موسى وهارون أو محمد ﷺ ﴿وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾ أي علمنا أنه أهل لما آتيناه وهذا نحو قوله: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ وهو مدح لإبراهيم وفيه إشارة إلى أن فعله تعالى باختيار حكمه وأنه عالم بالجزئيات ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ﴾ متعلق بآياتنا أو برشده أو بمحذوف أي اذكر من أوقات رشده وقت قوله ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ﴾ الأصنام وكانت على صور بني آدم ﴿ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾ أي على عبادتها مقيمون البيضاوي: تحقير لشأنها وتوبيخ على إجلالها فإنها لا تضر ولا تنفع واللام للاختصاص لا للتعدية فإن تعدية العكوف بعلى ﴿قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ فاقتدينا بهم اعتراف بالتقليد من غير دليل، البيضاوي: وهو جواب عما ألزم الاستفهام من السؤال عما اقتضى عبادتها وحملهم عليها اهـ وقد تقدم الكلام على إيمان آباء الأنبياء ﴿قَالَ﴾ لهم ﴿لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ﴾ بعبادتها ﴿فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ خطأ بين في ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا﴾ قولك ﴿أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ﴾ فيه أي هل هذا الذي تقول حق أو مزاح وانظر كيف عبروا عن الحق بالفعل وعن اللهو بالجملة الاسمية لأنه ثبت عندهم ﴿قَالَ﴾ إبراهيم ﴿بَل رَّبُّكُمْ﴾ المستحق للعبادة ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ﴾ خلقهن على غير مثال سابق الضمير للسموات والأرض أو التماثيل وهو أليق بالرد عليهم، البيضاوي: إضراب عن كونه لعباً بإقامة البرهان على ما ادعاه وهن للسموات والأرض أو للتماثيل وهو أدخل في تضليلهم وإدخال الحجة عليهم ﴿وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم﴾ الذي قلته ﴿مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ به والمبرهنين عليه ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم﴾ لأمكرن بها ولفظ الكيد لصعوبة الأمر وتوقعه على نوع من الحيل ﴿بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟﴾ عنها ﴿مُدْبِرِينَ﴾ إلى عيدكم يعني بعد خروجهم إلى عيدهم قيل قال هذا سراً من قومه ولم يسمعه إلا رجل واحد فأفشاه ﴿فَجَعَلَهُمْ﴾ بعد

ذهابهم إلى مجتمعهم في يوم عيدهم ﴿جُذَٰذًا﴾ أي فتاتاً ويجوز فيه الضم والكسر والفتح وهو من الجذ بمعنى القطع ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ﴾ أي الأصنام فترك الصنم الكبير لم يكسره، وذلك أنه حضر عيداً لهم فعزم قوم منهم عليه في حضوره، طمعاً منهم أن يستحسن شيئاً من أحواله، فمشى معهم فلما دخل في الطريق أثنى عزمه على التخلف عنهم فقعد وقال إني سقيم، فمر به جمهورهم ثم قال في خلوة من نفسه وتالله لأكيدن أصنامكم، فسمعه قوم منهم من ضعفتهم ممن كان يسير في آخر الناس ثم انصرف عليه السلام إلى بيت أصنامهم فدخله ومعه قدوم فإذا هم وضعوا أطعمتهم في ذلك اليوم بين يدي الأصنام، تبركاً لينصرفوا من ذلك العيد إلى أكله، فلما نظر إبراهيم قال لهم ألا تأكلون؟ فلما لم تجبه قال لهم مالكم لا تنطقون؟ فجعل يقطعها بالفأس ويهشمها به حتى أفسد أشكالها إلا الكبير فإنه تركه بحاله وعلق الفأس في يده أو عنقه وخرج عنها قال في الذهب: وكانت اثنين وسبعين صنماً بعضها من ذهب، وبعضها من فضة، وبعضها من حديد، ورصاص، ونحاس، وشبه وخشب وحجر والشبه والشبهات محركتين[1] شجر كبير وكان الصنم الكبير من ذهب مكللاً بالجواهر، في عينيه ياقوتتان، تتقدان ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ﴾ أي إلى كبيرهم ﴿يَرْجِعُونَ﴾ فيرون ما فعل بغيره، أو يرجعون إليه فيسألونه فلا يجيبهم فيظهر لهم عجز آلهتهم، أو يرجعون إلى الله، أي إلى توحيده أو يرجعون إلى إبراهيم أي إلى ما يدعوهم إليه، وهذا أظهر عند الثعالبي، فرجعوا من عيدهم فوجدوا الأصنام مكسورة بعد رجوعهم ورؤيتهم ﴿مَن فَعَلَ هَٰذَا﴾ (ج) ما قبله محذوف تقديره فرجعوا من عيدهم فرأوا الأصنام مكسورة فقالوا: ﴿مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فيه، البيضاوي: بجرأته على الآلهة ﴿قَالُوٓا۟﴾ أي بعضهم فالضمير للقوم الضعفة الذين سمعوا قول إبراهيم تالله لأكيدن أصنامكم ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾ يعيبهم فلعله فعله أي يذكرهم بالذم وبقوله: لأكيدن أصنامكم ويذكر ثاني مفعولي سمع أو صفة لفتى ﴿يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾ قيل إعراب إبراهيم منادى وقيل خبر مبتدأ محذوف

---

(١) الشبه والشبهات/ القاموس ج٤ ص٢٨٦.

تقديره هو إبراهيم والصحيح أنه مفعول لم يسم فاعله فيقالَ لأن المراد الاسم لا المسمى، وهذا اختيار ابن عطية والزمخشري ﴿قَالُوا فَأْتُوا بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ﴾ أي ظاهراً في المحافل وفي محضر الشهود ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ عليه أنه الفاعل أو المراد الشهادة عليه بقوله: تالله لأكيدن أصنامكم كرهوا أن يأخذوه بغير بينة، أو معنى يشهدون يحضرون عقوبتنا له ﴿قَالُوٓا﴾ بعد إتيانهم ﴿ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ غضباً من أن تعبد معه هذه الصغار وهو أكبر فكسرهن وأراد إبراهيم بذلك تبكيتهم وإقامة الحجة عليهم كأنه إن كان إلهاً فهو قادر على أن يفعل وإن لم يقدر فليس بإله ولم يقصد الإخبار المحض لأنه كذب وحاشه من الكذب (ج): فإن قيل فقد جاء في الحديث أن إبراهيم كذب ثلاثاً ـ أحدها قوله فعله كبيرهم هذا، فالجواب: أن معنى ذلك أنه قال قولاً ظاهره الكذب وإن كان القصد به معنى آخر ويدل على ذلك قوله: ﴿فَسْـَٔلُوهُمْ﴾ عن فاعله ﴿إِن كَانُوا يَنطِقُونَ﴾ لأنه أراد تبكيتهم وفيه تقديم جواب الشرط وفيما قبله تعريض لهم بأن الصنم المعلوم عجزه عن الفعل لا يكون إلهاً، وعلق خبره بشرط نطقه كأنه قال إن كان ينطق فهو فاعله على طريق التبكيت لقومه فأراهم عجزهم عن النطق وفي ضميره أنا فعلت ذلك، وروى عن الكسائي أنه كان يقف عند قوله: بل فعله أي فعله من فعله فيكون كبيرهم هذا مبتدأ وخبر والأول أصح، وقال عياض: اعلم أكرمك الله أن هذه الكلمات كلها خارجة عن الكذب لا في القصد ولا في غيره، وهي داخلة في المعاريض التي فيها مندوحة اهـ وقد تقدم الكلام على عصمة الأنبياء في سورة طه.



المفسر العاشر:
محمد بن محمد سالم المجلسي ت١٣٠٢هـ

هو العلامة محمد بن محمد سالم بن محمد سعيد بن محمد بن عمر بن أبي السيد بن أبي بكر المجلسي نسبة إلى قبيلة مدلش الشنقيطية الشهيرة والتي يرجع نسبها إلى إبراهيم الأموي، من أوائل الفقهاء المشهورين

في هذه المنطقة. بدأ بالاشتغال بالعلم في وقت مبكر من حياته حيث حفظ القرآن وجوده ولما يبلغ الحلم، ثم اشتغل بمطالعة الكتب العلمية في ميادين العلوم المختلفة وبعد أن قطع في المطالعة أشواطاً بعيدة عثر على ما يلي:

(من أخذ الفقه من بطون الكتب غير الأحكام، ومن أخذ النحو من بطون الكتب لحن في الكلام، ومن أخذ الطب من بطون الكتب قتل الأنام، ومن أخذ التصوف من بطون الكتب خرج من دين الإسلام).

فبادر في البحث عن شيخ حتى اتصل بمحظرة حامد بن اعمر البارتيلي وتفقه على يديه في فترة وجيزة ثم أخذ الطريقة النقشبندية عن شيخه محمد بهاء الدين النقشبندي[1].

أسس الشيخ محمد بن محمد سالم محضرة كبيرة تألقت في سماء العلم حتى جاوزت كل الحدود، فذاع صيتها وانتشر ذكرها في الآفاق، فوصفها أحد الباحثين بأنها مدرسة عليا يبعث العلماء إليها تلاميذهم المتفوقين لينهوا بها دراستهم.

حقاً لقد كانت هذه المحضرة محط أنظار طلاب العلم يفدون إليها من كل حدب وصوب، يقصدون معارفها الجمة، المتنوعة فهي مدرسة لجميع العلوم: الشرعية، واللغوية، يقول الأديب الشريف ابن الصبار المجلسي ت١٣٤٠هـ في إحدى قصائده ينوه فيها بأهل محمد سالم ويذكر بعض العلوم التي تدرس بمحضرتهم:

بِهِمْ لَيَالِي الأَضْبَحِيَّةِ أَصْبَحَتْ ... وَعَوِيصُ أَصْلِ الدِّينِ فُكَّ حِجَابُهُ
وَبِهَا كِتَابُ الله أُتْقِنَ حِفْظُهُ ... تَأوِيلُهُ تَجْوِيدُه إِعْرَابُه
عِلْمُ القَوَاعِدِ وَالأُصُولِ قَدْ أُحْكِمَا ... عِلْمُ البَيَانِ بِهِمَا أُذِلَّ صِعَابُهُ
وَكَذَا التَّصَوُّفُ وَالْحَدِيثُ وَقَدْ أَضَا ... عِلْمُ النُّهىٰ أَشْكَالُهُ وَحِسَابُهُ
وَالسِّيرَةُ الغراءُ أُكْمِلَ عِلْمُهَا ... غَزَوَاتُهُ وَبُعُوثُهُ أَنْسَابُه

---

(١) المذكرة ص٩.

تخرج من هذه المحضرة جمع كثير من العلماء من بينهم:

- الشيخ محمد العاقب بن مايابى الجكني المتوفى في العقد الثالث من القرن ١٤هـ.

- الشيخ سيد محمد بن داداه الأبييري ت١٣١٦هـ.

وعشرات من الفقهاء والنحاة والأصوليين وأهل السيرة.

• مكانة الشيخ محمد بن محمد سالم العلمية:

الشيخ محمد صاحب مكانة علمية مرموقة فهو: فقيه، مفسر ونحوي ومن أهل الحديث، والأصول، ولكنه مع تضلعه من هذه المعارف لا يحيد عن المذهب المالكي، والعقيدة الأشعرية قيد أنملة، لذلك صرح في مقدمة الريان بمالكيته وأشعريته لأن هذه الثنائية كانت تمثل أساس ثقافة الشنقيطيين القدماء، ولكنه لم يصرح بطريقته النقشبندية، ربما لأنها لم تكن من الطرق التي يصرح بها أتباعها فهم يفضلون أن تظل سرية كما هو الحال بالنسبة للشاذلية فالمشايخ الذين يتمسكون بورد هذه الطائفة لا يظهر على سلوكهم أي شيء يميزهم عن سائر المتعبدين، وربما لأنها من الطرق التي لم تعرف انتشار يذكر في الأوساط الشنقيطية، والله أعلم.

• وقفة مع الريان:

والآن نأخذ نماذجاً من تفسير المجلسي الريان وذلك بعد أن نتحدث عنه حديثاً عابراً يلقي الضوء على بعض جوانبه، ويكشف عن بعض خباياه وأساليبه، فهذا التفسير يمتاز بأسلوبه الواضح ومعالجته القيمة لكل مسألة تحتاج النقاش، وفي الأخير يستخلص النتيجة مع إعطاء الرأي فيما يكتب، فتارة يقول هذا ما ظهر لي وقد يقول قال صاحب هذا التفسير أو قال جامعه عفا الله عنه، ولا يخفي اعتراضه على بعض الآراء التي ينقلها عن بعض المفسرين فيقول ما قاله غير ظاهر ويبين وجه اعتراضه، كما أن الريان جمع كل شاردة وواردة: فهو موسوعة تفسيرية من أكبر الموسوعات وهو أكبر عمل تفسيري شنقيطي بدون منازع، فهو يقع في سبع مجلدات كبيراً جداً

والمجلد الواحد منها يبلغ ٨٥٠ صفحة من الصفحات الكبيرة أي ما يساوي ٥٩٥٠ صفحة تقريباً ومعدل الصفحة يتراوح ما بين ٥٢ إلى ٤٢ سطراً وذلك يساوي ٢٧٩٦٥٠ سطراً ومعدل السطر الوسط ١٦ كلمة للسطر أي ما يساوي ٤٤٧٤٤٠٠ كلمة تقريباً[١] فهذا عمل موسوعي نادر الوجود وإن تستغرب هذا فللمؤلف شرح لصحيح البخاري يسمى «النهر الجاري، على صحيح البخاري» بحجم تفسيره الريان، وله شرح جامع على مختصر الشيخ خليل المالكي ت٧٦٩هـ يسمى: «الدرر في هتك أستار المختصر»، يقع في سبع مجلدات، وحجم المجلد ٧٥٠ صفحة فحجمه قريب من حجم الريان، وله مؤلفات أخرى في التوحيد، وفي قواعد الفقه، وغيرها، ومن حسن الحظ أن هذه المجلدات بهذه الأحجام التي ذكرنا ما زالت موجودة قابعة في مكتبة أهل محمد سالم في انواكشوط حي عرفات، وهي تنتظر من ينفض عنها الغبار وينشرها حتى يعم النفع بها وقد يزول عنك استغراب إنتاج هذه المجلدات الكبيرة في هذه البيئة البدوية إذا تذكرت قول ابن بون الجكني:

(قد اتخذنا ظهور العيس مدرسة بها نبين دين الله تبيانا)

كان الشيخ محمد بن محمد سالم مهتماً بالتناسب بين الآيات فيقول:

وجه اتصال الآية بما قبلها كذا وكذا وقد ذكر هذا في مقدمته قال... ولم آل جهداً فيما يكون من التحقيق والتدقيق، والتبيان والنكت العجيبة والفوائد الغريبة والتناسب..

وقال قبل هذا: وقد تفضل علي سبحانه بأن شغلني بخدمته والتفهم في معانيه، والبحث عن تناسبه ومبانيه ومع أن الشيخ كان مهتماً بعلم المناسبة وذكر ذلك في مقدمة كتابه إلا أنه اقتصر على بعض أنواع المناسبة، وهو التناسب بين الآيات فقط[٢]، كما كان مهتماً بأحكام رسم القرآن بشكل

---

(١) انظر المذكرة لحفيد المؤلف أحمد بن النين ص١٥.

(٢) انظر التناسب البياني في القرآن لأستاذنا الدكتور أحمد أبو زيد ص٣٥، فقد بين فيه أنواع التناسب وفائدته بما لا مزيد عليه.

ملحوظ، فلا تمر كلمة محذوفة الألف أو ثابتة إلا نص على ذلك، كما كان مهتماً بفواصل الآي اهتماماً شديداً أيضاً فلا تمر فاصلة إلا نص عليها بقوله فاصلة الآية وكان مهتماً كذلك بأحكام التجويد اهتماماً لا مزيد عليه، ولشدة عنايته ـ رحمه الله تعالى ـ به ختم تفسيره بملخص عن التجويد وركّز على مخارج الحروف وصفاتها وبين المسائل الخفية المتعلقة بذلك وناقش في هذا السياق بعض الأخطاء الشائعة في بلاد المغرب، منها الجيم المتفشية وقال بعد تلك المناقشة: واعلم أن أهل المغرب يلحنون حروفاً في كتاب الله غير الجيم منها اللام إذا كانت ساكنة ووليها نون نحو أرسلنا وأنزلنا وجعلنا فإنهم يأتون بالقلقلة فيه وبعضهم يستدل على ذلك بكلام ابن الجزري:

وَاحْرِصْ عَلى السُّكُونِ فِي جَعْلنَا   أنعَمْتَ وَالْمَغْضُوبِ مَعْ ضَلَلْنَا

يغمض عليه معنى البيت ثم حكى عن الشيخ زكريا الأنصاري أن معناه وليحترز عن تحريكها كما يفعله جهلة القراء من فظيع اللحن، وكان يذكر رأي مذهبه في التفسير ويذكر آراء المذاهب الأخرى.

وكان مهتماً بالإعراب والتصريف والبلاغة إلى غير ذلك وفي نهاية تفسيره للسورة يذكر جل ما تضمنته من أحكام ومواعظ وعبر وبعد هذه الملاحظات نورد نموذجاً من المقدمة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله وحده وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

اللَّهُ عَظَّمَ قَدْرَ آلِ مُحَمَّدِ   وَأَنَالَهُ فَضْلاً عَلَيْهِ عَظِيمَا
فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ قَالَ لِخَلْقِهِ   صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمَا

اللهم صلي وسلم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد. . .

الحمد لله منزل الذكر الحكيم، الذي به يرشد من استرشد وهو

الصراط المستقيم، والحبل المتين، وفيه علوم الأولين، والآخرين، فلا تزيغ به الأهواء، ولا تشبع منه العلماء، به يستنير الأواه، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، ومن تركه من جبار قصمه الله، لا يخلق على كثرة الترداد، وبه تنال الآمال ويظفر بنيل المراد، لا تنقضي عجائبه، ولا تنتهي بدائعه، وغرائبه إلى آخر تلك المقدمة وهي مشتملة على الفصول التالية:

الفصل الأول: تعرض فيه لذكر الأئمة الناقلين للقرآن الكريم فترجم للعشرة وتعرض لموضوعات في قواعد التجويد ومذاهب القراء في ذلك.

ولشدة عنايته ـ رحمه الله تعالى ـ به ختم تفسيره بملخص عن التجويد وركّز على مخارج الحروف وصفاتها وبين المسائل الخفية المتعلقة بذلك وناقش في هذا السياق بعض الأخطاء الشائعة في بلاد المغرب، منها الجيم المتفشية وقال بعد تلك المناقشة: واعلم أن أهل المغرب يلحنون حروفاً في كتاب الله غير الجيم منها: اللام إذا كانت ساكنة ووليها نون نحو: «أرسلنا، وأنزلنا، وجعلنا» فيأتون بالقلقلة فيه، وبعضهم يستدل على ذلك بكلام ابن الجزري:

واحرص على السكون في جعلنا   أنعمت والمغضوب مع ضللنا

يغمض عليه معنى البيت، ثم حكى عن الشيخ زكريا الأنصاري أن معناه وليحترز عن تحريكها كما يفعله جهلة القراء من فظيع اللحن[1].

أما الفصل الثاني: فقد تعرض فيه لمعنى القرآن ونزوله وجمعه في المصحف ونقطه وتحزيبه، وذكر أسمائه، وبيان المكي والمدني.

أما الفصل الثالث: فيتعلق بالعلوم والمعاني التي تضمنها القرآن وقد أكثر النقل في هذا الجزء عن ابن جزي الغرناطي (ت٧٤١هـ) وعن الإتقان للسيوطي (ت٩١١هـ) والذهب الإبريز لليدالي (ت١١٦٦هـ).

---

(١) الريان ص١٠٨٦ الجزء الأخير نسخة (أ).

وجاء في هذا الفصل بأبحاث مطولة من ضمنها: ما يستدعيه الكلام على التفسير وهي اثني عشر فناً:

التفسير والقراءات والأحكام والنسخ والحديث... الخ.

أما الفصل الرابع: فقد تعرض فيه لأسباب الخلاف بين المفسرين والوجوه التي يرجح بها بين أقوالهم. فذكر من أسباب الخلاف اثني عشر سبباً بلا أمثلة[1].

١ ـ اختلاف القراءات.

٢ ـ اختلاف الوجوه والإعراب.

٣ ـ اختلاف اللغويين في معنى الكلمة.

٤ ـ اشتراك اللفظ بين معنيين فأكثر.

٥ ـ احتمال العموم والخصوص.

٦ ـ احتمال الإطلاق والتقييد.

٧ ـ احتمال الإضمار والاستقلال.

٨ ـ احتمال الحقيقة والمجاز.

٩ ـ احتمال أن الكلمة زائدة أو غير زائدة.

١٠ ـ احتمال أن الكلام على الترتيب أو على التقديم والتأخير.

١١ ـ احتمال أن يكون الحكم منسوخاً أو محكماً.

١٢ ـ اختلاف الرواية في التفسير عن النبي ﷺ.

---

(١) تفسير ابن جزي ج١، ص١٥، ومقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ص٣٨.

ونظراً لأهمية هذا الموضوع: أسباب الاختلاف بين المفسرين، فإننا نزيد أسباباً أخرى ذكرها أهل العلم منها:

١٣ ـ الاختلاف في الاستثناء وفي نوعه وعوده[(١)].

١٤ ـ الاختلاف في مرجع الضمير مثاله قوله تعالى: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ﴾ [التوبة: ٤٠].

فقد اختلف في مرجع الضمير في عليه فقيل على النبي ﷺ والقول الثاني على أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ فاختلف في التفسير باختلاف مرجع الضمير، وقد رجح القول الثاني أبو بكر بن العربي بقوله: «قال علماؤنا وهذا الأقوى لأن الصديق خاف على النبي ﷺ، فسكن جأشه وذهب روعه، وحصل له الأمن وأنبت الله شجر ثمامة، وألهم الوكر هنالك حمامة، وأرسل العنكبوت فنسجت عليه بيتاً فما أضعف هذه الجنود في ظاهر الحس، وما أقواها في باطن المعنى[(٢)].

١٥ ـ إغفال دلالة السياق: وذلك بأن يكون اللفظ موضوعاً لغة لمعنى بعينه أو يدل عليه لكنه غير مراد في الآية ومثال ذلك ﴿وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ ٢٩﴾ [الواقعة: ٢٩]، قال أبو عبيدة: معمر بن المثني في مجازه: زعم المفسرون أنه الموز وأما العرب فالطلح عندهم شجر عظيم كثير الشوك، فهذا تفسير بمجرد اللغة، أغفل فيه سياق الآية ورواية السلف في تفسيرها فالآية مسوقة مساق الامتنان بعد نعيم أهل الإيمان من أصحاب اليمين وليس شجر الشوك من النعيم في شيء، ولذا قال الطبري بعد سياقه قول أبي عبيدة: وأما أهل التأويل من الصحابة والتابعين فإنهم يقولون: إنه الموز.

١٦ ـ التعصب المذهب.

١٧ ـ الاختلاف العقدي: وأسباب أخرى.

---

(١) أضواء البيان ج٦، ص٨٩.

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ج٢، ص٩٥١.

ثم جاء المجلسي بالمرجحات التي يرجح بها[١]، فقال وأما وجوه الترجيح فهي اثنا عشر.

وأما الفصل الخامس: فقد تعرض فيه لطبقات المفسرين من لدن الصحابة إلى العصور المتأخرة، ولما وصل إلى ابن عطية قال: وأما ابن عطية فكتابه في التفسير أحسن التآليف وأعدلها فإنه اطلع على تآليف من كان قبله فهذبها ولخصها، وهو مع ذلك حسن العبارة مسدد النظر محافظ على السنة.

ثم قال: وممن ألف في القرآن الزمخشري، قال ابن جزي: وهو سديد النظر بارع في الإعراب، متقن في علم البيان، إلا أنه ملأ كتابه من مذاهب المعتزلة ونصرهم، وحمل آيات القرآن على طريقهم، فتكدر صفوه وتمرر حلوه، فخذ منه ما صفا، ودع ما تكدر، انتهى.

ثم علق المجلسي بقوله:

قال صاحب هذا التفسير: وينبغي عندي الإعراض عن كتابه بالكلية لما قيل إنه رجل بدعي يسيء الأدب مع النبي ﷺ، ولما في كتابه من مذاهب المعتزلة ونصرهم[٢].

وأما الفصل السادس: فقد ذكر فيه مذاهب القراء في الوقف والابتداء على طريقة القراء.

وأما الفصل السابع: فقد تكلم فيه على نزول القرآن على سبعة أحرف.

وأما الفصل الثامن: فتكلم فيه على إعجاز القرآن ونقل هنا بحوثاً قيمة عن ابن جزي.

---

(١) المذكرة ص٤٦.

(٢) المصدر السابق ص٥٠.

وأما الفصل التاسع: فقد تحدث فيه عن فضائل القرآن.

وأما الفصل العاشر: فقد تعرض فيه إلى ما جاء في أن القرآن شفاء.

وأما الفصل الحادي عشر: فقد خصصه للاستعاذة والتسمية.

وهكذا مررنا بنماذج من هذه المقدمة التي هي بمثابة دراسات في علوم القرآن، وبما أن لنا وقفات أخرى مع هذا التفسير المبارك فإننا نقتصر هنا على هذا القدر إلى عودة أخرى ـ بحول الله ـ وعلى الله قصد السبيل.

* * *

المفسر الحادي عشر:
محمد فال ابن آبني التمكلاوي ت١٣٠٩هـ

هو العلامة محمد فال ابن الأمين ابن آبني التمكلاوي، قبيلة من مجموعة (تشمشة) إحدى التجمعات القبلية الكبرى في بلاد شنقيط.

ولد أوائل القرن الثالث عشر الهجري ولم تحدد المصادر تاريخ ميلاده بالضبط، وقد نشأ محباً للعلم، واقتناء الكتب، والخلوة، والابتعاد عن الناس، وهذا ما أكسبه علماً واسعاً، وأدباً رفيعاً، كما أن ابتعاده لم يمنعه من محبة أهل العلم والصلاح وصحبتهم، فكان يحب الصالحين حباً جماً، ويكرم أهل العلم إكراماً كبيراً.

وصفته المصادر التي تعرضت لترجمته بالعلامة مثل كتاب: المختار ابن حامدن في موسوعته الجزء الثقافي، والخليل النحوي، وغيرهما، كانت له صلة قوية بالشيخ الجليل محمذن فال ابن متالي ت١٢٨٧هـ ولا نعرف بالضبط هل كانت الصلة بينهما على أساس العلم أم على أساس التصوف وقد يكون أخذ عنه الجميع، وتقول الروايات إن ابن متالي أمره بشرح نظمه

أي نظم ابن متالي للأخلاق وذلك فور وصوله إليه، وهذا يدل على أنه قدم على ابن متالي وقد نال حظاً من العلم لا بأس به.

اشتهر ابن آبني بمعرفة اللغة العربية بجميع فروعها وبالسيرة والأنساب والتاريخ.

ويبدو أن مكتبته كانت غنية للغاية ومتنوعة فقل أن يترك كتاباً من كتب اللغة النادرة والتفسير إلا ويعزو له في كتاباته.

له مؤلفات عدة من بينها:

- فتح الإغلاق، شرح المعجزات والخصائص والأخلاق.
- نظم ما في القاموس من الصحابة.
- نبذة عن الأمثال العربية.
- نظم حوادث السنين.
- تكملة شرح حماد على نظم عمود النسب للبدوي.
- شرح نظم الشهداء لابن متالي.
- التذريب على ما في نظم القرآن من الغريب، وهو ما يعنينا الآن في هذا البحث يقول ابن آبني: وتتبعته تتبع الصحاح للحروف، فهو ألفه على منهج الصحاح للجوهري والقاموس للفيروزآبادي، منهج الباب والفصل المعروف وهو منهج مغاير لمنهجين كانا معروفين عند مؤلفي الغريب هما:

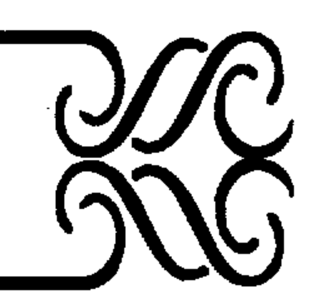
منهج ترتيب الغريب على حسب السور، وهو منهج المتقدمين كالأصمعي والأخفش، والكسائي، وابن الأعرابي، والفراء.

ومنهج ترتيب الغريب حسب حروف المعجم: أي الحرف الأول من الكلمة وليس الحرف الأخير، وهذا المنهج هو منهج المتأخرين من مؤلفي الغريب، كالسجستاني، وأبي حيان، والراغب الأصبهاني.

فالمؤلف يلخص المادة من السجستاني ويفسرها من كتب التفسير كابن عطية والثعالبي، وكتب اللغة كالصحاح للجوهري، والزاهر لابن الأنباري، وينقل شواهد كثيرة من كتب أخرى بالعزو أحياناً، وبغير العزو أخرى، كالإتقان للسيوطي الذي يظن أنه نقل منه شواهد ابن عباس في مسائل ابن الأزرق. ويرى البعض أن كتاب التذريب اتجه اتجاهاً أدبياً أكثر من اتجاهه لأي منحى آخر من مناحي التفسير اللغوي كالنحو والتصريف، وقد أثبت التمكلاوي ضمن المشتغلين بالتفسير خلال القرن ١٣هـ مع أنه توفي في بداية القرن الرابع عشر الهجري، وذلك أن أغلب الظن أنه ألف كتابه هذا في نهاية القرن ١٣هـ ذلك أنه ولد في بداية القرن ١٣هـ وعمّر طويلاً، لهذا فإضافته لأهل القرن الثالث عشر أولى ـ في نظري ـ والله أعلم.



الفصل الثالث



المفسرون وتفاسيرهم
خلال القرن ١٤هـ

وللتفسير في هذا القرن أهمية كبيرة:

أولاً: لأنه أكثر شمولاً وتنوعاً من القرون السابقة، فالتفسير في هذا القرن قطع أشواطاً لا بأس بها، تمثلت في الكتابة في اتجاهات التفسير المعروفة.

ثانياً: ولأن عدد المفسرين في هذا القرن تضاعف عدة مرات عن القرون التي سبقته، فقد زاد عدد المفسرين على الثلاثين مفسراً.

ثالثاً: لأن كثيراً من المفسرين تحرروا مما علق بالتفسير خلال القرون الماضية من الإسرائيليات والآثار الواهية والتقليد للآخرين، وإذا كان النحوي في بلاد شنقيط يقول:

إن حركة التأليف في بلاد شنقيط ولدت في القرن الهجري العاشر، وازدهرت في القرن الثالث عشر الهجري، وبلغت أوجها ثم بدأت تنهار في القرن الرابع عشر الهجري[١] كما تقدم.

---

(١) بلاد شنقيط ص٢٣٩.

فإننا نتحفظ على بعض هذا الكلام وخاصة ما يتعلق بالتفسير، فالتفسير فعلاً بلغ أوجه في هذا القرن، ولكنه لم يبدأ في الانهيار فيه، فنهاية هذا القرن حافلة بمدرسين مفسرين، أكفاء في التدريس تركوا مؤلفات قيمة متميزة في مضمونها، رائعة في شكلها، تشهد على علو كعبهم في هذا العلم، وسوف أتناول هذا الموضوع أكثر، عندما أتعرض لحاضر التفسير في بلاد شنقيط في باب لاحق بحول الله.

وأنبه هنا على أنني لم أدخل في تفاسير هذا العصر من ماتوا في بدايته، بعد أن عمروا ودلت الدلائل على أنهم ألفوا تآليفهم في القرن **١٣هـ** مثل محمد فال ابن الأمين ابن آبني التمكلاوي، الذي ولد في بداية القرن **١٣هـ** وتوفي في بداية القرن الرابع عشر، كما أشرت إلى هذا من قبل، كما أنني أدخلت في هذا القرن من مات بعد نهايته بقليل مع غلبة الظن أنه أنتج تفسيره في القرن **١٤هـ** مثل العلامة (عبدالله بن الإمام) المتوفى في بداية القرن **١٥هـ** ونبدأ بترجمة هؤلاء المفسرين:

❋ ❋ ❋

١ ـ أَحْمذُو بْنُ زياد الديماني ت١٣٢٢هـ

مؤلف: اللجين المذهب. الجامع بين الجلالين والجمل والذهب، ويعرف أيضاً بذي الفاتحتين، لأن مؤلفه فسر في نهايته الفاتحة تفسيراً مغايراً لتفسيره لها في بدايته.

هو أحمذو بن زياد بن حامدت الديماني الأبهمي، ينتمي إلى أسرة عريقة في العلم من أجداده الفغ عبدالله بن عمر[1] فقيه تشمشه بعد الحرب المعروفة بـ (شرببه) وهو أول من ألف من تشمشه بعد الشر المذكور، قال الناظم:

بَلْ نَقْتَفِي أَثَرَ عَبْدِاللَّهِ　　　الْعَالِمِ الْعَلاَّمَةِ الأَوَّاهِ

(١) وقد ذكر العلامة اليدالي بعض تآليفه في الذهب الإبريز (مخطوطة) ص٥٦ نسخة الراجل بن أحمد سالم.

أخذ أحمذو العلم عن أسرته وعن محنض باب ابن اعبيد الديماني ت١٢٧٧هـ وابن عبدم الديماني ت١٢٨٦هـ، وأخذ الطريقة القادرية عن الشيخ أحمد بن سليمان الديماني، وكان يكرمه ويقدره.

رحل الشيخ أحمذو إلى سينلوي في طلب العلم، وراجع بعض المراجع النادرة هناك في مكتبة (أهل المقداد) وهي مكتبة توصف بأنها غنية تمتلكها أسرة سنغالية شهيرة ـ وقد اعتنت هذه الأسرة به، وخصصت له من يخدمه حتى حصل على بغيته.

كما أنه كان يملك مكتبة ضخمة، بعضها وصل إليه عن طريق آبائه، والبعض الآخر حصل عليه عن طريق أخواله.

وكما أخذ عن المشايخ المشهورين في زمنه، وفي جهته أخذ عنه الكثيرون علوم الفقه، والمنطق، والبيان، والسيرة، والتاريخ.

وكما كان مدرساً، فقد كان قاضياً، فقيهاً محرراً، ومتحرياً، لم يرد له قضاء، وله قبول كبير بين فئات المجتمع (حسان والزوايا).

له مؤلفات عدة من بينها:

ـ اللجين المذهب الذي تقدم ذكره، وهو يقع في أربع مجلدات مخطوطة[1].

ـ وله كتاب في القراءات السبع.

ـ وله اختصار العهود المحمدية للشعراني.

ـ وله كتاب في آبار المدينة، وشواهدها من الحديث.

ـ وله أنظام فقهية ومقطعات شعرية.

وبعد عمر حافل بالعطاء، بلغ ٨٢ سنة، ت١٣٢٢هـ ودفن بولاية

(١) توجد نسخة من هذا التفسير بحوزة الأستاذ محمد فال بن اللطيف الكاتب العام لوزارة العدل بالجمهورية الإسلامية الموريتانية وتقع هذه النسخة في أربع مجلدات: وهي في وضعية مادية طيبة.

اترارزة، يقول العلامة المختار بن المحبوبي في نظمه لوفيات الأعيان في القرن ١٤هـ (أي ما بين ١٣١٤هـ و١٣٧١هـ):

وعَامَ (كَبٌ) قَدْ تَوىٰ حِلْفُ القَضَا وَالْعِلْم أَحْمَدُ بْنُ زَيَّادِ الرضَى
مَن كَانَ لِلْعُلُوم ذَا تَفْسِيرِ وَذَا مَخَافَةٍ مِنَ الْقَدِيرِ
وَذَا اسْتِقَامَةٍ وَلاَ يَقْفُوهُ فِي الأَمْرِ إِلاَّ النُّبَهَا بَنُوهُ

أما تفسيره اللجين المذهب[1] (أو ذو الفاتحتين) فلم يضع له منهجاً خاصاً يميزه به فقد قال في مقدمته:

قال أحمذو بن زياد بن حامدت بن عبيد بن محمد بن الفغ عبدالله:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

حمداً لمن كتب على نفسه الرحمة منة منه وفضلاً، واصطفى لمحبته حملة كتابه العزيز فنالوا بذلك المقام الأعلى، وصلاة وسلاماً على سيدنا محمد إمام أهل العرفان، وعلى جميع الآل والقرابة، وعلى صحابته الذين دوخوا حروف الوحي بالكتابة.

أما بعد:

اعلم أن القرآن الكريم أنزله الحق سبحانه وتعالى بواسطة جبريل عليه السلام على سيدنا محمد ﷺ بوجوه قراءاته وحروفه، منجماً في ثلاث وعشرين سنة على حسب الوقائع.

فبدأ يسرد بعض الأمور المتعلقة بعلوم القرآن مثل نزول القرآن منجماً، ثم تكلم على جمع القرآن في عهد عثمان ـ رضي الله عنه ـ، وتعرض لمسألة توقيفية الرسم واصطلاحيته، وبعد ذلك دخل في مسألة ضبط القرآن وأطنب في هذه المواضيع حتى أنه ليخيل إلى القارىء أن المؤلف إنما

---

(١) حياة موريتانيا ابن حامدن ص٣٨ وص٤٣ وجل هذه المعلومات أخذتها من الأستاذ محمد فال ابن عبداللطيف الديماني في مكتبه في العاصمة أنواكشوط.

يقصد إلى جمع ما ورد من علوم القرآن، ولم يكتف بذلك بل إنه بدأ يتكلم على فواصل القرآن، ونزول القرآن على سبعة أحرف... الخ.

والواقع أن الأبهمي تأثر بالذهب الأبريز أكثر من أي مفسر آخر، فهو يقتفي أثره في التأليف والجمع والاختيار والأسلوب، ولقد تقدم منا الكلام بشيء من التفصيل والتمثيل في الفصل الأول من هذا الباب على الذهب الإبريز، وكل تلك الملاحظات منصبة على اللجين وسوف نتعرض لللجين في مناسبة أخرى بحول الله.

* * *

٢ ـ محمد مولود بن أحمد فال اليعقوبي ت١٣٢٣هـ

محمد مولود بن أحمد فال اليعقوبي الموسوي، علامة جليل فقيه نظامه صاحب مدرسة أخلاقية متميزة في قطر شنقيط، وله اهتمام كبير بتأصيل جميع معارفه وردها إلى أصلها من الكتاب أو السنة، أخذ العلم عن مشائخ مشهورين من بينهم:

- محمد فال بن متالي التندغي **ت١٢٨٧هـ** ومحمد مختار بن حبيب الله.

- وأخذ النحو عن محمد عالي بن سعيد الألفغي الملقب (مع) **ت١٣١٠هـ**، ترك نحو ستين أثراً علمياً بعدد سنوات عمره، كما يقول النحوي[1] وهذه المؤلفات في جميع الفنون العلمية، فبعضها في علوم القرآن، وبعضها في الفقه، وبعضها في النحو، وله أنظام جميلة يمكن أن يقال إنها احتلت الصدارة في المحضرة الشنقيطية، لما تمتاز به من الجمال والتأصيل، والدقة والعمق.

وقد اعتنى العلامة محمد مولود بآداب المعاملة والأخلاق، فترك في ذلك آثاراً طيبة منها:

---

(١) البلاد ص٥٢٨.

* مأدبة الأنداب لما في الانفاق من آداب، يقول فيها:

صَنَعْتُ مِنْ مَطَايِبِ الْقُرْآنِ وَمِنْ كَلاَمِ صَاحِبِ الْبَيَانِ
مَأْدُبَةً مُشْرِقَةَ الْجِفَانِ أَطْيَبَ مِنْ مَائِدَةِ الْجُدْعَانِ[1]

ومنها: محارم اللسان الذي يقول فيه:

دُونَكَ فَنًّا مِنْ مَحَارِمِ اللِّسَانْ لَمْ يَدْرِهِ إِلاَّ فُلاَنٌ أَوْ فُلاَنْ
وَهُوَ أَوْقَعُ بِذِي الْبِقَاعِ مِنَ الرِّهَانِ وَخُرُوجِ السَّاعِي

وهو مشروح، ومنها بر الوالدين وهو مشروح أيضاً يقول فيه:

هَذَا وَلَمَّا كَانَ مَن دَلَّ عَلَىٰ خَيْرٍ بِحَمْدِ الله كَالَّذْ فَعَلاَ
ووجب البِرُّ عَلَى الأَعْيَانِ بِالْجَمْعِ وَالسُّنَّةِ وَالْقُرْآنِ

فمؤلفاته في الآداب تبلغ ١٢ مؤلفاً، وله في التصوف أربع كتب، أشهرها مطهرة القلوب، من قترة العيوب، يقول فيها عند وصفه للبطر:

والْبَطَرُ الْمَرَحُ جِدًّا وَالْمَرَحْ فَسَّرَهُ الْمِلْحُ[2] بِشِدَّةِ الْفَرَحْ
عَالِجْهُ بِالْجُوعِ وَذِكْرِ الآخِرَه (وَلاَ يُحِبُّ الْفَرِحِينَ) الزَّاجِره

وقد وضع في الفقه مؤلفات تناهز العشرين مؤلفاً طبع الكثير منها وقد اهتم كثيراً بفقه البادية، وقد اقتصر عليه في بعض مؤلفاته يقول في الكفاف، وهو من أكبر كتبه، وقد طبع ١٩٨٣م:

لأَمَا اسْتَبَدَّ بِالْبِلاَدِ النَّائِيَهْ كَالْجُمُعَاتِ وَشِرَاءِ الأَهْوِيَهْ

كما وضع سبع مؤلفات في علوم القرآن طبع بعضها.

---

(١) يشير إلى مائدة عبدالله بن جدعان الشهيرة التي يأكل منها الجالس والقائم والراكب.
(٢) الملح: العلماء.

وألف في النحو والحديث وغير ذلك ت١٣٢٣هـ وقد جاء ذلك في نظم المختار بن المحجوبي يقول:

وَعَامَ (بَاكْ) صَارَ فِي انْسِفَالِ إذ مَاتَ فِيهِ نَجْلُ أَحْمَدْ فَالِ
مُحَمَّدٌ مَوْلُودُ أَعْنِي الْمُوسَوِي مَنْ كَانَ ذَا فَضْلٍ وَعِلْم مَوْلَوِي
وَكَانَ يَسْقِي الْبَرْدَ كُلَّ ظَامِ مِنَ الشُّرُوحِ وَمِنَ الأَنْظَامِ
وَمِنْ فَرَائِدَ لَهَا لَمْ يُسْبَقِ مُعْتَزِلاً بِاللهِ ذَا تَعَلُّقِ

اشتهر محمد مولود بالعلم والورع والإقبال على ما يعنيه، والإعراض عن الدنيا وأهلها، والاشتغال بطاعة الله تعالى[1] كما بذل جهداً كبيراً في خدمة القرآن الكريم تفسيراً وتجويداً، وقد حاول أن يقرب معانيه، وأن ينشر أحكامه، وأن يوضح آدابه، وأن يبين حرمته، وبالنسبة للتفسير الذي نهتم به الآن، نلاحظ أنه ألف فيه كتباً لهذا الغرض منها:

*** البشائر:**

في تفسير القرآن، ورغم أن أكثر التراجم يعدونه من الكتب المفقودة، إلا أنه يوجد بعض منه عند حفيد المؤلف الشيخ سيد أحمد بن أحمدو يحيى، وأغلب الظن أن هذا الموجود من مسودة المؤلف، كما يظهر من خلال الموجود منه أنه أكمل تسويده، حيث يوجد بعض من تفسير البقرة، وبعض من تفسير المفصل، وأوراق من الوسط وهو تفسير مزجي يعتمد أسلوب شرح معاني المفردات ويبتعد عن التوسع في المعنى والتطويل، وهي سمة بارزة في معظم مؤلفاته حيث يؤثر الاختصار والإيجاز ويبتعد عن الإطناب والإسهاب. ونقتطف من هذا التفسير بعض الثمار الدانية، فمنه في

(١) تقديم العلامة محمد عثمان محيي الدين للعلامة محمد مولود في المطهرة ص٢ والخليل النحوي بلاد شنقيط، وابن حامدن حياة موريتانيا ود. محمد المختار ابن اباه في تاريخ التشريع الإسلامي وغيرهم ويعد الطالب محمد سالم بن إنجيه رسالة دبلوم الدراسات العليا من دار الحديث الحسنية عن العلامة محمد مولود بن أحمد فال.

تفسير آيات العدة في البقرة ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤] يتربص عن النكاح قيل وعن الزينة فتكون آمرة بالإحداد ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ أي مضي عدتهن أي غاية الأربعة والعشر ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٤] فلا تبعة في تزوج وزينة بالمعروف ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٥] بقلب لغلبة الشهوة عليه، بل بلسان لذلك أيضاً فلكم ﴿وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ بأن تتواعدا خفية بالنكاح بعد العدة والقول المعروف التعريض ﴿وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ﴾ أي لا تنجزوا نكاحاً حتى تتم العدة وسميت كتاباً لأنها فرضت به أي حتى يبلغ التربص المكتوب عليها أجله يقال عزمت الأمر وعليه ونهى عن العزم ليكون الفعل أحرى أو عزم هنا قطع وأصل العزم القطع ومنه في تفسير سورة النجم، ﴿وَٱلنَّجْمِ﴾ [النجم: ١] الثريا أو جنس ﴿إِذَا هَوَىٰ﴾ أي غاب أو انتثر يوم القيامة ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥﴾ [النجم: ٥] أي علمه ملك قوي يعني محمداً ﷺ ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ قوة أو جمال ﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾ [النجم: ٦] استقام جبريل على حقيقة صورته وذلك أنه كان يأتي الأنبياء في صورة آدمي فسأله ﷺ رؤيته في صورته فاستوى له في الأفق الأعلى(١) وكما هو واضح من النموذجين السابقين فإن العلامة محمد مولود لا يتتبع تفكيك الألفاظ لفظاً لفظاً، وإنما يقتصر على تفسير المشكل منه كما يقتصر على أصح الروايات، وأوضح الأوجه.

وقد ألف لنفس الغرض الذي ألف له البشائر منظومة في التفسير وهي لا تبتعد عن نمط ومنهجية البشائر السالفة الذكر، وربما تكون نظماً عقد به البشائر، وذلك أسلوب متبع عند العلامة محمد مولود، حيث يتناول الموضوع المهم عنده نثراً ثم يعقده بعد ذلك، كما فعل في الرحمة، والكفاف مثلاً، فالرحمة نثر، والكفاف نظم وهكذا، ويبدو من مسودة هذه

---

(١) هذه النماذج أخذتها من رسالة المنحي التأصيلي عند العلامة محمد مولود ولد أحمد فال ص٢٦ وما بعدها وهو منقول من نسخة من خط المؤلف عند حفيده سيد أحمد بن أحمد يحيى.

المنظومة أنها اكتملت، حيث نجد فيها تفسير البقرة، والمفصل، ونأخذ النموذجين التاليين:

الأول من تفسير سورة البقرة ابتداء من قول الله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ [البقرة: ١٧].

يقول:

وَالمَثَلُ الوَصْفُ وصيِّبُ السمَا ... مَاءُ السَّحَابِ فَالسَّمَا لَهُ سَمَا

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾:

ثُم اسْتَوىٰ إلى كَذا أي أكْمَلاَ ... مَا قَبْلَهُ ثُمَّ إِلَيْهِ انتَقَلاَ

﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾:

عَرضَهُمْ أَيْ أَظْهَرَ الْمُسَمَّيَاتْ ... عَرْضاً لِتَعْرُضَ الذَّوَاتُ وَالصِّفَاتْ

﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾:

أَزَلَّهُ أَزَالَهُ وَقَدْ تَلاَ ... بِهِ الإِمَامُ حَمْزَةٌ وَرَتَّلاَ

﴿وَلَا تَلْبِسُوا ٱلْحَقَّ﴾:

لاَ تَلْبِسُوا لاَ تَخْلِطُوا وَالْحَقُّ ... مَا جَاءَ فِي التوريةِ فَهُوَ صِدْقُ

والثاني في سورة الواقعة:

الْوَاقِعُ الثَّابِتُ مِنْهُ الْوَاقِعَهْ ... خَافِضَةٌ قَوْماً وَقَوْماً رَافِعَهْ
كَاذِبَةٌ فِي نَفْيِهَا أَنْ تَقَعَا ... أَزْوَاجاً أَصْنَافاً لَدَىٰ مَنْ قَدْ وَعَىٰ
وَالسَّابِقُونَ أَيْ إِلَىٰ الْفَضَائِلِ ... السَّابِقُونَ لِلْمَقَامِ الأَكْمَلِ
(مَوْضُونَة) أَي نُسِجَتْ بِنُضْرِ ... وَجَوْهَرٍ وَخُضَرٍ ذَاكَ السِّدْرِ
عَطْفُ غُصُونِهِ بِمَا قَدْ حَمَلاَ ... مِنْ نَبَقٍ وَمِنْ أَذَى الشَّوْكِ خَلاَ
مَقْطُوعَةٍ تُفْقَدُ فِي بَعْضِ الزَّمَنْ ... مَمْنُوعَةٍ إِلَى اشْتِرَاءٍ بِثَمَنْ

وَقِـيـلَ فِـي وفُـرُشٍ زَوْجَـاتُ ... مَـرْفُـوعَـةٌ إِذاً مُـعَـظَّـمَـاتُ
لِـلـمـا الـشَّـدِيـدِ حَـرُّهُ الـحَـمِـيـمُ ... ولِـلـدُّخَـانِ الأَسْـوَدِ الـيَـحْـمُـومُ
وَالـنَّـارُ مِـنْ أَسْـمَـائِـهَـا الـسَّـمُـومُ ... وهـكـذا الـحـرور والـجَـحِـيـمُ
مَـواقِـعُ الـنُّـجُـوم أَيْ مَـسَـاقِـطُ ... غُـرُوبِـهَـا وَحَـيْـثُ هِـيَ تَـهْـبِـطُ
تَـذْكِـرَةٌ بِـنَـارِ الأُخْـرَىٰ أَوْ عَـلَـىٰ ... سُـهُـولَـةِ الْـبَـعْـثِ تُـدِلُّ الْـعُـقَـلاَ

* **المترادف من ألفاظ القرآن**: وهو عبارة عن نظم يتناول تفسير القرآن من الناحية المعجمية حيث يجمع الكلمات المختلفة الألفاظ، المتحدة المعنى، ويبين معناها، وقد وضع عليه تعليقاً قصيراً، يقول في مقدمة هذا النظم:

الْـحَـمْـدُ لِـلَّـهِ عَـلَـىٰ تَـوَالِـي ... نِـعَـمِـهِ وَجَـعْـلِـنَـا مَـوَالِـي
كِـتَـابِـهُ وَصَـلَـوَاتُـهُ عَـلَـىٰ ... مُـحَـمَّـدٍ لَـمَّـا سَـلاَمُـهُ حَـلَـىٰ
مَـا فَـازَ مَـن حَـفِـظَ مَـا وَصَّـىٰ بِـهِ ... فِـي الـثَّـقَـلَـيْـنِ وَعَـلَـىٰ أَصْـحَـابِـهِ
يَـا طَـالِـبـاً لِـقُـرْبَـةٍ مَـخَـبْـخَـهْ[1] ... يُـوصَـلُ بَـيْـنَـهُ وَبَـيْـنَ الـلَّـهِ بَـهْ

* * *

٣ ـ محمد محمود بن الشيخ محمد بن سيدي الجكني الرمضاني ت١٣٢٤هـ

هو الشيخ محمد محمود بن محمد بن سيدي الجكني الرمضاني ينحدر من أسرة علم ونجابة، وقد اشتهرت بالعلم وبخدمته، ولكن تراثها العلمي قد ضاع جله.

وللشيخ محمد محمود كتب منها:

* تفسير للقرآن الكريم.

---

(١) مخبخبة: أي معظمة.

* شرح للمحتوى الجامع في الرسم على نظم الطالب عبدالله الجكني.

* نظم الحكم لابن عطاء الله[1].

وهذه التآليف الثلاثة لم أطلع على واحد منها، ولعلها ضاعت ضمن ما ضاع من تراثه الثمين.

وتبوأت هذه الأسرة مكانة كبيرة بين الجكنيين، وقد بلغ العلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي صاحب الأضواء أنهم يتهمونه بقصيدة قيلت في المس منهم، فأنشأ قصيدته الشهيرة يمدحهم فيها، ويعتذر لهم عما سمعوا عنه، ويعاتبهم على تصديقهم لما قيل، وينبه فيها على منزلته، ومكانته، وتساميه، وعلو همته، ومطلع هذه القصيدة:

أَرَى الرَّبْعَ مِنْ أَسْمَائِهِ وسُعَادِهِ ... وَسُعْدَاهُ قَفْراً غَيْرَ بَاقِي رَمَادِهِ
وغير أَثَافٍ بَيْنَهُنَّ خَصَاصَةٌ ... رَوَاكِدَ غطَّاهَا الصَّلىٰ بِسَوَادِهِ

حتى يقول معتذراً:

وتَمْنَعُنِي مِن ذَاكَ نَفسٌ عَزِيزَةٌ ... غَلاَ سِعْرُهَا فِي السُّوقِ يَوْمَ كَسَادِهِ
تَهَابُ الْخَنَىٰ وَالنَّقْصَ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ ... وَقَلْبٌ يُقَوِّيهَا لِشِدَّةِ آدِهِ
وكَوْنِيَ لَمْ أَنطِقْ بِشَيْءٍ عَلِمْتُهُ ... سِوَى مَجْدِهِ قِدْماً وَطُولِ نَجَادِهِ
وَكَوْنُكُمُ الأَعْلاَمَ وَالْغُرَرُ الَّتِي ... هَدَّتْ كُلَّ عِسِّيفٍ لِمَحْضِ سَدَادِهِ
وَكَائِن يَغِيظُ الْمَرْءَ ظَنٌّ حَبِيبِهِ ... بِهِ السُّوءَ بَعْضُ الظَّنِّ إِثْمٌ فَعَادِهِ
صَلاَةُ إِلهِ الْعَرْشِ مَا لاَحَ كَوْكَبٌ ... عَلَىٰ خَيْرِ خَلْقِ اللَّهِ هَادِي عِبَادِهِ[2]

ومن الذين ألفوا في التفسير من أهل هذا القرن:

* * *

(١) حياة موريتانيا الثقافية ص٤٣ وبلاد شنقيط ص٥٩٧.
(٢) والقصيدة طويلة وجميلة اكتفيت منها بهذا القدر مخافة التطويل.

٤ ـ الشيخ عبدالله بن أبييه الديماني ت١٣٢٨هـ

له كتاب: السلم والمعراج في اختصار السراج[١].

❋ ❋ ❋

٥ ـ العلامة محمد يحيى بن محمد المختار الولاتي ت١٣٣٠هـ

هو محمد يحيى بن محمد المختار بن الطالب عبدالله النفاع بن أحمد حاج الداوودي نسباً، الولاتي وطناً، ويعرف لدى الناس بالفقيه، وقد ولد سنة ١٢٥٩هـ نشأ في بيت علم، وتوفي عنه أبوه وهو صغير، وأخذ العلم عن علماء ولاته، ولم يخرج منها في طلب العلم، وقد بدت عليه ملامح النبوغ في الصغر، فكان أشياخه ينوهون بفهمه واجتهاده، فيقول أحدهم محمد يحيى أُعلمه الألفاظ ويعلمني المعاني، وأستفيد منه أكثر مما يستفيد مني.

وقد أخذ العلم من أشياخ عدة فمنهم شيخه سيد أحمد بن أحمد بقفة العالم المحجوبي الشهير، وقد شرح محمد يحيى نظمه في أصول مالك فيما بعد[٢].

كان الشيخ محمد يحيى جاداً في طلب العلم وتحصيله، فمن ذلك ما يروى عنه: أنه قال (إنَّ ضوء النهار لا يضيع إلا في المطالعة)، وقد جنى ثمار كده صغيراً، حيث نظم معاني الحروف من مغنى اللبيب وعمره لم يتجاوز ١٧ سنة، وشرح ألفية السيوطي في البيان وهو في السنة ١٨، وشرح مراقي السعود في الأصول لسيد عبدالله بن الحاج إبراهيم العلوي ت١٢٣٣هـ وهو دون ٢٥ سنة وقام بأعمال جليلة ووظائف كبيرة أهمها الفتوى والتدريس والقضاء والتأليف، ولكن رحلته إلى بيت الله الحرام كانت رحلة رائعة، غنية

---

(١) حياة موريتانيا ص٤٤ والبلاد ص٥٨٠.

(٢) هذا الشرح يعد الطالب ياسر عجيل النشمي رسالة الماجستير على تحقيقه ودراسته في جامعة الكويت، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية.

بالدروس والمساجلات، يقول حفيده أبّ: وكانت رحلته هذه زاخرة بالأحداث والمناظرات والمحاورات العلمية الشيقة الجليلة التي دارت بينه وبين علماء الأقطار التي مر بها في ذهابه وإيابه في المغرب وتونس ومصر والحجاز، فقد توقف بالرباط، والتقى بسلطانها عبدالعزيز الذي أكرمه وفادته وأحسن مثواه، كما درس بالمسجد النبوي الشريف الحديث وعلومه، والبيان والأصول، كما التقى بعلماء الإسكندرية، وناقش معهم مختلف العلوم، وطرحوا عليه كثيراً من الأسئلة، وأخذ عنه بعض العلماء الإجازة.

كما مر بتونس، والتقى بعلمائها، وأجاز بعضهم في علم الحديث، وتوطدت علاقته بهم، ولما سمع محمد السنوسي التونسي بموته، رثاه بقصيدة منها:

مَضَىٰ خَلَفُ الأَبْرَارِ والسَّيِّدُ الْحِبْرُ فَصَدْرُ الْعُلَىٰ مِنْ قَبْلِهِ بَعْدَهُ صِفْرُ
هُوَ الْعَالِمُ النِّحْرِيرُ شَمْسُ زَمَانِهِ هُوَ الْعَابِدُ الأَوَّابُ وَالشَّفْعُ وَالْوَتْرُ

أما طلابه في ولاته فهم كثيرون من بينهم:

شيخنا المرواني بن أحماد العالم المحدث الشهير وغيره.

تولى الولاتي القضاء لأمراء أهل لمحيميد، واشترط عليهم تنفيذ الأحكام، وتروى عنه قصص في العدالة والقوة في الحق، تذكر بسيرة الخلفاء الراشدين في هذا الميدان، وأما مصنفاته فهي كثيرة جداً يقال إنها تبلغ ١١٠، وعد منها حفيده أب بن سيد محمد ٥٩ كتاباً وقد طبعت له كتب قيمة أهمها:

* شرحه لصحيح البخاري: وهو الآن تحت الطبع.
* والدليل الماهر الناصح على المجاز الواضح.
* فتح الودود على مراقي السعود وغيرها[١].

---

(١) مقدمة الدليل الماهر الناصح ص٦ (مرقونة).

وقد أنجزت بحوث جامعية على بعض تآليفه، فمن ذلك تحقيق نظم وشرح الناسخ والمنسوخ الذي تقدم به الطالب شيخنا بشيري بن انديده لنيل شهادة الماجستير في ليبيا وتخرج به سنة ١٩٨٨م.

وتخرج سيد محمد بن البشير من دار الحديث الحسنية ١٩٩٥ بتحقيق أجوبته التي سيأتي ذكرها عند الكلام على ابن سليمة.

أما كتابه تفسير القرآن الكريم، فلم يذكره ابن حامدون في الحياة الثقافية، ولا النحوي في بلاد شنقيط المنارة والرباط، ولا أبَّ بن سيد محمد حفيد محمد يحيى في ترجمته التي توجد في أول كتاب الدليل الماهر الناصح.

ولكن أخبرني العلامة محمد الحسن بن الددو أنه وقف عليه في إحدى المكتبات المغربية وهو سالم من الطمس والتقطيع، ولم يتذكر اسمه، لكنه متأكد من موضوعه ونسبته للشيخ محمد يحيى الولاتي، وكتابه في الناسخ والمنسوخ محقق أيضاً في المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية في موريتانيا سنة ١٤١٩هـ.

***

٦ ـ المختار بنّ الحسني ت١٣٣٠هـ

ـ نظم في غريب القرآن ذكره صاحب تطور منهج التفسير في موريتانيا نقلاً عن مذكرة إسحاق بن محمد موسى[١].

***

٧ ـ محمد الأمين ابن أحمد زيدان الجكني ت١٣٣٥هـ

مؤلف: الرجز المفيد في غريب القرآن المجيد.

---

(١) التطور ص٣٥.

هو العلامة محمد الأمين بن أحمد زيدان الجكني، ولد في نواحي تكانت، وتلقى العلم في بداية أخذه له على مشايخ قومه، الذين اشتهروا بالعناية بالعلم، والتبحر فيه، حتى أطلق عليهم (المحاضر)، كما أخذ عن الشيخ سيد محمد بن علي العلوشي، الذي تخرج على يد سيد عبدالله بن الحاج إبراهيم العلوي، ثم أسس محضرته التي انتقلت إليها قيادة العلم في تلك المنطقة قاطبة.

وقد اشتهر بالورع والعلم والزهد، وببصيرته النافذة في القضاء، له مؤلفات تناهز الستين مؤلفاً منها:

- النصيحة في الفقه المالكي، شرح على مختصر خليل، وقد طبعت في ٣ مجلدات.

- له شرح على المنهج المنتخب لعلي بن قاسم الزقاق.

- وله شرح على التكميل لميارة، والشرحان طبعاً في مجلد واحد.

- له نظم على أسماء الله الحسنى، وقد شرح وهو تلخيص من حاشية سليمان الجمل على الجلالين يقول فيه:

هَـذَا اخْتِـصَارُ مَا حَوى وَمَا شَمَلْ تفسيرُ بَذْرِنَا سُلَيْمَانَ الْجَمَلْ[١]

- له شرح على مراقي السعود يسمى: مراقي السعود إلى مراقي السعود[٢].

- له كتاب المرشدة: في التوحيد ومحاربة البدع[٣].

- وله فتاوى فقهية منشورة بتحقيق حفيده الشيخ الحسين بن عبدالرحمن ابن الطلبه المتوطن في المدينة المنورة.

---

(١) وهذا الكتاب قد حققته ونشرته في المدينة المنورة مكتبة إحياء العلوم ص١٤١٩.

(٢) هذا الكتاب حققه د. محمد المختار بن الشيخ محمد الأمين الشنقيطي.

(٣) هذا الكتاب حقق ونشر بالمدينة المنورة مكتبة إحياء العلوم ١٤١٩هـ.

- وله كتاب في المنطق شرح على تحفة المحقق في حل مشكلات المنطق.

- له كتاب في الأذكار المأثورة يسمى (الوظيفة) حققه الدكتور محمد الأمين بن الحسين الجكني الشنقيطي[١].

- وله كتاب الرجز المفيد في تفسير غريب القرآن المجيد يزيد على خمسة آلاف بيت، أوله:

الْحَمْدُ قد فُسِّرَ بالثَّنَاءِ وَالرَّبُّ هُوَ مَالِكُ الأشْيَاءِ
وَالْعَالَمِينَ مَا سِوَى الْغَفُورِ مِن كُلِّ مَوْجُودٍ عَلَى المَشْهُورِ

يشير إلى أن العالم بفتح اللام هو اسم ما سوى الغفور وهو الله سبحانه وتعالى وهذا هو المشهور عند أهل العلم. وجمع فيه كثيراً من علم التفسير، واللغة، والتصريف والبديع والمعاني[٢].

والشيخ محمد الأمين بن أحمد زيدان له مكانة كبيرة في نفوس الناس في منطقته، حتى أنه إذا أطلق لقب لمرابط في تلك المنطقة في زمنه، فإنها تتجه إليه مباشرة، وما زالت أسرته لحد الآن تحتفظ بلقب الطلبه، وقد قال فيه ابن عمه العلامة الكبير الشيخ محمد العاقب ابن مايابى:

سَمَا نُورُكَ الْجَالِي دُجَى كُلِّ قَاتِمِ فَمَالَكَ فِي عِلْمِ الْهُدىٰ مِن مُزَاحِمِ
فَأنتَ وَحِيدُ الْعَصْرِ وَالْعَالِمُ الَّذِي بِهِ رُفِعَ التَّقْلِيدُ عَنْ كُلِّ عَالِمِ
حَمَيْتَ حِمَى الْقَضَاءِ لَمَّا وُلِّيتَهُ وَقَدْ كَانَ أَضْحىٰ مُسْتَبَاحَ الْمَحَارِمِ
فَإنْ أَنتَ لَمْ تَسْلَمْ وَأنتَ مُبرَّأٌ فَكَمْ مِن نَّقِيِّ الْعِرْضِ لَيْسَ بِسَالِمِ
إذَا الله لَمْ يَعْصِمْ مِنَ الطَّعْنِ رُسْلَهُ فَلَيْس لِمَخْلُوقٍ سِوَاهُم بِعَاصِمِ

توفي سنة **١٣٢٥هـ** وقيل **١٣٣٥هـ**.

---

(١) طبع في المدينة المنورة مكتبة إحياء العلوم.

(٢) تحقيق ودراسة الدكتور: محمد المختار بن الشيخ محمد الأمين الشنقيطي لمراقي السعود إلى مراقي السعود ص٢٤، ط١ مطابع ابن تيمية بالقاهرة **١٤١٣هـ**.

٨ ـ الشيخ سعد بوه بن الشيخ محمد فاضل القلقمي ت١٣٣٥هـ

هو العلامة: الشيخ سعد بوه بن الشيخ محمد فاضل بن مامين القلقمي من أعيان العلماء الشنقيطيين، وأحد مشايخ الطريقة القادرية البارزين، له أتباع كثيرون في موريتانيا والسينغال، وتخرج على يده جمع غفير من المشاهير من بينهم:

- الشيخ التراد بن العباس القلقمي ت١٣٦٥هـ.
- الشيخ البشير بن اماريقي اليدمسي ت١٣٥٤هـ.
- الشيخ أحمد أبو المعالي التاقاطي توفي في حدود ١٣٨٦هـ.

له عدة مؤلفات منها:

- الفيض الوهبي على آية الكرسي.
- سلم الخلاص المتعلق بسورة الإخلاص.

ويظهر من عنوان الكتابين توجه الشيخ الصوفي، وبالفعل فهو صوفي بارز كما قدمنا، وينتمي إلى أسرة عريقة في التصوف، تتولى قيادة إحدى فرعي القادرية في موريتانيا وهو الفرع الفاضلي، نسبة إلى الشيخ محمد فاضل القلقمي رحمه الله تعالى.

كان الشيخ سعد بوه من الفقهاء الذين لا يبيحون قتال النصارى، بحجة عدم التكافؤ، وأن ضرر المقاومة أكبر من نفعها، وله في هذا الاتجاه مواقف مشهورة، وكتابات منتشرة، وقفت على بعضها، عكساً لأخيه العلامة الشيخ ماء العينين، الذي كان من أبرز المشائخ المحاربين للنصارى، المحرضين على قتالهم.

وبعد عمر طويل مليء بالعطاء والعلم، والتأثير الاجتماعي، توفي الشيخ سعد بوه سنة ١٣٣٥هـ.

ـ ولم أتمكن من الوقوف على فيضه ولا على سلمه[(١)].

---

(١) تطور منهج التفسير في موريتانيا ص٤٢.

ـ محمد الأمين بن أبي المعالي اليعقوبي ت١٣٣٦هـ له تفسير الفاتحة ذكره صاحب تطور منهج التفسير في موريتانيا[١].

***

٩ ـ امحمد بن أحمد يورا الديماني ت١٣٤٠هـ

ولد الشيخ امحمد بن أحمد يورا ١٢٥٨هـ في بيت علم وورع ونشأ وشب في تلك البيئة المتميزة فوالده أحمد يورا بن أحمد بن محمد العاقل الأبهمي، وجده لأمه محمد فال بن والد بن خالنا، الأبهمي، فهو من بيتين عريقين في العلم والثقافة، وقد نال عناية كبيرة من جده أحمد، حيث اجتهد في تربيته فحفظ القرآن مبكراً ثم درس الفقه، ثم اللغة، والسيرة، وهكذا تابع دروسه حتى أصبح من بين العلماء والأدباء المرموقين، ولكن شهرته الأدبية غلبت على شهرته العلمية حتى أن الكثيرين يفاجئهم نسبته إلى العلم، لبروزه في ميدان الشعر، وتألقه في هذا الاتجاه له نظم سورة الواقعة سماه الراقعة يقول فيه:

قَالَ عُبَيْد لَمْ يَكُنْ بِالسَّامِي ... فَحَذفَ الأَنْسَابَ وَالأَسَامِي
حَمْداً لِمَنْ حُقَّ لَهُ أَنْ يُحْمَّدَا ... ثُمَّ عَلَىٰ هَادِي الْهُدَاةِ أَحمَدَا
وَالآلِ وَالأَصْحَابِ وَالأَزْوَاجِ ... وَمَن تَلاَهُمُ مِنَ الأَفْوَاجِ
مِنَ الصَّلاَةِ وَالسَّلاَمُ الدَّائِمُ ... مَا قَامَ قَائِمٌ وَنَامَ نَائِمُ
وغَرَّدَتْ فِي أَيْكِهَا وَرْقَاءُ ... قَدْ عَزَّ مِن هَدِيلِهَا الْلِّقَاءُ
وَبَعْدُ فَالتَّفْسِيرُ عَزَّ مَطْلَبُهْ ... وَعَمَّ أفهَامَ الفُحُولِ غَلَبُهْ
وَكُنتُ عَنْهُ قَبْلَ ذَا مِمَّنْ وَجَمْ ... وَفِي النِّطَاحِ يُغْلَب الكَبْشُ الأَجَمْ
وَاليَوْمَ قَدْ نَظَمْتُ بَعْضَ الْوَاقِعَهْ ... فِي رُقْعَةٍ سَمَّيتها بِالرَّاقِعَهْ
مُعْتَمِداً فِيهَا كِتَابَ الذَّهَبِي ... فَحَقُّهَا الكَتْبُ بِمَاءِ الذَّهَبِ

---

(١) التطور ص٤٢.

وَرُبَّمَا مِلْتُ إِلَى القَامُوسِ مُغْتَرِفاً مِنْ ذَلِكَ القَامُوسِي[(١)]
وَأَسْأَلُ الرَّحْمنَ سِتراً جَمَّا يَسْتُرُ مَا الطَّبْعُ بِهِ قَدْ جَمَّا
يَوْمُ القِيَامَةِ يُسَمىٰ الوَاقِعَهْ إِذْ جُمْلَةُ الأَهْوَالِ فِيهِ وَاقِعَهْ
وَرَجَّتِ الأَرْضُ لِهَذَا الأَمْرِ أَيْ حُرِّكَتْ مِنْ أَجْلِهِ لَعَمْرِي

ويعتبر ابن أحمد يورا رائداً للشعر العربي، والعامي، في القرنين ١٣ و١٤هـ اللذين يمثلان نضج الحركة العلمية والنهضة الأدبية، كما امتاز بأسلوبه المبسط الذي أعطاه تلك الشهرة الفائقة والتألق الشعبي، وكان من عادته الجمع بين الفصحى والعامية في المقطع الواحد، كما كان مولعاً باستخدام الأمثال الشعبية وإيرادها كلما سنحت له الفرصة، ومن شعره:

تَشَوَّقْتُ الأَحِبَّةَ يَوْمَ بَانُوا كَمَا اشْتَاقَ الحَمَامُ إِلَىٰ هَدِيلِ
إِذَا سَلَكُوا أَجَارِعَ فِي سَبِيلٍ فَلَيْسَ إِلَى التَّوَاصُلِ مِن سَبِيلِ
كَأَنَّ القَلْبَ مِنْ جَزَعٍ وَشَوْقٍ غَدَاةَ رَحِيلِهِم لَبَنُ الرَّحِيلِ[(٢)]

ترك عِدَّة آثارٍ منها:

- معينة الأفهام في الفقه.
- الراقعة في تفسير الواقعة.
- إخبار الأحبار بأخبار الآبار.
- نظم في الأبدال.
- ديوان شعر في الفصيح والشعبي.

وبعد حياة ملئت بالأخذ والعطاء توفي امحمد في ١٣٤٠هـ وقد أوضح ذلك العلامة المختار بن المحبوبي في منظومته وفيات الأعيان بقوله:

---

(١) قاموس البحر: وسطه ومعظمه ـ مختار الصحاح.

(٢) في المثل الشعبي الشنقيطي «أخسر من لبن أرحيل» ومعناه أن اللبن يوم الرحيل يفسد فساداً شديداً فضربوا ذلك مثلاً لكل أمر فاسد.

وَعَّمَ (ميم) مَاتَ حِلْفُ الْجَاهِ ... وَالنَّصْرِ وَالتُّقَىٰ وَخَوْفِ اللَّهِ
مُحَمَّدٌ سَلِيلُ أَحْمَدْ يُورَا ... مَن كَانَ بَدْراً فِي الْوَرَىٰ مَشْهُورَا
مَن شَنَّفَ الآذَانَ طُرًّا بِالدُّرَرْ ... مِنَ الْمَرَاثِي وَالْمَدَائِحِ الْغُرَرْ
وَمِنْ فَوَائِدَ وَمِنْ أَنظَامِ ... ومن كُشُوفَاتٍ لَهُ عِظَامِ

* * *

١٠ ـ الشريف سيد أحمد بن الصبار المجلسي ت١٣٤٠هـ

له منظومة فسر بها القرآن كله[١].

* * *

١١ ـ محمذن فال بن أحمد بن العاقل (ببها) الديماني ١٣٤٤هـ

هو الشيخ محمذن فال الملقب (ببها) محمذن بن أحمد بن محمد العاقل بن محم بن الماحي ابن المختار، بن أبهم، الديماني، ولد في منطقة إفيدي في جانبه الجنوبي شمال المذرذرة، ونشأ في بيت علم ودين، وظهرت عليه ملامح النبوغ، مبكراً أخذ العلم أولاً على أهله، ثم تنقل بين محاظر تشمشه، التي كانت في أوج ازدهارها آنذاك.

ومن أشهر شيوخه والده القاضي الشهير محمذن فال ت١٢٦٦هـ وعمته خديجة بنت أحمد بن العاقل.

اشتهر العلامة محمذن فال بأعماله القضائية، ولكنه مع ذلك كان مدرساً مواظباً على التدريس فأخذ عنه جماعة منهم ابنه محمد بن محمذن فال الذي أصبح قاضياً فيما بعد.

وكان الشيخ محمذن فال رجلاً اجتماعياً وسياسياً مرموقاً، وله رأي

---

(١) حياة موريتانيا ص٤٤.

مأخوذ به في القضايا الكبيرة التي عاصرها، لكنه مع ذلك كان ينهج نهجاً يفضل اعتزال الفتن، وعدم التعرض لها، وهو نهج لا يخلو من مصاعب، لأن السلبية إذا جاوزت حدها تكون قاتلة.

وتروى محاورة مشهورة جرت بين محمذن فال والعلامة باب بن الشيخ سيديا فهذا الأخير أورد إشكالات من ضمنها:

ما هو دليل الزوايا في عدم الانتصار لأنفسهم؟ والحال أن الدفاع عن النفس والحمية للحق أمور مطلوبة شرعاً ولو بسفك الدماء، كما هو معروف من ضروريات الدين، وأجابه محمذن فال أن ذلك صحيح، ولكن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ﴾ [المائدة: ٢٨].

يقصد أن حال المقتول خير من حال القاتل في بيئة كالتي عاصرها هو. وللشيخ محمذن فال مؤلفات متنوعة من بينها:

- دمية المحراب في المهم من التصريف والإعراب.
- نظم في فواصل السور.
- نظم ما انفرد به نافع دون جميع القراء.
- له كتب في السيرة تبلغ سبعة.
- وله أذكى، النشر في المسائل العشر، في العقيدة.
- وله شرح قصيدة ابن بون التي ألغز بها لمعاصريه ومطلعها:

أُحَاجِيكَ هٰذَا النُّورُ قُلْ مَا وُجُودُهُ ... بِقَلْبِ الَّذِي يَتْلُو وَيَقْرَأ بِالْفَمِ

- وله قصيدة دالية مشهورة في الألغاز الفقهية.
- وديوان شعر.

أما كتابه: دمية المحراب وهو الذي يعنينا من هذه الدراسة فنسبته له صحيحة لا يمترى في ذلك لأنه محفوظ بالسند عنه ويوجد عند ذويه وتلامذته.

وكذلك تسميته بهذا الاسم، فقد قال في مقدمة الكتاب: ولما منَّ الله علي بإتمامه سميته: «دمية المحراب، في المهم من التصريف والإعراب». ويتميز هذا الكتاب بوضوح الأسلوب والدقة، فقد كان ينتقي من الألفاظ والعبارات آنسها، وآلفها بعيداً عن الإغراب والتعقيد، مما يدل على تمكنه في اللغة، وسلامة ذوقه الأدبي، كما كان يتسم بالموضوعية والشمول.

ونتكلم الآن عن منهجه في هذا الكتاب:

لقد لخص منهجه في الآتي:

- نسبة الأقوال إلى قائلها، فكان لا يذكر قولاً إلا نسبه إلى صاحبه.

- التصريح بلفظ المصدر الذي يأخذ منه - إلا نادراً -.

- يأتي بعبارة انتهى بعد إيراد النص زيادة في التوثيق وأحياناً يشير لها بـ (اهـ).

- عندما ينقل من المصادر يسلك مسكلين:

أحدهما: نقل النص حرفياً دون تصرف كما في قوله في الآية: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٥] (كلما) نصب على الظرف و (رزقوا) مفعول به و (من) الأولى والثانية للابتداء... إلى آخره[١].

وثانيهما: التصرف وفي هذه الحالة إما أن يتصرف بحذف كلمة أو سطر أو أكثر دون الإشارة إلى ذلك مثل قوله في الآية: ﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا﴾ [البقرة: ٣٥] نعت مصدره محذوف[٢].

وإما أن يشير إلى ذلك ويرمز له بقوله (...انتهى منه بخ) كما في قوله: (تختص الواو عن حروف العطف باقترانها بلا إن سبقت بنفي)[٣].

---

(١) انظر ضياء التأويل ج١ ص٢٠ مطبعة دار الاستقامة القاهرة ١٩٦١م.

(٢) مغن اللبيب عن كتب الأعاريب لمحمد بن هشام ١٨٧/٢.

(٣) انظر ص٢٦ من الدمية نسخة ب والمغني ٣١/٢.

المآخذ: ومع صحة المنهج الذي سلكه، والدقة والأمانة التي التزم بها على نفسه فإن كتابه لم يخل من المآخذ وإن كانت يسيرة ومنها:

(أ) المزج بين النصوص المختلفة المصادر، كمزجه بين كلام الزمخشري وابن هشام بذكره الزمخشري وحده، مما قد يوهم أن الكلام كله للزمخشري، مثاله: قول الزمخشري في بيان كلامه على أن متعلق الباء في «بسم الله» محذوف لدلالة الكلام عليه: (لأن قريشاً كانت تقول باللات والعزى لنفعل...)، وقول: بعضهم إن أصل البسملة كسر السين... إلى آخره.

فالأول من الزمخشري[1].

والثاني من المغني[2].

(ب) في نقله الحرفي ما قد يوهم القارىء أنه هو القائل بإيراده عبارة قلت، كما في قوله: قلت: وعلى مقتضاه ذكراً منصوب[3].

(ج) في نسبة الأقوال إلى قائليها وذكره المصادر مما يحتمل أنه أخذه من جميع المصادر التي ذكرها، كما يحتمل أخذه من مصدر واحد، في الوقت الذي يكون أحد هذه المصادر هو الذي نقل عن تلك المصادر، كما في كلامه عن الآية ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة: ٢٠٠]، حيث قال: ونصب أشد على الحال... إلى قوله: قاله في ضياء التأويل: فقد ذكر السيوطي في التكملة، والبيضاوي، والكواشي وضياء التأويل، والكلام كله بحذافيره في الضياء[4].

(د) وأخيراً نلاحظ أنه بعد إيراده لأقوال العلماء في الإعراب والتصريف لا يفصح عن رأيه هو غالباً، ولا يرجح بين الأقوال، وقد يشفع

(١) الكشاف ٢٩/١.
(٢) المغني ١٠٣/٢.
(٣) انظر ص٢٧ من الدمية.
(٤) انظر ضياء التأويل ج١ ص٧٨.

له تأخره الزمني ووجوده في بيئة تخشى من القول في القرآن، ولهذا غلب على المتأخرين طابع الجمع، والاكتفاء بالنقل عن السابقين، في الوقت الذي يكون الناقل جمع من المعلومات وحدة الفهم ما يمكنه من الحضور، والمشاركة، وإبداء النكت، ورد الأخطاء. أما مصادره فقد حرص أن تكون متنوعة، وشاملة وقد ذكرها بأسمائها لأنه كما قلنا يحرص على إتقان عمله وتوثيقه فمنها على سبيل المثال لا الحصر:

١ ـ مغني اللبيب: لجمال الدين بن هشام ت٧٦١هـ.

٢ ـ إملاء ما منَّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في القرآن لعبدالله بن الحسين أبي البقاء العكبري ت٦١٦هـ.

٣ ـ تفسير الكواشي لأحمد بن يوسف بن الحسن الكواشي الشافعي ت٦٨٠هـ.

٤ ـ تفسير ابن جزي الكلبي ت٧٤١هـ.

٥ ـ تفسير البيضاوي للقاضي ناصر الدين أبي سعيد عبدالله بن عمر البيضاوي المتوفى ٧٩١هـ.

٦ ـ التصريح على التوضيح للشيخ ياسين زين الدين العليمي الحمصي ت١٠٦١هـ.

٧ ـ ضياء التأويل للعلامة أبي محمد عبدالله بن محمد بن عثمان الملقب بفودي ت١٢٤٥هـ.

هذه هي أهم مصادر (ببها) التي أخذ عنها وكانت طريقة نقله متفاوتة فأكثر مرجع أخذ عنه هو المغني لابن هشام.

محتوياته:

يحتوي هذا الكتاب على قسمين وخاتمة، القسم الأول في إعراب بعض آيات القرآن والقسم الثاني في تصريف بعض مفرداته، والخاتمة في الوقف، يقع هذا المخطوط في نيف وثلاثين ومائتي صفحة، من الحجم الكبير.

يقول في المقدمة:

وبعد: فهذه نبذة مشتملة على إعراب بعض آيات القرآن وتصريف بعض مفرداته اختطفتها بين أساود الهموم، وأسود الأهوال، وجعلتها قسمين وخاتمة القسم الأول في الإعراب، بادئاً بالفاتحة إلى من الجنة والناس، والقسم الثاني في التصريف، مرتباً على حروف المعجم لكن باعتبار أوائل الكلم.. وربما ذكرت الكلمة الواضحة التصريف لنكتة فيها، والخاتمة بالكلام على الوقف.

وخلال مطالعة هذا الكتاب يلاحظ أن المؤلف لم يخرج عن النطاق العام والمنهج الذي رسمه لنفسه، في المقدمة، فهو عمل دقيق منظم.

قيمته العلمية:

تظهر قيمة دمية المحراب، من عدة أوجه:

أولاً: أن صاحبه توخى فيه الدقة والأمانة العلمية.

ثانياً: أنه أتى فيه بخلاصة ما ذكره المحققون من النحاة واللغويين والمفسرين في إعراب بعض آيات القرآن، وتصريف بعض مفرداته.

ثالثاً: ما تضمنه الكتاب من إبداع في إبراز المعاني القرآنية التي تختلف أوجه إعرابها حسب القراءات والتي تخفى على الكثيرين.

رابعاً: أهمية الموضوع الذي تناوله لكونه مرتبطاً بالقرآن الكريم الذي هو أشرف الكتب وأولاها بالعناية.

وهكذا تبرز قيمة هذا الكتاب العلمية فهو وإن كان صغيراً في مبناه فإنه كبير في معناه.

* حقق جزءه الأول في عمل جامعي لأحد طلاب المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية زيدان بن شغالي (١٩٩٩/ ٢٠٠٠م).

* توجد نسخ منه عديدة إحداها في قسم المخطوطات بدار الثقافة انواكشوط، كما توجد نسخة أخرى بحوزة الأستاذ حمدا بن التاه، وتوجد نسخة أخرى بالمعهد العالي.

* * *

١٢ ـ محمد بن محمد المختار العلوي ت١٣٤٩هـ

نبراس أهل السنة في تفسير غريب القرآن والحديث نظم[١].

لم أعثر على هذا النظم وذكر لي أنه ربما تكون نسخة منه موجودة في النباغية، وحاولت أكثر من مرة الحصول عليها ولكن بدون جدوى.

❋ ❋ ❋

١٣ ـ محمد أحمد بن الرباني التندغي ت١٣٥٢هـ

له تفسير لبعض آيات القرآن كما أن له كتاباً في الناسخ والمنسوخ من القرآن. وتفسير، لبعض آيات القرآن لم أعثر عليه[٢].

❋ ❋ ❋

١٤ ـ البشير بن امباريقي اليدمسي ١٣٥٤هـ

مؤلف كتاب كشف الأستار عن بعض ما في الذكر من الإضمار، هو العلامة: البشير بن عبدالله بن محمذا فال بن امباريقي اليدمسي، عالم وشاعر أخذ عن خاله ابن حنبل بن البشير، وعن محذن بن محنض بابه ومحمد فال بن محمذن، وتتلمذ على الشيخ سعد بوه بن الشيخ محمد فاضل ولازمه مدة طويلة، وأخذ عنه الورد القادري.

وحج بيت الله الحرام ونظم رحلة إلى الحج وله مؤلفات عديدة من بينها:

١ ـ تعليق على المقصور والممدود لمحمد بن مالك.

٢ ـ حاشية على مختصر خليل المالكي.

---

(١) بلاد شنقيط ص٥٩٦.

(٢) تطور منهج التفسير في موريتانيا ص٤٢.

٣ ـ تعليق على الألفية لابن مالك.

٤ ـ الذب عن مالك.

٥ ـ كشف الأستار الذي تقدم ذكره.

٦ ـ مائدة النفوس في علم القاموس.

٧ ـ منظومة في التوسل بالرسل المذكورين في القرآن.

٨ ـ نظم مهاجري أهل بدر.

٩ ـ نظم نسب الأنصار.

١٠ ـ نظم مهاجري الحبشة.

١١ ـ نظم وصية ابنه محمد التي يقول فيها:

قَالَ عُبَيْدُ رَبِّه الْبَشِيرُ تَابَ عَلَيْهِ رَبُّهُ الْقَدِيرُ

بِسم الإِلهِ لِلإِلهِ الْحَمْدُ ثُمَّ الصَّلاةُ لِلنَّبِي وَبَعْدُ

فَهٰذِهِ وَصِيَّةٌ قَدْ تُحْمَدُ فَاعْنَ بِهَا وَاعْتَنِ يَا مُحَمَّد

تفِيد لِلصِّغَارِ وَالْكِبَارُ فِي حِفْظِهَا لَيْسَ عَلَيْهِمْ عَارُ

فِي ضِمْنِهَا مِنَ الضَّرُورِي جُمَلُ مُفِيدَةٌ قَلَّ بِهِنَّ الْعَمَلُ

إلى آخر ما تضمنته من آداب تتعلق بالصلاة والمحافظة عليها وبر الوالدين وحسن معاملة الجيران وآداب السفر وآداب الأكل إلى غير ذلك.

وهذا الرجز قد انتفع به الناس انتفاعاً كثيراً فحفظوا توجيهاته وتأدبوا بآدابه[1].

* أما كتابه كشف الأستار: فسوف نتعرض له بشيء من التفصيل في موضوع آخر.

توفي البشير ت١٣٥٤هـ[2].

* * *

(١) وقد قمت بتحقيق هذا النظم ونشر في الكويت ١٤٢٥هـ.

(٢) حياة موريتانيا ص٤٣ وبلاد شنقيط ص٥٥٠ وتطور منهج التفسير في موريتانيا ٣٦.

١٥ ـ محمد يحيى بن سليمة اليونسي ت١٣٥٤هـ

له كتاب التيسير والتسهيل لمعرفة أحكام التنزيل:

هو العلامة محمد يحيى بن سيدي بن سليمة، يرجع نسبه إلى معقل، جد عرب معقل، وقبيلته هي قبيلة أولاد يونس، التي دخلت المنطقة إبان دخول القبائل الحسانية الصحراء الشنقيطية، وبسطت نفوذها على ولاتة، في وقت كانت تتعرض فيه إلى اختلالات أمنية خطيرة، فضبطت ذلك وسيطرت عليه، وأمسكت بزمام الأمور.

ولد محمد يحيى بن سليمة بولاته عام **١٢٧٢هـ** ونشأ نشأة علمية في أسرة عريقة في العلم والاشتغال به لا يحول بينها وبينه حائل، مهما كان، وهكذا كان مشتغلاً بالعلم منذ نعومة أظافره، غير لاه عنه ولا لاعب.

ورغم ما عرف عنه من شغف بالعلم ومحبة به وسعي لنيله، فإن المصادر لم تذكر له أشياخاً بارزين اعتمد عليهم في الأخذ عدا والده الذي بلغ معه سن الحلم مما يمكن الجزم معه بأنه أخذ عنه مبادىء العلوم الشرعية واللغوية، لأنه كان من أهل العلم، وقد أشار هو إلى ذلك.

وبعد موت والده لم يحفظ له شيخ معروف اعتمد عليه في أخذ العلوم وهذا يولد إشكالاً كبيراً وهو: كيف يصل ابن سليمة إلى ما وصل إليه حتى قال:

وَلَسْتُ دُونَ مَالِكٍ وَالشَّافِعِي وَأَحْمَدٍ وَالْحَنَفِي التَّابِعِي[1]

دون شيوخ راسخين في العلم يسمع منهم ويتربى على أيديهم؟

إن البعض يقول: إنه وصل إلى ما وصل إليه بمطالعاته الخاصة فلم يأخذ عن المشائخ إلا ما حفظه عن أبيه وهو حفظ القرآن ومبادىء فقهية ونحوية، وهذا لا إشكال فيه، ولكن البعض يقطع بعدم أخذه عن أي شيخ، وذلك اعتماداً على أنهم لا يعرفون له شيخاً.

---

(١) هذا البيت معروف في الأوساط العلمية عن اليونسي.

ونحن نقول: إن ما يراه هذا البعض مستبعد، فسعة علم الرجل وتعدد مجالاته المعرفية أمر يجزم معه الدارس لحياته أنه لم تتكون عنده هذه الشخصية المعرفية بالمطالعة فقط، خاصة أن ولاتة في تلك الفترة مليئة بمشايخ العلوم الشرعية واللغوية، ولا شيء يمنع الشيخ محمد يحيى من الأخذ عنهم.

فعدم ذكر المصادر لذلك لا يعني نفيه خاصة إذا قويت القرائن بحصوله.

ومن القواعد المنطقية المسلم بها والتي لا تحتاج إلى برهان أن: (عدم الوجدان لا يستلزم عدم الوجود).

وهي قاعدة تقرر حقيقة من حقائق الواقع البشري يغفل عنها كثير من الناس فيقعون بسبب هذه الغفلة في أخطاء فاحشة، إذ ينفون وجود أشياء في الواقع لمجرد أنهم لا يعلمون بها، أو لأن حواسهم لم تدركها وهم بهذا لا يلاحظون عجزهم عن الإحاطة التامة، فالعاجز عن الإحاطة التامة لا يسمح له عجزه بأن يقرر: أن ما لم يجده بعد البحث أو ما لم يعلمه أو ما لم يحس به هو غير موجود فعلاً في الواقع.

ولا يصح نفي الوجود إلا بعد ثبوت الإحاطة العلمية بشكل قطعي والتزاماً بهذه القاعدة يقول العلماء إذا بحثوا عن شيء فلم يجدوه: لم نجده، ولا يقولون: هو غير موجود، لأنهم يعرفون عجزهم البشري عن الإحاطة التامة فيقيدون بحدود هذا العجز[١] فالصواب أن يقال هنا: لم نعرف له مشايخ بدل قولهم لم يقرأ على أي شيخ قطعاً.

ومع أن الشيخ محمد يحيى عمر طويلاً واشتهر بالعلم ونصب نفسه للتدريس فلم يؤثر عنه أنه خرج مجموعات كبيرة من الطلبة، وربما يكون من أسباب ذلك المنحى التجديدي والاجتهادي الذي نهجه، مخالفاً فقهاء عصره الذين هم في أوج مذهبيتهم المتشددة، فهو يقول:

---

(١) ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، عبدالرحمن حنبكه الميداني ص٣٥١ ط دار القلم دمشق الخامسة ١٤١٩هـ.

وَالفِقْهُ لاَ يَجُوزُ الاِقْتِدَاءُ بِهْ بَلْ هُوَ تَخْمِينٌ يُرَدُّ فَانْتَبِهْ
وإنما الرَّاجِحُ وَالْمَشْهُورُ كَصَنَمَيْنِ أَيُّهَا الْمَغْرُور[١]

والفقهاء يقولون بلسان الحال أو المقال:

(نحن أناس خليليون إن ضل ضللنا وإن اهتدى اهتدينا)[٢].

فسبب له ذلك حسبما يظهر لي عزلة علمية بين أقرانه وعدم رغبة الطلبة فيه ومع هذا فقد ظل يدرس التفسير والحديث واللغة وعلوماً أخرى ومنح إجازات لبعض من تخرجوا على يديه ومنهم:

- عبدالجليل بن الربيع.
- محمد الأقظف بن أحمد مالك.
- حسن بن هاشم.
- أحمد بن إلياس.
- أحمد بن أحمد الأمين.
- محمد الأمين بن باريك... وآخرون.

كانت ولاتة (المدينة التاريخية) هي الموطن الأصلي للشيخ محمد يحيى بن سليمة، وكان قد حدث خلاف بينه وبين بعض التيجانيين وصل إلى حد تكفيره لبعض علماء ورجال هذه الطائفة، فردوا عليه مهددينه بالقتل إذا لم يغادر مدينة ولاتة فخرج منها مكرهاً، وتوجه إلى مدينة النعمة، واستقبله أحد أشراف وفقهاء هذه المدينة، وهو: مؤمن بن الشيخ بن مولاي إسماعيل، ووقف دونه حامياً له من بعض الغلاة المتعصبين لبعض الطوائف، والذين كانوا يهددونه بالقتل، واستقر به المقام في النعمة، وبدأ يزاول نشاطاته العلمية في أمان وهدوء وطمأنينة:

---

(١) تحقيق التيسير والتسهيل ص٨ محمد الحسن بن اعبيد (مرقونة).

(٢) كلمة مأثورة عن أحمد باب التينبوكتي ت١٠٣٦ انظر بلاد شنقيط ص١٩٩ الذي ذكر أنها مشهورة أيضاً عن ناصر الدين اللقاني.

فَأَلْقَتْ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّ بِهَا النَّوى كَمَا قَرَّ عَيْناً بِالإِيَّابِ الْمُسَافِرُ[١]

● مذهبه وآراؤه ومناظراته مع علماء عصره:

لم يكن العلامة محمد يحيى بن سليمة مقيداً نفسه بمذهب من المذاهب الفقهية المعروفة بل إنه ينتقد المذهبية ويرى أن الفقه تخمين لا ينبغي الفتوى به كما تقدم قوله في ذلك، إلا إذا كان المأخوذ منه راجحاً ومشهوراً، وهذا ما جعل معاصريه ينتقدونه معتبرين أنه خارج عن مذاهب المسلمين، خارق لما سارت عليه أجيالهم، وأنه مدع للاجتهاد الذي انقطع ولم يعد ممكن الوقوع في هذا العصر حسب رأيهم، وفي هذا الموضوع ـ أعني موضوع الاجتهاد ـ وقع بين ابن سليمة والشيخ محمد يحيى الولاتي كبير علماء ولاتة في ذلك الوقت خلاف شديد، وقد وجه الولاتي لابن سليمة أسئلة سماها: (الأسئلة الزاجرة عن دعوة الاجتهاد الفاجرة)، وغالبيتها تتعلق بقواعد أصولية، ومنها ما يتعلق بعلوم القرآن، ومنها ما يتعلق بعلوم الحديث، وهذه الأسئلة بمثابة اختبار، فالمعارضون لابن سليمة قالوا له: إنه إن أجاب على هذه الأسئلة اعترفوا له بالأهلية للاجتهاد.

ولما وصلت الأسئلة إلى ابن سليمة استشار طلابه في أمرها هل يرد عليها أم لا؟ فنصحوه بأن لا يرد عليها لما قد يسبب رده عليها من اندلاع جدل جديد بينه وبين خصمه، فترك الرد.

هذا واعتبر محمد يحيى بن محمد المختار الولاتي عدم رد ابن سليمة عجزاً وحكم بأنه مقلد لا يجوز له الخروج عن المذهب، وأجاب هو عليها في كتاب سماه (الأجوبة الواضحة عن الأسئلة الفاضحة لمن يدعي الاجتهاد ناصحة)[٢].

---

(١) بيت سار سير المثل وهو لراشد السلمي ـ رضي الله عنه ـ، انظر العقد الفريد لابن عبد ربه، ج٤، ص١٠٤، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٦٥م.

(٢) هذه الأجوبة حققها الطالب سيد محمد بن البشير وقدمها في دار الحديث الحسنية لنيل شهادة دبلوم الدراسات العليا (ماجستير) سنة ١٤١٥هـ.

جاء في مقدمته: الحمد لله أمر بتقليد الفقهاء أئمة الدين الكملة، وجعل الخروج عن تقليدهم ضلالاً وإضلالاً، وجهلاً مركباً وخذلاناً، لاسيما إذا كان الخارج عن تقليدهم يرى أن فقههم الذي دون عنهم ضلالاً، وأن تدوينه كتدوين أقوال أهل الاعتزال... إلى أن يقول: فلما عجز عن جوابها وتبين أنه جاهل، أجبتها عنه.. الخ. وبعض أهل العلم يصف ابن يونس بأنه ظاهري ظاهرية مفرطة، وأن موقفه من الفقه بعيد من الاعتدال، ولعل السبب في ذلك بيتاه المتقدمان:

والفقه لا يجوز الاقتداء به... الخ.

ومع موقفه هذا من الفقه ودعوته للاجتهاد، التي تنبىء عن تحرره واستقلاله الفكري، فإنه ظل أشعري المعتقد، تيجاني الطريقة، لا يحيد عن هذين المنهجين، لكنه مع ذلك اختلف مع بعض التيجانيين اختلافاً شديداً، فمن ذلك إنكاره على محمد الأمين بن اخطور قوله في مدح شيخه، الشيخ حماه الله:

هُـو الإِلـهُ إِنِ اعْـتَـبَـرْتَ ظُـهُـورَهُ وَالـذَّاتُ فِـيـهِ نِـيَـابَـةٌ عَـن ذَاتِـهِ
وَهْـوَ الـرَّسُـولُ إِذَا نَـظَـرْتَ لِـذَاتِـهِ وَصِـفَـاتِـهِ يَـدْعُـو إِلَـىٰ دَعَـوَاتِـهِ

فأفتى محمد يحيى بكفر الشاعر، وكتب رسالة ضمنها البيت الأول وما دار بينه وبين صاحبه من حوار فصاحب البيت قال إنه أراد بقوله: هو الإله أي هو خليفة الإله فيكون حذف المضاف، ولكن ابن يونس رفض هذا التأويل لما في البيت من الجراءة على الله، وأنه ما هلك أحد إلا عن تأويل، ولو أمكن حذف المضاف لما صح شيء من الشريعة، ولكان قول فرعون ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤] صواباً فيه حذف مضاف، أراد عبد ربكم الأعلى، ولو سلم بقبول هذا التقدير على علاته الظاهرة لأصبح فاسداً، إذ أن خلافة الله ليست واقعة، يقول ابن سليمة إنما يستخلف من يغيب أو يموت، والله لا يغيب ولا يموت، وإنما كان آدم عليه السلام خليفة عن الملائكة الذين كانوا في الأرض ورفعوا إلى السماء، لا خليفة لله،

وقد قيل لأبي بكر يا خليفة الله فقال: ويحك قل يا خليفة رسول الله ﷺ[(١)].

وعلى كل حال فمحمد يحيى بن سليمة مشبع بالفكر التيجاني مهما وقع الخلاف بينه وبين بعض غُلاتِهم، الذين جاوزوا كل الحدود، فهو يستشهد بجواهر المعاني في مناسبات كثيرة، لا تعلق لها بموضوع ذلك الكتاب، وإنما هو مولع بذكره والأخذ منه، كما أنه لا يتردد في تفسير القرآن الكريم تفسيراً صوفياً أي بأقوال أهل الصوفية التجانيين بالذات ومأثوراتهم، إن كان للقوم أثر فيه، فيقول في تفسير قوله تعالى: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ۝١٤﴾ [الواقعة: ١٣، ١٤] عن سيدي أحمد التيجاني رضي الله عنه. (قيل من الآخرين، هم أصحابي، وحالهم أي فعلهم دليل على ذلك)، وأمثال هذه الأقوال كثيرة، مع خلوها من الدليل، وبعدها من الصواب، لكنه لم يفضل صلاة الفاتح على القرآن، بل قال إن القرآن أفضل، وهذه حسنة تذكر له. ومن ولعه بالتصوف أنه وهو يفسر آيات الأحكام أساساً يتعرض للمسائل الخلافية العقائدية المعقدة مثل وحدة الوجود، فيقول في تفسير ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤] في النازلة الثانية من نوازل عليش هذه المعية لا تذاق إلا بفتح الفتاح الخبير، وفي جواهر المعاني أنها لا تدرك بالعقل. . .، ثم قال في موضع آخر وهذا معنى وحدة الوجود عند القوم، وفيه سفكت دماء بسبب العبارة، وهو معنى شريف لا يمكن شرحه ولا ذوقه إلا بفتح الفتاح الخبير، وحسب العامي أن يؤمن أن الأمر كله لله، ويورد قول الشاعر:

وَعِلْمُكَ أَنَّ كُلَّ الأَمْرِ أَمْرِي هُوَ الْمَعْنَى الْمُسَمَّى بِاتِّحَادِ

● مؤلفاته:

للشيخ محمد يحيى اليونسي مؤلفات واختصارات كثيرة في جميع المعارف عد له النحوي أكثر من سبعين كتاباً[(٢)] وقال إنه خلف ما يربو على ١٦٠ تأليفاً[(٣)].

---

(١) تحقيق التيسير والتسهيل ص٩ (مرقونة).

(٢) بلاد شنقيط ص٦٠١.

(٣) انظر تحقيق التيسير والتسهيل ص١٤ فقال إنها تبلغ ١٥٠ تأليفاً.

أما كتابه التيسير والتسهيل فقد حققه الطالب محمد الحسن بن اعبيدي سنة ١٤١٦هـ لنيل الإجازة في الشريعة الإسلامية، ويحضر أحد الطلبة العاجيين رسالة الماجستير في ليبيا على تحقيق ودراسة هذا الكتاب.

* * *

١٦ ـ البخاري بن الفيلالي الباركي ت١٣٥٨هـ

له تفسير سورة الفاتحة، ذكره صاحب تطور منهج التفسير في موريتانيا[١].

* * *

١٧ ـ زين بن اجمد (زين العابدين) اليدالي ت١٣٥٩هـ

ولد العلامة زين العابدين بن اجمد قرب مقاطعة المذرذرة في منطقة إكيدي سنة ١٢٧٧هـ.

والده: محمد بن اجمد بن إدوم بن أحمدو بن الفغ المختار بن محمد الأمين بن المختار بن عمر بن يحيى بن يداج، أحد الخمسة المكونين للحلف الشمشوي. وجد قبيلة إدوداي المشهورة بالعلم والصلاح، وأمه هي مريم بنت عبدالله جنك بن ميلود بن المصطفى بن محمد سعيد بن المختار، وهنا يلتقي نسبها مع نسب أبيه وقد اشتهرت بالعلم والجد فهي أم لثلاثة علماء معروفين، هم: زين العابدين وشقيقه أحمد، وأخوه لأمه المختار بن جنك وهي: المذكورة في مرثية محمد فال بن محمذن بن أحمد العاقل، التي رثى بها شيخه المختار بن «ألما» وذلك حيث يقول معدداً مناقب قبيلة الناظم ومشاهيرها:

لَكَ الْحَمْدُ إنْ أبقيْتَ بَعْدَ الغَطَمْطَمِ[٢] عَيَالِم فَاقَتْ فِي الندى كلَّ عَيْلَمِ

(١) ص٤٢.

(٢) الغطمطم: البحر العظيم.

إلى أن يقول:

وَمِنْهَا الإِمَامُ ابنُ الإِمَامِ وَزَيْنُهُمْ　　وَلاَ تَنْسَ مَهْمَا تَنْسَ أَبنَاءَ مَرْيَمِ

وهي المذكورة أيضاً على لسان المؤرخ أحمد سالم بن ببكر ابن الإمام اليدالي في قوله:

أَبْنَاءُ مَرْيَمَ هُمُ فَاذْكُرْهُمُ　　عِنْدَ النَّوَائِبِ وَفَاخِرْ بِهِمُ
إذا ذَكَرْتَ فِي مَنَاقِبِهِمُ　　قَوْماً على جرْدٍ فَلاَ تنسَهُمُ

● نشاته العلمية:

لقد نشأ زين في بيت علم وبيئة علمية الأمر الذي أتاح له أن ينهل مبكراً من ينابيع علمية متنوعة حيث درس القرآن على والدته ودرس الفقه والعقيدة على العلامة المشهور المختار ابن ألما واللغة والنحو على المختار ابن جنك وهو أخوه لأمه كما تقدم.

ولم يكن مثله من أصحاب الهمم العالية ليكتفي بالأخذ عن محيطه القريب مهما بلغ من المكانة العلمية بل لا يهدأ له بال حتى يقوم برحلة يقف خلالها على مستوى التعليم في المؤسسات الأخرى وليستفيد من تجارب الآخرين، وهكذا ارتحل زين إلى محمذن فال ابن محمذن فأخذ عنه علوم المنطق والبلاغة، والحساب، وقد ساقته رحلته إلى الشيخ المقرىء المشهور محمذن فال ابن بوفره فحصل منه إجازة في المقرإ، كما رحل إلى الشيخ محمذن فال ابن الأمين ابن آبني التمكلاوي، فقرأ عليه السيرة النبوية.

وكانت أكثر الفترات الدراسية طولاً بالنسبة له، تلك التي لازم فيها محمذن ابن محنض باب ابن اعبيد الديماني وقد درس فيها: الأصول، والحديث، كما نقح فيها بعض معلوماته وحررها وحققها.

وكما بذل زين بن اجمد جهداً كبيراً في تحصيل العلوم الشرعية فقد بذل جهداً كذلك في تربية نفسه وتزكيتها، فتذكر عنه المصادر كثيراً من الورع والتمسك وقد أخذ الطريقة الشاذلية عن محمذن فال بن متالي.

وقد بلغ به الورع أن هجر موطنه (إقيدي) إلى شاطىء البحر ليسهل الحصول على الماء هرباً من الشبهة التي كان يراها في المياه المحمولة على حمير الغير دون إذنه، وهي الطريقة المتبعة غالباً ـ للحصول على المياه في موطنه[1].

كما دفعه الورع للاعتذار عن التدريس في دائرة أهل الشيخ سيديا حين انتدب لذلك.

• جهوده في نشر العلم:

لقد شكل زين العابدين طيلة حياته منارة للعلم ومعلماً من معالمه الشامخة وينبوعاً من أعذب ينابيع المعرفة في عصره، فكان المستفتون يزدحمون على بابه وطلاب العلم يؤمونه في شتى نواحي البلاد، ومن أشهر من درس عليه:

١ ـ العلامة المختار بن المحبوبي صاحب المؤلفات العديدة والأنظام المتنوعة المفيدة.

٢ ـ محمدّ بن المحبوبي.

٣ ـ زين بن المحبوبي.

٤ ـ إسحاق بن المحبوبي.

٥ ـ محمد عالي بن زين العابدين (حفيد محمد اليدالي ت١١٦٦هـ) المعروف.

٦ ـ أحمد بنب بن أحمد بن الأمين.

٧ ـ الشريف العالم محمد الب التندغي.

٨ ـ أحمد سالم بن القطب اليدالي.

---

(١) خطري بن حامد مذكرة تخرج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية تعليق على نظم المبهمات ص٨.

٩ ـ محمد بنيوك التندغي.

١٠ ـ أحمد بن أبي بكر بن أحمد بابه التندغي.

١١ ـ محمد بن بنب التندغي.

١٢ ـ محمد الأمين العلوي وقد لازم ابن اجمد عشرين سنة، ودرس عليه أكثر النصوص.

١٣ ـ محمد باب بن خلف الأنتابي.

١٤ ـ محمد الأمجد بن أبي المعالي اليعقوبي.

١٥ ـ الحسن بن ابياه الأنتابي.

١٦ ـ عبدالله بن النابغة الأنتابي.

١٧ ـ محمد محمود بن سميدع اليعقوبي.

١٨ ـ محمد عبدالله اليعقوبي.

١٩ ـ محمد بن أواه الأبيري، وآخرون.

● **مؤلفاته:**

لقد ألف العلامة زين العابدين (زين) بن اجمد مؤلفات كثيرة ومتنوعة، شملت جميع المعارف المحظرية، فمن مؤلفاته في القرآن:

ـ الغرر السواطع، على الدرر اللوامع، وهو نظم يشمل القراءات الست التي لم ترد في الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع، فالكتاب:

ـ استوعب جل المهمات من القراءات السبع وقد حقق مع الدراسة بدار الحديث الحسنية بالمغرب[1].

---

(١) حققه الطالب محمد بن عدي وتخرج به سنة ١٤٢٠هـ من دار الحديث الحسنية بالمغرب «دبلوم الدراسات العليا»، كما حققه طلاب في المعهد العالي أيضاً.

- نظم مفحمات الأقران في مبهمات القرآن[1] للسيوطي وقد حقق في المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية بانواكشوط.

- نظم في بيان ما ورد في القرآن الكريم من المعاني من تفسير ابن جزي.

- قصيدة في عد آي القرآن.

- نظم الوجوه والنظاير لمعاني كلمة الهدي في القرآن.

- طريق السداد في تحرير أمر الضاد.

- قصيدة في عد السور المكية والمدنية على شكل مديحية.

- نظم إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه القراءات والإعراب في القرآن للعكبري مشروحاً وقد بلغ عدد أبياته ثلاثة آلاف بيتاً، لكنه مفقود لحد الساعة وله في الفقه:

- تصويب خليل وعند الخليل النحوي: (خليل الأبيض).

- نظم فتاوى محمذن فال بن متالي التندغي.

- نظم فتاوي عبدالقادر الفاسي.

- نظم فتاوي محنض باب ابن عبيد الديماني.

- تسديد المتفكر في إباحة كل شراب لا يسكر.

- درر اللاقطين في قضية الساقطين.

- رسالة في مشروعية السدل.

وله في الأصول والقواعد الفقهية:

- نظم في الفرق بين التقليد والاقتداء والتبصر والاجتهاد.

---

(١) حققه الأستاذ خطري بن حامد وتخرج به من المعهد العالي بالإجازة في الفقه والأصول.

ـ شرح على تكميل المنهج في قواعد المذهب لميارة الفاسي.

وله في العقيدة:

ـ منشأ الغَلَطْ مِن كُلِّ مَن عن الصواب في شطط.

ـ الطرة على نظم محصل المقاصد في العقائد لابن زكري (مفقود).

وله في السيرة:

ـ حلية الإفادة، في شرح وسيلة السعادة، للشيخ محمد المامي بن البخاري.

ـ احمرار على نظم الأخلاق للشيخ محمذن فال بن متالي.

ـ احمرار على نظم الشهداء لابن متالي.

ـ نظم ذكر فيه من صحب مع أبيه.

ـ العسل المصفى، في فضل التوسل بالنبي المصطفى (عند النحوي: في حكم مدح النبي المصطفى).

وله في المنطق:

ـ نظم أهمية المتنطق في علم المنطق، لمحمد فال بن أحمد بن العاقل.

ـ طرة على نظم السلم في المنطق.

وله في علم البيان:

ـ قصيدة مشروحة لأنواع البديع.

وله في التاريخ:

ـ نظم في تاريخ وفيات الأعيان، يضم وفيات الخلفاء ودولة الأدارسة، وفتح القسطنطينية.

وله أنظام متنوعة وفوائد متعددة ضبط فيها بعض المصطلحات أو

صوب بها بعض الأخطاء، أو علق بها على بعض المسائل، ويقال إن مؤلفاته بلغت الأربعين[١].

● **وفاته:**

لقد قضى زين بن اجمد نحبه سنة **١٣٥٨هـ** قرب مقاطعة كرمسين بولاية اترارزة فانطفأت بموته جذوة علم أضاءت لبلاد شنقيط فترة من الزمن وانطوت صفحة حافلة بالعطاء العلمي، والزهد، والعبادة، بعد **٨١** عاماً من التألق[٢].

وقد أرخ لذلك تلميذه المختار ابن المحبوبي، في تاريخه لوفيات الأعيان وحوادث السنين، معدداً بعض مناقبه:

وَفِي (نَحِ) مَوْتُ الإِمَامِ البَائِعِ — لِلَّهِ نَفْسَهُ الْمُنِيبِ الطَّائِعِ
زَيْنُ الزَّمَانِ شَمْسُهُ بَعْدَ اجْمَدْ — لاَ زَالَ فِي أَمْنٍ مِنَ اللهِ الصَّمَدْ
وَقِفْ هُنَا وَابْكِ بِرَبْعِ عَزَّةِ — شَوَارِدَ الْعِلْمِ الَّتِي قد عَزَّتِ
وَالْفِكْرَ والذكرَ مَدى الأوقَاتِ — والطُّهْرَ والصَّلاَةَ وَالصِّلاَتِ
وحِفظَ كُتْبِ الخَمْسِ وَالأَنْسَابِ — وَفَنَّيِ الأُصُولِ وَالْحِسَابِ
وَجَوْدَةَ الأَنْظَامِ وَالشُّرُوحِ — وَالضَّبْطِ وَالْفُيُوضِ والفُتُوحِ
وَالأَحْرُف السَّبْعَةَ والتَّجْويدَا — والنظر السَّديدَ والتَّوْحِيدَا

قوله: (نح) يشير إلى أنه توفي ثمانية وخمسين أي بعد الثلاث مائة والألف وترك التصريح بذلك لأنه معروف من سياق النظم.

وذكر وفاة المؤلف ابنه بقوله:

فِي (حَنَشسٍ) زَيْنٌ ثَوىٰ فِي رَمْسِهِ — وَثُلْمَةٌ فِي الدِّينِ مَوْتُ جِنْسِهِ
أُفٍ لِدَهْرٍ عُمْرُهُ فِي الانقِضَا — وَوَاجِبٌ لَدَى قَضَائِه الرِّضىٰ

---

(١) تحقيق نظم: مفحمات الأقران ص١٠ وجل هذه الترجمة مأخوذ من هذه الدراسة ومن بلاد شنقيط ص٥٥٣ والحياة الثقافية ص٤٣.

(٢) خطري ولد حامد المصدر السابق وص١٦.

أما حروف حنشس فإنها تشير إلى التاريخ الكامل لوفاته.

وبهذا الأبيات نختم ترجمة هذا العالم الشهير رحمه الله رحمة واسعة، ورحمنا وأثابنا معه بمنه وكرمه.

أما نظم مفحمات الأقران في مبهمات القرآن، فيقع في ٨١٩ بيتاً من الرجز تعرض فيه الناظم لكل السور القرآنية التي ورد فيها شيء من الألفاظ أو المعاني المبهمة ومجموعها ٩٣ سورة.

ويحتوي النظم على مقدمة مستقلة، استفتح الناظم بها نظمه، تليها عناوين بارزة عند بداية كل سورة من السور التي تناولها، وطريقته في نظمه هي أن يذكر جزءاً من الآية موضوع الكلام، وقد لا يتعدى هذا الجزء كلمة واحدة أو إشارة غير صريحة، ثم يتبعها بالقول أو الأقوال الواردة في إيضاح مبهمها، وقد التزم فيما عدا المقدمة وبعض الجزئيات اليسيرة بمحتوى الأصل وطريقته في ترتيب السور، وهي ملتزمة بترتيب المصحف الشريف، أما اختلافهما في المقدمة فهو اختلاف تام، حيث خصص السيوطي مقدمته لعرض فوائد معرفة مبهمات القرآن، والتأصيل الشرعي للاشتغال به، والبحث عنه، أما الناظم فقد قصر مقدمته على التعريف بنفسه، وذكر موضوع نظمه، فيقول في المقدمة[1]:

قَالَ عَلِيٌّ هُوَ زَيْنُ الْعَابِدِينْ ... سَمِيُّ نَجْلِ سَبْطِ هَادِي الْعَالَمِيْن

حَمْداً لِمَنْ عَلَّمَنَا الْقُرْآنَا ... فَفَاقَ مَن فَازَ بِهِ الأَقْرَانَا

ثُمَّ صَلاَتُهُ عَلَىٰ مَنْ أَنزَلَهْ ... عَلَيْهِ فَارْتَقَىٰ لِأَعْلَىٰ مَنزِلَهْ

وَالْعَوْنَ وَالتوفيقَ نَسْأَلُ الْمُعِينْ ... وَالرِّيَّ مِنْ بَحْرِ عَطَائِهِ الْمَعِينْ

وَقَدْ تَطَفَّلْتُ عَلَىٰ أَعْلاَمِ ... دِينِ الْهُدَىٰ وَغُرَرِ الإِسْلاَمِ

بِنَظْمِ مَا أَطَاقَهُ مَقَالِ ... مِن مُبْهَمَاتِ الذِّكْرِ لِلْجَلاَلِ

---

(١) مفحمات الأقران، طبع بتحقيق الدكتور مصطفى البغا، مؤسسة علوم القرآن دمشق (د.ت).

يعني كتاب السيوطي في مبهمات القرآن المسمى: مفحمات الأقران، في مبهمات القرآن.

ولأهمية مقدمة جلال الدين السيوطي ت٩١١هـ لكتابه: (مفحمات الأقران في مبهمات القرآن) أثبتناها هنا للإفادة يقول:

إن من علوم القرآن التي يجب الاعتناء بها معرفة مبهماته، وقد ألف فيه ابن عساكر وابن جماعة وغيرهما، وقد فاق هذا الكتاب ما سبقه لما حوى من الفوائد الزوائد، وحسن الإيجاز وعزو كل قول إلى من قاله، مخرجاً من كتب الحديث والتفاسير المسندة فإن ذلك أدعى لقبوله، وأوقع في النفس، ثم بين السيوطي أن في هذا العلم فوائد عديدة[1] ذكر منها:

أولاً: أنه علم شريف اعتنى به السلف كثيراً، فقد أخرج البخاري عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: (مكثت سنة أريد أن أسأل عمر عن المرأتين اللتين تظاهرتا على رسول الله ﷺ)، وقد قال العلماء هذا أصل في علم المبهمات، وقال السهيلي: (هذا دليل على شرف هذا العلم، وأن الاعتناء به حسن ومعرفته فضل).

ثانياً: مرجع هذا العلم النقل المحض ولا مجال للرأي فيه، وإنما يرجع فيه إلى قول النبي ﷺ وأصحابه الآخذين عنه والتابعين الآخذين له عن الصحابة.

ثالثاً: قال الزركشي في البرهان: (لا يبحث عن مبهم أخبر الله باستئثاره بعلمه كقوله: ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]، قال: والعجب ممن تجرأ وقال إنهم قريظة، أو من الجن قال السيوطي قلت: ليس في الآية ما يدل على أن جنسهم لا يعلم وإنما المنفي علم أعيانهم، ولا ينافيه العلم بكونهم قريظة، أو من الجن، وهو نظير قوله في المنافقين:

(١) تحقيق خطري بن حامد ص١٦.

﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ﴾ [التوبة: ١٠١] فإن المنفي علم أعيانهم.

ثم القول في أولئك أنهم من الجن ورد في خبر مرفوع إلى رسول الله ﷺ أخرجه ابن أبي حاتم وغيره فلا جراءة[١].

رابعاً: للإبهام في القرآن أسباب منها:

(أ) الاستغناء ببيانه في موضع آخر كقوله: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧]. فإنه مبين في قوله: ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ﴾ [النساء: ٦٩].

(ب) أن يتعين لاشتهاره كقوله: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥]، ولم يقل حواء لأنه ليس له غيرها ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ﴾ [البقرة: ٢٥٨] والمراد نمرود، لشهرة ذلك لأنه المرسل إليه من قبل، وإنما ذكر فرعون في القرآن بصريح اسمه دون نمرود لأن فرعون كان أذكى منه كما يؤخذ من أجوبته لموسى ونمرود كان بليداً ولهذا قال: ﴿أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، وفعل ما فعل من قتل شخص والعفو عن الآخر وذلك غاية البلادة.

(ج) قصد الستر عليه ليكون أبلغ في استعطافه نحو: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾ [البقرة: ٢٠٤]، قيل هو الأخنس بن شريق، وقد أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه.

(د) أن لا يكون في تعيينه فائدة نحو ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ﴾ [البقرة: ٧٣]، ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ [الأعراف: ١٦٣].

(هـ) التنبيه على العموم: وأنه غير خاص بخلاف ما لو عين نحو: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ﴾ [النساء: ١٠٠].

---

(١) المصدر السابق.

(و) تعظيمه بالوصف الكامل دون الاسم: نحو ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ﴾ [النور: ٢٢]، ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾ [الزمر: ٣٣]، ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ﴾ [التوبة: ٤٠]، والمراد الصديق في الكل.

(ز) تحقيره بالوصف الناقص نحو: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝٣﴾ [الكوثر: ٣].

* * *

١٨ ـ أبو بكر ابن سيد أحمد الديماني ت١٣٦٣هـ

ذكر له ابن حامدن تفسير بعض غريب القرآن[1] أما تيسير العسير، من علوم التفسير للعلامة محمد حبيب الله بن مايابى ت١٣٦٥ والذي ذكره المختار بن حامدن في الحياة الثقافية ص٤٣ ضمن المفسرين فهو في علوم القرآن، وليس تفسيراً، وهو تحت الطبع الآن، بالإمارات العربية.

* * *

١٩ ـ بيدر بن الإمام الجكني ت١٣٧٣هـ

هو العلامة محمد الحسن الملقب (بيدر) بن محمد بن الإمام بن عبدالوهاب بن محمد بن سيد بن بوحل بن المختار بن أبي بكر بن الحاج بن اعل بن أعمر أفلال بن اكرير ابن اعل بن جكان الحميري ولد رحمه الله تعالى سنة ١٢٩٢هـ ببلدة (قلاقه) بلدة تقع في ولاية تكانت وهي التي يقيم بها شيخي: الفقيه الصالح الحبر النحوي اللغوي الحاج بن السالك بن فحف المسومي حفظه الله.

نشأ بيدر يتيماً، وتربى في أحضان خاله أحمد بن محمد بن خيار الحاجي وهو من أبناء عمومته.

---

(١) الحياة ص٤٣.

● **طلبه للعلم:**

لقد بدأ العلامة بيدر بن الإمام في طلبه للعلم بدراسة القرآن الكريم، كما هي العادة عند مجتمعه، فحفظه وقرأ رسمه، وضبطه، ومقرأه، على أستاذ من أبناء عمومته، وهو عبدالله بن البنباري.

ثم بعد القرآن بدأ في العلوم الأخرى، وأعطى عناية خاصة للفقه، فدرسه على الفقيه: محمد الحسن بن سيد إبراهيم وفقهاء آخرين من الجكنيين، وفي هذه الأثناء أخذ إجازة من عند محمد الأمين بن محمود ابن الحبيب بعدما تبحر في القرآن وعلومه وألف بعض الكتب منها كتاب (عجالة المجود).

وجرت بينهما محاورات علمية أقنعت الشيخ محمد الأمين بكفاءة بيدر العلمية فأجازه، والمعروف أن أهل محمود بن الحبيب لهم مدرسة من أبرز المدارس القرآنية في المنطقة.

ولا توجد مدرسة مثلها في الشهرة إلا مدرسة الشيخ محمد أحيد بن سيد عبدالرحمن المسومي ت١٣٣٤ الذي بلغ من الشهرة مبلغاً عز وجوده وقد قرأ عليه الشيخ بيدر في ميدان اختصاصه، من رسم وضبط، وتجويد، ليكمل عنده وليقف على مناهج المحاضر المتنوعة.

كما قرأ الفقه على محمد محمود بن أحمد بن محمد بن أعمر الحاجي، وقرأ كذلك على أبناء مايابى، فجل معارفه التي حصل عليها كان قد أخذها عن علماء قبيلة الجكنيين، ولم يتغرب لطلب العلم إلا مدة ستة أشهر فقط[1].

● **تلاميذه:**

لقد كانت محضرة العلامة بيدر ابن الإمام من أكبر المحاضر على الإطلاق فهي تدرس جميع الفنون من فقه، ولغة، وعلوم قرآن، ولهذا تخرج على يده جمع غفير من العلماء، منهم:

---

(١) دراسة شخصية العلامة محمد الحسن بيدر ص٢٤ محمد العاقب ولد محمد أحمد معهد ابن عباس.

ـ العلامة الجليل ذائع الصيت في البلاد وخارجها محمد الأمين ولد محمد المختار الجكني **ت١٣٩٣هـ** وسوف نتعرض في هذا الفصل لسيرته ومؤلفاته وخاصة أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الذي يعتبر من أهم كتب التفسير في بلاد شنقيط.

ـ الشيخ محمدو بن سيد محمد الحاجي القلالي **ت١٣٩٦هـ**.

ـ العلامة أعمر ابن محم بوبه الجكني **ت١٤١٣هـ**.

ـ أحمد ولد عمار الجكني القلالي.

ـ العلامة عبدالله ابن الإمام الجكني الزلمطي.

● آثاره العلمية:

خلف المرحوم بيدر بن الإمام تآليف عديدة من بينها:

ـ العروة الوثقى إلى أعلى مرتقى.

ـ الغريب من ألفاظ القرآن.

ـ كشف القناع عن بنات الابتداع.

ـ نظم نوازل عُلَيش.

ـ نظم في التوسل بأسماء الله الحسنى.

ـ نظم في رسم القرآن يقول فيه:

الْجَمْعُ فِي كَالْعَالَمِينَ إِنْ حَصَلْ فِي سِتَّةٍ بَعْدَ الْحُرُوفِ بَعْدَ أَلْ
مِنْ كُلِّ مَا بِالنُّونِ آخِراً وُصِفْ مِنْ بَعْدِ مَدِّ وَاوٍ أَوْ يَاء حُذِفْ

ـ عجالة المجود: تأليف في التجويد والمقرإ[1].

(١) حققه الطالب محمد بن مولود في المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية تحقيقاً جيداً وجل هذه الترجمة مأخوذة من ذلك العمل الجامعي الطيب.

ـ المنجى من الخلود: وهو كتاب في العقيدة ـ ألفه نثراً ثم نظمه، وشرحه، وتفسيره.

ـ العروة الوثقى تفسير جيد، يقتصر فيه على أرجح الأقوال، كما يتميز بجمال الأسلوب، ودقة العبارات، يتعرض فيه لأسباب النزول، والأحكام، والإعراب. وحصلت على تفسير سورة البقرة منه ناقصة بعض الأوراق وفي بعض أوراقها أثر بلل.

وكانت توجد عند أبناء المؤلف نسخة كاملة تقع في مجلدين وقد طلبتها لجنة من المعهد الموريتاني للبحث العلمي، لتصويرها ثم ردُّها إليهم في قرية (ماق) بالعصابة، ولكنهم لم يردوها إليهم، ولا يدرون ماذا فعلوا بها، مع أنها لا توجد منها صورة بالمكتبة التابعة للمعهد المذكور، فلعلها بقيت عند أحد أفراد اللجنة لم يردها إلى أهلها، أو لعلها ضاعت، وتجدر الإشارة إلى أن التفريط في مثل هذه الكتب الجليلة والتلاعب بمصيرها يعتبر خطأً فادحاً لا مثيل له.

● **أخلاقه:**

لقد عرف المرحوم بيدر ابن الإمام بالورع والكرم والتقوى والزهد في الدنيا وحسن المعاشرة فقد كان جلساؤه لا يملون حديثه فكانوا ينهلون من معين علمه، ويتزودون من فيض حكمه، ويروون من رقيق شعره، كما عرف بالسيادة والسخاء، وفيه يقول باب ابن أحمد فال منوهاً بالخصال والأخلاق الحميدة التي يتحلى بها:

أَلاَ بَلِّغُوا عَنِّي لِشَيْخِي تَحِيَّةً	تَحِيَّةَ صَافِي الْوُدِّ تُمْطِرُ بِالْوَرْدِ
فَمُوجِبُهُ أَنَّ الْمَحَاسِنَ عُلِّقَتْ	عَلَيْهِ جَمِيعاً حَيْثُ أُنْشِيءَ عَنْ قَصْدِ
سَخِيٌّ نَقِيٌّ عَارِفٌ مُتَوَاضِعٌ	أَدِيبٌ أَرِيبٌ فِي الْعَشِيرَةِ كَالْفَرْدِ
فَهٰذَا قَلِيلٌ مِن مَحَاسِنِ وَصْفِهِ	مَحَاسِنُهُ تَسْمُو عَنِ الْحَصْرِ وَالْعَدِّ

كما يقول فيه محمد ولد الشيخ باب الجكني:

بَلِّغْ سَلاَمِي لأَهْلِ الْحَاجِ كلِهِم لاَ زَالَ عِزُّهُمُ فَوْقَ الأَعِزَاءِ
أَنّي رَأَيْتُ فَتَى مِثْلَ اسْمِهِ حَسَناً يُنْمي لِحَيِّهِم عَدِيمُ أَكْفَاءِ
قَدْ كُنتُ أَسْمعُ مَا يَحْويهِ مِن أَدبِ حَتَّىٰ رَأَيْتُ وَمَا كَالسَّامِعِ الرَّائِي

وكان رحمه الله تعالى معروفاً ببغض النصارى، ومن ذلك أنه كان يطلب ديناً على أحد أبناء عمومته، وكان يعلم بغضه للنصارى، فدعاه إلى الحاكم الفرنسي ليقضيه دينه على يده، فرفض الذهاب معه، وترك له الدين الذي كان يطلبه عليه، مخافة أن يقع بصره على أحد الحكام الفرنسيين.

ومن ذلك أن بعض شيوخ قبيلته سجله في لائحة القضاة الرسميين، وعندما دعي لممارسة مهنة القضاء امتنع من ذلك، وأمر بمحو اسمه من لائحة التسجيل، هذا في الوقت الذي يتسابق الفقهاء لتولي منصب القضاء، ومما يحكى في الموضوع: أن النصارى الفرنسيين دخلوا إقليمه ذات مرة وعندما علم بذلك لزم المكان الذي كان فيه وأمر بجعل حاجز بينه وبينهم حتى يخرجوا عن تلك البلدة[1].

● زهده وتصوفه:

كان بيدر رحمه الله زاهداً في الدنيا معرضاً عن شهواتها، وملذاتها، مقبلاً على الآخرة بأنواع التعبدات، والانقطاع في طلب الآخرة، ولم يثبت أنه أخذ طريقة صوفية خاصة، على شيخ معين، بل كان مداوماً على الأذكار في جل أوقاته مطيعاً لربه سبحانه وتعالى، ممتثلاً للأوامر، مجتنباً النواهي والشبهات، وهو في هذا الاتجاه لا يبارى ولا يدرك شأوه في الزهد والتعبد، ويقول في الذكر وحلاوته ومقاماته:

إِذَا مَا مُرِيدٌ دَامَ حَقًّا عَلَى الذِّكْرِ سَرىٰ رُوحُهُ فِي النَّفْسِ مِنْ حَيْثُ لاَ يَدْرِي
فَيَخْلُو لَهُ ذِكْرُ اللِّسَانِ قُبَيْلَ مَا تَبَدي لَهُ الْمَعْنَىٰ الَّذِي فِيهِ بِالْفِكْرِ
وَتَطْرَبُ مِنْ تِلْكَ الحَلاَوَةِ نَفْسُهُ فَتَصْعَدُ أَنْفَاسٌ لِذَاكَ مِنَ الصَّدْرِ

---

(١) محمد العاقب بن محمد أحمد ص١٨.

هُنَاكَ يَذُوبُ الْقَلْبُ مِن سِرِّ ذِكْرِهِ ... مَعَانِي لِلتَّوْحِيدِ كَاشِفَةَ السَّتْرِ
فَيَشْهَدُهُ فَرْداً قَدِيماً وَبَاقِياً ... كَمَا يَشْهَدُ الأَكْوَان فِي عَكْسِ ذَا تَجْرِي
وَمَهْمَا اسْتَدَامَ الذِّكْرَ وَالْقَلْبُ ذَائِقٌ ... تَجَلَّى عَلَيْهِ الله فِي فَيْضِهِ السِّرُّ
فَتَبْدُو لَهُ الأَفْعَالُ لِلَّهِ وَحْدَهُ ... وَقُدْرَتُهُ فِي الْكَوْنِ دَائِمَة تَسْرِي
وإن تَابَعَ اسْتِحْضَارَ ذَاكَ مُوَاظِباً ... تَلاَشَى لَدَيْهِ الْكَوْنُ حَقاً بِلاَ نُكْرِي
وَلَمْ يَرَ مَوْجُوداً سِوى الله وَاحداً ... فَطُوبَى لمن قد نَالَ خَاتِمَةَ الذِّكْرِ
أَنِلْنَا مَقَامَ الْعَارِفِين بِرَبِّهِم ... بِجَاه نَبِيِّ الله ذي الْمَجْدِ وَالْفَخْرِ
عَلَيْهِ صَلاَةٌ تُمِّمَتْ بِسَلاَمِهَا ... مَعَ الآلِ وَالأَصْحَابِ ذِي الْمَجْدِ وَالْفَخْرِ

ويقول في بعض قصائده:

وَمَا فَضَلُ رَبِّ الْعَرْشِ فِي ذَا مُعَلَّقاً ... عَلَى الشَّيْخِ إلخ...

ويدل على أنه ليس صاحب طريقة معينة، ما نسب إليه من الانتقاد على الطرق الموجودة في زمنه، وقد ألف في الموضوع كتاباً أسماه:

«كشف القناع عن بنات الابتداع» أماط فيه اللثام وكشف القناع عن البدع التي أحدثتها بعض الطرق الصوفية.

يقول:

بِدَعُ ذَا الزَّمَانِ فِي الأَوْرَادِ ... مِنْهَا كَثِيرٌ لِلْعِبَادِ بَادِ[1]

مع أن كبار بعض شيوخ التصوف هاجموا التصوف في زمنهم كالعلامة الشيخ زروق ت٩٦٣هـ أي هاجموا ما خالف الكتاب والسنة، لكننا لم نطلع على من نسب الشيخ بيدر لطريقة معينة.

ـ والعلامة بيدر بن الإمام شاعر مفلق طرق جميع الأغراض الشعرية

(١) وهذا الكتاب حقق في معهد ابن عباس ١٤٠٩هـ.

المتداولة كالرثاء، والوصف، والمدح، والفخر، والوعظ، والتوسل، وكان أسلوبه يمتاز بالجودة والوضوح، والمهارة في التشخيص، مما يجعل القارىء كالمشارك في المناسبات ولم تجمع هذه القصائد حتى الآن في ديوان مستقل، ومن مقطوعاته الشعرية في وصف الشاي وكان من الفقهاء الذي يحرمونه:

إِذَا أَقْبَلَ السَّاقِي وَيَمَّم مَجْمَعَا وَأَحْضَرَ آلاتِ اللَّذَائِذِ أَجْمَعَا
وَهَاجتْ لَهَا اللَّذَاتُ يَرْكُضْنَ فِي الْحَشَا وَسَلَّلْنَ عَقْلَ الشَّهْم فَانْسَلَّ مُسْرِعَا
تَدَارَكْتُ عَقْلِي قَبْلَ مَا جَنَحَتْ بِهِ بَنَاتُ الْهَوىٰ سِتًّا وَخَمْساً وَأَرْبَعَا
وَآثَرْتُ فِي نَفْسِي عَلَيْهَا مُرُوءَتِي وَدِينِي وَلَمْ أُوثِرْ أَتَاءً مُنَعْنَعَا
وَأَعْلَمُ حَقًّا أَنَّ وَقْتاً شَغَلْتُهُ بِهِ كَانَ غَيًّا أَوْ زَمَاناً مُضَيَّعَا
وَمَنْ أَتْبَعَ النَّفْسَ الْهَوىٰ فِي شَرَابِهِ دَعَاهُ إِلَى الآثَام ذَلِكَ فَانْدَعىٰ
وَزُيِّنَ فِي الدُّنْيَا لَهُ سُوءُ فِعْلِهِ وَلاَسِيَّمَا إِن كَانَ أَشْيَبَ أَصْلَعَا

والواقع أن بيدر ابن الإمام شخصية متميزة، لها مواقفها، وآراؤها، البارزة، وما يهمنا في هذه الدراسة هو اهتماماته التفسيرية واشتغاله بعلوم القرآن بصفة عامة، فقد كان الرجل مهتماً بالقرآن، متبحراً في اللغة، لذلك نجده ألّف مؤلفات في القرآن الكريم رسماً، وتجويداً، وتفسيراً، وكان يوصف بالمهارة والدقة فيما يلقي من الدروس أو يؤلف من الكتب، ويمكن أن نعتبره صاحب مدرسة متميزة في التفسير، ذلك أنه بالإضافة إلى أعماله في التفسير التي أشرنا إليها من قبل يلاحظ أن بعض طلابه الذين تخرجوا من محظرته وأخذوا عنه قاموا بأعمال كثيرة في التفسير، ومن العلماء الذين اشتهروا بالتفسير وكانوا من قبل قرؤوا عند الشيخ بيدر:

ـ العلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي الذي برز في التفسير وبلغ فيه مبلغاً لم يصله إلا القليل من العلماء على مر التاريخ، كما أخذ عنه الشيخ العلامة أعمر بن محم بوبه الجكني **ت١٤١٣هـ** عن عمر يجاوز التسعين سنة، والذي كان آية في حفظ العلوم وكان يقول مثل مقولة الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ **(ت٣٢هـ)** والذي لا إله غيره ما

نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن نزلت ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لأتيته[١].

فهو يقول أنه يقرأ المصحف من الفاتحة إلى الناس، ولم يشكل عليه منه شيء، لا في لغته ولا في أحكامه، ولا في أسباب نزوله، ولا ناسخه ومنسوخه، ولا قراءاته..

ومن تلامذته الذين لهم معرفة بتفسير القرآن الكريم:

الشيخ محمد بن سيد محمد الحاجي: وهو صاحب إفادة الأريب، من لغة القرآن بالغريب كما أخذ عنه العلامة عبدالله بن الإمام وقد قرأ عليه التفسير مباشرة، وسيأتي نظمه لغريب القرآن، واشتغاله بالتفسير.

فهؤلاء جميعاً خدموا تفسير القرآن الكريم على تفاوت في جهودهم وأعمالهم، وبالإضافة إلى آثاره العلمية الثمينة، وطلابه الذين تخرجوا على يده بكفاءات علمية نادرة. خلف الشيخ بيدر أبناء مصابيح يهتدى بهم في الظلام، وكلهم نالوا حظاً كبيراً من العلوم الشرعية، واللغوية، فمنهم:

الفقيه محمد بن بيدر بن الإمام، الذي عرف بالفقه وجودة الرأي فيه ولكن الناحية الشعرية غلبت على الناحية الفقهية.

الفقيه الشيخ محمد العاقب وهو شاعر مفلق أيضاً ولكنه اشتهر بالفقه والقرآن وتدريس جميع العلوم المحظرية أكثر من اشتهاره بالشعر والأدب.

الشيخ محمد الأمين وكان آية في الحفظ والفهم وله مشاركات فقهية ولغوية لا تقل عن مستوى أخويه الفقيهين السابقين، هذا مع سرعة البديهة، ووضوح الرؤية رحمهم الله برحمته الواسعة كما خلف المرحوم بنات اشتهرن بالمعارف الإسلامية والعناية بحفظ الأدب العربي.

وبالعموم فأسرة بيدر ظلت أسرة علمية لا تخلو من شعراء وفقهاء

---

(١) تفسير ابن جرير الطبري ج١/ ومقدمة أصول التفسير لابن تيمية ص٩٦.

مهتمين بنشر العلوم الإسلامية ومكتبتهم ومحضرتهم في بلدة تسمى (ماقا) بالعصابة.

ومن بين أحفاد بيدر النابغين الأستاذ الشاعر الأديب الداعية: محمد الأمين بن محمد العاقب بن الإمام ت١٤٠٩هـ رحمه الله رحمة واسعة.

❋ ❋ ❋

٢٠ ـ المختار بن أحمد محمود ت١٣٧٨هـ

هو العلامة الأديب واللغوي الأريب، والشاعر اللبيب، الخطيب، الذريب، المختار بن أحمد محمود بن محمد عيد بن الفغ محم الجكني المساني الشنقيطي مولداً ومنشأ، المدني مهاجراً، نشأ في أسرة علمية اشتهرت بالفقه واللغة والأدب والعلوم الإسلامية، كما اشتهرت بالكرم وحسن السجايا، فمن أسرته الأديب ابن عيد الذي تتلمذ على العلامة المختار بن بونه وترجم له صاحب الوسيط، وجد المؤلف شاعر، ومن شعره:

لَنَا الشِّعرُ دَأْباً فِي الْوَرَىٰ دُونَ غَيْرِنَا ... وَقَدْ كَانَ شِعْرُ الْغَيْرِ فِي مَوْضِعِ الطَّرْحِ
تَــوَارَثَــهُ الآبَــاءُ مِــنَّــا تَــوَارُثــاً ... وَحُزْنَاهُ مَصْحُوباً بِأَلْسِنَةٍ فُصْحِ

حفظ المختار القرآن الكريم في الصغر ـ وهو في التاسعة من العمر ـ ثم استكمل ما يتعلق به من علوم، ثم تدرج في العلوم حسب منهج المحضرة، فبدأ بالعقائد والفقه، والسيرة النبوية، ثم النحو والتصريف، وأنساب العرب، ودواوين الأدب، مما هيأ للشيخ قاعدة علمية صلبة، وانطلق منها إلى مجال علمي أوسع.

- **رحلته الأولى:**

بعد أن أخذ الشيخ المختار الأُهبةَ الكافية، والزاد النافع من العلوم، ارتحل إلى محضرة يحظيه بن عبدالودود التي تعتبر جامعة متخصصة في الفقه والعلوم العربية والسيرة النبوية، أما عنايتها بالتصريف والإعراب فقد

فاقت كل تصور وعلى كل حال فهذه المحضرة تعتبر واسطة عقد المدارس هناك، وقد تخرج منها علماء أجلاء ودام عطاؤها زمناً طويلاً، وقد ألف فيها وفي شيخها وتلامذتها أحمد محمود (مم) بن عبدالله بن عبدالحميد المتوفي ١٣٦١هـ ابن عم المختار هذا وقال في ذلك:

وَشَيْخُنَا يَخْطِيهِ مِنْ جَكَانَا ... وَالأُمُّ وَالْوَطَنُ فِي قُنَانَا
وَكَانَ هَذا الشَّيْخُ فِي شِنْقِيطَا ... مُبَجَّلاً مُعَظَّماً وَسِيطَا
وَكُلُّ يَوْم تَخْدِقُ الطُّلاَّبُ ... بِهِ فَيَبْدُو الْعَجَبُ الْعُجَابُ
وَلَمْ يُؤَلِّفْ لازْدِحَامِ الْمَدْرَسَهْ ... عَلَيْهِ كُلُّ نَفْسٍ تَنَفُّسَهْ

وكان الشيخ ممن تخرج من هذه المحضرة، وقد تركت آثارها الواضحة في إنتاجه اللغوي والأدبي والتأليفي، وكتابه الترجمان والدليل، أبرز شاهد على هذا.

• رحلته الثانية إلى المشرق:

وتكتسي الرحلة إلى المشرق الإسلامي عند المغاربة أهمية كبرى، علاوة على أنها منهجاً سلفياً[1] بارزاً، حيث أنها تحتوي على مكاسب علمية ودينية وأدبية كثيرة وعلى رأس هذه المكاسب: الحج والزيارة، وهي هجرة عن تلك البلاد التي هيمن عليها المستعمر الفرنسي آنذاك، وهذا ما جعل الشيخ المختار يشد الرحال ملاحظاً تلك المزايا كلها، ومتجشماً تلك الرحلة الطويلة، والشاقة، التي شملت مصر، والأردن، والحجاز، وغيرها من البلاد الإسلامية.

قدم الشيخ المختار مصر ١٩٣٥م، فدرس في جامع الأزهر، وصحب فيه ابن عمه وشيخه، محمد حبيب الله بن مايابى الجكني، الذي أجازه إجازة عامة في الحديث وعلومه، والتفسير وعلومه، والفقه وأصوله.

---

(١) السلفية هنا يقصد بها السلفية لغة، لا السلفية اصطلاحاً.

وأما اللغة العربية بآدابها ونحوها وصرفها وبلاغتها، فقد برز فيها بروزاً واضحاً، وذلك في وقت مبكر من حياته، حتى اشتهر بالقاموس المتجول.

ـ كما عرف بالذكاء والنبوغ، أنشأ غرر القصائد وهو في الرابعة عشر من عمره فهو متوقد القريحة، واسع الدراية، كامل الفهم، حاضر البديهة، له همة عالية، وقد كان لمحضرة يحظيه بن عبدالودود أثرها في تكوين ثروة الشيخ اللغوية والأدبية.

وقد شارك الشيخ المختار في المساجلات التي جرت بين ابن عمه أحمد محمود الملقب (مم) بن عبدالحميد والشاعر أحمد بن عبدالله الملقب بالذيب، كما شارك في المساجلات الشعرية التي دارت وقتها حول كتاب: ابن عمه الشيخ محمد الخضر بن مايابى، الذي رد به على التيجانيين، وهي مساجلات غنية بدرر القصائد.

وله أسئلة موجهة إلى علماء الأردن تبلغ مائة سؤال وتشمل موضوعات في علم الكلام، والمنطق، والفقه، والأصول، إلى غير ذلك، وقد أجاب عن هذه الأسئلة ابن عمه الدكتور: محمد بن سيدي بن الحبيب الجكني، وطبعت هذه الأجوبة على الآلة[1]. وللشيخ محمد المختار مقطوعات شعرية كثيرة في مواضيع متنوعة توفي **١٩٥٩م** الموافق **١٣٧٨هـ** وخلف عائلة مباركة.

● الترجمان والدليل لآيات التنزيل:

أما كتابه الترجمان والدليل، فهو تفسير لغريب القرآن طبع في مجلدين[2] لم يذكر المؤلف رحمه الله تعالى منهجه فيه، غير أنه بالاطلاع عليه، علم أنه نهج فيه نهج الراغب الأصفهاني في كتابه: «مفردات غريب القرآن».

---

(١) مقابلة مع الدكتور: محمد في بيته بمكة ذي الحجة ١٤٢١هـ.

(٢) قامت بطباعته وإخراجه: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ط١/ ١٤١٣هـ القاهرة.

غير أن الشيخ زاد عليه أشياء مثل أبواب الأفعال، والمصادر التي يذكرها عقب بيان تلك المفردات، وقد رتبه على حروف الهجاء مراعياً للأول والثاني، مبيناً معنى الكلمة اللغوي، أو المعاني إذا كانت الكلمة لها أكثر من معنى، ثم يأتي بالآيات موضحاً لتلك المعاني، ثم يوضح أبواب تلك الأفعال ومصادرها.

فهو كتاب يحتوي على كتب عديدة، في معجم واحد فهو كتاب لغة وتفسير ودليل للآيات القرآنية، والله أعلم.

وسوف نتعرض للترجمان والدليل في باب اتجاهات التفسير، والاتجاه اللغوي بصفة خاصة، بحول الله تعالى.

❋ ❋ ❋

٢١ ـ عبدالكريم بن امياه الحسني توفي ١٣٧٨هـ

هو عبدالكريم بن محمد بن محمدن المنصور بن امياه واسمه الأمين بن ميلود الحسني منشئاً وموطناً المجلسي أصلاً[١].

نشأ في بيت علم ودين، فقد تلقى تعليمه الأول على يد والده محمد بن امياه حيث درس عليه القرآن ومبادىء الفقه واللغة العربية والسيرة النبوية الشريفة.

ثم انتقل إلى المحاضر المجاورة مثل محضرة محمد بن أحمد يورا الديماني ومحضرة سيدي الفلالي بين محمودا وغيرهما وما زال يتنقل بين المؤسسات العلمية الكبيرة حتى حصل معارف جمة واستغرقت مدة الدراسة معظم شبابه وعانى صنوف التعب والمشقة في فترة طلب العلم هذه.

---

(١) عبدالكريم بن امياه حياته وآثاره عيسى محمد عبدالرحمن رسالة علمية تخرج بها الطالب من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية بنواكشوط ص٧.

وسجل بعض معاناته في بعض أشعاره فيصور غربته وبعده عن أهله وذويه بحثاً عن تحصيل العلوم يقول:

لَحَى اللَّهُ أَسْبَابَ التَّغَرُّبِ وَالنَّوىٰ فَفِي الغُرْبَةِ الْهُونُ المُذَمَّمُ عَالِقُ

ثم بعد مرحلة طلب العلم والتغرب له وتحصيله له جلس للتدريس وأسس محضرة علمية تدرس بها جميع العلوم المحضرية من نحو وفقه وغيرهما وأخذ عنه جمع غفير من طلبة العلم في إقليم اترارزة وإقليم البراكنة.

● مكانته:

كان الشيخ عبدالكريم يتبوأ مكانة عالية في أوساط أهل العلم يصفه بعض طلابه وهو سيدي بن العلوي بقوله:

كان عالماً سلفياً محافظاً على قيم وتقاليد أجداده من مجد ومروءة وجود وكان تقياً عابداً ورعاً لا نعلم عنه غير ذلك.

● آثاره:

لقد ترك الشيخ عبدالكريم بعض الآثار منها:

١ ـ تفسير الفاتحة.

٢ ـ يقول في مقدمته وسميته: (مدني المعاني على السبع المثاني) وهو تفسير مختصر للفاتحة.

٣ ـ تفسير لقصيدة بانت سعاد لكعب بن زهير في مدح النبي ﷺ.

٤ ـ أنظام في مسائل من الفقه.

٥ ـ أنظام تتعلق بالسيرة النبوية.

٦ ـ نصوص شعرية في أغراض مختلفة.

● **وفاته:**

وبعد حياة حافلة بالجد والاجتهاد والعلم والعمل توفي عبدالكريم سنة ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م عن عمر يبلغ ثمانين سنة أو يزيد رحمه الله تعالى رحمة واسعة وقد قال بعض الشعراء شعراً في رثائه يقول أحدهم فيه:

مَا أَمَالَتْهُ بِالزَّخَارِفِ دُنْيَا ... لَوْ تَحَلَّتْ لَهُ بِكُلِّ نَضَارِ

صاحبَ الذِّكْرِ فِي الحَيَاةِ فَلاَ زَا ... لَ رَفِيقاً لَهُ فِي كل دَارِ

نَوَّرَ اللَّهُ قَبْرَهُ وَسَقَاهُ ... عَلَلاً مِنْ مَشَارِبِ الأَبْرَارِ

وَكَسَاهُ مِن فَضْلِهِ سَابِغَاتٍ ... مِنْ حَرِيرِ الْجِنَان خَيْرَ دِثَارِ

* * *

٢٢ ـ حبيب الله بن محمد محمود الباركي ١٣٨٢هـ

هو حبيب الله بن محمد محمود بن محمد بن محمود بن عبدالله بن بارك الله بن أحمد بزيد الباركي.

ولد حوالي ١٣٠١هـ بولاية إينشيري ببلاد شنقيط، ونشأ في بيئة معروفة باهتماماتها العلمية، والدينية، والأخلاقية، فحفظ القرآن في صغره ولم يتجاوز السنة التاسعة من عمره.

وأخذ العلوم الشرعية على والده، إذ درس عليه الفقه والدواوين والنحو، ولم يكتف بما أخذه عن والده، بل تاقت نفسه إلى الرحلة في طلب العلم، فتجول بين عدة محاضر من بينها أكبر محضرة شنقيطية، وأعظمها، محضرة العلامة يحظيه بن عبدالودود الجكني الملقب (باه)، فقد قرأ ألفية ابن مالك في النحو في هذه المحضرة، كما ارتاد محضرة أهل محمد سالم التي شاع ذكرها، وتخرج منها جمع غفير من فطاحل العلماء، وقد نوهنا بهذه المحضرة وبمؤسسها العلامة محمد بن محمد سالم في مناسبة مضت، فقرأ مختصر خليل بهذه المحضرة العظيمة التي تعتبر أكبر

محضرة تخصصت في خليل، ويعتبرها البعض بمثابة دراسات عليا في الفقه الإسلامي.

كما قرأ الشيخ حبيب الله على أحمد بن أبي الجود، والشيخ أحمد محمود الأبييري، والعلامة المشهور سيد محمد بن داداه، أما أخلاقه فحدث عنها ولا حرج، فقد كان ذا خلق رفيع، وأدب جم، وكان يعرف لأهل العلم قدرهم، وينزل الصالحين منزلتهم اللائقة بهم، من التبجيل والاحترام، والتقدير والإكرام، وكان يلقى منهم ذلك التقدير، وتلك هي الثقة الخالصة التي لا تقدر بثمن، وفي هذا الصدد يحكي أنه ذهب صحبة أخيه إلى الشيخ ماء العينين القلقمي، فلما اكتملت زيارتهما، وجاء لتوديعهما، قال له حبيب الله: لقد عزمت على أن لا أفارقك وأن أبقى مقيماً عندك ما حييت، يريد النهل من معارفه والاهتداء بتوجيهاته، فقال له الشيخ ماء العينين (من لقي الماء لا يحفر) يعني ـ والله أعلم ـ أن من كان مثله في الاستقامة والعلم، لا يحتاج إلى شيخ تربية، لأنه قد حصل من ذلك ما يلزم، وهذا نوع من التزكية العطرة.

ولقد أعطاه الله موهبة فذة، حيث كان يحفظ أربعة أثمان يومياً، ويحفظ عدة أقفاف من مختصر خليل.

ويقال إن له مساجلات علمية منظومة مع الشيخ محمد محمود بن الحسن الأبييري، الذي كان صديقاً حميماً له تدل على ثقافته الواسعة، وشاعريته وتمكنه من أفانين القول، ولم أقف على هذا الإنتاج، وإنما حدثت عنه من بعض المهتمين، ولقد بلغ عطاؤه العلمي أوجهه عندما ذهب إلى الشيخ أحمد بنب السينغالي الشهير، وفي هذه الفترة ألف كتابه الشهير، الذي سنقدم عنه لمحة في دراستنا هذه، وهو (أوجز البرهان، على بيان غامض القرآن).

ولقد خلف رحمه الله تعالى بعض الآثار العلمية التي تبرهن بجلاء عن تقدمه العلمي وشاعريته المتقدة منها:

ـ نظم يسمى: المجاب في التوسل.

- وأنظام أخرى في مجالات كثيرة.
- وأشهر هذه الأعمال: أوجز البرهان الذي ذكرناه من قبل.

أما شعره فيحفظ لنا بعضه ومنه في رثاء أحمد باب ولد محمد ولد عبدالعزيز:

لدى فقد أحمد باب هام المتيم

إلى آخر القصيدة.

والآن نأخذ نموذجاً من كتاب أوجز البرهان[1]:

يقول في مقدمته:

يَقُولُ مَنْ بَدَأَ بِسم الله ... وَبالصلاة بَعْدَ حَمْدِ الله
على النبي صَفْوةِ الأَبْرَارِ ... والمُقْتَفِين سُنَّةَ الْمُخْتَارِ
مَنْ خَصَّ بِالإِسَرا مِنَ الرحْمٰنِ ... والنَّصْرِ وَالإِعْجَازِ بِالْقُرْآنِ

حتى يقول:

سميته بأوجَزِ البُرهان ... على بيان غامض القرآن
نَظَمْتُهُ لِلأغبِيَّا إذ لاَغْبِيَّا ... مِثْلِي وَفِيهِ مَا يُفِيدُ الأَذْكِيَا
جَعَلْتُهُ تِجَارَةً إِلٰهِي ... لَكَ فَلاَ كَانَتْ لِغَيْرِ اللّٰهِ
فاجعله لي تجارة زكية ... رائجة راضية مرضية

ويقول في نهايته:

قَدِ انْتَهَىٰ الْبُرْهَانُ وَالبُرْهَانُ ... كَلُؤْلُؤٍ قَطَّعَهُ جُمَانُ
بِحَمْدِ رَبِّنَا وَحُسْنِ عَوْنِهِ ... وَجُودِهِ وَفَضْلِهِ وَمَنِّهِ
أَلَّفَهُ الرَّاجِي لِعَفْوِ اللّٰهِ ... نَجْلُ مُحَمَّدٍ حَبِيبُ اللّٰهِ

---

(١) قام أحد الطلبة في المعهد العالي وهو آبه بن عدي بدراسة للجزء الأول من هذا الكتاب ١٤٢١هـ.

الْـمَـغْـرِبِـيُّ الْـمَـالِـكِـيُّ الْـمَـذْهَـبِ — الـشَّـمْـشَـوِيُّ الـبَـارِكِـي الـنَّـسَـبِ
خُـذْهُ مُـفِـيـداً لَـمْ يَـكُـن بِـعَـارِ — من جَـوْدَةِ الـنـظـم والاخْـتِـصَـارِ
فَـلاَ غِـنَـى عَـنْـهُ لِـكُـلِّ قَـارِ — صِـعَـابَ مَـذْلُـولِ كَـلاَمِ الْـبَـارِي
وَمَـنْ يَـخَـلْ أن لَـيْـسَ يُـسْـتَـفَـادُ — إلاَّ بِـكُـتْـبٍ أَهْـلُـهَـا قَـدْ بَـادُوا
فَـغَـيْـرُ مُـسْـتَـبْـعَـدٍ أَنْ يُـدَّخَـرَا — مُـدَّخَـرٌ لِـبَـعْـضِ مَـنْ تَـأَخَّـرَا
وَلاَ يَـكُ الأُمِّـيّ مَـن لاَ يَـعْـلَـمُ — إلا أَمَـانِـي لِـمَـا لاَ يَـفْـهَـمُ
بَـلْ قُـل لِـمَـن يُـرِيـدُ مَـا يُـفِـيـدُ — بِـهِ مِـنَ الإِصْـلاَحِ إن أُرِيـدُ
فَـلْـيُـصْـلِـحَـنَّـهُ وَلاَ يُـحَـاشِـي — مَـا شَـاءَ مِـن مَـتْـنٍ وَمِـنْ حَـوَاشِ
لِأَنَّـهُ أَشَـدُّ جَـهْـلاً وَخَـطَـرْ — مِمَّا عَلَى الْخَاطِرِ مِن شُغْلِ خَطَرْ

وسوف أتعرض لهذا النظم بشيء من التفصيل في مناسبة أخرى بحول الله.

❋ ❋ ❋

٢٣ ـ محمد النابغة بن الشيخ محمد التندغي ت١٣٨٤هـ

له تفسير للبسملة والفاتحة[١].

❋ ❋ ❋

٢٤ ـ عبدالقادر (فارى) بن عبدالله بن محمد بن محمد سالم المجلسي ت١٣٨٦هـ

له تعليق على الربع الأول من القرآن وهو تلخيص من الريان[٢].

❋ ❋ ❋

---

(١) تطور منهج التفسير في موريتانيا ص٤٢.
(٢) المصدر السابق ص٤٣.

٢٥ ـ أحمد بن أحمذي الحسني ت١٣٨٧هـ

هو العلامة أحمد الشيخ محمد بن أحمذي الحسني، يرجع نسبه إلى بني حسن القبيلة المشهورة بالعلماء والشعراء، وهم الذين يقول شاعرهم:

إِنَّـا بَنِـي حَـسَـنٍ دَلَّـتْ فَـصَـاحَـتُـنَـا ... أَنَّـا إِلَـى الْـعَـرَبِ الْـعَـرْبَـاءِ نَـنْـتَـسِـبُ
إِن لَّـمْ تَـقُـمْ بَـيِّـنَـاتٌ أَنَّـنَـا عَـرَبٌ ... فَـفِـي الـلِّـسَـانِ بَـيَـانٌ أَنَّـنَـا عَـرَبُ

ولد الشيخ أحمد في منطقة (لعقل) التابعة لمقاطعة أبي تلميت حالياً سنة ١٢٩٢هـ، ونشأ في أحضان أسرته المشهورة بالعلم والفضل (أهل أحمذي)، وهو أخ لتسعة رجال نالوا حظاً وافراً من العلم، وفي هذا الجو العلمي والمحيط المحضري، الذي تجاوبت فيه أصوات القارئين، ومذاكرة الدارسين، وابتهالات المتهجدين، نشأ هذا العلم ليترعرع ويتربى نموذجاً للطالب المجد، والعالم الورع الزاهد، كما هو معروف عنه.

• شيوخه:

تلقى أحمد تعليم القرآن على أسرة أهل الذاكر، التي اشتهرت بتدريس القرآن في تلك المنطقة، وبعد أن أجاد حفظ القرآن رجع إلى والده، فأمره أن يبدأ تعلم النحو، والصرف فأتقن ألفية ابن مالك، ولامية الأفعال لابن مالك، ثم بدأ يكتب الفقه، وهكذا تجول بين كبريات المحاضر، حتى حصل معارف جمة، شملت كل العلوم القرآنية والفقهية واللغوية.

فمن ضمن المشايخ البارزين الذين أخذ عنهم:

* الحسن بن ابياه الذي درس عليه علم الفرائض.

* الحسن بن فتى، فقد أخذ عنه كثيراً من العلوم، وكانت منازلهم قريبة من منازل أهل أحمذي، ومع ذلك يمكث الشيخ أحمد سنتين لم يزر خلالها أهله رغبة في العلم ومبالغة في الاجتهاد في تحصيله.

وقد درس اللغة على الأمين بن الحارث، في فترة وصفها بأنها من أحلك الفترات وأصعبها، فكان الطلاب يتغذون على لحاء الأشجار[١].

* ومن المدارس الكبيرة العظيمة التي درس فيها أحمد مدرسة أهل أحمدُ فال التندغيين، ثم بعد هذه المراحل شد الرحال إلى محضرة يحظيه بن عبدالودود الجكني ت١٣٥٨هـ، وحرر بها بعض العلوم التي درسها من قبل، وأخذ عن شيوخ آخرين منهم:

* الشيخ أحمد بن محمد سالم المجلسي.
* المختار بن ألما.
* الراجل بن داداه الأبييري.
* حبيب الله بن الأمين الشقروي.
* محمد بن محنض بابه.

وهكذا نرى صاحبنا قد تجول بين كبريات المحاضر الشنقيطية، حتى تخصص في كل العلوم كما قدمنا، لكنه مهتماً أكثر بالقرآن وخاصة جانب التفسير منه، وقد كانت له لقاءات مع أهل العلم والصلاح في زمنه، فمن ذلك لقاؤه بالشيخ أبي مدين بن سليمان الديماني ت١٣٦٣هـ، وهو أديب مشهور من أدباء شنقيط، يحكى أنه زاره يريد التحكيم في مشاعرة جرت بينه وبين امحمد بن أحمد يوره ت١٣٤٠هـ، فما كان من الشيخ أحمد بن أحمذي إلا أن وعظه موعظة بليغة وهي قوله:

تُبْ إِلَى اللهِ قَبْلَ بَغْتِ الـمَمَاتِ ... لاَ يَغُرُّنَكَ مَا تَرىٰ مِنْ حَيَاةِ

فتأثر الشيخ أبو مدين بن سليمان، وأقلع عن تلك المغالبات والمسابقات الشعرية التي لا تخلو من مخالفة للشرع وشغل الوقت فيما لا ينبغي.

---

(١) طلاب المحاظر كانت لهم معاناة في طلب العلم لا يعرفها حق المعرفة إلا من شاهدها.

كما التقى بالعلامة باب بن الشيخ سيدي الأبييري ت١٣٤٢هـ وقد كان باب ينطق بالضاد قريبة من الظاء، فرأى أحمد أن ذلك تكلف، لم يؤمر به، وخاطبه بهذه الأبيات:

أَيَا فَرْداً حَوَيْتَ مِنَ الْمَعَالِي مَفَاخِرَ لَيْسَ يَحْوِيهِنَّ جَمْعُ
إِذَا الضَّادُ الْعَوِيصَةُ كُلَّ عَنْهَا سِوىٰ مَن نُطْقُهُمْ بِالضَّادِ طَبْعُ
فَمَا هَذَا الْعِلاَجُ وَنَحْنُ عُجْمٌ خِطَابُ الشَّرْعِ بِالإِمْكَانِ فَرْعُ[1]

ولم يرد العلامة باب على هذا الشعر، لا لأنه عدم الجواب، ولكنه فضل عدم كثرة الجدل في الموضوع، ولباب شِعرٌ يأخذ فيه على الناس عدم نطقهم بالضاد العربية كما يراها:

الضَّادُ حَرْفٌ عَسِيرٌ يُشْبِهُ الظَّاءَ لاَ الدَّالَ يُشْبِهُ فِي نُطْقٍ وَلاَ الظَّاءَ
لَحْنٌ فَشَا مُنْذُ أَزْمَانٍ قَدِ اتَّبَعَتْ أَبْنَاؤُهُ فِيهِ أَجْدَاداً وَآبَاءَ

... الخ.

وقد تخرج على يده خلق كثير، نذكر منهم بعضاً على سبيل التمثيل منهم: الإمام الأكبر بداه بن البصيري مفتي الجمهورية الإسلامية الموريتانية وعالمها وخطيبها الرسمي.

- الحسن بن الشيخ أحمد بن الحسن الحسني.
- موسى بن حرمة.
- محمد محمود بن الحسن بن الفضيل.
- إسحاق بن امياه.
- محمد بن أحمد خليفة.
- محمد الأمين بن الصديق وغيرهم كثير...

(١) قد تكلمت عن مسألة الضاد والخلاف فيها بين علماء شنقيط ومستند كل فريق بعض الأشعار التي قيلت في ذلك في دراستي على المقبول النافع على الدرر اللوامع ص١٠٣ من المقدمة (مرقونة).

● تآليفه:

للشيخ تآليف ذكرها ابن حامدن، وغيره منها:

* مذيبة القلوب البديعة الأسلوب.
* الموعظة النافعة والنصيحة الناجحة.
* شرح جيمية العجاج.
* صحح شواهد الطبري جميعاً وخرجها في حواشيه.
* طرة على ألفية العراقي في السيرة.
* وله حاشية على شرح عبدالله العتيق لمثلث ابن مالك.
* وله شرح على طائية المنتحل الهذلي[1].

● موقفه من التصوف:

لقد كان أحمد بن أحمذي ـ كما سبق وأن ذكرنا ـ أحد العلماء العاملين، وكان محط رحال الطالبين والمستفيدين، ومما طرح عليه وسئل عنه موقفه من التصوف فأجاب:

إن لطريقة التصوف عشرة أصول:

١ ـ ترك التسويف والملل، فإنها آفة العمل.

٢ ـ استدامة المراقبة، فإنها كفيلة بحسن العاقبة.

٣ ـ ترك الفضول على كل حال، مما يزيدك جمعاً على ذي الجلال.

٤ ـ ترك الخلطة والاجتماع، بمن ليس في خلطته انتفاع.

٥ ـ أن لا تعمل عملاً، حتى تجري فيه النية لتعلم أمر رشدك وغيه.

---

(١) أحمد بن اباه ص٤٥.

٦ ـ خلاف النفس في كل هوى تدعو إليه، واتهامها في كل حال تدعي أنها عليه.

٧ ـ ترك حديث النفس، وكل ما يؤدي إليه من النكس.

٨ ـ الدعاء واللجأ إلى الله في كل حال، وأحرى ما تعذر عليك والشكر على ما حصل من الخير لك.

٩ ـ أن لا تستعجل الفتح وتمل من التسيار، فإنك متعرض لنفحات الأنوار، وإلقاء الأسرار، من الملك الجبار.

١٠ ـ كثرة الذكر بحضور وإخلاص، وليكن ذلك بالقلب فإنه أدعى للخلاص، وشرط ذلك كله المحافظة على آداب الشريعة ظاهراً وباطناً، وأن لا تكون بقلبك مع غير الله ساكناً.

وهكذا فإن الشيخ أحمد كان حريصاً على السنة أولاً وقبل كل شيء، ثم هو يضع خطة شاملة يراها كفيلة بتربية النفس وحملها على السير على الصراط المستقيم، وكان لا يشترط للتربية، ما اشترطه الكثيرون من صحبة شيخ عارف بخبايا النفوس، متضلع من المعارف الشرعية، ألف العمل وبلغ فيه مبلغاً بعيداً، وهو الذي عناه عبدالواحد بن عاشر في منظومته:

يَصْحَبُ شَيْخاً عَارِفَ الْمَسَالِكِ ... يَقِيهِ فِي طَرِيقِهِ الْمَهَالِكِ

بل يرى أن التفقه في الدين على أسس صحيحة مع ملازمة الأذكار والمراقبة، هي أساس التصوف وتقدم قوله:

وَشَيْخُكَ الَّذْ[1] فِيهِ لاَ تَرْتَابُ ... حَدِيثُ خَيْرِ الْخَلْقِ وَالْكِتَابُ

ولكنه ليس ضد المشائخ بشكل عام، بل له صحبة ومحبة كبيرة ببعضهم، ويدل على هذا القطعةُ الشعرية التي مدح بها الشيخ أحمد بمب وهي:

---

(١) الَّذْ بالسكون لغة في الذي.

لَئِنْ كَانَ قَصْدُ النَّاسِ قَطعَ الْمَفَاوِزِ إِلَىٰ الشَّيْخِ يَوْماً لابْتِغَاءِ الجَوَائِزِ
فَقَصْدِي وَحَسْبِي أن أَفُوزَ بِنَظْرَةٍ إلى وَجْهِ مَرْضِيٍّ لَدَى[1] الله فَائِزِ؟!
أَنَالُ بِهَا الرِّضْوَانَ وَالأَمْنَ وَالْمُنىٰ بِلاَ حَاجِزٍ دُونَ الأَمَانِي حَاجِزِ
فَذَلِكَ أَجْدىٰ مِن نَسِيئَةِ عَاجِلٍ وَمِنْ عَاجِلٍ دُونَ النَّسِيئَةِ نَاجِزِ

ويروي أن الشيخ أحمد بمب معجب بالشيخ أحمد حتى قال عنه: «إنه صحابي أخره الله وأن الدنيا قد ضنت بمثله، في زمانه»، وعلى أية حال، فقد اشتهر الشيخ أحمد بنزعته الإصلاحية الواضحة التي تعتمد على أسس قوية متينة من العلم الراسخ، والعقل الراجح، لهذا كانت حركته معتدلة، لا إفراط ولا تفريط، بل كان يتحرك على أساس أوامر الشرع، وكان محارباً للبدع، بجميع أشكالها، ويرى أن صلاح المسلمين مربوط بتمسكهم بالسنن وتحفظهم من البدع.

وكان سلفي المعتقد بشكل واضح، ويرى أن الاعتدال هو الطريق الذي يضمن السلامة في كل شيء وحتى في العقيدة، ومن أنظامه التي تبرز فيها سلفيته الخالصة قوله:

أَشْهَدُ أَنَّ وَجْهَهُ تَعَالَى لَمْ يَكُ كَالْوُجُوهِ لاَ وَلاَلاَ
وَهٰكَذَا الْيَدُ وَهٰكَذَا الْقَدَمْ فَكُلُّ ذَا إِيمَانُنَا بِهِ انْحَتَمْ
وَالضِّدُّ زَيْغٌ مُنكِرٌ مُعَطِّلُ مُشَبِّهٌ مُكَيِّفٌ مُضَلِّلُ

فهو بين طريقته في الإيمان بالصفات وإثباتها، كما أثبتها الله تعالى بنص كتابه، وفي الوقت نفسه يحذر من التشبيه، فكما أن المشبه زائغ وهالك، فكذلك المعطل نعوذ بالله من الانحراف والميل عن الصراط المستقيم الذي يؤدي بصاحبه إلى السقوط في الجحيم.

ويقول في التفكر في مخلوقات الله تعالى[2]:

---

(١) لا يخفى ما في هذا البيت فالحكم على نسخه بأنه مرضي عند الله يحتاج إلى نص شرعي يثبت بذلك.

(٢) أحمد بن أباه ص٥٥.

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي تَفَرَّدَا بِالْحُكْمِ لَمْ يُشْرِكْ فِي حُكْمِ أَحَدَا
أَبْدَىٰ عَجِيبَ صُنْعِهِ فَدَلاَّ عَجِيبُ صُنْعِهِ عَلَيْهِ جَلاَّ
وَحَيَّرَ الأَفْكَارَ فَالأَفْكَارُ حَيْرَىٰ وَلاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ
ثُمَّ صَلاَتُهُ عَلَى مَنْ زَهَدَا فِي الْعَرَضِ الْفَانِي إِمَامُ الزُّهَدَا
أَسْنَىٰ وَسَائِلِ الإلهِ أَقْرَبُ جَمِيعِ مَا بِهِ الْوَرَىٰ تَقَرَّبُوا
هٰذَا وَإِنِي رَابَنِي أَمْرٌ عَجِيبْ فَقُلْتُ إِذ عجبي من ذاك الْمُرِيبْ

إلى آخر تأملاته.

● موقفه من الاستعمار:

كان الشيخ أحمد بن أحمذي من جملة العلماء المبغضين للاستعمار، المحاربين له، ولكن ليس له من السلاح إلا السلاح الثقافي، وبما أن المستعمر يسيطر على البلاد سيطرة كاملة، فإن مقاطعته ثقافياً هي أهم وسائل المقاومة الممكنة، فبعد ما اتضح له ولأخيه الشيخ محمد عبدالله بن أحمذي أن البون شاسع بين قوة المسلمين وقوة الفرنسيين، كان يرى مقاطعة مدارس النصارى، والعمل على إفشال كل مخططاتهم الإفسادية، ولما فتحت مدرسة فرنسية في حي الحسنيين بذلوا جهوداً مضنية في إغلاقها، ولما نجحوا في ذلك أنشد الشيخ أحمد قوله:

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا نَفَّسَهْ مِنَ الْكُرُوبِ وَسُقُوطِ الْمَدْرَسَهْ
مَدْرَسَةِ الرُّومِ عَنْ أَبْنَاءِ الْحَسَنْ وَقَدْ يَرَاهَا غَيْرُهُمْ أَمْراً حَسَنْ
وَهُمْ يَرَوْنَهَا بِعَيْنِ الأَرْمَدِ لَيْسَ بِهَا هَادٍ وَلاَ مِن مُهْتَدِ

وتوفي العلامة أحمد بن أحمذي عن عمر يبلغ ٩٤ سنة، وفي تحديد ذلك يقول سيد محمد بن أمين على طريقة الرمز بالحروف وهي طريقة كان الأقدمون يستعملونها فقال:

وَعُمْرُهُ (دِمَنُ) عِلْمٍ وَوَرَعْ وَالزُّهْدِ وَالْخَيْرِ وَفِي الْكُلِّ بَرَعْ

فقد رمز بالدال والميم والنون لعدد سنوات عمره وهي ٩٤ سنة وقد خلف لنا ثروة علمية نادرة وأعمالاً جليلة تستحق التنويه والتقدير.

وقد رثاه الشعراء بأشعار جميلة تتسم بصدق العاطفة وكمال المحبة للمرثي ونقتصر على قطعة من قصيدة أخيه محمد محمود التي يقول في مطلعها:

تَوَقَّعْ فِي حَيَاتِكَ مَا تُلاَقِي ... إِذَا الرَّاقِي انْثَنَىٰ وَدَنَتْ حِلاَقِي[1]

حتى يقول:

وإن الْمُحَدَّثَاتِ وَقَدْ تَولى ... لِقَائِمَةٌ عَلَىٰ قَدَمٍ وَسَاقِ
وَيَعْرِفُ التَّهَجُّدَ حِينَ يُزْرِي ... غُرُوباً مِن مَآق غَيْرِ رَاقِ
وَصَوْمٌ بَعْدَ صَوْمٍ، بَعْدَ صَوْمٍ ... إلى أن تَبْلُغَ الرُّوحُ التَّرَاقِي

أما تفسيره المنظوم مراقي الأواه، الذي يقول في نهايته:

سَمَّيْتُهُ مَرَاقِيَ الأَوَّاهِ ... إِلَىٰ تَدَبُّرِ كِتَابِ اللَّهِ

فهو منظومة جميلة، تبلغ حوالي ٩٠٠٠ بيت من الرجز بذل فيها الشيخ جهداً كبيراً، وقد حقق الجزء الأول من هذا الكتاب زميلنا الأستاذ أحمد بن اباه وحصل به على دبلوم الدراسات العليا من جامعة محمد الخامس بالرباط ١٤٢٠هـ[2] وسوف نحاول المرور سريعاً على منهجيته وبعض أعماله في هذا النظم يقول عنه الأستاذ أحمد بن اباه في دراسته التي أعدها عن الجزء الأول منه أنه انتقى أبيات معينة، ومفردات خاصة، تستجيب لرؤيته هو، وموقفه وذوقه، فتراه مثلاً في سورة البقرة يشرح كلمات سهلة نسبياً كالإنذار، وإقامة الصلاة يقول:

---

(١) حلاقي: الموت.

(٢) وتوجد نسخ كثيرة من هذا المخطوط في المكتبة الوطنية والمكتبات الخصوصية.

الإنـذَارُ الإِعْـلاَمُ مَـعَ الـتَّـخْـوِيـفِ وَلَيْسَ يَخْتَشِي سِوَى الْحَنِيفِ
وَالـسُّـرُّ فِـي إِنْـذَارِ ذي الإِصْـرَارِ إِقَـامَـةُ الـحُـجَّـةِ بِـالإِنْـذَارِ
وَلـيَـعُـمَّ وَإِثَـابَـةٌ نَـعَـمْ فِعْلُ الإِلٰهِ لَيْسَ يَخْلُو مِن حِكَمْ

أما إقامة الصلاة، فيفسرها بقوله:

إِقَـامَـةُ الـصَّـلاَةِ أَنْ تُـتِـمَّـا أَرْكَـانَـهَـا مَـعَ الـخُـشُـوعِ ثَـمَّـا
فِـي حُـسْـنِ إِقْـبَـالٍ وَفِـي تَـمَـامِ تِـلاَوَةٍ لِأَفْـصَـحِ الـكَـلاَمِ
قَـد حَـدَّهَـا قِـدْماً بِـهٰـذَا الـحَـدِّ «كُـنَـيْـفُ عِـلْـم»[1] ابْـنُ أُمِّ عَـبْـدِ
لاَ صُـورَةٌ تُـوجَـدُ لاَ مَـعْـنَـىٰ لَـهَـا بَـدَنُـهَـا اضْـطَـرَب وَالْـقَـلْـبُ لَـهَـا

في الوقت الذي يترك كلمات قد تبدو صعبة مثل (ادّارأتم، قثائها، وفومها) (فارض، عوان).

فمنهاج الرجل في التفسير ذوقي تأثري، لا يستجيب لمستوى القارىء ولا لمعرفته، إنما تصدر عن هموم المؤلف وميوله.

وكان الناظم لتبحره في اللغة، يغوص في المعاني، ولا يتحفظ من تضمين أبيات الشعر الجاهلي وغيره في أبياته، فمن ذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ نجده يضمن بيتاً لامرىء القيس يقول:

لاَ يَـسْـأَلُـونَ الـنَّـاسَ إِلْـحَـافـاً بَـدا عَـلَـى طَـرِيـقِ (لاَحِـبِ لاَ يُـهْـتَـدَىٰ)

فإلحافاً في سورة البقرة، الآية ٢٧٣ مصدر في موضع الحال أي ملحفين يقال ألحف وأحفى وألحّ في المسألة سواء.

---

(١) الكنف بالكسرة وعاء تكون فيه أداة الراعي وبتصغيره جاء الحديث. «كنيف مليء علماً» مختار الصحاح مادة كنف وابن أم عبد هو عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ كما هو معروف.

وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن المعنى هنا أنهم لا يسألون إطلاقاً وبهذا قال الطبري وجمهور المفسرين[١].

ويكون التعفف صفة ثابتة لهم أي لا يسألون الناس إلحاحاً ولا غير إلحاح: وقال قوم أن المراد نفي الإلحاح أي أنهم يسألون غير إلحاف وهذا هو السابق للفهم أي يسألون غير ملحفين - والشيخ هنا يميل إلى الرأي الأول كما هو واضح وهو يقصد بقوله «على طريق (لاحب لا يهتدى) قول امرىء القيس:

عَلَى لاَحِبٍ لاَ يُهْتَدىٰ بِمَنَارِهِ ‏ ‏ ‏ ‏ إذا سَافَه العَوْدُ النَّبَاطِيُّ جَرْجَرَا[٢]

فالمقصود عنده أن هذا «اللاحب» أي الطريق لا منار له أصلاً وقوله سافه اشتمه والعود البعير المسن والنباطي نسبة إلى النبط وهو بياض تحت إبط الدابة وجرجر الفحل ردد صوته في حنجرته أما مراجعه، فقد قال في شأنها:

فَقُلْتُ بِاسْمِ رَبِّيَ المُعِينِ ‏ ‏ ‏ ‏ مُعْتَمِداً عَلَىٰ نِظَامِ الدِّينِ
وابْنِ جرير الطَّبَرِي وَهْوَ أَجَلْ ‏ ‏ ‏ ‏ مُفَسِّرٍ وَالنَّسَفِيِّ والجَمَلْ
والذَّهَبِ الإبْرِيزِ وَاللُّبَابِ ‏ ‏ ‏ ‏ مَخَافَةَ الزَّيْغِ عَنِ الصَّوَابِ
وَكُلُّ مَا لَمْ أَعْزُهُ حِينَئِذِ ‏ ‏ ‏ ‏ لِأَحَدٍ فَهْوَ فِي أَحَدٍ ذِي
وَقَلَّ أَنْ يَخْرُجَ عَنْهَا شَيُّ ‏ ‏ ‏ ‏ وَالْمُسْتَعَانُ اللَّهُ وَالْوَلِيُّ

فقد بين هنا بعض مصادره، التي اعتمد عليها في هذا النظم، ولكنه لم يذكرها جميعاً إنما بين بعضها والبعض الآخر يذكره في مناسبة العزو إليه، كما كان ابن أحمذي يشير إلى بعض اختلاف روايات القراء ويوجهها كما في تفسير قول الله تعالى التي ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾ وغيرها.

---

(١) القرطبي ج٣هـ ٣٤٣ دار إحياء التراث العربي وفتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير ص٢٥٠ ط ابن حزم.

(٢) ديوان امرىء القيس ص١٧٢ القصيدة الرابعة البيت ٣٧ اختيارات الأعلم تحقيق ابن أبي شنب الجزائر الشركة الوطنية للنشر ١٣٩٤هـ.

وكثيراً ما يتعرض للإعراب والتصاريف والأحكام، فمن تعرضه للإعراب قوله:

وَإِنْ تَبرُّوا قَدْ يُقَالُ فِيهِ ... عَطْفُ بَيَانٍ لِلَّذي يَلِيهِ
أَوْ مُبْتَداً خَبَرُه قَدْ حُذِفَا ... قَدَّرَهُ خَيْرٌ لَكُمْ مَن سَلَفَا
أَوْ عِلَّة وَأَوْجُهُ الإِعْرَابِ ... مَذْكُورَةٌ فِي دُمْيَةِ الْمِحْرَابِ

وقد يغوص في المعاني، ويتفنن في الأقوال، ويسترسل في ذلك حسب ما يسمح به المقام، فمن ذلك تفسيره للحكمة مبيناً دلالاتها المختلفة ومواضيعها في الذكر الحكيم يقول:

تَجِيءُ لِلْحِكْمَةِ فِي الْقُرْآنِ ... مَعَانٍ احْتَاجَتْ إِلَىٰ بَيَانِ
فَتَارَةً تَأْتِي عَلَىٰ أَرْبَعَةِ ... فِي الذِّكْرِ أوجُهٌ بِمَعْنَى الْعِظَةِ
كَمِثْلِ وَالحِكْمَةِ فِي الْبِكْرِ وَفِي ... يَعِظُكُمْ بِهِ بَيَانُ مَا خَفِي
وَالْعِلْم وَالْفَهْم وَآتَيْنَاهُمْ الْـ ... كِتَابَ وَالْحُكْمَ لذَا المَعْنَىٰ شَمَلْ
فَادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِهَا ... وَلِلْكِتَابِ وَلِذَلِكَ انتَهَىٰ
دَاودَ جَالُوتَ أنيلُها إلىٰ ... وَلِلنُّبُوَّةِ وَلَمَّا قَتَلاَ
لَمْ يَجْتَمِعْ قَبْلُ فَتِلْكَ أَرْبَعة ... مَا كَانَ مِن ملك وما قد جَمَعَهْ
بِالْفَرْقِ بَيْنَ الحَقِّ وَالأَبَاطِلِ ... وَفُسِّرَتْ فِي جُمْلَةِ الأَقَاوِلِ
هِيَ الإِصَابَةُ بِقَوْلٍ وَعَمَلْ ... وَقَالَ نَجْلُ عَادِلٍ وَقَدْ عَدَلْ
سَأَلَ عَنْهَا مَالِكاً فَقَالَ لَهْ ... وَحَدَّثَ ابْنُ وَهْبٍ أَنَّ الْمَسْأَلَهْ
والاتِّبَاعُ هٰكَذَا يَرْوِيهِ ... مَعْرِفَةُ الدِّينِ وَفِقْهُ فِيهِ
وَاحْتَجَّ بِالْعَطْفِ عَلَى الْكِتَابِ ... وَالشَّافِعِي سُنَّةُ الأَوَاب

❋ ❋ ❋

٢٦ ـ المختار بن المحبوبي ت١٣٩١هـ

هو الفقيه اللغوي القارىء، والمؤرخ، الأديب، النحوي: المختار بن المحبوبي، بن المختار ابن محمذن بن محمد الأمين ابن الفغ المختار

باب بن محمد الأمين بن المختار بن عمر بن علي بن يحيى بن يداج، أحد الرجال المكونين لمجموعة (تشمشه).

ولد رحمه الله حوالى ١٣٠٩هـ ونشأ في بيت علم ودين، فكان أهله قبلة لطلبة العلم في ذلك الوقت الذي شهد نهضة علمية كبيرة في منطقة (إقيدي) عموماً وفي قبيلة الناظم خصوصاً، توفي والد المختار عنه وهو صغير فاحتضنه أخوه العلامة محمذن بن المحبوبي.

وقد ساهم الوسط العلمي الذي نشأ فيه في بلورة معالم شخصيته الفذة، فالبيئة لها دور أساسي في تكوين الشخصية، كما أنه يحظى بمواهب نادرة من الذكاء والفهم، وله رغبة أكيدة في العلم، يقول الأستاذ الراجل بن أحمد سالم، ومن العوامل التي ساعدت على تكوين شخصية شيخنا رحمه الله (يقصد المختار بن المحبوبي) نبوغه الفائق، والمواهب الفطرية التي خصه الله بها، فقد كان آية في الذكاء، والحفظ، والضبط، وجودة القريحة، وصدق الفهم، وعلو الهمة، وقوة العزيمة، ورفعة النفس، والطموح إلى المثالية، لا تقنع نفسه إلا بالمقامات العليا يبذل كل ما في وسعه، من طاقة مادية ومعنوية، للحصول على بغيته العالية، والشريفة الهدف، قوي الإرادة، قوي الشخصية، لا يعرف الملل، ولا الفتور، قبل الظفر بالمطلوب[1].

● **طلبه للعلم:**

لم يكتف الشيخ المختار رحمه الله بما أخذ من معارف من محيطه، ولم يقنع بالعلوم التي حصل عليها من أخيه الأكبر الشيخ محمدن أو من علماء قبيلته الآخرين الذين اشتهروا في تلك الفترة بالتبحر في العلوم اللغوية والشرعية، مثل العلامة المختار بن «ألما» والعلامة زين بن اجمد، والمختار بن جنك، وقد أخذ عن هؤلاء جميعاً، بل تاقت نفسه إلى الرحلة في طلب العلم، كما هي عادة أصحاب الهمم العالية، في جميع الأعصار،

(١) تحقيق الجزء الأول من نظم نزهة القلوب ص٨.

والأمكنة، فتنقل بين عدة محاظر يتصيد العلوم النافعة، ويقتطف من كل ثمرة ما طاب له منها، وسعياً وراء هذا الهدف جلس سنة ونصفاً في محظرة أهل الغوث من قبيلة تاقنيت، أتقن فيها القرآن الكريم حفظاً وتجويداً ورسماً وضبطاً، ونال منها الإجازة في قراءة الإمام نافع من روايتي قالون وورش، وقد انتقل أيضاً إلى محظرة البراء بن بك الديماني، وإلى محظرة الشيخ محمد حامد بن «آلا» الحسني، ومن المحاظر الجامعة التي زارها محظرة العلامة يحظيه بن عبدالودود الجكني والتي هي من أشهر المحاظر في ولاية اترارزة وأكثرها خريجين، وفي هذه المحظرة المتميزة درس النحو، والفقه، وعلوماً أخرى، فكان ضمن الجيل الثاني من خريجيها.

وقد أسس الناظم رحمه الله تعالى محظرة قوية البنيان، متشعبة العلوم بعد هذه الرحلات العلمية، والجهود التي بذل من أجل أن يصل إلى مستوى الإتقان، وجمع مكتبة ضخمة زاخرة بالمراجع العلمية المتنوعة من مطبوعات ومخطوطات، وتعتبر مكتبته من أغنى المكتبات المحضرية.

وأخذ الطريقة الشاذلية على ابن عمه وأستاذه محمد سالم بن «ألما» المتوفى سنة ١٣٨٣هـ.

ـ وقد اشتهر العلامة المختار ابن المحبوبي بحسن الخط، فكان خطه متميزاً مما جعل المترجمين له ينوهون بهذه الخاصية، يقول عنه المؤرخ المختار ابن حامدن: «هو العالم الورع، القارىء بالسبع، الخطاط، والمؤلف».

● أشهر تلاميذه الذين تخرجوا عليه:

لقد تخرج من محظرة الشيخ المختار علماء وفقهاء كثيرون من بينهم:

١ ـ العلامة محمد سالم ابن المحبوبي: وهو نادرة زمانه في الحفظ والعلم والفهم وحسن الخلق وكرم الشمائل، وله مؤلفات كثيرة ومناقب حسنة سارت بها الركبان ت١٤١٣هـ.

٢ ـ محمد عبدالله ولد البشير.

٣ ـ أحمد باب بن البناني.

٤ ـ أحمد ابن التاه.

٥ ـ الحسن ابن السيد.

٦ ـ البشير ابن المختار ابن جنك.

٧ ـ أحمد ابن مينوك.

٨ ـ عبدالله بن عبدالفتاح.

٩ ـ محمد سالم بن السعد.

١٠ ـ عبدالحي ولد التاب.

١١ ـ محمد بن الشام.

١٢ ـ التيجاني سي من السينغال.

١٣ ـ الحسن بن ابياه.

١٤ ـ محمد يحظيه ابن الشيخ بدي.

● **آثاره:**

كان التأليف أقل اهتمامات مشائخ المحاظر لكثرة ازدحام الطلاب عليهم، فكانوا يقدمون تدريس العلم على التأليف فيه لعموم الحاجة إلى التدريس، بل إن منهم من روي عنه أنه لكثرة طلابه، وعمارة أوقاته بالتدريس، كان لا يجد وقتاً لصلاة النافلة.

وقد اعتذر الشيخ: مَمُّ ابْنُ عَبْدالحميد الجكني عن شيخه يحظيه ابن عبدالودود الذي لم يؤلف مع سَعَةِ علمه، واشْتِغَاله بنشر المعارف على تنوعها فقال:

وَلَمْ يُصَنِّفْ لازْدِحَامِ الْمَدْرَسَةْ عَلَيْهِ كُلُّ نَفْسٍ تَنَفَّسَهْ

كما تقدم ذلك من قَبلُ.

لهذا لم تكن التآليف معياراً كافياً في تقويم مستوى مشائخ المحاظر، لأن منهم من لم يؤلف أصلاً مع تقدمه وإتقانه.

ومع هذا فالشيخ قد وضع تآليف منها:

* شرح وسيلة السعادة في العقيدة للعلامة المختار ابن بون الجكني.

* تعليق وتوشيح على نظم الجواهري في المنطق لابن الطيب.

* شرح النصف الأخير من عمود النسب لأحمد البدوي.

* تعليق على المحتوى الجامع للطالب عبدالله بن الشيخ محمد الأمين الجكني.

* نظم غريب القرآن للسجستاني.

* نظم المحمول من القرآن الكريم.

* نظم في المنطق وعلم الكلام.

* نظم في وفيات الأعيان، وقد أتينا بنماذج منه خلال ترجمتنا لبعض الأعيان، وله أنظام وفتاوى كثيرة جداً.

• مكانته السياسية:

لقد كان المؤلف رحمه الله مشهوراً بالزهد بعيداً عن الجدال والمناورة، لا يحب الظهور ولا يسعى إليه، فقد رام منه أهل الحل والعقد من قبيلته أن يتولى رئاسة القبيلة، فرفض وأصر على ذلك الرفض بالرغم من محاولاتهم المتكررة.

ومع هذا فالشيخ كان يتبوأ مكانة خاصة في الأوساط السياسية، ويحظى باحترام الجميع، وحتى النصارى كانوا يقدمون له الهدايا ويلقبونه بقاضي (إداوداي) لكنه كان يأنف من قبول هداياهم فيتركها لهم، وكان القضاة الرسميون يوجهون إليه الأسئلة، فيكتب لهم جوابها، وقد عثر على مراسلات كثيرة بينه وبين محمذن فال (مي) قاضي المذرذرة.

● **وفاته:**

وبعد عمر حافل بالجد والاجتهاد، والأخذ والعطاء، توفي العلامة المختار ابن المحبوبي سنة ١٣٩١هـ ودفن في مقبرة قريبة من المذرذرة.

وبموت هذا العالم الجليل انطفأ سراج علم وأخلاق طالما بددت إشعاعاته دياجير ظلمات الجهل في تلك المناطق[١].

نرجو الله أن يتقبل أعماله ويلحقنا وإياه ووالدينا بالذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً بمنه وكرمه.

وهذا نموذج من نظمه لنزهة القلوب، للسجستاني، وهو نظم يبلغ (١٦٤١ بيتاً) مُرَتباً على حروف المعجم مستوعباً لها، بادئاً بالهمزة منتهياً بالياء، ومادة الكتاب مأخوذة من غريب القرآن للسجستاني ت٣٣٠هـ لكنه زاد عليه أشياء كثيرة.

● **المقدمة:**

قَالَ الفَقِيرُ الْمُرْتَجِي الْمَحْبُوبِي ... مِنَ العَلِي وَلَدُ المَحْبُوبِي

حَمْداً لِوَاهِبِ الألاَ مَوْلاَنَا ... عَلَى الَّذِي مِن نِعَمٍ أَوْلاَنَا

ثُمَّ صَلاَةُ رَبِّنَا العَلِيمِ ... مَقْرُونَةً بِأَفْضَلِ التَّسْلِيمِ

عَلَىٰ نَبِيِّ اللَّهِ مُصْطَفَاهُ ... وَالآلِ وَالصَّحْبِ وَمَنْ قَفَاهُ

قُدْوَتِنَا المُعْطِي شِفَاءَ الأَلَمِ ... المُعْجِزِ البَاقِي سَجِيسَ الأَزْلَمِ[٢]

فُرْقَانُهُ المُبِينُ لِلْعِبَادِ ... نَهْجَ سَدَادٍ وَرَشَادٍ بَادِ

فِيهِ غَرِيبَاتٌ تَكِلُّ الأَلْسُنُ ... عَنْ حَصْرِهَا وَنكتَاتٌ تَحْسُنُ

وَمُبْهَمَاتٌ وَمُخَبَّئَاتُ ... تَحَارُ فِي مَحَارِهَا[٣] الهُدَاةُ

وَبَحْرُ وَعْظِهِ وَمَقْصُوصَاتُهُ ... وَظَاهِرَاتُهُ وَمَنْصُوصَاتُهُ

---

(١) تحقيق نظم نزهة القلوب ص١٠.

(٢) الباقي أبد الدهر.

(٣) محارها مصدر ميمي من حار.

وَرَادِعَاتُهُ وَزَاجِرَاتُهُ — وَنَادِبَاتُهُ وَآمِرَاتُهُ
وَمُومِئَاتُهُ وَتَصْرِيحَاتُهُ — وَغَامِضَاتُهُ وَوَاضِحَاتُهُ
وَمُعْجِزَاتُهُ وَمُشْكِلاَتُهُ — وَبَيِّنَاتُهُ وَمُجْمَلاَتُهُ
وَمُحْكَمَاتُهُ وَمُطْلَقَاتُهُ — وَضِدُّ هَاتَيْنِ وَتَدْقِيقَاتُهُ
وَحِيلَةُ الْبَادِي وَأُسْلُوبَاتُهُ — وَنَمَطَاتُهُ وَأُعْجُوبَاتُهُ
بِهِ الْهُدَاةُ الرَّاسِخُونَ سَبَّحُوا — وَرَكِبُوا الْفُلْكَ بِهِ لِيَرْبَحُوا
فَرَبِحُوا وَاسْتَخْرَجُوا جَوَاهِرَا — زَوَاهِراً مِنْهُ وَدُرًّا بَاهِرَا
وَرُبَّمَا أَخَذَ مِن مَّعَانِي — غَرِيبِهِ بَعْضٌ مِنَ الْفُرْسَانِ
مِثْلَ السِّجِسْتَانِي مُحَمَّدُ أَبِي — بَكْرِ الْخِضَمّ ابْنِ عَزِيزِ الأَبِي

وهذا النظم حقق في المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية من طرف الطالبة تسلم بنت نافع سنة ١٤١٧هـ ونالت به شهادة الليسانس في العلوم الشرعية.

* * *

٢٧ ـ الشيخ محمد الأمين الشنقيطي الجكني ١٣٩٣هـ

مؤلف أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن:

هو العلامة محمد الأمين بن محمد المختار بن عبدالقادر بن محمد بن أحمد نوح بن محمد بن سيد أحمد ابن المختار من أولاد الطالب أوبك، وهذا من أولاد اكرير بن الوافي بن يعقوب، بن جاكن الأبر، جد الجكنيين المنتسبين إليه، ويرجع نسب الجكنيين إلى حمير، ولد رحمه الله حوالى ١٣٢٥هـ بالجمهورية الإسلامية الموريتانية بولاية لعصابة، حيث توجد قبيلته، ونشأ في بيت علم ودين وكرم، كما أن محيطه العام كان محيطاً طيباً، يمتاز بالتسابق إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن العادات، والاشتغال بالعلوم النافعة، فكان لهذه البيئة آثار إيجابية على تربيته الأولى، وقد توفي عنه أبوه وهو صغير، فحفظ القرآن على خاله وعمره ١٠ سنوات، ثم تعلم رسم

المصحف العثماني على ابن خاله، وقرأ عليه علم التجويد، وأتقن عنده قراءة نافع، من روايتي قالون وورش، وعمره ١٦ سنة، ثم أتقن بقية المنهج الدراسي المحظري الذي يضم إضافة إلى الرسم، والضبط، والتجويد. (المتشابه في التلاوة والعدات) ومن المشهور عندهم في هذا رجز محمد بن انبوجه التيشيتي ت١٢٧٥هـ المشهور المعروف بالبحر، تعرض فيه لكل كلمة جاءت في القرآن، مرة واحدة، أو مرتين، أو ثلاث مرات، إلى سبع وعشرين مرة، أي من الكلمات المشتبهة، وأفرد كل عدد بفصل، فمثلاً كلمة (أعينهم بالرفع جاءت ثلاث مرات قال فيها:

أَعْيُنُهُمْ بِالرَّفْعِ مِنْ غَيْرِ حُضُوزْ   مِنْ بَعْدِ كَانَتْ وَتَوَلَّوا وَتَدُورْ

قال العلامة عطية محمد سالم ـ رحمه الله ـ:

وهذه دراسة لا تكاد توجد إلا ما شاء الله، وهي من المهام العلمية لحفظها رسم القرآن من التغيير والتبديل، وهي من آثار تعهد الله بحفظ هذا القرآن، المنزل من عنده سبحانه[1].

وفي أثناء هذه القراءة درس بعض المختصرات في فقه مالك، كمنظومة الشيخ ابن عاشر، كما درس أثناءها أيضاً الأدب العربي، فأخذ منه شيئاً كثيراً من شعر الجاهليين وغيرهم.

كما أخذ في هذه الفترة مبادىء النحو، كالآجرومية، وتمرينات ودروس واسعة في أنساب العرب، وأيامهم، والسيرة النبوية، ونظم الغزوات لأحمد البدوي الشنقيطي، وهو يزيد على ٥٠٠ بيتٍ وشرحه لابن أخت المؤلف المعروف بحماد، ونظم عمود النسب للمؤلف، وهو يعد بالآلاف وشرحه لابن أخته المذكور، على خصوص العدنانيين، لأنه مات قبل شرح ما يتعلق بالقحطانين.

---

(١) أضواء البيان ج١ ص٢٣، وهذا النوع يسميه المغاربة الحطيات، وهو يقوم على إحصاء شامل لما في القرآن من حروف، أو جمل، أو كلمات متشابهة، أو مكررة.

هذه دراسة في علوم القرآن والأدب والسيرة والتاريخ كانت في بيت أخواله: على أخواله وأبناء أخواله وزوجات أخواله أي كان بيت أخواله المدرسة الأولى له أما الفقه: فقد درسه على مجموعة من علماء منطقته ومن بني عمومته منهم.

- الشيخ محمد بن صالح وهو عالم مشهور ت١٣٤٨هـ له كتب منها: أجوبة فقهية - طرد البدع - إرشاد المعرور[١].

- أحمد الأفرم بن محمد المختار الجكني له كتب منها: إزالة الطلب والعطب عن من أدى الزكاة من البسر والرطب - حرمة الشاي لعوارضه - رسالة في حكم المسترِيبة بالحمل[٢].

- الشيخ أحمد بن عمار.

- الشيخ محمد النعمه بن زيدان.

- الفقيه أحمد بن مود.

- العلامة أحمد فال بن آدُو (هدال).

- العلامة بيدر بن الإمام تقدم الكلام عنه، وغيرهم من المشايخ الجكنيين.

يقول الشيخ محمد الأمين رحمه الله وقد أخذنا عن هؤلاء المشايخ كل الفنون: النحو، والصرف، والأصول، والبلاغة، وبعض التفسير، والحديث. أما المنطق، وآداب البحث والمناظرة، فقد حصلناه بالمطالعة[٣] ويقول عن بداية رحلته العلمية:

ولما حفظت القرآن وأخذت الرسم العثماني وتفوقت فيه، على

(١) بلاد شنقيط ص٥٩٠.
(٢) بلاد شنقيط ص٥٣٩.
(٣) أضواء البيان ج١ ص٢٥.

الأقران، عنيت بي والدتي وأخوالي أشد العناية، وعزموا على توجيهي للدراسات في بقية الفنون فجهزتني والدتي بجملين، أحدهما عليه مركبي وكتبي، والآخر عليه نفقتي وزادي، وصحبني خادم، ومعه عدة بقرات، وقد هيأت لي مركباً كأحسن ما يكون من مركب، وملابس كأحسن ما تكون فرحاً بي، وترغيباً لي في طلب العلم، وهكذا سلكت سبيل الطلب والتحصيل(١).

والجدير بالذكر أن والد الشيخ ترك له ثروة من الحيوان والمال وكانت أمه ابنة عم أبيه، فتربى في بيت أخواله، كما تقدمت بعض الإشارات إلى ذلك.

وهكذا شق الشيخ طريقه إلى الجد في طلب العلم يقول:

قدمت على بعض المشايخ لأدرس عليه(٢)، ولم يكن يعرفني من قبل، فسأل عني من أكون؟ وكان في ملأ من تلامذته، فقلت مرتجلاً:

هَذا فَتًى مِن بَنِي جَاكَانَ قَدْ نَزَلاَ ... بِهِ الصِّبَا عَن لِسَانِ الْعُرْبِ قَدْ عَدَلاَ

رَمَتْ بِهِ هِمَّةٌ عَلْيَاءُ نَحْوَكُمُ ... إِذَا شَامَ بِرْقَ عُلوم نُورُه اشْتَعَلاَ

فَجَاءَ يَرْجُو رُكَاماً مِن سَحَائِبِهِ ... تَكْسُو لِسَانَ الْفَتَى أَزْهَارُهُ حُلَلاَ

إِذْ ضَاقَ ذَرْعاً بِجَهْلِ النَّحْوِ ثُم أَبَى ... أَلاَّ يُمَيِّزَ شَكْلَ الْعَيْنِ مِنْ فَعَلاَ

فَقَد أَتَى الْيَوْمَ صَبّاً مُولَعاً كَلِفاً ... بِالْحَمْدُ لِلَّهِ لاَ أَبْغِي بِهِ بَدَلاَ

يريد دراسة لامية الأفعال.

وقد مضى رحمه الله في طلب العلم قدماً، وقد ألزمه بعض مشائخه بالقران، أي يقرن بين كل فنين، حرصاً على سرعة تحصيله، وتفرساً له في

---

(١) بلغني أن هذه القصة حصلت له مع الشيخ محمد سالم بن الشيب الإدكودي الشمير ت١٩٦٨. وكان في تلك الفترة مقيماً بالرقيبة ولم يتسن للشيخ أن يأخذ عنه لأنه ارتحل إلى الحوض الشرقي واستقر به.

(٢) الأضواء ج١ ص٢٩.

القدرة على ذلك[1] فتابع درسه بهمة عالية، لا تعرف الكلل، ولا الملل، ولما انقطع للعلم وأعرض عن الدنيا، وتأخر عن الزواج مشتغلاً بالعلم، خاطبه بعض أقرانه في أمر الزواج فقال في ذلك، وفي الحث على طلب العلم:

دَعَانِي النَّاصِحُونَ إِلَى النِّكَاحِ ... غَدَاةَ تَزَوَّجَتْ بِيضُ الْمِلاَحِ
فَقَالُوا لِي تَزَوَّجْ ذَاتَ دَلٍّ ... خَلُوبِ اللَّحْظِ جَائِلَةَ الْوِشَاحِ
تَبَسَّمُ عَنْ نَوَاشِرَة رِقَاقٍ ... يَمُجُّ الرَّاح بِالْمَاءِ الْقَرَاحِ
كَأن لِحَاظَهَا رَشَقَاتُ نَبْلٍ ... تُذِيقُ الْقَلْبَ آلاَمَ الجِرَاحِ
وَلاَ عَجَبٌ إِذَا كَانَتْ لِحَاظٌ ... لِبَيْضَاءِ الْمَحَاجِرِ كَالرِّمَاحِ
فَكَمْ قَتَلَتْ كَمِيًّا ذَا دِلاَصٍ ... ضَعِيفَاتُ الْجُفُونِ بِلاَ سِلاَحِ
فَقُلْتُ لَهُمْ دَعُونِي إِنَّ قَلْبِي ... مِنَ الْغَيِّ الصُّرَاحِ الْيَوْمَ صَاحِ
وَلِي شُغْلٌ بِأَبْكَارٍ عَذَارَى ... كَأَنَّ وُجُوهَهَا ضَوْءُ الصَّبَاحِ
أَرَاهَا فِي الْمَهَارِقِ لاَبِسَاتٍ ... بَرَاقِعَ مِن مَعَانِيهَا الصِّحَاحِ
أَبِيتُ مُفَكِّراً فِيهَا فَتَضْحَى ... لِفَهْمِ الْقَدْمِ خَافِضَةَ الْجَنَاحِ
أَبَحْتُ حَرِيمَهَا جَبْراً عَلَيْهَا ... وَمَا كَانَ الْحَرِيمُ بِمُسْتَبَاحِ

يقول عطية محمد سالم: في ترجمته للشيخ، عندما أورد هذه القطعة:

نعم إنه كان يبيت في طلب العلم مفكراً وباحثاً، حتى يذلل الصعاب، وقد طابق القول العمل، حدثني رحمه الله قال:

جئت للشيخ في قراءتي عليه فشرح لي كما كان يشرح، ولكنه لم يشف نفسي على ما تعودت، ولم يرو لي ظمئي، وقمت من عنده وأنا أجدني في حاجة إلى إزالة بعض اللبس، وإيضاح بعض المشكل، وكان الوقت ظهراً، فأخذت الكتب والمراجع فطالعت حتى العصر، فلم أفرغ من

---

(١) مع أن الأصل في المحاظر منع ذلك يقول أحدهم:
(وفي ترادف الفنون المنع جا ... إذ توأمان استويا لن يخرجا)

حاجتي، فعاودت حتى المغرب، فلم أنته أيضاً، وأوقد لي خادمي أعواداً من الحطب، أقرأ على ضوئها، كعادة الطلاب وواصلت المطالعة، وأتناول الشاي الأخضر، كلما مللت أو كسلت، والخادم بجواري، يوقد الضوء حتى انبثق الفجر، وأنا في مجلسي لم أقم إلا لصلاة فرض أو تناول طعام، إلى أن ارتفع النهار، وقد فرغت من درسي، وزال عني اللبس. ووجدت هذا المحل من الدرس كغيره في الوضوح والفهم، فتركت المطالعة ونمت، وأوصيت خادمي أن لا يوقظني في ذلك اليوم، اكتفاء بما حصلت عليه واستراحة من عناء سهر البارحة.

فقد بات مفكراً فيها فأضحت   لفهم الفدم خافضة الجناح

وإن هذا لدرس لأبنائه، ومنهج لطلاب العلم في الصبر، والدأب، والمثابرة وقد نفعني الله بهذه الحادثة في دراستي، وتمدرسي، وخاصة في صورة مشابهة في الفرائض، لم أكن درستها على أحد، وكان الاختبار في المقروء لا في المقرر، وتلك هي آفة الدراسة النظامية اليوم، وكنت كلما ضجرت في تحقيقها تذكرت قصته رحمه الله فصبرت حتى حصلتها، ولله الحمد وكان من بعد الظهر إلى هزيع من الليل، ولكن كم كانت لذتي وارتياحي[1].

- **ثناء العلماء عليه:**

لقد أثنى كثير من العلماء على الشيخ الأمين ثناء عطراً، قال الشيخ عبدالله بن مزاحم لما سئل عن الشيخ بعد مقابلته له قال: لا نظير له، ولا مثيل له، فنحن تأتينا وفود العلماء من كل جهة، لأننا عند الحرمين، ولم أر كقدرة الشيخ محمد الأمين على الإلقاء ومطاوعة قلبه ولسانه في اتجاه واحد، وحسن تعبيره، عند أي أحد ممن رأيت.

قال عنه الشيخ بكر بن عبدالله أبو زيد: لو مر في جمع من الناس

(١) سيرة الشيخ محمد الأمين بقلم الشيخ عطية الأضواء ج٣٢/١.

وأنت لا تعرفه لقلت هذا عالم كبير لما تلمحه فيه من النبوغ والألمعية ولما عليه من جلالة العلم ووقار العلماء[١] وأنشد فيه الشيخ عطية محمد سالم قول القائل:

أَهَابُكِ إِجْلاَلاً وَمَا بِكِ قُدْرَةٌ ... عَلَيَّ وَلَكِن مِلْءُ عَيْنٍ حَبِيبُهَا[٢]

يقول الشيخ عطية محمد سالم:

لو أن للفضائل والمكارم والشيم وصفات الكمال في الرجال عنواناً يجمعها (لكان هو أحق به) وإذا كان علماء الأخلاق يعنونون لأصول الأخلاق والفضائل بالمروءة، فإن المروءة كانت شعاره ودثاره، وكانت هي التي تحكمه في جميع تصرفاته سواء في نفسه أو مع إخوانه وطلابه، أو مع غيرهم، ممن عرفهم، أو لم يعرفهم وقد قال فيه بعض الناس في حياته إنه لا عيب فيه سوى عيب واحد، هو أننا نفقده بعد موت...

ثم قال وأقرب شيء هو زهده في الدنيا، وعفته عما في أيدي الناس، وكرمه بما في يده، لأن هذا لا يعلمه إلا من خالطه، وليس كل من خالطه يعرف ذلك، بل من داخله ولازمه.

والواقع أن الدنيا لم تكن تساوي عنده شيئاً، فلم يكن يهتم بها ومنذ وجوده في المملكة العربية السعودية وصلته بالحكومة حتى فارق الدنيا، لم يطلب عطاء ولا مرتباً، ولا ترفيعاً لمرتبه، ولا حصولاً على مكافأة أو علاوة، ولكنه ما جاءه من غير سؤال أخذه، وما حصل عليه لم يكن ليستبقيه، بل ليوزعه في حينه على المعوزين، من أرامل ومنقطعين.

يقول الشيخ عطية وكنت أتولى توزيعه من الرياض إلى كل من مكة، والمدينة ومات ولم يخلف درهماً ولا ديناراً، وكان مستغنياً بعفته، وقناعته،

---

(١) منهج الشيخ الشنقيطي في تفسير آيات الأحكام للسديس ص٨٠.

(٢) مقدمة الأضواء ج١/٦٠.

بل إن حقه الخاص ليتركه عنه، كما فعل في مؤلفاته، وهي فريدة في نوعها، لم يقبل التكسب بها، وتركها لطلبة العلم..

وكان يقول: لقد جئت معي من البلاد بكنز عظيم، يكفيني مدى الحياة، وأخشى عليه الضياع، فقيل له وما هو؟ قال: القناعة، وكان شعاره في ذلك قول الشاعر:

الْجُوعُ يُطْرَدُ بِالرَّغِيفِ الْيَابِسِ فَعَلَامَ تَكْثُرُ حَسْرَتِي وَوَسَاوِسِي

وكان اهتمامه بالعلم وبالعلم وحده، وكل العلوم عنده آلة ووسيلة، وعلم الكتاب وحده غاية، وكان كثيراً ما يتمثل بأبيات الأديب محمد بن حنبل الحسني الشنقيطي منها:

لاَ تَسُؤْ بِالْعِلْمِ ظَنّاً يَا فَتَى إِنَّ سُوءَ الظَّنِّ بِالْعِلْمِ عَطَبْ

أما مكارم أخلاقه ومراعاة شعور جلسائه، فهذا فوق حد الاستطاعة، يقول الشيخ عطية محمد سالم متحدثاً عنه: فمنذ صحبته لم أسمع منه مقالاً لأي إنسان فيه جرح شعوره، ولم يكن الشيخ يغتاب أحداً أو يسمح بغيبة أحد في مجلسه، وكثيراً ما يقول لإخوانه: (تكايسو) أي من الكياسة والتحفظ من خطر الغيبة ويقول إذا كان الإنسان يعلم أن كل ما يتكلم به يأتي في صحيفته فلا يأتي فيها إلا بالشيء الطيب وكان رحمه الله كثير التغاضي عن كثير من الأمور في حق نفسه وحيث كان يسأل في ذلك يقول:

لَيْسَ الغَبِيُّ بِسَيِّدٍ فِي قَوْمِهِ وَلَكِنَّ سَيِّدَ الْقَوْمِ الْمُتَغَابِي

وفي الجملة فقد كان رحمه الله خير قدوة وأحسنها، في جميع مجالات الحياة، فكان العالم العامل، ولا أزكي على الله أحداً[1].

---

(١) مقدمة الأضواء ٦٤/١.

● **أدبه وذكاؤه:**

كان الشيخ رحمه الله أديباً ضليعاً شهد بذلك معاصروه من العلماء وتلامذته وهذا ما تراه جلياً في كتبه.

يقول الشيخ محمد المجذوب: إن الغزارة في محفوظ الشيخ من شعر العرب دليل قاطع على تذوقه إياه، ولا بد للحافظ المتذوق أن تواتيه الموهبة على صياغته وكذلك كان شيخنا طيب الله مثواه، فهو رهيف الحس، سريع التأثر بالكلمة البليغة، وقد سبق أن طالعنا بعض محاولاته الأولى، فلمحنا ما وراءها، من استعداد للاندفاع، إلا أن انشغاله اليومي بالجوانب الأخرى، قد أدى به إلى الانصراف عن الشعر الخاص[(١)].

ويقول الشيخ عطية محمد سالم:

ومع هذه الشاعرية الرقراقة، والمعاني العذاب الفياضة، والأسلوب السهل، الجزل فقد كان يتباعد رحمه الله عن قول الشعر، مع وفرة حفظه إياه، وله في ذلك أبيات يقول فيها:

أُنقِذتُ مِن دَاءِ الهَوَىٰ بِعِلاَجِ ... شَيْبٍ يُزِينُ مَفَارِقِي كَالتَّاجِ
قَدْ صَدَّنِي حِلْمُ الأَكَابِرِ عَن لُمَى ... شَفَةِ الْفَتَاةِ الطَّفْلَةِ المِغْنَاجِ
مَاءُ الشَّبِيبَة زَارِعٌ فِي صَدْرِهَا ... رُمَّانَتَيْ رَوْضٍ كَحُقِّ الْعَاجِ
وَكَأَنَّهَا قَدْ أُدْرِجَتْ فِي بُرْقُعٍ ... يَا وَيْلَتَاهُ بِهَا شُعَاعُ سِرَاجِ
كَأَنَّمَا شَمْسُ الأَصِيلِ مُذَابَةٌ ... تَنْسَابُ فَوْقَ جَبِينِهَا الْوَهَّاجِ

قال الدكتور عبدالله بن الشيخ الأمين وهذا نوع من التمثيل، لم أره قبل الشيخ رحمه الله، وهو أن تجعل الشمس مرهماً يدهن به الوجه، فهذا ابتكار لم يسبق إليه حسب علمي[(٢)].

ويقول عطية محمد سالم: وقد سألته رحمه الله عن تركه الشعر مع

(١) علماء ومفكرون عرفته ص١٩٠.
(٢) جهود الشيخ في تقرير عقيدة السلف ص٤٤.

قدرته عليه وإجادته فيه، فقال: لم أره من صفات الأفاضل، وخشيت أن أشتهر به، وتذكرت قول الشافعي فيما ينسب إليه:

وَلَوْلاَ الشِّعْرُ بِالْعُلَمَاءِ يُزْرِي لَكُنْتُ اليَومَ أَشْعَرَ مِن لَبِيدِ[1]

وكان الشاعر يقول في كل مجال، والشعر أكذبه أعذبه، فلم أكثر منه لذلك[2].

● **ذكاؤه:**

امتاز الشيخ محمد الأمين بالذكاء الشديد منذ نعومة أظفاره، وكان أحد شيوخه يقول له: اعلم أن فروض الكفاية فرض عين عليك لأن الفقهاء يقولون إذا كان هناك ذكي ذكاء خارقاً فإن فروض الكفاية تبقى فرض عين عليه فاتق الله في المسلمين واحفظ عليهم دينهم، لأنك مقتدر على حفظ العلوم بسرعة.

وكان رحمه الله سريع البديهة مع ظرف ودعابة ونكتة مستملحة، فمن ذلك أن مندوب التعليم جاءه يطلب منه الشهادات العلمية إسوة بغيره من المدرسين فقال عندي شهادة واحدة ولست أعطيها لأحد، فقال: مَا هي؟ قال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فضحك الحاضرون من دعابته.

قال الدكتور الشيخ محمد الأمين بن الحسين وحضرته يوماً وقد ألقى محاضرة في الجامعة يحث فيها طلبة العلم على الصبر وتحمل الأذى في سبيل الدعوة، فقام الشيخ محمود الصواف يعقب على كلام الشيخ قائلاً: أنا أخاف عليكم أن يغالى في محبتكم، حتى تعبدوا، أو نحو ذلك، وإنكم سترون كثيراً من الترحيب في العالم الإسلامي، فالتفت إليه الأمين قائلاً: أود أن أسأل فضيلة الشيخ محمود الصواف، هل يستطيع أن يأتي العراق؟

---

(١) سير أعلام النبلاء ج١٠/ ص٧٢.

(٢) أضواء البيان ج١/٣٣.

لأنه من المعلوم أنه محكوم عليه بالإعدام وهو من طلبة العلم فضحك الحاضرون، وعلى رأسهم الشيخ عبدالعزيز بن باز قائلاً: الشيخ سريع الجواب.

ويروى أنه كان مسافراً وكانت له ثياب تغسل، ورآه أحد الجلوس، وهو يقلب ثيابه ومن بينها سروال فظن هذا الشخص أن الشيخ يريد لبس لباسه أمام الناس، فقال له: ولسراويل بهذا الجمع. فقال له الشيخ أبشر، لن ألبس ثيابي بحضرة الناس، ولن نصرف مفاعيل لأن نص الألفية:

وَلِسَرَاوِيلَ بِهَذَا الْجَمْعِ شَبَهُ اقْتَضَىٰ عُمُومَ الْمَنْعِ

فكان المكلم للشيخ ذكياً وفهم الشيخ قصده بسرعة[1].

ومن نكته الظريفة أنه لما تولى فضيلة الشيخ، عبدالمحسن العباد نيابة الجامعة الإسلامية قال له الشيخ: يا فضيلة الشيخ أنت الآن كمن تزوجت أمه، لا يدري هل يعزى أو يهنأ؟ فقال له الشيخ عبدالمحسن: أن يدعى لي فقط.

ومن نكته الظريفة أنه جاءته امرأة تشتكي من زوجها، وكانت عنده أخرى قبلها، مشترطة أن لا يكون معها أحد فجاءت عند الشيخ فقال لها: ماذا فعل؟ فقالت: رأيته يوصل لها النقود في المنديل، فقال هذا طبق نصاً من نصوص مختصر ابن عاشر:

وَصِلْ لِمَا عَسُرَ بِالْمِنْدِيلِ وَنَحْوِهِ كَالْحَبْلِ وَالتَّوْكِيلِ

والنكتة في هذا أن الناظم يتحدث عن الغسل، وأن ما عسر من وصول الماء إليه يوصل إليه بوسيلة، منها: المنديل، أو غيره، فضحك الناس كثيراً[2].

---

(١) جهود الشنقيطي ص٤٧ والقصة صحيحة ووقعت في السودان أثناء زيارته لها.

(٢) جهود الشيخ في تقرير عقيدة السلف، نقلاً عن الدكتور محمد الخضر ضيف الله ص٤٨.

● أعماله في البلاد:

كانت أعماله رحمه الله في البلاد كعمل أمثاله من العلماء الدرس والفتيا، ولكنه كان قد اشتهر بالقضاء وبفراسته فيه، وقد كتب تلميذه العلامة عطية نبذة مفيدة في ذلك.

● رحلته إلى بيت الله الحرام:

كان خروجه من بلاده لأداء فريضة الحج وعلى نية العودة، وبعد وصوله إلى المملكة العربية السعودية، تجددت نية بقائه، ولذلك قصة سنذكرها فيما بعد ـ إن شاء الله ـ.

وألف الشنقيطي كتاباً بهذا العنوان والغرض من تأليفه يكاد ينحصر في تقييد شوارد العلم ونوادر الأحكام، وأخبار البلاد والعباد، بالإضافة إلى تقديم نبذة من نوادر الأدب، إذ يقول: فليكن في علم ناظره أنا أردنا تقييد خبر رحلتنا إلى بيت الله الحرام، ثم إلى مدينة خير الأنام، عليه أفضل الصلاة والسلام، ليستفاد بما تضمنته من المذاكرة، وأخبار البلاد والرجال، وما يجول فيه الأدباء من المجال.

بدأت هذه الرحلة في السابع من جمادى الأخيرة سنة **١٣٦٧هـ** واستمرت خمسة أشهر لتنتهي في نهاية السنة نفسها إلا أن تاريخ الشيخ لأطوار رحلته قد انتهى مع ركوبه القطار من أم درمان، في أواسط ذي القعدة من السنة المذكورة.

مرّ الشنقيطي خلال رحلته بمدينة كيفة، ثم تامشكط، ثم لعيون، ثم النعمة، وهذه المدن كلها موريتانية، ووسيلة التنقل في هذه المرحلة من الرحلة كانت الجمل، أما المرحلة الموالية، على الأراضي المالية، والنيجرية، ثم التشادية، ثم أخيراً السودانية، فكانت وسيلتها السيارة وقد ضمن حديثه عن هذه المرحلة من رحلته بعض الملاحظات عن عادات شعوب المنطقة. وذكر أن هذه المرحلة كانت أصعب مراحل رحلته، لصعوبة اجتياز الطريق، ووعورتها، وكذلك لما أحسه فيها من الغربة لعجمة أهلها، وعدم إمكان التفاهم معهم.

انتهت المرحلة الثانية بقدوم الشنقيطي إلى مدينة (الجنينة) على الحدود السودانية ليتلقى بالبشر والترحيب ويهيأ له المنزل وأكثر من ذلك يستضاف ليقدم درساً بالنادي العلمي[١]. ضمن الشنقيطي كتاب الرحلة مختلف الأسئلة التي طرحت عليه خلال رحلته وإجاباته عنها ذاكراً اسم السائل، ومكانه، أحياناً ومكتفياً بذكر السؤال والإجابة عليه أحياناً أخرى.

ولعل أثرى هذه المراحل من الناحية العلمية هي المحطة الأخيرة في السودان لأن مستوى المناقشة فيها كان أعمق من مجرد إجابة على سؤال معين، أو إفتاء في مسألة حدثت أمام الشيخ، قال الأستاذ محمدن ابن المحبوبي:

ومن بعد يركب قطار الحديد متوجهاً إلى الخرطوم ليتسابق إلى مجلسه أهل العلم من معهد أم درمان، مجيباً عن أسئلة الطلبة، واستشكالات الأساتذة، متناولاً أصعب القضايا المنطقية، مفسراً بعض آي القرآن، مفصلاً القول في قصة الغرانيق، وفي هذا المعهد نفسه تعرض لشرح أبيات من ألفية ابن مالك، وتمتد المذاكرة لتشمل مواضيع من عمق الأصول، كتحقيق المناط والسبر والتقسيم والمصالح المرسلة دون أن تهمل البلاغة حيث تعرض للمجاز، وأنواعه والاستعارة وأقسامها[٢].

• حياة الشيخ الشنقيطي في السعودية:

لم يخرج الشيخ محمد الأمين من بلاده إلا بعد أن علا صيته وعظم قدره وتقديره في جميع الأوساط لاشتهاره بالعلم والعدالة ومكارم الأخلاق، وبعد أن تولى القضاء وكان صاحب فراسة فيه، فكان علماً من أعلام شنقيط وموضع ثقة أهلها وحكامها ومحكوميها.

ويلاحظ المتتبع لرحلته الشهيرة ومن غيرها أن الشيخ لم يرحل من بلاده إلا بعد أن نضجت أفكاره واشتد عوده، وتضلع من ثقافة مجتمعه

(١) تطور منهج التفسير في موريتانيا ص٧٣.

(٢) ابن المحبوبي أدب الرحلة في موريتانيا والرحلة صفحة ٤٧.

المبنية على ثنائية الفقه المالكي والعقيدة الأشعرية، وتستخدم للدفاع عن ذلك شتى وسائل الإقصاء والرفض.

ارتحل إذن وهو يحمل هذه الخلفية الفكرية ليجد نفسه في بيئة ثقافية مختلفة عن الأولى، الفقه حنبلي والعقيدة سلفية، تعتمد كتب ابن تيمية منهجاً ومرجعاً في العقيدة، وابن تيمية ومنهجه والجماعة التي تسير على طريقته كل ذلك ينظر إليه بعين الريبة في موريتانيا، ويصفون هذه الجماعة بالمشبهين تماماً، كما ينظر أولئك إلى هؤلاء على أنهم معطلون[١].

وقد تجسد هذا التباين الفكري في أول لقاء جمع بين الشيخ الشنقيطي وبعض العلماء السعوديين، الذين اجتمع بهم في المدينة المنورة.

ونرجع إلى ما كتبه العلامة عطية محمد سالم تلميذ الشيخ وهو أدرى الناس به يوضح لنا هذه المرحلة يقول: ولعل من الخير وبيان الواقع ذكر سبب بقائه.

لقد كان في بلاده كغيره يسمع الدعاية ضد هذه البلاد باسم الوهابية، إلا أن بعض الصدف قد تغير من وجهات النظر، فإذا أراد الله أمراً هيأ له الأسباب، ومن عجيب الصدف أن ينزل رحمه الله في بعض منازل الحج بجوار خيمة الأمير خالد السديري دون أن يعرف أحدهما الآخر وكان الأمير خالد يبحث مع جلسائه بيتاً في الأدب وهو ذواقة أديب، وامتد الحديث إلى أن سألوا الشيخ لعله يشاركهم فوجدوه بحراً لا ساحل له، ومن تلك الجلسة وذاك المنزل تعدلت الفكرة بل كانت تلك الخيمة بداية منطلق لفكرة جديدة، وأوصاه الأمير إن هو قدم المدينة أن يلتقي بالشيخين: الشيخ عبدالله الزاحم، والشيخ عبدالله بن صالح وفي المدينة التقى بهما، وكان صريحاً معهما، فيما يسمع عن البلاد، وكانا حكيمين فيما يعرضان عليه، مما عليه أهل هذه البلاد من مذهب في الفقه ومنهج في العقيدة، وكان أكثرهما مباحثة معه، فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن صالح، وأخيراً قدم للشيخ كتاب

---

(١) تطور منهج التفسير في موريتانيا، الصفحة ٧٥.

المغني كأصل للمذهب وبعض الكتب لشيخ الإسلام كمنهج للعقيدة، فقرأها الشيخ وتعددت اللقاءات، وطالت الجلسات، فوجد الشيخ مذهباً معلوماً لإمام جليل من أئمة أهل السنة وسلف الأمة أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ.

كما وجد منهجاً سليماً لعقيدة السلف تعتمد الكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة فذهب زيف الدعايات الباطلة وظهر معدن الحقيقة، الصحيحة وتوطدت العلاقة بين الطرفين، وتجددت رغبة متبادلة في بقائه في إفادة المسلمين، ورغب رحمه الله في هذا الجوار الكريم، وكان يقول: ليس من عمل أعظم من تفسير كتاب الله، في مسجد رسول الله ﷺ، تم ذلك بأمر من جلالة الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ، وكان الشيخان أقرب الناس إليه، ودرس الشيخ عبدالعزيز بن صالح الصرف والبيان عليه[١].

ولقد كان لبقاء الشيخ في المملكة العربية فائدة مزدوجة، استفاد وأفاد ـ كما يقول الشيخ عطية محمد سالم.

أما استفادته فهو أمر حتمي ومنطقي للآتي: وهو أن منهج الدراسة في بلاده كان منصباً أكثر ما يكون في الفقه، وفي مذهب مالك فقط، وعلى العربية متناً وأسلوباً، والأصول، والسيرة، والتفسير، ولما عزم على البقاء، وبدأ التدريس في المسجد النبوي، وخالط العامة والخاصة، وجد من يمثل المذاهب الأربعة، ومن يناقش فيها، ووجد في المسجد النبوي دراسة لا تقتصر على مذهب مالك، بل ولا على غيره، فكان لا بد من دراسة بقية المذاهب بجانب مذهب مالك، وبما أن الخلاف المذهبي لا ينهيه إلا القرآن أو الحديث، فكان لزاماً التوسع في دراسة الحديث، فقد ساعد الشيخ على هذا التوسع والاستيعاب وقوة الاستدلال، ودقة الترجيح، ما هو متمكن فيه من فن الأصول، والعربية مع توسعه في دراسة الحديث، وقد ظهر ذلك في منهجه في أضواء البيان حيثما يعرض لمبحث فقهي مختلف فيه، فيستوفي أقوال العلماء، ويرجح ما يظهر له بمقتضى الدليل عقلاً كان أو نقلاً، وهذا

---

(١) ترجمة الشيخ بقلم عطية محمد سالم أضواء البيان ج١/٣٦.

المنهج هو سبيل أهل التحصيل الدأب على الدراسة، ومواصلة المطالعة والتنقيح، أما في العقيدة فقد بلورها منطقاً ودليلاً، ثم لخصها في محاضرة آيات الأسماء والصفات، في أول محاضرات الجامعة، ثم بسطها ووضحها إيضاحاً شافياً في آخر حياته في كتاب آداب البحث والمناظرة دليلاً واستدلالاً، وعرضاً وإقناعاً[1] ومن آثار بيانه لها وأسلوبه فيها ما قاله فضيلة الشيخ عبداللطيف بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله لما سمع بيان الشيخ لعقيدة السلف في مسجد محمد رحمه الله قال: جزى الله عنا الشيخ محمد الأمين خيراً على بيانه هذا فالجاهل عرف العقيدة، والعالم عرف الطريقة، والأسلوب[2] هذا جانب استفادته.

أما جانب إفادته، فقد أفاد كثيراً إفادة لا حصر لها، بل إن فترته التي قضاها في السعودية من سنة ١٣٦٨هـ إلى ١٣٩٣هـ أي ربع قرن من الزمن، تعتبر عملاً جهادياً متواصلاً، قدم خلالها الشيخ جهوداً علمية آتت أكلها فيما بعد، وإن الإحاطة بجوانب عمله، متعذرة لهذا سنقدم بعض أعماله على سبيل المثال.

أولاً - في المسجد النبوي:

يعتبر التدريس في المسجد النبوي أهم من التدريس في كبريات جامعات العالم في نشر العلم، وهو الجامعة الأولى للتشريع الإسلامي منذ عهد النبوة، حين كان جبريل عليه السلام يأتي لتعليم الإسلام، في مجالس الرسول ﷺ، ومنذ كانت مجالس الخلفاء الراشدين، وعلماء الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، إذ كانت المدينة العاصمة العلمية، وظلت محافظة على مركزها العلمي، ولم تخل في زمن من الأزمان من عالم يقوم بحق الله فيها[3].

---

(١) وهو على الرغم من كونه متبعاً لمنهج السلف الصالح في العقائد، فقد كان واسع الإطلاع في علم الكلام، ولم يذكر أنه هاجم المنطق، بل استخدمه في إثبات آرائه الاعتقادية وللدفاع عنها، وظهر ذلك واضحاً في آداب البحث والمناظرة.

(٢) أضواء البيان ج١ ص٣٨.

(٣) الأضواء ج١ ص٣٩.

منهج الشيخ في درسه:

من المعلوم أن التفسير لا ينحصر في موضع، فهو شامل عام شمول القرآن وعمومه، فكان المنهج كالتالي:

- بيان المفردات، ثم الإعراب والتصريف، ثم البلاغة، ثم إيراد الشواهد على ما يورد، ثم يأتي إلى الأحكام إن كان موضوع الآية فقهاً، فيستقصي في استنتاج الأحكام، وبيان الأقوال، والترجيح لما يظهر له، ويدعم ذلك بالأصول والقرآن، وعلوم القرآن من عام، وخاص، ومطلق، ومقيد، وناسخ ومنسوخ، وأسباب النزول، وغير ذلك.

وإذا كانت الآية في القصص، أظهر العبر من القصة وبين تاريخها، وقد يربط الحاضر بالماضي، كربط تكشف النساء اليوم بفتنة إبليس لحواء في الجنة، ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما، وفتنته للجاهلية، حتى طافوا بالبيت عرايا رجالاً ونساء، وها هو يستدرجهن في التكشف شيئاً فشيئاً، بدأ بكشف الوجه، ثم الرأس، ثم الذراعين... الخ، فكان أسلوباً علمياً، وتربوياً، في آن واحد، كما كان أحكاماً وحكماً، ثم يقول العلامة عطية محمد سالم رحمه الله: وكان درسه أشبه بحديقة غناء، احتوت أشهى الثمار، وأجمل الأزهار، في تنسيق الغرس، وجمال الجداول، تشرح الصدر، وتشفي القلب، وتروق للعين، فيستفيد منه جميع الناس، ويأخذ كل واحد ما طاب له، وما وسعه[(١)]، وقد ختم القرآن تفسيراً في المسجد أكثر من مرة.

- في سنة ١٣٧١هـ افتتحت الإدارة العامة بالرياض معهداً علمياً تلاه عدة معاهد وكليتا الشريعة واللغة، واختير للتدريس في المعهد والكليتين نخبة من العلماء من داخل وخارج المملكة، وكان رحمه الله ممن اختير لذلك، فتولى تدريس التفسير والأصول إلى سنة ١٣٨١هـ حين افتتحت الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

---

(١) الأضواء ج١ ص٤١.

ويبدو أن اختيار الشيخ ضمن المدرسين في الكليتين، كان للملك فيصل بن عبدالعزيز دخل كبير فيه: حيث ذكر صاحب عقود الجمان، من أضواء البيان، أن اللجنة المختصة بالترقيات أحجمت عن ترقية الشيخ، لخلو ملفه من مؤهلات علمية ـ أي شهادات ـ ولما عرض الأمر على الملك فيصل كتب بقلم رصاصه المشهور: ولكن المذكور يعني الشيخ، هو الذي يمنح المؤهلات[١].

ـ تدريسه في الجامعة الإسلامية، بالمدينة المنورة، من تاريخ افتتاحها سنة ١٣٨١هـ إلى وفاته سنة ١٣٩٣هـ، وقد كان بجانب التعليم، عضو مجلس الجامعة ساهم في سيرها، ومناهجها، كما ساهم في إنتاجها وتعليمها.

ـ تولى الشيخ تدريس الأصول والتفسير أيضاً بمعهد القضاء بالرياض منذ افتتاحه سنة ١٣٨٦هـ إلى وفاته، وكان يدرس في هذا المعهد بوصفه أستاذاً زائراً.

ـ بيته رحمه الله تعالى، فقد كان مدرسة علمية، سواء لأبنائه الذين رافقوه لذلك ولغيرهم، وقد أملى شرح مراقي السعود في بيته على تلميذه الشيخ أحمد بن أحمد المختار، وقد حققه الشيخ الدكتور محمد بن سيدي بن الحبيب مع إكمال ما نقص من الشرح، وطبعه في مجلدين، وأسماه «نثر الورود، على مراقي السعود».

ـ في مسجد الشيخ محمد رحمه الله بالرياض بدأ درس الأصول لكبار الطلبة حضره العامة والخاصة، وكان درس الأصول بمثابة فتح جديد في هذا الفن. يقول الشيخ عطية محمد سالم رحمه الله:

لقد كان لتدريسه هذا رسمياً في المعهد والكليتين، أو في المسجد، أو في المنزل أثر طيب، ونتائج حسنة، لا يسع متحدث بالتحدث عنها بقدر ما تحدثت هي عن نفسها في أعمال كافة المتخرجين من تلك المعاهد

---

(١) عقود الجمان ج١ ص أ ـ ز عناية عبدالله الشنقيطي.

والكليات المنتشرين في أنحاء المملكة المبرزين في أعمالهم وفي أعلى المناصب في كافة الوزارات.

ولا يغالي من يقول: إن كل من تخرج أو يتخرج فهو إما تلميذ له أو لتلميذه، فهم بمثابة أبنائه وأحفاده وكفى[١].

امتداد نشاطه خارج المملكة: لقد ترأس رحمه الله بعثة الجامعة الإسلامية إلى عشر دول بدأت بالسودان، وانتهت بموريتانيا موطن الشيخ، يقول الشيخ عطية محمد سالم: وأذكر في مجلس من أفاضل البلاد بموريتانيا، وفي حفل تكريم للبعثة، وكل إلي فضيلته رحمه الله كلمة الجواب، فكان منها:

إن الذكريات لتتحدث، وإنها لساعة عجيبة أدارت عجلة الزمان، حيث نشأ الشيخ في بلادكم، ثم هاجر إلى الحجاز، ثم ها هو يعود إليكم على رأس وفد رئاسة بعثة فقد نبتت غرسة علمه هنا عندكم، فذهب إلى الحجاز، فنمت وترعرعت، فامتدت أغصانها، حتى شملت بوارف ظلها بلاد الإسلام، شرقاً وغرباً، وها نحن في موطنه نجني ثمار غرسها ونستظل بوارف ظلها[٢].

- وكان رحمه الله عضواً في هيئة كبار العلماء، وقد ترأس إحدى دوراتها، فكانت له السياسة الرشيدة، والنتائج الحميدة.

- وكان عضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي، ولم تكن خدماته في هذا المجلس أقل من خدماته في غيره.

- يقول عطية محمد سالم: أذكر له موقفاً حدثني به جنب الرابطة مأزقاً، كاد أن يدخل عليها شقاقاً، أو انثلاماً.

- حينما قدم مندوب إيران، وقدم طلباً باعتراف الرابطة بالمذهب

---

(١) الأضواء ١ /ص٤٦.

(٢) الأضواء ١ /ص٤٩.

الجعفري ومعه وثيقة من بعض الجهات العلمية الإسلامية ذات الوزن الكبير تؤيده على دعواه، وتجيبه إلى طلبه، فإن قبلوا طلبه دخلوا مأزقاً، وإن رفضوه واجهوا حرجاً، فاقترحوا أن يتولى الأمر فضيلته ـ رحمه الله ـ في جلسة خاصة فأجاب في المجلس قائلاً: لقد اجتمعنا للعمل على جمع شمل المسلمين والتأليف بينهم وترابطهم أمام خطر عدوهم، ونحن الآن مجتمعون مع الشيعة في أصول هي: الإسلام دين الجميع، والرسول محمد ﷺ رسول الجميع، والقرآن كتاب الله، والكعبة قبلة الجميع، والصلوات الخمس والصوم وحج بيت الله الحرام، ومجتمعون على تحريم المحرمات، من قتل وشرب وزنى، وسرقة، ونحو ذلك، وهذا القدر كاف للاجتماع والترابط، وهناك أمور نعلم جميعاً أننا نختلف فيها، وليس هذا مثار بحثها، فإن رغب العضو الإيراني بحثها، واتباع الحق فيها، فليختر من علمائهم جماعة، ونختار لهم جماعة، ويبحثون ما اختلفنا فيه، ويعلن الحق ويلزم به أو يسحب طلبه الآن، فأقر الجميع قوله وسحب العضو طلبه.

ـ تقدير المسؤولين له، يقول الشيخ عطية:

ـ لقد كان بعلمه ونصحه وجهده، وعفته، موضع تقدير من جميع المسؤولين وبالأخص أصحاب الفضيلة آل الشيخ وصاحب الجلالة الملك عبدالعزيز، وصاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالرحمن، وقد منحه جلالة الملك ـ رحمه الله ـ أمراً بالجنسية لجميع من ينتمي إليه، وفي كفالته ثقة وإكراماً له.

ـ ولما زار الملك محمد الخامس رحمه الله ملك المغرب الرياض، استأذن في صحبة الشيخ إلى المدينة فرافقه تقديراً، وإكراماً، وألقى محاضرة بالمسجد النبوي بحضور الملك محمد الخامس بعنوان: «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي، ورضيت لكم الإسلام ديناً» وقد طبعت أكثر من مرة.

ـ وهكذا قدم الرياض ـ رحمه الله ـ في ترحيب وإكرام، وانتقل منها في إعزاز وإكبار، بعد أن ترك فيها أطيب الآثار.

● **مؤلفات الشنقيطي:**

يقال إن العلماء العاملين لدينهم تراهم كالنحلة الدؤوب، تتنقل من زهرة إلى زهرة، ومن وردة إلى غصن، تمتص الرحيق، فتخرجه في النهاية عسلاً وشهداً، عسلاً يتمثل في طلابهم الذين يحملون الرسالة من بعدهم، وشهداً يتمثل في كتبهم، ومؤلفاتهم التي أخرجوها، لتكون زاداً لطلاب العلم والمعرفة، من بعدهم، وضياء يضيء لهم الطريق، ويرشدهم إلى ما يصلحهم في دينهم ودنياهم، والشنقيطي ـ رحمه الله ـ من هؤلاء العلماء الذين تنطبق عليهم هذه الصفات، فقد خلف آثاراً علمية تدل على سعة علمه، وطول نفسه في تحرير المسائل، وتقريرها، وهي مؤلفات نفيسة ومفيدة، وهي على نوعين: تآليف كتبها في بلاده، وتآليف كتبها في المملكة.

أما التي ألفها في بلاده فهي:

١ ـ ألفية في المنطق يقول في مقدمتها:

حَمْداً لِمَنْ أَظْهَرَ لِلْعُقُولِ ... حَقَائِقَ الْمَنْقُولِ وَالْمَعْقُولِ

وَكَشَفَ الرَّيْنَ عَلَىٰ الأَذْهَانِ ... بِوَاضِحِ الدَّلِيلِ وَالْبُرْهَانِ

٢ ـ رجز في فروع المذهب المالكي، في العقود، وهو يبلغ عدة آلاف يبدأ هذا الرجز بقوله:

الحَمْد لِلَّهِ الَّذِي قَدْ نَدَبَا ... لأَن نُمِيزَ الْبَيْعَ عَن لَبْسِ الرِّبَا

وقد جاء بنماذج منه في تفسير أضواء البيان.

٣ ـ نظم في الفرائض أوله:

تَرِكَةُ المَيْتِ بَعْدَ الْخَامِسِ ... مِنْ خَمْسَةٍ مَحْصُورَة عن سَادِسِ

٤ ـ نظم في أنساب العرب نظمه قبل البلوغ يقول في أوله:

سَمَّيْتُهُ بِخَالِصِ الْجُمَانِ ... فِي ذِكْرِ أَنْسَابِ بَنِي عَدْنَانِ

وبعد البلوغ دفنه قال: لأنه كان على نية التفوق على الأقران، وقد لامه مشايخه على دفنه وقالوا: كان من الممكن تحويل النية وتحسينها، وكل هذه المؤلفات مخطوطة، أما مؤلفاته في المملكة فهي:

١ ـ منع جواز المجاز، في المنزل للتعبد والإعجاز/ مطبوع.

٢ ـ دفع إيهام الإضطراب عن آي الكتاب/ مطبوع.

٣ ـ مذكرة الأصول على روضة الناظم/ مطبوع.

٤ ـ آداب البحث والمناظرة وهي جزءان مقرر في الجامعة الإسلامية/ مطبوع.

٥ ـ أضواء البيان: وهو مدرسة كاملة يتحدث عن نفسه.

٦ ـ شرح قواعد الأصول ومعاقد الوصول في الفقه الحنبلي(١).

٧ ـ رحلة الحج إلى بيت الله الحرام/ مطبوعة.

- **المحاضرات والرسائل:**

١ ـ منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات.

٢ ـ حكمة التشريع.

٣ ـ المثل العليا.

٤ ـ المصالح المرسلة.

٥ ـ الإسلام دين كامل.

٦ ـ حول شبهة الرقيق.

٧ ـ رسالة في حكم الصلاة في الطائرة.

---

(١) لم يذكره الشيخ عطية محمد سالم وذكره ابن حامدن في الحياة ص٢٧ ط أولى.

٨ ـ جواب عن سؤال: هل العالم مخلوق ومرزوق من بركة النبي ﷺ أم لا؟

٩ ـ أجوبة لأسئلة من الشيخ محمد الأمين ابن الشيخ محمد الخضر مخطوطة.

١٠ ـ رسالة حول منع المسعى في الدور الثاني مخطوطة.

وله محاضرات كثيرة منتشرة في الأشرطة في جميع المجالات أما تلامذته فهم كثيرون لا يمكن حصرهم، وتقدم كلام الشيخ عطية في ذلك ومن أبرزهم:

١ ـ الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز رئيس مكتب الدعوة والإرشاد في المملكة.

٢ ـ الشيخ عبدالعزيز بن صالح آل صالح، خطيب المسجد النبوي.

٣ ـ الشيخ عبدالله بن عذيان عضو هيئة كبار العلماء.

٤ ـ الشيخ عبدالمحسن بن حمد العباد.

٥ ـ الشيخ صالح بن محمد اللحيدان.

٦ ـ الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بن جبرين.

٧ ـ الشيخ محمد بن صالح العثيمين العلامة المشهور.

٨ ـ الشيخ صالح بن صالح الفوزان.

٩ ـ الشيخ إبراهيم آل الشيخ.

١٠ ـ الشيخ محمد المختار بن أحمد مزيد.

١١ ـ الشيخ عطية محمد سالم ـ المدرس بالمسجد النبوي.

١٢ ـ الشيخ محمد بن سيدي بن الحبيب الجكني.

١٣ ـ الشيخ أحمد بن أحمد المختار الجكني.

١٤ ـ الشيخ محمد الأمين بن الحسين الجكني.

١٥ ـ الشيخ محمد عمر حوية الجكني.

١٦ ـ الشيخ باب بن آدو الجكني.

١٧ ـ الشيخ محمد الخضر بن ضيف الله الجكني وغيرهم.

● **وفاته رحمه الله:**

توفي الشيخ رحمه الله يوم الخميس ١٣٩٣/١٢/١٧هـ، وكانت وفاته بمكة مرجعه من الحج، ودفن في مقبرة المعلاة، وصلى عليه فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن باز في الحرم المكي مع من حضر من المسلمين، وقد حزن عليه الناس حزناً شديداً، ورثاه عدد كبير من الشعراء منهم العلامة محمد بن أبي مدين الديماني يقول:

اللَّهُ أَكْبَرُ مَاتَ الْعِلْمُ وَالْوَرَعُ   يَا لَيْتَ مَا قَدْ مَضَىٰ مِن ذَاكَ يُرْتَجَعُ

حتى يقول:

حَدِّثْ بِمَا شِئْتَ مِنْ حِلْمٍ وَمِن كَرَمٍ   وانشُرْ مَآثِرَهُ فَالْبَابُ مُتَّسَعُ

ورثاه محمد الأمين ابن ختار الجكني بقصيدة منها:

هُوَ الْمَوْتُ لاَ يَنْفَكُّ يَفْجَعُ مَعْشَراً   بِكَوْكَبِهِ الدُّرِيِّ فَوْقَ الْكَوَاكِبِ

ورثاه عبدالله بن المنير بقصيدة طويلة منها:

أَتَانِي مِنَ الأَنْبَاءِ مَا سَدَّ مَسْمَعِي   فَكَادَتْ لَهَا رُوْحِي يَجِنُّ جُنُونُهَا

إلى أن يقول:

تَرَقَّبْتُهُ مِنْ حَجِّ مَكَّةَ سَالِماً   فَشَحَّتْ بِهِ مَغلاَّتُهَا وَحُجُونُهَا

ورثاه الأستاذ أحمد بن آدو بقصيدة طويلة منها:

أَعَيْنَيَّ جُودَا بِالدُّمُوعِ السَّوَاكِبِ ... لِمَنْ ضَوْءُهُ قَدْ فَاقَ ضَوْءَ الْكَوَاكِبِ

لَهُ الْفَضْلُ فِي التَّفْسِيرِ إِنْ رُمْتَ باحثاً ... وَفِي الْفِقْهِ وَالتَّوْحِيدِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ

فَفِي النَّحْوِ أُسْتَاذٌ وَفِي الشِّعْرِ حُجَّةٌ ... وَفِي الْجُودِ بَحْرٌ يُرْتَجَىٰ لِلنَّوَائِبِ

حَوَاهُ ثَوَى الْمِغْلاَ فِيَا حُسْنَ مَا حَوَىٰ ... إِمَامٌ لَهُ فِي الدِّينِ أَوْلَى الْمَرَاتِبِ

وعلى كل حال لم تكن وفاة الشيخ رزءاً على فرد أو أسرة أو جماعة أو قطر، وإنما على العالم الإسلامي كله، كما يقول تلميذه عطية، وقد خلف الشيخ ولدين عالمين هما: الدكتور عبدالله والدكتور محمد المختار، وهما أستاذان في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

أما تفسيره أضواء البيان، فهو تفسير رائع أفاد فيه وأجاد، وأبان فيه عن علمه الجم، ونظرته الإصلاحية العميقة، وقد اخترمته المنية قبل أن يكمله، وقد بلغ فيه قول الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وقد بلغت عدد مجلداته ٧ مجلدات، وبلغت عدد صفحات هذه المجلدات ٤٦١٦ صفحة حسب إحصاء الباحث: عبدالله أحمد عبيد[١] دون الفهارس، ويبدو أنه اعتمد نسخة دار الكتب العلمية ببيروت

---

(١) جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف ص٨٥. وقد استوفى ترجمة الشيخ رحمه الله كل من:

* تلميذه العلامة عطية محمد سالم في مقدمته على الأضواء ١ /ص٦٤، وجل ترجمتنا هذه منقولة عنه، كما أنني قريب من محيط الشيخ، ولي علاقة حميمة مع ولده الشيخ عبدالله، فقد أخذت عنه كثيراً من أخباره.
* الشيخ محمد المجذوب في كتابه: علماء ومفكرون عرفتهم من ص١٧١ إلى ١٩١.
* الشيخ عبدالرحمن بن عبدالعزيز السديس: منهج الشنقيطي في تفسير آيات الأحكام من أضواء البيان ص١ إلى ٩٧.
* والباحثة سميرة بنت صقر آل محمد ـ الشنقيطي ومنهجه في التفسير ص٣٠ إلى ١١٧.
* عبدالعزيز بن صالح الطويان: جهود محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف ص٢٥ ـ ٨٧.
* الباحث عبدالله بن أحمد عبيد: تطور منهج التفسير في موريتانيا ص٦٦ ـ ٨٣.
* الباحث يعقوب حسن عبد المشهداني: تحقيقات الشنقيطي الدلالية إلى ٢٩.

بدون تاريخ، وقد أكمل الشيخ عطية محمد سالم ـ رحمه الله ـ هذا التفسير في ثلاث مجلدات:

ـ **المجلد الأول:** يبدأ بالحشر وينتهي بالمرسلات.

ـ **المجلد الثاني:** يبدأ بالنبأ وينتهي بالناس، وأضاف إليه شرحاً للشيخ محمد الأمين على نظم للسيوطي في: الناسخ والمنسوخ، وكذلك وضع في المتمم فهرساً للمواضع الفقهية التي وردت في التفسير.

ـ **المجلد الثالث:** خصصه الشيخ عطية لمؤلفين لشيخه هما: دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب، ورسالة منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز.

والملاحظ أن العلامة الشنقيطي لم يفسر القرآن كله، يقول الشيخ عطية محمد سالم: ينبغي أن يعلم أن تفسير أضواء البيان ليس تفسيراً شاملاً لجميع القرآن كما يظنه البعض، ويتطلب فيه تفسير كل ما أشكل عليه، بل هو تفسير خاص على منهج مختص به، وهو تفسير ما أجمل من الآيات أياً كان سبب إجماله من حيث اللفظ أو المعنى، وبيان هذا الإجمال من آيات أخرى سواء كان بالمنطوق أو بالمفهوم(١).

وقد حدد الشنقيطي الدافع إلى تأليفه لهذا التفسير بقوله: أما بعد فإنه لما عرفنا إعراض أكثر المتسمين باسم المسلمين اليوم عن كتاب ربهم ونبذهم له وراء ظهورهم، علمنا أن ذلك يعين على من أعطاه الله علماً بكتابه أن يجعل همته في خدمته من بيان معانيه، وإظهار محاسنه، وإزالة الإشكال عن ما أشكل منه، وبيان أحكامه، والدعوة إلى العمل به، وترك ما يخالفه، حتى يقول: ومن أهم المقاصد في ذلك هذا الكتاب الذي هو ترجمته.

فذكر من أهم المقصود بتأليفه بيان القرآن بالقرآن، ثم بيان الأحكام الفقهية الواردة في هذه الآيات المبينة.

---

(١) أضواء البيان ـ تكملة عطية ٨/٨.

ثم ذكر أن هذا الكتاب تضمن أموراً زائدة على ذلك، كتحقيق بعض المسائل اللغوية، وما يحتاج إليه من صرف، وإعراب، والاستشهاد بشعر العرب، وتحقيق ما يحتاج إليه فيه من المسائل الأصولية، والكلام على أسانيد الأحاديث[1] والمتتبع لتفسير الشنقيطي يلاحظ أنه اهتم اهتماماً كبيراً بما يلي:

أولاً: بيان القرآن للقرآن، وهذا واضح من عنوانه، وقد قال الدكتور فهد الرومي في كتابه: اتجاهات التفسير في القرن الـ١٤هـ: «ما رأيت تفسيراً قديماً أو حديثاً فسر القرآن بالقرآن مثله»[2].

ثانياً: اعتناؤه باللغة العربية:

والشنقيطي ذو شخصية مستقلة، في التفكير العلمي، الذي عالج فيه الدلالات اللغوية، فلا يخضع لأقوال أئمة اللغة والتفسير إلا إذا كان مقتنعاً بها علمياً، بل يخضع كلما يصل إليه من معلومات لمعاييره الخاصة المستخلصة لديه من معرفة موسوعية تؤمن بالأصول العلمية، لا يحذر فيها أو معها إبداع التصورات الجديدة ما دام ذلك لا يتعارض مع المعطى القرآني في أي موضع من مواضعه بحسب الهدف الذي عمل من أجله في إيضاح القرآن بالقرآن مستهدياً في معرض ذلك بالمأثور على أي فهم مطلوب[3].

وقد استشهد الشنقيطي بشعر جمهرة كبيرة من القدماء السابقين للإسلام (الجاهليين) والمخضرمين والأمويين في الأغلب الأعم، وقليلاً من العباسيين لأنهم ليسوا من ذوي الأشعار المعدودة من مادة الاستشهاد الموثق لدى اللغويين والنحاة، كما هو معروف فيما حرره الدارسون، من مباحث في أصول الاستشهاد بالشعر العربي في البحوث اللغوية، يقول المشهداني:

---

(١) أضواء البيان ج١ /ص٦٨.

(٢) اتجاهات التفسير في القرن ١٤ ج١ /ص١٤٦.

(٣) تحقيقات الشنقيطي الدلالية في أضواء البيان ص٢٠٨.

التفسير بحسب منهج الشنقيطي لغوي قبل كل شيء وإلا لما احتاج فيه إلى تحقيقات دلالية يلوذ فيها بأقوال الشعراء بسعة ملحوظة حتى وصل عدد الشعراء الذين استشهد بأشعارهم في إطار تحقيقاته الدلالية ٩٧ شاعراً وقد أكثر الاستشهاد بشعر مجموعة خاصة من الشعراء وذلك على النحو التالي:

١ ـ امرؤ القيس استشهد بشعره في ٣٣ موضعاً.

٢ ـ زهير بن أبي سلمى استشهد بشعره في ٣٠ موضعاً.

٣ ـ النابغة الذبياني استشهد بشعره في ١٩ موضعاً.

٤ ـ طرفة بن العبد استشهد بشعره في ١٢ موضعاً.

٥ ـ عمر بن أبي ربيعة استشهد بشعره في ١٩ موضعاً.

٦ ـ غيلان استشهد بشعره في ١٩ موضعاً.

٧ ـ الفرزدق استشهد بشعره في ١٣ موضعاً.

٨ ـ جرير استشهد بشعره في ٧ مواضع.

وقد ذكر يعقوب حسن المشهداني في كتابه تحقيقات الشنقيطي الدلالية في الأضواء، الشعراء الذين استشهد الشنقيطي بشعرهم في الأضواء مرتباً لهم على حروف المعجم.

ثالثاً: تعرض الشنقيطي في تفسيره للأحكام الفقهية فذكر من ذلك شيئاً كثيراً ونفيساً وتعتبر مباحثه الفقهية في الأضواء منهجاً متكاملاً في كيفية استنباط الأحكام من النصوص الشرعية وتوجيه الخلاف الحاصل بين الأئمة.

وقد أعد الشيخ عبدالرحمن السديس بحثاً مهماً في ذلك وحصل به على شهادة الماجستير كما قدمنا.

رابعاً: اهتم الشيخ بأصول الفقه في هذا التفسير واستخدمه في المباحث الفقهية التي تعرض فيها للترجيع بين الأئمة وفي استنباط الأحكام، وهذا الجانب من أبرز الجوانب العلمية في أضواء البيان، وقد بين السيد عبدالرحمن السديس كثيراً من مباحث أصول الفقه في بحثه عن الأضواء.

خامساً: اهتم الشيخ بجانب توضيح العقيدة فتعرض لأهم مباحث العقيدة، فبين منهج السلف الصالح في المعتقد، وبحث أنواع التوحيد واستخدام علم الكلام والمنطق للتدليل على منهج أهل السنة والجماعة، وسلامته عقلاً ونقلاً.

سادساً: يظهر الاتجاه الإصلاحي بارزاً في منهج الشنقيطي، فهو في الأضواء مصلح يجعل نصب عينيه إصلاح المجتمع سواء تعلق الأمر بإصلاح العقائد وهي الأساس، أو المنهاج التعلمي أو التوجه التشريعي، ولقد خاض الشنقيطي في أثناء تعرضه لهذه الأمور في تفصيلات كالقضايا المتعلقة بمسائل العصر، ولم يقصر في الرد على الشبه التي يضعها أعداء الإسلام للنيل من سعة الإسلام ومكانته.

سابعاً: وهناك نقطة متعلقة بالنقطة السابقة ويمكن أن نعتبرها جزءاً منها وهي نقطة الحاكمية في تفسير أضواء البيان وهذه النقطة جديرة بالتأمل والدراسة، فالشنقيطي في هذه النقطة صريح، ومنهجه واضح، لا لبس فيه، فهو يرى أن المعرض عن تشريع الله الذي يرى أن غيره أولى بالصواب منه كافر، فيقول: اعلموا أيها الإخوان أن كل من يتعالى أمام الخالق جل وعلا بلا حياء في وجهه إنه يعرض عن ما أنزل الله على محمد ﷺ مدعياً أنه لا يقدر أن يقوم بتنظيم علاقات الدنيا يطلب النور والهدى في زبالات أذهان الخنازير الكفرة الفجرة والذين هم جهلة في غاية الجهل.

اعلموا أنه هو وفرعون وهامان وقارون في الكفر سواء، لأنه يعرض عن الله وعن تشريع الله، فيفضل عليه تشريع الشيطان، ونظام إبليس الذي شرعه، على ألسنة أوليائه، وليس له نصيب في الإيمان، بوجه من الوجوه كما رأيتم[1].

وهذا بالإضافة إلى المعارف الجمة التي أودعها الشيخ هذا التفسير فلا

---

(١) الحاكمية في تفسير أضواء البيان جمع عبدالرحمن السديس ص٦٣ ط دار طيبة بيروت ١٤١٢هـ.

يخلو بحث من مباحث هذا التفسير من قضية علمية تتعلق إما بالقراءات أو بأسباب النزول أو بالإعراب أو المنطق أو البلاغة فهو دائرة معارف إسلامية شاملة هذا مع التحقيق وطول النفس والإنصاف وكما يقول السديس في رسالته:

«إن أضواء البيان مدرسة في أكثر العلوم، بما يمتاز به من مزج لسائرها، وتذليل لعلوم الآلة في خدمة علم الغاية الكتاب والسنة».

ثامناً: نقاشه للعلماء صرح الشنقيطي في بداية تفسيره أنه يدور مع الحق حيثما دار فهو لا يتقيد بقول أحد ولا بمذهب من المذاهب، بل مذهبه ما يرى أنه الحق لهذا لا غرو إذا رأيناه يتعرض للمسائل العلمية بكل تجرد، ويناقش فيها أكابر العلماء نقاشاً حراً بكل أدب، معتمداً على الأدلة من الكتاب أو السنة، ومستخدماً ثروته اللغوية، والأصولية، والمنطقية، وفهمه الثاقب، وخبرته الطويلة التي اكتسبها من التدريس والإفتاء والغوص في العلوم النقلية والعقلية، ولا يخفى على المتتبع لمؤلفات الشيخ إعجابه ببعض الشخصيات العلمية، ومع ذلك يناقش أقوالهم نقاشاً علمياً، وربما يرد عليهم بالحجة إذا كان يرى أنهم أخطئوا.

فالمتتبع لأضواء البيان يلاحظ إعجاب الشيخ الأمين، بابن القيم، ويصفه دائماً بالعلامة، ومع ذلك نراه يرد عليه، فمن ذلك رده عليه في تفسير قول الله تعالى: ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾ [النور: ٣][(١)].

وأما تفسير ابن كثير، والذي يظهر إعجابه به أيضاً، فكثيراً ما يرد عليه ويناقشه، ففي تفسير قول الله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ [الزخرف: ١٥]، فيقول ابن كثير: أن الجزء النصيب، فيقول الشيخ: والذي يظهر لي أن قول ابن كثير ـ رحمه الله ـ غير راجح، ومن ذلك ترجيحه لخلاف ما رجح في تفسير قول الله تعالى: ﴿قُلْ

(١) الأضواء ج٦، ص٧٩ وما بعدها.

﴿لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ﴾ [الأنعام: ١٤٥] حيث يرجح خلاف ما عزاه ابن كثير للأكثرين، وهو عدم النسخ، أما الشيخ فيقول: قال مقيده ـ عفا الله عنه ـ، وكونه نسخاً أظهر عندي... الخ[(١)].

كما أن القرطبي من أكثر المراجع التي ينقل منها الأحكام، ومع ذلك يناقشه ويعارضه تارة، فمن ذلك تفسير قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِي ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣] فيرجح أن للآية مفهوماً، عكس ما اختاره القرطبي[(٢)].

وقد رد على الفخر الرازي عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ﴾ [الإسراء: ٣٣] رداً قوياً.

كما رد عليه في كلامه عن السحر قائلاً: ولا يخفى سقوط هذا الكلام وعدم صحته[(٣)].

كما رد على أبي حيان والزمخشري في تفسيرهما لقول الله تعالى: ﴿وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: ٥٧]، يقول الشنقيطي، عند قول الله تعالى: ﴿فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا﴾ جزاء وجواب يدل على انتفاء اهتدائهم بدعوة الرسول ﷺ، بمعنى أنهم جعلوا ما يجب أن يكون سبباً للاهتداء سبباً لانتفائه لأن المعنى يصبح فلن يهتدوا إذ دعوتهم.

ذكر هذا المعنى الزمخشري، وتبعه أبو حيان، في البحر وهذا المعنى غلطا فيه وغلط فيه خلق لا يحصى كثرة إلى آخر الكلام[(٣)].

وهذا للتمثيل فقط، ونرجو أن تكون هذه النتف التي أخذنا عن الشنقيطي كافية في التعرف على هذا العلم إجمالاً «وقد يحوي التفاصيل من يستحضر الجملا».

❋ ❋ ❋

(١) الأضواء ج٢، ص٢٥٠.
(٢) الأضواء ج١، ص٣٠٦.
(٣) الأضواء ج٣، ص٥٠٠.

٢٨ ـ محمد بن سيدي محمد الجكني ت١٣٩٦هـ

صاحب: إفادة الأريب، من لغة القرآن بالغريب، هو الشيخ اللغوي الأديب: محمد بن سيدي محمد الجكني، من بطن أولاد الحاج لم نعثر على تاريخ ميلاده، ولد ونشأ في محيط علمي، ودرس دراساته الأولى على مشايخ من أبناء قبيلته، مثل العلامة محمد الحسن (بيدر) بن الإمام الذي تقدمت ترجمته وهو مؤلف أصل إفادة الأريب وغيره من أساتذة المحاضر وبعد أن حصل معارف أساسية في بلده، ولاية لعصابة تاقت نفسه إلى الرحلة في طلب العلم فارتحل إلى منطقة القبلة حيث اتصل بالعلامة أبي بن حيمود الجكني الموساني ت١٣٦٢هـ وهو شيخ من أبرز المشايخ، في النحو، واللغة، ومن مشاهير المتخرجين من محضرة يحظيه بن عبدالودود قال ممّ بن عبدالحميد: «وقد تخرج عليه جم مثل أبي ووالد ومم فأخذ عنه علوم اللغة العربية، من نحو، وصرف، وبيان، فرجع إلى بلاده مشبعاً بهذه المعارف فنال منزلة كبيرة وأصبح ينظر إليه نظرة احترام، وتقدير، بين الأوساط العلمية، وكان العلماء يعترفون له بالإمامة في اللغة العربية، وقد رأيت شيخنا العلامة الجليل الحاج بن السالك المسومي، المعروف بالعلم، والصلاح، يحترمه تمام الاحترام، ويجله كل الإجلال، ويعترف له بالعلم، وقد طلب منه نظمه هذا فأعطاه له ونسخه بيده يعني العلامة الحاج بن فحف ورده له، ومع أن الشيخ محمد بن سيدي محمد نال مكانة كبيرة في الأوساط العلمية إلا أن شهرته الحقيقية إنما كانت بالشعر، فالجمهور من الناس ينظر إليه كشاعر فقط، وقل منهم من يلاحظ علمه، وهذا شيء مألوف فكم من شخص جمع بين وصفين يغلب عليه أحدهما، حتى ينسى الآخر، ويصير كأن لم يكن، فالشافعي شاعر غلب عليه الفقه، والحسن بن هانىء ت١٩٨ شاعر فقيه غلبت عليه شهرته الأدبية ويقول الشافعي:

وَلَوْلاَ الشِّعْرُ بِالْعُلَمَاءِ يُزْرِي ... لَكُنْتُ الْيَوْمَ أَشْعَرَ مِنْ لَبِيدِ

والواقع أنه كان شاعراً مجيداً وكان يهتم بقرض الشعر أكثر من اهتمامه بأي شيء آخر، وقد تناول جميع الأغراض الشعرية فمن شعره:

يَا لَيْلَةً جَنْبَ ذَاتِ الْوَادِ بِتُّ لَدىٰ أُنسِ الْفُؤَادِ سَقِيتِ الْغَيْثَ وَالبَلَدَا
لَوْ كَانَ مَاضِي السِّنِي تُفْدي مَوَدَّتُهُ أَهْلَكْتُ مَالاً لأنْ أُفْدِيَهَا لُبَدَا
بِتْنَا مَعاً وَسَوادُ اللَّيْلِ يَكْتُمُنَا كَأَنَّنَا السِّرُّ فِي صَدْرِ امْرِىءٍ جَحَدَا
مَنْ ظَاهِرِ الْجِسْمِ مِن نَّفْحِ الصَّبَا بَرَدٌ وَبَاطِنُ الْهَمِّ مِن نَّكْهِ اللَّمىٰ بَرَدَا

وقد رأيت الناس يهابونه ويحترمونه ويتجنبون إزعاجه لأن شاعريته متقدة فالشعر طوع يده لا يكلفه أي عناء وعندما يغضب يقول ما بدى له خاصة بعد بلوغه سناً متأخرة من العمر، وقد أساء معاملته مرة بعض من كان يعرف الود من أبيه فلم يتمالك الشيخ محمد من نفسه حتى أدبه بأبيات عنيفة سارت بها الركبان، وكانت قاصمة الظهر على من قيلت فيه ومطلعها:

سَلاَمٌ عَلَىٰ كَرَّاطِ[1] إِحْسَانِ وَالِدِهْ وَمُذْهِبِ مَا أَشَادَهُ مِن مَحَامِدِهْ

أما نظمه هذا في تفسير غريب القرآن، فهو نظم جميل يقع في (٧٢٢) بيتاً، من بحر الرجز وقد حقق النظم تحقيقاً أولياً.

فالجزء الأول من سورة البقرة، إلى سورة الكهف وعدد أبياته (٣٥١) بيتاً، وقد حقق في جامعة انواكشوط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحقق هو الب بن محمد المصطفى، تخرج به من الآداب العصرية، سنة ١٩٨٥م/ ١٤٠٥هـ ونأخذ نموذجاً قليلاً من هذا الجزء نكتشف من خلاله منهج الناظم وطريقته، يقول في المقدمة:

حَمْداً لِمَنْ قَدْ خَلَقَ الإِنْسَانَ وَعَلَّمَ اللُّغَةَ وَالْقُرْآنَ
ثُمَّ السَّلاَمَانِ لأَفْصَحِ الْعَرَبْ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَمَنْ صَحِبْ

---

(١) كراط: صيغة مبالغة، والمقصود بها إزالة الشيء بالكلية، واستئصاله، ومحو أثره، بشيء حاد، حتى لم يبق له أثر والمعنى: أن هذا الشخص الذي يقصده الشاعر لا يترك أثراً لمحامد أبيه، لأنه يتعمد أن يجعل السيئة بدل الحسنة، حتى تمحو آثارها بالكلية.

وَبَعْدُ فَالْقَصْدُ نِظَامُ مَا نَشَرْ مُحَمَّدُ الْحَسَنُ بَيْدَرُ الأَغَرّ

ثم بين منهج بيدر في الأصل بقوله:

وَكَانَ قَدْ يُفَسِّرُ الْجَلِيَّا إِنْ يَكُنِ الْمَعْنَى بِهِ خَفِيَّا
وَقَدْ يُعَبِّرُ بِمَا قَدِ اقْتَضَى مَعْنَى الْكَلاَمِ لَهُمَا النَّدْبُ الرِّضَى
وَكَانَ يَكْتَفِي بِحَلِّ أَولِ كَلِمَةٍ مِن مُتَكَرِّرِ الْعَلِي
إِذَا لِمَعْنَى وَاحِدٍ تَكَرَّرَا وَقَدْ يُعِيدُه لِمَعْنًى آخَرَا
وَكُنتُ فِي كِتَابِهِ قَلَّدتُّهُ لِثِقَتِي مِنْهُ بِمَا اسْتَفَدتُّهُ
لَمْ أَتْرُكَنْ مِنْهُ سِوَى الْقَلِيلِ مِنَ التَّصَارِيفِ كَذَا الأُصُولِ
سَمَّيْتُهُ إِفَادَةَ الأَرِيبِ مِن لُغَةِ الْقُرْآنِ بِالْغَرِيبِ
أرجو به الصفح عن الذنوب وها أنا أشرع في المطلوب

سورة البقرة:

أرجح ما قيل من الأقوال في ما مثل ص من ذوات الأحرف هو اختصاصه بما يريد منها أو الأحرف من أسما المجيد:

مَرَضٌ النِّفَاقُ وَالشَّكُ هُمَا غِشَاوَةٌ هِي الغِطَاءُ عَظُمَا
وَيَعْمَهُونَ حَارُوا فِي تَرْدِيدِ طُغْيَانِهِمْ تَجَاوُزُ الْمَحْدُودِ
شِدَّةُ صَوْتِ الرَّعْدِ مَعْهُ سَائِقُ صَيِّبٌ الْمَطَرُ وَالصَّوَاعِقُ
مِن قِطَعِ النَّارِ وَنَارٌ تَخْرُجَ مِنَ السَّحَابِ وَالْجَمِيعَ يُزْعِجُ

وأما الجزء الثاني من إفادة الأريب فقد حققه الطالب محمد ولد محمد أحمد في معهد ابن عباس للدراسات الإسلامية سنة ١٤٠٨هـ ويبدأ من سورة مريم إلى سورة الناس ونأخذ بعض النماذج من هذا الجزء يقول:

أَنَابَ لِلإِلَهِ تَائِباً رَجَعْ وَالصَّافِنَاتِ لِلْخُيُول إن تَقَعْ
عَلَى ثلاثِ أَرْجلٍ وَلِلطَّرَفْ حافر رابعَةِ الأَرْجُلِ ثقف

ثُمَّةَ لَحْنُ الْقَوْلِ لِلتَّعْرِيضِ بِهْ   تَهْجِينُ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ فَانْتَبِهْ
تَفْهَمُ مَعْنًى لِمُخَاطَبٍ بِلاَ   تَصْرِيحِهِ لاَ ضِدُّ إِعْرَابٍ جَلاَ
عَنِتُّمُ أَثِمْتُمُ وَلاَتَنَا   بَزُوا دُعَاءُ الْبَعْضِ مِنْهُمْ عَلَنَا
بعضاً بِمَا يَكْرَهُهُ مِن لَقَبِ   تَحْسِيسٌ الْعَوْرَةُ عَنْهَا نَكِّبِ
إِيَّاكُمُ عَطْفٌ عَلَى الرَّسُولِ   فَهْيَ مِنَ التَّحْذِيرِ فِي عُدُولِ
كِبَاراً لِعَظِيمِ وُداً وَالَّذِي   قَدْ عَطَفُوا إلى وَنَسْراً مِن رَذِي
أَسْمَاءُ أَصْنَامٍ وقِيلَ صُوَرُ   عَبَدَهَا مِنْ قَوْمِ نُوحٍ زُمَرُ
كَبِيرَةُ الْحِيَاضِ كَالْجَوَابِ   وَرَاسِ الثَّابِتِ فِي التُّرَابِ
الإِعْيَا مِنَ التَّعَبِ جِدًّا اللُّغُوبُ   يَضْطَرِخُونَ يَسْتَغِيثُونَ تَثُوبْ
النَّبْتُ لاَ سَاقَ لَهُ الْيَقْطِينُ   وقَرْعٌ قِيلَ وقِيلَ التِّينُ
وخَمْطٌ أي مُرٌّ وَأَثْلٌ شَجَرُ   يُشَابِهُ الطَّرْفَاءَ وَهْوَ أَكْبَرُ
صَافِي الصَّدَاقَةِ هُنَا أَوْ الْقَرِيبْ   حَمِيمٌ الْمَشْحُونُ مَمْلُوءٌ يَؤُبْ
الصَّرْحُ سَطْحٌ مِن زُجَاجٍ أَبْيَضِ   شَفَّافُ الْمَا تَحْتَهُ جَارٍ مُضِي
مُمَرَّدٌ مُمَلَّسٌ قَوَارِيـ   ـرُ مَا السَّرَابُ فِيهِ ذو اسْتِقْرَارِ
مِن الزُّجَاجِ مَجْمَعُ الْقَارُورَة   نُبَيِّتُنْ نَقْتُلُن فِي السُّورَةِ
وَمَا بِهِ الْمَاعُونُ يُسْتَعَانُ   كَالْفَأْسِ وَالإِبْرَةِ لاَ يُصَانُ
والصَّمَدُ: الْمَقْصُودُ فِي الْحَوَائِجِ   وَالْفَلَقُ لِلصُّبْحِ الْمُضِيءِ الْخَارِجِ
ذُو الْخَنَسِ أَوْ ذُو الْغَيْبَةِ الْخَنَّاسِ   سَاعَةَ ذِكْرِ خَالِقِ الأَنْفَاسِ
تَمَّ بِحَمْدِ الله مَا أردتُ   مِن حلِّ مَا بِحَلِّهِ وَعَدتُ
فِي سَائِرِ الْقرآن مِن مَعَانِي   فَظِلُّهِ بِهِ عَلَيَّ دَانِ
نظَمَهُ مُحَمَّدُ بْنُ سِيدِي   مُحَمَّدٍ فَهُو ذُو التَّقْيِيدِ
الْجَكَنِيُّ الأَغْمِرِيُّ الْحَاجِ   أولاهُمَا الرحمنُ كُلَّ حَاجِ
مَعْ أَصْلِهِ وَالْفَصْلِ وَالأَشْيَاخِ   وَكُلِّ مَن كُنتُ لَهُ مُؤَاخِ
هَذَا وَحَمْدُ الله ذِي الآلاَءِ   آخِرُ دَعْوَايَ مِنَ الدُّعَاءِ

***

٢٩ ـ عبدالودود بن حمية الأبييري ت١٣٩٧هـ

مؤلف كتاب التنوير في علم التفسير.

هو العلامة عبدالودود بن عبدالملك بن عبدالودود بن محمذن بن الفاضل عبدالرحمن الأبييري.

لم يعرف تاريخ مولده بالضبط إذ لم توجد مصادر مكتوبة تحدد ذلك، وعلى هذا اضطربت الروايات في تحديد الفترة التي ولد فيها، وعند جمع المعلومات المتعلقة بتحديد مولده تبين أنه مولود ما بين ١٣١٤ ـ ١٣٢٠هـ في ضواحي أبي تلميت.

نشأ في بيئة علمية محترمة، وفي بيت نال أهله حظاً كبيراً من العلم، وخاصة القرآن الكريم، الذي اشتهرت قبيلته «إِدَكْبَسْرِينْ» به وبتدريسه فكانت بداية دراسته على والده، وبعد ذلك بدأ يدرس خارج نطاق أسرته، فطلب العلم أولاً في المحاضر القريبة من أهله، ثم تاقت نفسه إلى تحصيل المعارف الجمة، والتي لا تحصل غالباً إلا بالتشمير والغربة والأهبة والاستعداد والتضحية بكل ما هو غال ونفيس، فتهيأ الشيخ ورحل إلى المرابط عبدالفتاح التركزي، المشهور بالاشتغال بتدريس القرآن، مع إتقان الضبط والرسم والتجويد فلازم هذا الشيخ المتقن حتى أجازه في قراءة نافع من روايتي ورش وقالون، وهذه الإجازة لا تعطى إلا لمن أتقن هذا الحرف، وحفظ العلوم المتعلقة بذلك حتى صار مرجعاً فيها.

ثم بعد هذه المرحلة رجع إلى منطقته الزاخرة آنذاك بالعلماء المتخصصين، في اللغة العربية، وفي الدراسات الإسلامية المختلفة، فتنقل بين مجموعة من العلماء حتى استقر به المقام عند العلامة الجليل، والسنى الكبير، الشيخ باب بن الشيخ سدي، الذي قدمنا الكلام عليه بشيء من التفصيل، وخاصة فيما يتعلق بموقفه من التبصر، والعمل بالكتاب والسنة، وموقفه السلفي الواضح، ومحاولة نشره لمنهج وسط، يقضي على التعصب ويفتح الباب أمام التعايش السلمي، بين مختلف الأفكار، والتوجهات، على

نهج السلف الصالح: «رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب» كما اشتهر عن الإمام الشافعي وغيره من أئمة المسلمين.

استقر عبدالودود عند هذا الشيخ الذي يعتبر أشهر عالم شنقيطي في زمنه، وذلك بعد أن حصل معارف جمة قبل أن يقدم عليه، لكنه لازم التحصيل والإقبال على أخذ مختلف العلوم عن هذا الشيخ، الذي هو نادرة زمانه، فأخذ عنه تفسير القرآن آية آية، وقرأ عليه السنة واستفاد من مكتبته الغنية بالمصادر النادرة في جميع فروع المعرفة.

كما استفاد من حلقات الشيخ باب العلمية التي كانت تعقد من حين لآخر، والتي كان يغلب عليها التفسير وعلوم القرآن والسنة وعلومها وتبيين عقيدة «السلف الصالح» لأن الشيخ باب كما ذكرنا من قبل وقف حياته لتنوير المجتمع ومحاولة رده للكتاب والسنة والتخفيف من وطأة التعصب المذموم، ويروى أن ابن حمية كان حريصاً على طرح الأسئلة على الشيخ للاستفادة منه، وعنه أخذ المعتقد السلفي، ونظم ذلك في أبيات يقول فيها:

ومن رضي بالله رباً واعترف	أن ليس شيء مثله فقد عرف
فَمَا تَرى قد صَحَّ أَن وُصِفَ بِهْ	فَاقْطَعْ بِهِ ولا تفسِرْ مُشْتَبِه
فلا تُشَبِّهْ وَصْفَ رَبِّنَا فَلاَ	شيءَ كَمِثْلِ الرَّبِ جَلَّ وَعَلاَ
وَلاَ تُؤَوِّلْ عَنْهُ مَا لاَ يَعْلَمُ	تَأوِيلَهُ إلاَّ الإلَهُ الأَعْظَمُ
وَلاَ تَرُمْ إدراك كُنْهِ مَا لَم	تَرَ وَلاَ رَأَيْتَ كَهُوَ تَسْلَم
فَهُوَ هُوَ اللَّهُ لاَ رَيْبَ وَمَا	أَوْحَىٰ إلىٰ مُحَمَّدٍ حَقٌّ أَمَا
سَمِعْتَ قَوْلَهُ وَإن كنتم فِي	رَيْبٍ فَمَا ثم دليل يكْفِي

وقد ظل الشيخ عبدالودود ملازماً للشيخ باب آخذاً عنه، متعلقاً به، لا يحيد عن مجلسه ومحضرته إلى أن توفي رحمه الله **١٣٤٢هـ** في أبي تلميت.

ولما توفي رثاه بقطعة شعرية يقول فيها:

فَإِن تَكُ أَعْيُنٌ ذَهِلَتْ وَنَامَتْ	وَصَحَّ لَهَا عَنِ الشَّيْخِ الْعَزَاءُ

فَأَعْيُنُنَا أَضَرَّ بِهَا بُكَاهَا ... وَعَيْنُ الدَّهْرِ أَذْهَلَهَا الْبُكَاءُ

وكما أخذ عن العلامة باب فقد أخذ عن علماء آخرين من بينهم: القاضي العلامة سيدي محمد بن داداه الأبييري ١٣٦٤هـ فقد أخذ عليه شيئاً من علوم النحو وتحكي الرواية أنه حفظ عليه الألفية في مدة عشرة أيام فقط، وكان ذلك برهاناً ساطعاً على حدة ذكائه وأثبتنا هذه المسألة، مع أنها خارقة للعادة، لأنها منقولة عن الشيخ الأستاذ إبراهيم بن يوسف، وهو من الأفاضل الذين قرأوا على الشيخ عبدالودود بن حمية[1].

وقد أخذ اللغة وأشعار العرب عن العلامة الشيخ محمد أحمد بن الرباني التندغي رحمه الله تعالى ١٣٥٢هـ وقد برع فيها أيما براعة وتكونت عنده ملكة فيها سهلت عليه التبحر في جميع المجالات الشرعية وخاصة علوم القرآن التي يوليها الشيخ عناية فائقة فقد ألف في الرسم، والقراءات، والفواصل، والتفسير.

وقد أخذ الإجازة في القراءات السبع، على الشيخ محمد عبدالرحمن بن فتى الشقروي المتوفى ١٣٦٤هـ.

● آثاره العلمية:

إن الآثار العلمية، لابن حمية تعبر بجلاء عن عمق الرجل، وسعة علمه، وتنوع معارفه، فهو بحر زاخر، أعطى وجهته لخدمة القرآن، وشمل ذلك علم التجويد، فقد ألف فيه كتاب الإشارات في علم القراءات، وهو كتاب جيد نظمه ليكون برنامجاً تحفظ من خلاله القراءات العشر، وألفه على غير طريقة الشاطبية، لأن الرموز التي ألف عليها الشاطبي والتي ذكرها في حرز الأماني بقوله:

جَعَلْتُ أَبَا جَادِ عَلَىٰ كُلِّ قَارِئٍ ... دَلِيلاً عَلَى الْمَنْظُومِ أَوَّلَ أَوَّلاَ

وَمِن بَعْدِ ذِكْرِي الْحَرْفَ أُسْمِي رِجَالَهُ ... مَتَىٰ تَنْقَضِي آتِيكَ بِالْوَاوِ فَيْصَلاَ

---

(١) تحقيق التنوي ص١١.

إلخ.. لا تخلو من صعوبة، فألف هو الإشارات، دون رموز فذكر فيه قراءات السبعة، ثم أفرد ما للثلاثة، وهو نظم رجزي يبلغ مائة وألفي بيت (٢١٠٠) بيتاً، وتقول الروايات أنه ألف هذا الكتاب قبل أن يحصل على إجازة السبع التي أجازه بها الشيخ محمد عبدالرحمن بن فتى الشقروي.

- وله كتب ثلاثة في الرسم:

أولها: الرقوم في علم الرسوم مائتان وألف (١٢٠٠) بيتاً.

ثانيها: الإعلام ويبلغ عدد أبياته ست مائة بيت.

ثالثها: المصفى: في الذي من الرسم يخفى، ١٢٠ بيتاً.

- وله كتاب الرسوخ في علم الناسخ والمنسوخ، وقد حقق هذا الكتاب، وله كتاب في ضبط القرآن منثور إلا ستة أبيات، أتى بها في بدايته لتكون ترجمة له.

- وله كتاب: تحفة الغلمان: من طلبة القرآن، وحقق في جامعة انواكشوط سنة ١٩٨٦م[(١)].

- وله كتاب على لامية الأفعال لابن مالك.

- وله كتاب الوسائل، في علم الفواصل، وقد شرحه المقرىء الكبير الشيخ صداف بن محمد البشير، كما حققه أحد الطلاب في المعهد العالي.

- وله كتاب جمع فيه مسائل من اللغة ومن علوم القرآن، وحقق في المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية.

• محضرته وتلاميذته:

عندما أكمل ابن حمية رحلته العلمية، وعاد منها إلى أهله محملاً بذخائر العلم والمعرفة، استقر به المقام في قبيلته في ضواحي مدينة أبي تلميت، وأسس محضرته التي ذاع صيتها فيما بعد، وأقبل عليها الطلاب من

---

(١) حققته الدكتورة الفاضلة مريم بنت الشيخ.

كل حدب وصوب، فاحتضنت هذه الجموع احتضان الأم الحنون لأطفالها الصغار، وهكذا قدمت هذه المحضرة لطلاب العلم من جميع الأعمار والمستويات دروساً علمية منتقاة وشاملة وعميقة، ومع أنها محضرة جامعة، أي تدرس جميع العلوم، إلا أنها في الواقع أكثر ميلاً للدراسات القرآنية واللغوية، وقد أنجبت هذه المحظرة نخبة من العلماء نقتصر هنا على ذكر بعض مشاهيرهم:

- الشيخ عبدالله بن داداه.
- هارون بن الشيخ سيديا.
- عبدالله بن المختار ابن الشيخ سيديا.
- عبدالله بن حمية.
- محمد سالم بن مينحى.
- محمد محمود بن الرباني.
- محمد الأمين بن لكرامه.
- إبراهيم بن يوسف بن الشيخ سيديا.
- النعمة بن المختار السالم، وخلق كثير لا يحصى[١].

وتوفي العلامة عبدالودود بن حمية سنة ١٣٩٧هـ، ودفن بمقبرة البعلاتية مع شيخه، الذي كان مولعاً به: باب ابن الشيخ سيديا، وخلف ٦ أبناء.

أما كتابه: التنوير في علم التفسير، فهو نظم نفيس جداً ويعنى أساساً بالتفسير بالأثر، ويتضح من خلاله أن ابن حمية مقتنع بأن التفسير بالقرآن

---

(١) عبدالله بن خكار ص١١ نقلاً عن الأستاذ إبراهيم بن يوسف.

يجب أن يعتمد على الأثر قبل كل شيء، حتى أنه كان يرى أن التفسير بالرأي غير مشروع فيقول:

والرأيَ دَعْ بِالرأيِ لا تُفسِر ولا تقل بغير علم احذر

ولعل ابن حمية يحذر من التفسير بالرأي المذموم، وهو تفسير بمجرد الهوى، لا يستند إلى نصوص الشريعة، ومن المعروف أن أكثر الذين فسروا القرآن بمجرد الرأي هم أهل البدع، والمذاهب الباطلة، فقد اعتقدوا معتقدات باطلة، وآراء زائفة ليس لها سند، ولا دليل، ثم أرادوا أن يستدلوا لها من القرآن الكريم، فلم تطاوعهم النصوص على ما ذهبوا إليه، ففسروها بآرائهم، وحملوها ما لا تحتمل، كما قال ابن تيمية عن هؤلاء:

إن مثل هؤلاء اعتقدوا رأياً، ثم حملوا ألفاظ القرآن عليه، وليس لهم سلف من الصحابة، والتابعين لهم بإحسان، ولا من أئمة المفسرين، لا في رأيهم ولا في تفسيرهم، ويقول ابن تيمية (فأما تفسير القرآن بمجرد الرأي فحرام) كما تقدم وأما التفسير بالرأي المحمود، المستمد من القرآن والسنة، وكان صاحبه عالماً بقواعد الشريعة، وأصولها، فلا يحذر منه الشيخ، لأن المفسر في هذه الحالة إنما يبذل جهده ووسعه في فهم النص القرآني وإدراك معناه مستنداً إلى اللغة والنصوص والأدلة الشرعية، ولعل هذا النوع هو الذي دعا به الرسول ﷺ لابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ كما في الحديث الصحيح بقوله: **«اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»**[1] وفيه وقع الاختلاف بين الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ في معنى الآية، فأخذ كل واحد برأيه على مقتضى نظره في المقتضى كما قال الزركشي **ت٧٩٤هـ**.

وسوف نتعرض لهذا الكتاب بشيء من التفصيل إن شاء الله تعالى.

* * *

(١) انظر البرهان للزركشي ج٢/١٦١ ومجموع فتاوى ابن تيمية ٣٥٨/١٣، والتفسير والمفسرون للذهبي ج١/ ص٢٦٣ ومقدمة في أصول التفسير ص١٠٥، وبحوث في أصول التفسير فهد الرومي ص٨.

٣٠ ـ القاضي محمد يحيى بن عبدالله بن الدنبجة التندغي توفي في أواخر القرن ١٤ الهجري

له نظم تفسير ابن عباس.

وهذا النظم يحاول الأستاذ محمدن بن محمد يحيى نجل الناظم أن يحققه، وينشره، وقد خطا خطوات في هذا الاتجاه، حيث خزنه في الكمبيوتر، وبدأ في التعليق عليه.

ولقد أرسل لي نماذج من هذا العمل مع الدكتور الصديق محمدن بن محمد علي ولكنها ضاعت علي، ومع هذه النماذج ترجمة كاملة عن هذا العلامة.

* * *

٣١ ـ العلامة محمد عبدالله بن الإمام الجكني ت١٤١٣هـ

هو: محمد عبدالله بن سيد محمد بن محمد الأمين بن الإمام بن عبدالجليل الجكني ثم الزلمطي، فخذ العلامة بن بونه، وجده لأمه الفقيه سيدي بن حين الزلمطي، وأمه الفقيهة مريم بنت حين، ولد بتكانت وتوفي عنه أبوه وهو جنين في بطن أمه وتربي في بيت جده، ترعاه أمه الفقيهة مريم، فقد أخذ مبادىء الدراسة عليها وعلى أخيها الفقيه القارىء محمد السالم بن حين، ثم بدأ بالمطالعة في السيرة النبوية والتاريخ واللغة.

ولما قارب البلوغ، رحل في طلب العلم، فحط رحله عند محضرة أهل محمود بن أحبيب إحدى أهم المحاظر القرآنية في تلك الفترة، فقرأ بها القرآن وعلومه، ثم تحول إلى محظرة أهل الطالب بن أعل، وهي محظرة متميزة فراجع فيها بعض علوم القرآن، وأخذ شيئاً من التصريف، ثم رجع إلى مسقط رأسه، حيث أخذ عن الفقيه ذائع الصيت أحمد بن مود الجكني.

وبعد وفاته أخذ عن العلامة محمد يحيى بن الشيخ الحسين بن آدو،

ثم تحول إلى محضرة أهل «اجميلي» فأخذ منها علم الكلام، والمنطق، وبعض العلوم الأخرى. ثم توجه إلى نادرة زمانه لمرابط أبَّاهْ بن محمد الأمين، فأكمل عنده دراسة المنطق، والأصول، وتعمق عنده في الدراسات اللغوية كالنحو والتصريف والبلاغة، وتعتبر مدة إقامته بمحضرة لمرابط أباه بمثابة تدريب على تدريس جميع العلوم الشرعية، واللغوية، فكان يخلف الشيخ في محضرته، فيدرس لجميع الطلاب في جميع المستويات، ومحضرة أباه مضرب المثل في التفنن، والتبحر، فيدرس فيها الحساب، والجغرافيا، والتاريخ، بالإضافة إلى جميع العلوم الشرعية المعروفة، كما قضى فترة بمحضرة العلامة بيدر بن الإمام، وقرأ بها شيئاً من تفسير القرآن الكريم، وكان لها أثر بارز على توجيهه للقرآن.

عرف عن العلامة: محمد عبدالله ذكاؤه الحاد، وعبقريته الفذة، وانقطاعه للعلم، يقول عنه العلامة محمد عبدالله بن عبدالله الحاجي الوتدي[1]، لقد كان الشيخ محمد عبدالله بن الإمام غاية في الذكاء، وقوة الفهم، وسرعة البديهة...

أسس العلامة عبدالله بن الإمام محضرة متخصصة في كل العلوم الشرعية واللغوية، وقف نفسه لطلب العلم ونشره لا يريد مالاً ولا وظائف حكومية ولا غير ذلك، واستمرت هذه المحضرة في تكانت موطنه الأول ردحاً من الزمن، ثم رحل إلى مدينة كرو، وتولى إمامة الجامع بها، وبدأ يزاول بهذه المدينة مهام الفتوى والتدريس، ونشر بها معارف جمة من تآليفه وتآليف غيره، وكان مهتماً بالقرآن الكريم من جميع جوانبه، رسماً، وتجويداً، وإعراباً، وبلاغة وتفسيراً، ويلاحظ أنه قل أن تخلو جلسة من جلساته من نكتات علمية، ومناقشات وملاحظات دقيقة.

والشيخ رحمه الله تعالى من أكثر الناس زهداً في الدنيا، فلا يأنس لشيء غير مجالسة طلاب العلم ومحاوراتهم، ولا تخلو مجالسه من

---

(١) علامة مؤلف معاصر وأستاذ في المعهد العالي في الدراسات والبحوث الإسلامية.

مداعبات مليحة. وكَانَ حَذِراً من الخوض في المتشابه، وينزعج كلما ألجىء إلى الكلام في بعض علم الكلام وينشد في هذا المعنى:

الْخَوْضُ فِي مُشْتَبِهَاتِ الذِّكْرِ مِمَّا يَجُرُّ لِفَسَادِ الْفِكْرِ
آمِن بِهِ عَلَىٰ مُرَادِ الْحَقِّ مِنْ غَيْرِ تَشْبِيهٍ لَهُ بِالْخَلْقِ
وَأَنَّهُ عَلَىٰ مَعَانٍ دَلاَّ لاَقَتْ بِمَوْلاَنَا عَلاَ وَجَلاَّ

وكان يردد أمام طلبته هذه الأبيات:

غَايَةُ عِلْمِ الْعُلَمَا وَمُنْتَهَىٰ إِدْرَاكِ أَرْبَابِ الْعُقُولِ وَالنُّهَىٰ
أَنْ يَعْلَمُوا أَنَّ لِهَذَا الْخَلْقِ مُخْتَرِعاً أَوْجَدَهُ بِالْحَقِّ
مُتَّصِفاً بِصِفَةِ الْكَمَالِ مُنَزَّهاً عَن ضِدِّهَا الْمُحَالِ

- **تلامذة الشيخ:**

لقد تخرج من محضرة الشيخ محمد عبدالله جمع كثير من طلاب العلم، منهم قضاة وأئمة ومدرسون فمنهم على سبيل المثال:

١ ـ الشيخ محمد بن محفوظ: مدرس نابه، وإمام أحد الجوامع في مدينة انواكشوط.

٢ ـ محمد عبدالرحمن بن الديه البوصادي شيخ محضرة في لعصاب.

٣ ـ سيد محمد بن سيد عثمان.

٤ ـ محمد بن عبدالعزيز.

٥ ـ سيد محمد بن الشريف بن الطلبه.

٦ ـ محمد حرم بن عبدالفتاح.

٧ ـ الشيخ الفقيه يحيى بن الإمام حفظه الله، وكل أبنائه الكرام أخذوا من علومه الجمة، فمنهم المرحوم صديقنا وحبيبنا الأستاذ محمد الأمين الأديب الأريب الذكي الفاضل، فتربى على يده وأخذ من علمه الجم، ومنهم الأصولي الفاضل العزيز: المختار بن الإمام حفظه الله، وغيرهم.

وما زالوا ولله الحمد يسيرون على نهج الشيخ في خدمة العلم ونشره، وغير هؤلاء كثيرون لا يتسع المقام لذكر جميعهم.

- **وللشيخ مؤلفات علمية كثيرة منها:**

ـ نظم غريب القرآن.

ـ حلية المسامع بمكنونات الدرر اللوامع (وقد طبع).

ـ طرد الدخيل عن حروف التنزيل حقق بالمعهد العالي.

ـ احمرار على نظم ابن بري.

ـ نظم في القراءات السبع، بلغ قريباً من ألف بيت ولم يكتمل.

ـ درر الفوائد في علم العقائد.

ـ مذهب السلف الصالح في المتشابه.

ـ شرح صغرى السنوسي.

ـ نظم مفتاح الوصول للشريف التلمساني (حقق).

ـ القول السديد في بيان طرق الاجتهاد والتقليد (حقق).

ـ تدريب العقول على موافقة المعقول للمنقول (حقق).

ـ شرح على الآجرومية.

ـ نظم البلاغة الواضحة (حقق في المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية).

ـ إيضاح الامتياز بين الحقيقة والمجاز.

ـ رسالة في وجوب زكاة عروض التجارة والعملات المتعامل بها.

ـ تنبيه الحكام فيما يعتري النشوز من الأحكام (حقق).

ـ رسالة الانتصار لمن قال بمنع الاستعانة بالكفار.

- تنبيه الساجدين على بطلان صلاة الشاطحين (طبع بالإمارات).
- تاريخ ونسب لمتونه بالمغرب.
- نظم سلسلة نسب آل مولاي الزين.

إلى غير ذلك من الرسائل والمنظومات.

ومن الملاحظ أن هذه المؤلفات التي ذكرناها خالية من علوم الحديث، وليس ذلك راجعاً إلى عدم عنايته بها، بل كان مهتماً بالحديث اهتماماً كبيراً، وله إجازات علمية من العلامة بداه بن البصيري والعلامة التقي ابن محمد عبدالله التشيتي. وأخيراً فإن العلامة محمد عبدالله كان من الشعراء الأفذاذ الذين لا يكلفهم نظم القصائد أي عناء، ولكن شعره في الغالب كان منصباً على المواعظ والتزهيد في الدنيا والاتعاظ بأحداثها وتقلباتها، والانتصار لهذا الدين الحنيف، والوقوف في وجه من يمس منه.

● **ومن شعره:**

لَقَدْ عَشِقَ الدُّنْيَا أُنَاسٌ وَمَا دَرَوْا ... مَسَاوِئَهَا وَالْغِرُّ مَنْ غَرَّهُ الدَّهْرُ
عَجُوزٌ تَثَنَّتْ فِي ثِيَابِ خَرِيدَةٍ ... أُنِيطَ بِهَا حِلْيٌ وَفَاحَ بِهَا عِطْرُ
فَأَصْبَحَ مَن غَرَّتْهُ يُنشِدُ آسِفاً ... يَعُضُّ عَلَى الإِبْهَامِ إِذْ كُشِفَ السِّتْرُ
عَجُوزٌ تَمَنَّتْ أَنْ تَكُونَ فُتَيَّةً ... وَقَدْ نَحِفَ الْجَنْبَانِ وَاحْدَوْدَبُ الظَّهْرُ

ويقول:

أَأُمَّةَ خَيْرِ الْخَلْقِ مَاذَا التَّفَرْنُجُ ... فَدِينُكُم أَعْلَىٰ أَغَرُّ وَأَبْلَجُ
عَلَيْكُم مِنَ الله التَّحِيَّةُ بَاعِدُوا ... عَنِ الْكُفْرِ إِنَّ الْكُفْرَ أَدْنَىٰ وَأَسْمَجُ

وله في نقد القوانين الوضعية:

حُكْمُ الشَّرِيعَةِ فِي كُلِّ الْمَيَادِينِ ... مَا إن يُجَارِيهِ وَضْعِيُّ الْقَوَانِينِ
فَإِنَّ ذٰلِكَ تَدْبِيرُ الْحَكِيمِ الَّذِي ... أَحَاطَ عِلْمَاً وَذَا وَحْيُ الشَّيَاطِينِ

ولقد تبوأ العلامة عبدالله بن الإمام مكانة دينية واجتماعية في محيطه،

قل أن يحظى بها أحد، يقول فيه العلامة بداه بن البصيري في إجازته له في الحديث: لقد أجزت للجامع بين المعقول والمنقول السني السني محمد عبدالله بن الإمام جميع ما تجوز لي روايته من سائر كتب السنة، والمسانيد، والمعاجم، وغيرها.

ويقول فيه الشاعر الكبير نابغة زمانه محمد الأمين بن ختار الجكني:

وابنُ الإمَامِ فِي الْعُلُومِ النَّازِلَهْ مِن بَعْدِهِ فَأُمَّهُ بِالنَّازِلَهْ
يَكْفِيكَهَا بِنَظَرٍ سَدِيدِ مُؤَيَّدٍ بِفَهْمِهِ الْحَدِيدِ

وقد رثى العلامة جمع كثير من الشعراء منهم الشاعر الكبير المختار بن مينحن، يقول:

غَاضَ الْوَفَاءُ وَنَجْمُ الْعِلْمِ قَدْ أَفَلاَ وَالْحُزْنُ نَادَىٰ بِأَعْلَىٰ صَوْتِهِ الْجَفَلاَ
مَا كَانَ بِالْبِدْعِ شَمْسٌ لِلْهُدَىٰ أَفِلَتْ ولا من البدع بَدْرٌ لِلْهُدَىٰ أَفَلاَ

ويقول مولاي أحمد بن مولاي في رثائه:

سَهْمُ الْمَنِيةِ نَافِذٌ فِي الْمَقْتَلِ وَقَتِيلُه نَبَأٌ لِمَن لَّمْ يُقْتَلِ
بَلْ يَصْطَفِي خِيَارَ كُلِّ قَبِيلَةٍ كَالْمُسْتَهَامِ بِكُلِّ رَقْمٍ أَوَّلِ
لَمَّا نُعِي عَبْدُالإِلهِ إمَامُنَا لَيْلِي هَجَعْتُ بِحَسْرَةٍ وَتَمَلْمُلِي

توفى العلامة عبدالله بن الإمام سنة ١٤١٣هـ.

أما نظمه لغريب القرآن، فقد حققه الطالب المصطفى بن محمد الزين بن لمخيطير، وهو يقع في ٣٨١ بيتاً على وجه التحديد، يتناول ٤٩٥ كلمة أخذها من تفسير ابن جزي، مع زيادة عليه بلغت ٧٦ فالجميع ٥٦١ كلمة من كلمات القرآن الكريم بدأ الناظم بمقدمة تعرض فيها لجهود العلماء في خدمتهم لكتاب الله سبحانه، وإلى أنواع تلك الخدمات المتميزة، وبعد نهاية المقدمة، بدأ بالكلمات مرتباً لها على حروف المعجم حتى نهاية الحروف ونورد هذه المقدمة للاستفادة:

قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ مَن مُحَمَّدُ ... سُمَاهُ بِسْمِ اللَّهِ بَدْءاً أَحْمَدُ
حَمْداً لِمَنْ أَرْسَلَ خَيْرَ الْعَرَبِ ... إِلَى الأَنَامِ بِالْكِتَابِ الْعَرَبِي
تَفَضُّلاً مِنْهُ عَلَى الْعِبَادِ ... فَصَارَ فَضْلُ ذَا اللِّسَانِ بَادِ
فَكَانَ مِنْهُ الْوَاضِحُ الْجَلِيُّ ... وَمِنْهُ مَا يَعْرِفُهُ الذَّكِيُّ
فَقَامَ أَهْلُ الْعِلْمِ يَهْرَعُونَ فِي ... خِدْمَةِ ذَا الذكْرِ بِتَوْضِيحِ الْخَفِي
فَمِنْهُمُ الْمُعْرِبُ وَالَّذِي شَرَحْ ... أَلْفَاظَهُ بِمَالَهُ الصَّدْرُ انْشَرَحْ
وَمِنْهُمُ الْمُبِينُ لِلْمَنْسُوخِ ... وَنَاسِخٍ بِحَسَبِ الرُّسُوخِ
وَمِنْهُمُ الْمُبِينُ لِلأَحْكَامِ ... وَكُلُّهُمْ لِلْعِلْمِ ذُو إِحْكَامِ
هٰذَا وَقَدْ صِرْتُ طُفَيْلِياً عَلَى ... مَوَائِدِ الْقَوْمِ الْكِرَامِ الْفُضَلاَ
رَجَاءَ مَا يَرْغَبُ فِيهِ التَّابِعُ ... مِن شَرَفِ الْمَتْبُوعِ مَنَّ النَّافِعُ
فَالْقَوْمُ نِعْمَ الْقَوْمُ لاَ يَشْقَىٰ بِهِمْ ... جَلِيسُهُمْ تَفَضُّلاً مِن رَبِّهِمْ
فَرُمْتُ نَظْمَ شَرْحِ بَعضِ الْكَلِمِ ... مُرَتَّباً عَلَىٰ حُرُوفِ الْمُعْجَمِ
مقتدياً بِابْنِ جُزَيٍّ الْعَارِفِ ... الْمُرْتَقِي مَرَاقِيَ الْمَعَارِفِ
وَرُبَّمَا قَدْ سَنَحَتْ زِيَادَهْ ... فَزِدتُّهَا لِتَكْمُلَ الإِفَادَهْ

وللشيخ تعليقات على بعض الآيات القرآنية نورد منها واحداً وهو تعليقه على قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾ [طه: ١٢١، ١٢٢] وجئت بهذا التعليق بكامله لما فيه من الفائدة الكثيرة يقول:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين
وعلى سائرهم والملائكة والصالحين

أما بعد: فإن الله تعالى أنزل في كتابه العزيز ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ وحكى عن إبليس لعنه الله تعالى قوله: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ وأخبر تعالى أنه اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين. فوجب بهذا ألا

يتسلط عليه إبليس بما يؤثر في دينه قلامة ظفر من نقص فعلمنا أن قوله تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ ليس المراد به أنه عصى أمراً تكليفياً، ولا بالغواية الضلال عن طريق الحق، بل العصيان إنما هو في أمر إرشادي والغواية إنما هي عن طريق الخلد في الجنة، وذلك لما سبق في علم الله تعالى وقضائه أنه جاعله خليفة في الأرض كما أخبر ملائكته بذلك قبل خلق آدم، فقد حكم الله تعالى بأن آدم يدخل الجنة ثم يخرج منها للأرض ويكون سبب ذلك وسوسة إبليس اللعين، فأخبره الله تعالى أنه سبق في علمه أنه متى أكل من تلك الشجرة خرج من الجنة فشقي بسبب ذلك أي تعب في الدنيا لأنها دار تعب، بخلاف الجنة فإنها دار تنعم، وليس إخراج الله تعالى إياه من الجنة عقوبة على معصية لأن الله تعالى لم ينهه عن الشجرة نهي تكليف، كيف والجنة ليست دار تكليف، بل هو نهي إرشاد إلى طريق الخلد في الجنة فقط بدليل قوله تعالى: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ...﴾ الخ. فقد أشار ﷺ إلى هذا فيما رواه أصحاب الصحيح، من حديث المحاجة حيث قال ﷺ: «**فحج آدم موسى**»، إذ لو كان ما فعله آدم معصية تكليفية لما كان له حجة في القدر، فظهر بهذا أن الحديث وارد في بيان تأويل الآية، ولعل الحكمة في كون خروج آدم عليه وعلى نبينا وسائر الملائكة والأنبياء الصلاة والسلام من الجنة مترتبة على وسوسة إبليس له إظهار عداوة إبليس وبيان غشه في نصيحته لنا لنحذره أشد الحذر، كما يرشد إلى ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ...﴾ الخ. ومما يدل على أن وسوسة آدم ليست مما يتعلق بالدين، ما حكاه الله تعالى عند قوله: ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ...﴾ الخ. فلم يقل لأحتنكنه وذريته وما ذلك إلا لعلمه أنه لا سبيل عليه لأنه من المخلصين وكما يرشد إلى ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا﴾ ومعلوم بُعْدُ آدم على نبينا وعليه وسائر النبيين والملائكة والصالحين الصلاة والسلام من تلك الساحة، فعلم أن اتباعه له في أكل الشجرة ليس من جنس ما اتبعه فيه عصاة ذريته إذ عصاة الذرية اتبعوه بمخالفة ما تعبدهم الله به وهو إنما اتبعه في مخالفة أمر إرشادي يترتب على عصيانه له مشقة دنيوية فقط، هذا

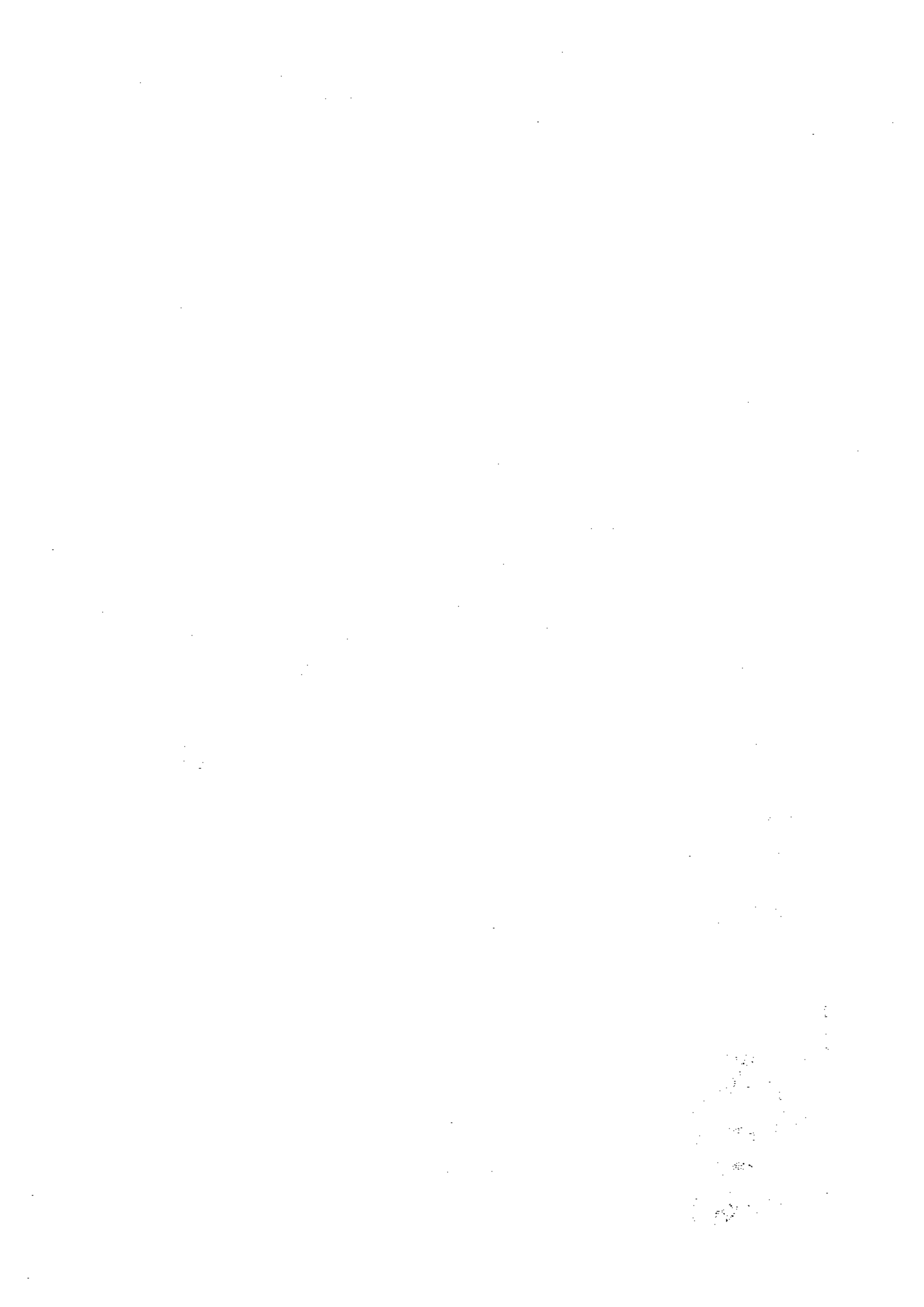
ولا يرد على ما ذكرناه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ (١٢٢)﴾ إذ التوبة لا تستلزم سبق ذنب لقول الله تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ...﴾ الخ، وقوله تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ إذ الظلم إنما هو وضع الشيء في غير محله فليس مختصاً بالمعصية، ولو كان المراد أنه أذنب ذنباً حاشاه من ذلك فتاب منه فتاب الله عليه لما كان يخرج من الجنة بسببه وهذا من الوضوح بمكان، فهذا يغني عما تكلفه بعض شراح الحديث من الأجوبة البعيدة فإنهم رحمهم الله تعالى استشكلوا ما يوهمه ظاهر الحديث من الاحتجاج بالقدر، وراموا الجواب عنه، وغفلوا عما يستحقه جناب النبوة من العصمة بمقتضى صرف الآية عن ظاهرها، وهذا بمجرده كاف في عدم اقتضاء الحديث الاحتجاج بالقدر في جانب التكليف، وإنما هو بيان لما هو الأولى بالكمل من عدم النظر إلى الوسائط وإن مقامهم رؤية الأفعال كلها صادرة من الله تعالى كما يرشد له حديث: «**إياكم ولو فإن لو تفتح عمل الشيطان**» وحديث أنس ـ رضي الله عنه ـ «خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي في شيء فعلته، لم فعلته؟ ولا في شيء لم أفعله، لِمَ لَمْ تفعله؟ ونحو ذلك»[1].

❑ ❑ ❑ ❑

---

(١) من مخطوطات مكتبة أهل الإمام بمدينة (قرو) موريتانيا.

الباب الخامس
حركة التفسير في الوقت الحاضر



حركة التفسير في الوقت الحاضر

لقد حاولت خلال الأبواب الماضية إبراز حقيقة التفسير عند الشنقيطيين وذلك من خلال الترجمات لعلماء التفسير خلال القرون الثلاثة الماضية، ومن خلال النماذج الحية التي قدمتها عن مؤلفاتهم العظيمة والثرية، ومن خلال اتجاهاتهم وأغراضهم.

أما هذا الباب فسوف أحاول فيه الكلام على حركة التفسير في الوقت الحاضر، وذلك من خلال الفصول الآتية:

الفصل الأول: مؤلفات التفسير خلال الفترة الراهنة «أو النشاط التفسيري في الوقت الحاضر».

الفصل الثاني: المجالس العلمية ومحاضرات العلماء.

الفصل الثالث: المعاهد الدينية ومقرراتها التفسيرية.

الفصل الرابع: مقارنة بين واقع التفسير وماضيه في بلاد شنقيط.

لقد ظهرت في هذا العصر نشاطات طيبة في التفسير فبعضها ظهر في شكل تفسير كامل للقرآن مثل كتاب: (التبيان لبعض معاني القرآن) للقاضي الشيخ الطالب أخيار بن الشيخ بونه الشنقيطي كما ظهر في أشكال أخرى مثل: اختصار الشيخ عثمان بن الشيخ أحمد أبي المعالي لتفسير الطبري ومثل: تفسير الدكتور محمد عمر حوية لسورة النجم ومثل تفسير:

- الدكتور محمد بن سيدي بن الحبيب لسورة إبراهيم.
- والدكتور سيدي محمد ساداتي لسورة الأنعام.

ومن هذه الأعمال التفسيرية المهمة بحث:

ـ الأستاذ: سيد أحمد بن خطري «منهج الإمام البخاري في التفسير من خلال كتابه الصحيح» فقد تتبعت هذا العمل ووجدته نشاطاً تفسيرياً رائعاً أفاد فيه الباحث وأجاد، وأتى بنفائس طيبة، وكل هذا سوف أتعرض له فيما بعد.

أما الأنظام في غريب القرآن فهي كثيرة منها:

ـ نظم القاضي أحمد بن حكي القلاوي.

ـ نظم أمين بن عبدالحي التباري.

ـ نظم عبدالرحمن بن محمد بن عبدالفتاح الجكني.

ولكنني في هذا الفصل أريد أن أخفف من الاستشهاد بالنظم؛ لأنني جئت في الفصول الماضية منه بالشيء الكثير مما يغني عن الإتيان بشيء جديد منه.

ومن الموضوعات التفسيرية التي اشتهرت في هذا العصر أكثر من ذي قبل ما يسمى: «بالتفسير الموضوعي» وهذه التسمية جديدة لم يعرفها الناس إلا في العصر الحديث، وهو: جمع الآيات القرآنية التي تتحدث عن قضية أو موضوع واحد، وتفسيرها مجتمعة، واستنباط الحكم المشترك منها ومقاصد القرآن منها(١).

ومع أن الأقدمين لم يعرفوا هذا الاصطلاح، إلا أن معناه كان قائماً عندهم، فتفسير القرآن بالقرآن يعتبر نوعاً من التفسير الموضوعي، وكذلك العناية بتفسير آيات الأحكام، وبالأشباه والنظائر والآيات الناسخة والمنسوخة ونحو ذلك.

ولا شك أن المؤلفات في التفسير الموضوعي قد كثرت في العصر

---

(١) بحوث في أصول التفسير ومناهجه، فهد الرومي ص٦٢.

الحديث، وأصبحت المكتبة القرآنية تزخر بالمؤلفات فيه فهو ميدان خصب للباحثين، وكتب فيه كثير من المفكرين من أمثال الشيخ محمد الغزالي نحو تفسير موضوعي والشيخ الدكتور يوسف القرضاوي: الصبر في القرآن وغيرهما.

• أنواع التفسير الموضوعي:

ينقسم التفسير الموضوعي إلى ثلاثة أنواع هي:

النوع الأول:

أن يتتبع الباحث كلمة من كلمات القرآن الكريم ويجمع الآيات التي وردت فيها هذه الكلمة أو مشتقاتها من مادتها اللغوية، ثم يقوم بتفسيرها، واستنباط دلالتها، واستعمالات القرآن الكريم لها، ومن الذين كتبوا في هذا النوع من الشنقيطيين الشيخ سيد محمد ساداتي في بحثه القيم: القلب في القرآن.

النوع الثاني:

جمع الآيات القرآنية التي تتناول قضية واحدة، بأساليب مختلفة، عرضاً، ومناقشة، وتعليقاً وبيان حكم القرآن فيها[١].

النوع الثالث:

هو تحديد الموضوع الذي تتناوله سورة قرآنية واحدة ثم دراسة هذا الموضوع من خلال تلك السورة وحدها، وهذا النوع قريب من النوع الثاني إلا أن دائرته أضيق[٢].

ومن الذين كتبوا في هذا الموضوع الشيخ الدكتور محمد بن سيدي بن الحبيب في بحثه القيم الدعوة إلى الله في سورة إبراهيم الخليل عليه الصلاة

(١) المصدر السابق ص٦٧.

(٢) المصدر السابق ص٦٨.

والسلام، والدكتور سيدي محمد ساداتي في بحثه القيم وظيفة الأخبار في سورة الأنعام وسوف نتناول هذين الموضوعين بعد قليل بحول الله تعالى.

والآن نبدأ بسرد بعض المؤلفين في التفسير في هذا العصر:

- **المفسر الأول:**

الشيخ الطالب أخيار بن الشيخ بونن الشنقيطي وهذا نموذج من كتابه التبيان لبعض معاني القرآن، الذي ظهر منه مجلدان فقط.

قال في المقدمة:

وجمعت فيه ما لم يجتمع في غيره من كتب التفسير من القراءات وأسباب النزول والأحاديث الصحيحة، وأحكام الفقه، ومعاني الكلمات، واحترزت فيه من الإسرائيليات، ومن التعقيد، ومن التطويل الممل، والتقصير المخل، ولا أقول في القرآن برأيي، ولم آت بشيء من عند نفسي، اللهم إلا اختيار الأحسن، والأوضح، وتقديم الأقوى والأرجح، وانتقاء الألفاظ وصياغة الأسلوب، وحسن السبك وإبراز المعاني بالوجه الصحيح الذي يسهل فهمه وإيجاد المعاني المطابقة للكلمات في اللغة العربية، وأستشهد على ذلك أحياناً ببعض أبيات الشعر الصالح للاستشهاد، معتمداً في ذلك كله على الله عز وجل الذي يسر القرآن للذكر، ومستعيناً به تعالى على الأخذ من الكتب المعتمدة من كتب التفسير والقرآن والحديث، واللغة، والمراجع المعتمدة الأخرى كتفسير ابن جرير، وتفسير ابن كثير، وتفسير ابن عطية، وتفسير أبي حيان، وتفسير البغوي، وتفسير الخازن، وتفسير الزمخشري، وتفسير روح البيان، وتفسير أبي السعود، ومجاز القرآن لأبي عبيدة، ومعاني القرآن للفراء، وتفسير المنار، وغيرهم، فإني لا أقتصر على هؤلاء، لأنه عندي من كتب التفسير وكتب القرآن الكريم ما يناهز المائة، آخذ منها وأرجع إليها، وأختار من بينها، فأميل مرة إلى هذا، وأختار مرة قول هذا، ولا أقتصر على بعضها... الخ.

وأما آيات الصفات فإني أقرؤها كما أنزلت، وأؤمن بها كما جاءت،

على مراد الله عز وجل، ولا أحب ولا أريد الخوض في تأويلها قال: وقد التزمت على نفسي في هذا التفسير بشيئين.

الشيء الأول: أني أبذل فيه جهدي ووسعي وطاقتي، وإنني لم آل جهداً في تأليفه وتصحيحه وإخراجه، بأصح الروايات وأعمقها نفعاً حسب نظري.

والثاني: أني لا أذكر فيه حديثاً بدون إسناد، ومع احترازي من الخطأ فإنه لا يخلو كتاب من خطأ لأن الله عز وجل أبى أن يصح إلا كتابه، ومن الله عز وجل أرجو العفو والمغفرة، ومن القارىء الكريم أرجو الصفح والمعذرة، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب[1] ونلاحظ في هذه المقدمة أن الشيخ لا يريد أن يأتي بشيء من عند نفسه، مخافة من القول في القرآن برأيه، بل هو يتبع كلام الأقدمين.

ومن هنا جاء تفسيره بمثابة إعادة صياغة لما كتبه المفسرون، وجمع ما تفرق من كلامهم في كتاب واحد.

● **ثانياً**: اختصار الشيخ عثمان بن الشيخ أحمد أبي المعالي لتفسير الطبري.

ومن جهود المفسرين في هذا العصر ما قام به الشيخ عثمان بن الشيخ أحمد أبي المعالي من اختصار لتفسير الطبري.

وقد قضى عدة سنوات وهو يتابع هذا التفسير، واعتنى به عناية كبيرة، وبذل فيه جهوداً جبارة تدل على تمكنه وتمرسه بهذا التفسير، يقول الشيخ في مقدمة عمله:

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على نبيه الكريم وبعد: فإن تفسير محمد بن جرير الطبري معلوم عند الخاص والعام أنه حاز قصب السبق حتى قال فيه الإمام السيوطي في الإتقان، فإن قلت: فأي التفاسير

---

(١) التبيان ١ /ص٦، ٧ الطبعة الأولى بيروت ١٤١٣هـ.

ترشد إليه وتأمر الناظر أن يحول عليه؟ قلت تفسير الطبري الذي أجمع العلماء المعتمدون على أنه لم يؤلف في التفسير مثله. قلت: ورغم ما وصفه به السيوطي وغيره من أنه هو أفضل التفاسير على الإطلاق، فإن طول مادته وتكرار أسانيده، جعل الكثيرين ينصرفون عنه، فأردت بعون الله وتوفيقه أن أختصره، ليسهل الانتفاع بمضمونه وخلاصته[1]... حتى يقول: منهجي في اختصار الكتاب:

إنني سأحاول إن شاء الله أن أختصره اختصاراً ليس بالمخل، ولا بالممل، محتوياً على جميع الأقوال التي بالأصل، ذاكراً قائلها حاذفاً أسانيدها، وقد أترك عزو القول إلى قائله إذا كان اللفظ من البديهي المتبادر ولم يكن في معناه خلاف، كما أني أقتصر على ذكر الشخص المروى عنه القول مرة واحدة إذا كان له قول واحد في المسألة، ولكن روى بإسنادين أو أكثر، وهنا أنبه إلى أن تفسير السلف قد يأتي بألفاظ مختلفة ولكنها ترجع إلى معنى واحد، وأقتصر على لفظ واحد من تلك الألفاظ يؤدي ذلك المعنى، اللهم إلا إذا كان ابن جرير ذكرها تحت عناوين متعددة فأحترم ذلك، أما إذا رويت عنه أقوال مختلفة فإني أعيد ذكر اسمه عند كل واحد من تلك الأقوال حتى يعرف القارىء بأنه رويت عنه في تلك المسألة عدة أقوال.

هذا وإنني ألتزم بذكر جميع الأحاديث التي صرح ابن جرير برفعها إلى النبي ﷺ.

وقد ظهر من هذا المختصر جزءان أحدهما مكتوب على الآلة الكاتبة، والآخر ما زال مخطوطاً أما الجزء الثالث فسيظهر قريباً بحول الله تعالى.

وهذا عمل في غاية الأهمية فهو يلتزم بذكر جميع الأحاديث الموجودة في الكتاب، وكذلك الأحكام والأقاويل المنسوبة للعلماء وإنما حذف المكرر والأسانيد.

---

(١) المقدمة ص١ (مرقونة).

وإذا ظهر تفسير ابن جرير الطبري في ثلاث مجلدات محتفظاً بجميع ما تضمنه من آثار وأحكام، فإن ذلك سوف يكون مبعث السرور والارتياح لدى طلاب العلم وعشاق هذا التفسير العظيم.

● **ثالثاً**: أما الدكتور الشيخ محمد عمر حويه فقد فسر سورة النجم تفسيراً جيداً بعنوان: «الأسس العقدية التشريعية والأخلاقية كما تصورها سورة النجم» يقع هذا التفسير في مجلد واحد ويبلغ **٣٧٤** صفحة من القطع الكبيرة يقول في المقدمة:

وبعد: فإنه لما كان من أشرف العلوم وأجلها علم التفسير، حيث إنه متعلق بكلام الله عز وجل أحببت أن أضيف إلى المكتبة الإسلامية هذا الكتاب المسمى: الأسس العقدية التشريعية والأخلاقية كما تصورها سورة النجم، وقد تعرض المؤلف في الشرح لقضايا مهمة منها: قصة الغرانيق التي أثيرت حولها شبه كثيرة يقول:

اعلم أن هذه القصة التي أصبحت مشهورة في كتب التفسير يذكرونها عند قول الله عز وجل: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾ يقول إن الشيطان ألقى بعد قراءة النبي ﷺ هذه الآية تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترجى «فلما سجد في آخر السورة سجد معه المشركون، أعني أهل مكة، معللين ذلك السجود معه بأنه لم يذكر آلهتهم بخير قط في غير ذلك اليوم، واستبشروا لذكر أصنامهم، ورأوا هذا تطوراً جديداً، يمكن معه تحسين العلاقة بينهم وبين نبينا ﷺ، وسمع المسلمون في الحبشة بذلك وفرحوا كثيراً، ثم لم يلبث الأمر إلا قليلاً، حيث قيل للنبي ﷺ: إن المشركين سمعوا منه الثناء على آلهتهم، وذلك هو سبب سجودهم، فحزن الرسول ﷺ لذلك، فنزل قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾﴾ [الحج: ٥٢].

فهذه القصة التي ذكرنا لم تثبت إثباتاً صحيحاً، ولا حسناً، يعتمد عليه، بل كل ما ورد فيها إنما هو مراسيل لم تبلغ درجة الاحتجاج، مع أن في

الآيات ما يبين بطلانها - كما سترى أيها القارىء إن شاء الله - بل إن أعداء الدين هم الذين روجوها، وعظموا أمرها، ليدخلوا منها للطعن في الدين، لأنهم يعلمون أنهم إذا أثبتوا تسلط الشيطان على نبينا ﷺ، الذي لا يتأتى لهم أبداً، تمكنوا من رد الوحي كله كيف شاءوا لأنه يصبح عرضة للخطأ ولم يبق معصوماً وحينئذ يسهل لهم كل شيء يريدون نقضه من الدين.

والحق الذي لا غبار عليه أن الله سبحانه وتعالى لم يجعل للشيطان تسلطاً على نبينا محمد ﷺ، ونصوص القرآن شاهدة بذلك، وكذلك السنة، وإجماع الأمة.

ومما يدل على كذب هذه القصة، وأنها من وضع الزنادقة، كما صرح بذلك ابن خزيمة، وغيره، من أهل العلم، الآيات القرآنية التالية: ثم سرد مجموعة من الآيات منها قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] ثم تعرض للقول الصحيح في ذلك مبيناً أن المعنى: وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تلا كتاب الله وقرأ أو حدث وتكلم ألقى الشيطان في كتاب الله الذي تلاه وقرأه أو في حديثه الذي حدث وتكلم به، فينسخ الله ما يلقي الشيطان، أي فيذهب الله ما يلقى الشيطان من ذلك على لسان نبيه ويبطله[(١)].

وفي تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾.

تعرض لتفسير الكلمات القرآنية تفسيراً لغوياً، وأورد جملة من كلام المفسرين، كما تعرض للإعراب والقراءات، ولم ينس أن يستخدم الأصول في هذا التفسير، فهو يقول:

أقول: لا يخفى أن شيئاً نكرة في سياق النفي، والنكرة إذا كانت في سياق النفي كما هنا تكون نصاً في العموم كما هو مقرر في الأصول.

---

(١) الأسس العقدية ص١٩٣ وما بعدها بتصرف بسيط.

وبعد هذا كله فسر الشيخ هذه الآية تفسيراً إجمالياً مورداً ما يشهد لها من الآيات القرآنية كقوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وكقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٣] وكقوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

ثم خصص بحثاً مستفيضاً عن الملائكة، ذلك العالم المختار، الذي اصطفاه الله تبارك وتعالى من خلقه، وجعله واسطة بينه وبين خلقه من البشر، ووكله بتدبير شؤون العباد ومصالحهم، فهم عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ومن الذنوب معصومون، يسبحون الليل والنهار لا يفترون، ولا يعلم كثرتهم إلا هو سبحانه.

يقول: والذي حملني على هذا البحث أني قرأت وسمعت أن بعض المسلمين اليوم ينكرون عالم الملائكة ويقولون بأنهم لا حقيقة لهم.

ثم تعرض لحقيقة الملائكة بعد أن ذكر الإجماع على وجودهم فقال: إنهم أجسام نورانية قائمة بنفسها خلقها الله من النور[(١)].

ثم تعرض لاشتقاق الملائكة فقال: الملائكة جمع ملك باعتبار أصله الذي هو ملأك على أن الهمزة مزيدة كالشمائل في جمع شمأل، واشتقاقه من مالك لما فيه من معنى الشدة والقوة، وقيل إنه مقلوب من مألك من الألوكة وهي الرسالة، أي موضع الرسالة، أو مرسل على أنه مصدر بمعنى المفعول فإنهم وسائط بين الله تعالى وبين الناس فهم رسله عز وجل... والتاء في الملائكة قيل لتأنيث الجمع، وقيل لتأكيد المبالغة، وقد ورد من غير تاء في قول القائل:

«أبا خالد صلت عليك الملائك»[(٢)].

ثم تعرض لأوصافهم، وكثرتهم، وأعمالهم منهياً بحثه بذكر الخلاف بين العلماء في تفضيل الأنبياء على الملائكة والعكس، وخلص إلى أن نبينا محمداً ﷺ هو أفضل الخلق قاطبة.

---

(١) صحيح مسلم ٢٢٦/٨ كتاب الزهد.

(٢) الأسس العقدية ص٢٣٧ الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

وتعرض لقول الزمخشري الذي ذكر صاحب الإضاءة أحمد المقري بعد أن بين الإجماع على أن محمداً أفضل الخلق:

وانعقد الإجماع أن المصطفى أفضل خلق الله والخلف انتفى
وما انتحى الكشاف في التكوير خلاف إجماع ذوي التنوير

وساق الشيخ كلام سيد سابق رحمه الله وهو قوله:

الظاهر أن البشر أفضل من الملائكة كما هو واضح في عجزهم عن الإجابة على الأسماء التي عرضها عليهم، بينما أجاب آدم إجابة صحيحة، فشرف بالعلم الذي خصه الله به، وامتاز عليهم في معرفة الأشياء، كما أن طاعة الملائكة جبلية وتركهم للمعصية لا يكلفهم أدنى مجاهدة لأنه لا شهوة لهم، فأي فضل لهم في الطاعة وترك العصيان، مع أن ذلك يقع منهم وقوعاً اضطرارياً كما ينبض القلب ويجري الدم وتتنفس الرئتان، بينما الإنسان يجاهد النفس[1].

● **الشيخ محمد سيدي بن الحبيب:**

من الذين ألفوا في التفسير الموضوعي الشيخ محمد بن سيدي الحبيب فقد ألف كتاباً بعنوان: «الدعوة إلى الله في سورة إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام، وهو بحث قيم جمع فيه الشيخ علوماً جمة بأسلوب طيب، قريب من طلاب العلم، يقول في مقدمة هذا البحث، مبيناً سبب اختياره لموضوع هذا الكتاب، ولقد كنت في صغري مولعاً بعلم التفسير والاطلاع على أقوال المفسرين، حول فهمهم لكتاب الله...

ثم بعد ذلك بين منهجه قائلاً: ولم يكن دخولي في موضوع الدعوة في هذه الرسالة دخول المفسر الذي يبحث عن معاني الألفاظ، وإعرابها، وتراكيبها، والتنبيه على النكت البلاغية، والبحث عن الأحكام الفقهية... الخ وإنما كان دخولي في هذا الموضوع دخول الداعية الذي يتلمس من

---

(١) الأسس العقدية ص٢٣٧ الطبعة الأولى ١٤١٢هـ، وانظر أضواء البيان ١٩٧/١.

القرآن مناهج وأساليب ووسائل وتوجيهات لدعوته[١] ونأخذ الآن نموذجاً من تفسير الشيخ لهذه السورة، وهو قول الله تعالى: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [إبراهيم: ٥٢].

التفسير: إن هذه السورة الكريمة بدأت بما يفيد عموم رسالة نبينا محمد ﷺ وختمت بما يفيد ذلك أيضاً، كما أنها بدأت بهدف عظيم من أهداف الدعوة إلى الله تعالى وختمت به أيضاً، فقد بدأت بقوله تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ وهذا يفيد عموم الرسالة كما قدمنا وإخراج الناس من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام، ومن ظلمات الجهل إلى نور العلم هدف عظيم من أهداف الدعوة إلى الله تعالى، وقد ختمت هذه السورة بما يفيد الأمرين معاً، فآخر آية منه هي قوله: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ﴾ أي هذا القرآن بلاغ للناس وهذا يفيد العموم كما تقدم أيضاً، وفي نفس الآية ولينذروا به، وهذا هو الهدف الذي بدأت به السورة هناك، لأن إخراج الناس من الظلمات إلى النور كائن بسبب الإنذار، والإنذار هدف سام من أسمى أهداف الدعوة إلى الله تعالى، مع أنها ختمت أيضاً بأعظم أهداف الدعوة إلى الله وهو توحيد الله عز وجل وذلك في قوله: ﴿وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾، وهو الذي يستحق العبادة وحده دون سواه، وفيها هدف آخر وهو: تذكير أهل العقول أي تنبيههم فإنهم أهل الاعتبار والإدكار دون الذين لا عقول لهم، وتذكير أهل النهى ودعوتهم بالتي هي أحسن، واستمالتهم قبل العامة هدف عظيم من أهداف الدعوة، لأن أهل العقول إذا استجابوا للدعوة إلى الله وقبلوا دعوتها هان على بقية الناس قبول الدعوة. وإذا رفض أهل العقول وأهل الحل والعقد دعوة الداعي كان ذلك سبباً في رفض العامة لها، كما هو مشاهد في دعوة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، فكان الأشراف من قومهم يعرضون عن دعوتهم ويصدون الناس عنها، كما فعل رؤساء قريش، وكما فعل الملأ من قوم نوح، وعاد، وشعيب، كما هو معلوم من دعوة الرسل في القرآن الكريم،

(١) الدعوة إلى الله ص١٠ مطبعة دار إحياء الكتب العربية الطبعة الثانية: من دون تاريخ.

وإليك ما ذكره كبير المفسرين ابن جرير الطبري في تفسير هذه الآية ليتبين لك منه ما قلنا قال عند هذه الآية ما نصه: يقول الله تعالى: هذا القرآن بلاغ للناس أبلغ الله به إليهم في الحجة عليهم وأعذر إليهم بما أنزل فيه من مواعظه، وعبره ولينذروا به يقول: ولينذروا عقاب الله ويحذروا به انتقامه أنزله على نبيه ﷺ. وليعلموا أنما هو إله واحد يقول: وليعلموا أني أحتج به عليهم من الحجج فيه إنما هو إله واحد لا آلهة شتى كما يقول المشركون بالله، وأن لا إله إلا هو الذي له ما في السماوات وما في الأرض الذي سخر لهم الشمس، والقمر، والليل، والنهار، وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لهم وسخر لهم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لهم الأنهار، وليتذكر أولوا الألباب: يقول وليتذكر فيتعظ بما احتج الله به عليه من حججه التي في هذا القرآن فينزجر من أن يجعل معه إلهاً غيره، ويشرك في عبادته شيئاً سواه أهل الحجى والعقول، فإنهم أهل الاعتبار والادكار دون الذين لا عقول لهم ولا أفهام فإنهم كالأنعام بل هم أضل سبيلا[1].

وذكر أبو حيان عن المبرد أن قوله تعالى: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِۦ﴾ من باب عطف الفرد على الفرد، أي هذا بلاغ وإنذار ثم قال: وهذا تفسير معنى لا تفسير إعراب وقال بعضهم أن الواو زائدة والمعنى: هذا بلاغ للناس لينذروا به[2] وقال الزمخشري: إن قوله لينذروا به معطوف على محذوف أي لينصحوا ولينذروا[3] وقال الفخر الرازي في تفسيره ثم اختلفوا فقيل إن قوله: هذا إشارة إلى كل القرآن، وهذا هو الذي اقتصر عليه ابن جرير كما قدمنا، وهو الأولى عندنا، وقيل إشارة إلى كل هذه السورة، وقيل إشارة إلى المذكور من قوله: **ولا تحسبن الله إلى قوله سريع الحساب**[4] ولنختم تفسير الآية بما ذكره فيها ابن كثير في تفسيره فقال:

---

(١) تفسير ابن جرير ١٦٩/١٣.

(٢) انظر البحر المحيط ٤٤١/٦.

(٣) الكشاف ٣٨٥/٢.

(٤) تفسير الفخر الرازي ١٤٩/١٩.

يقول تعالى هذا القرآن بلاغ للناس لقوله: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾ أي هو بلاغ لجميع الخلق من إنس وجن كما قال في أول السورة ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾[(١)].

وبالله تعالى التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل[(٢)].

• نموذج آخر من هذا التفسير:

يقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ يوم تبدل الأرض يصح أن يكون منصوباً على البدلية من قوله يوم يأتيهم العذاب ويصح أن يكون ظرفاً للانتقام المذكور قبله، وعلى الأخير اقتصر ابن جرير الطبري، واختلف العلماء في هذا التبديل الذي أخبر الله به للأرض، والسماء، وذلك لأن التبديل يقع في الذوات فتقول بدلت الدراهم دنانير وتقول بدلت هذا الثوب بهذا ومنه قوله تعالى: ﴿بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَۗ﴾ [النساء: ٥٦] لهذا اختلف في هذا التبديل فقيل: إنه تبديل ذوات فيحشر الناس على أرض غير هذه الأرض التي كانوا عليها بيضاء لم يخطىء أحد عليها خطيئة وهذا القول مروي عن ابن مسعود، ويؤيده حديث الصحيحين: «**يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء[(٣)] كقرصة النقي[(٤)] ليس فيها علم لأحد**»[(٥)].

وقد أخبر ﷺ أن الناس إذ ذاك على الصراط، كما في صحيح مسلم، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: أنا أول الناس سأل رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾ قالت قلت أين الناس يومئذ يا

---

(١) تفسير ابن كثير عند الآية المذكورة.

(٢) الدعوة إلى الله في سورة إبراهيم الخليل ص٥٠١.

(٣) العفر بياض ليس بالناصع أو يقرب إلى الحمرة قليلاً.

(٤) النقي بفتح النون وسكون القاف الدقيق النقي من الغش والنخالة فتح الباري ج١١ ص٣٧٥.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، ومسلم في كتاب صفات المنافقين في باب البعث وصفة الأرض يوم القيامة.

رسول الله؟ قال: «**على الصراط**»[١] وقيل: إن الأرض تبدل بأرض من فضة والسماوات بسماوات من ذهب، وهذا القول مروي عن علي ـ رضي الله عنه ـ، وقيل: إن التبديل في الأوصاف، فتزال عن الأرض جبالها وتسوى، فلا يرى فيها عوج، ولا أمت، وهذا مروي عن ابن عباس، وتبديل السماء يكون بانتثار كواكبها، وكسوف شمسها، وخسوف قمرها[٢].

وبعد أن فسر الشيخ سورة إبراهيم تفسيراً شاملاً مع التوسع والاستيعاب، في جانب الدعوة إلى الله تعالى خلص إلى نتائج البحث.

والواقع أن هذا التفسير يعتبر عملاً جليلاً جمع كثيراً من قضايا التفسير المفيدة، وتعرض لأبعاد النصوص والمضامين القرآنية ورد على كثير من شبه المستشرقين والمفسرين وأذنابهم، مثل طه حسين وغيره.

● خامساً: وظيفة الإخبار في سورة الأنعام الشيخ سيدي محمد ساداتي

هذه الدراسة التفسيرية تتناول الجانب الإعلامي في هذه السورة، وهو من التفسير الاجتماعي الذي يعالج مشاكل المجتمع على أساس كتاب الله العزيز (ومن التفسير الموضوعي كما قدمنا) والشيخ سيدي محمد ساداتي يبذل جهوداً جبارة في علاج هذا الجانب المهم الذي أهمل من طرف المسلمين ردحاً طويلاً من الزمن.

فيقول في مقدمة بحثه:

إن من الحقائق المسلمة اليوم أن أي إعلام في الدنيا لا يمكن أن ينطلق من فراغ، بل لا بد أن تكون له أصول فكرية، تحكم نظرته للوجود وبالتالي أهدافه وطرائقه... ثم إن هذا العصر عصر إعلام واهتمام الناس به في تزايد مستمر وعدم مواكبة المسلمين لهذا الاهتمام تقصير ليس له ما

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب القيامة والجنة والنار، باب البعث والنشور.

(٢) الكشاف ج٢ ص٣٨٤ والدعوة إلى الله في سورة إبراهيم ص٤٩٧.

يبرره، فكانت الاستجابة لهذه الحاجة هدفاً من أهداف هذا البحث، باعتباره محاولة لرد علمي يتسم بالأصالة والمعاصرة لتحقيق هدف آخر، لا يقل أهمية عن سابقه وهو ربط الشبيبة الإسلامية بالقرآن الكريم، عن طريق تقديم دراسات علمية أصيلة في موضوعات العصر، كل ذلك خدمة لدين الله وإسعاداً للبشرية وشحذاً لهمم علماء المسلمين لبذل المزيد من الجهد في تأصيل العلوم إسلامياً[١].

أما منهجية هذا الباحث فإنها مستمدة مما في القرآن الكريم من الحث على البحث والتقصي والتأمل والتدبر يقول:

وقد حرصت على أن لا أخرج في استدلالاتي بنصوص القرآن عن المعاني الواضحة البينة التي يدل عليها النص بصورة واضحة وفي حدود ما ذهب إليه مشاهير المفسرين، وقد توخيت في العبارة الجزالة والمتانة لأن هذه الدراسة دراسة قرآنية يناسبها الأسلوب الجزل، والعبارة القوية، والكلمة الفصيحة، وذلك في حدود ما تسمح به طبيعة الدراسة وفي إيجاز غير مخل[٢].

والواقع أن هذه الدراسة القرآنية تعتبر عملاً رائعاً ومفيداً للغاية ذلك أنها وضحت الجانب الإعلامي في القرآن بصفة عامة، وفي سورة الأنعام بصفة خاصة، وبالإضافة إلى هذا ركزت على جوانب مهمة نذكر منها ما يلي:

١ ـ أنها بينت أحوال المؤمنين وما هم عليه من عبادة صحيحة وسلوك مستقيم.

٢ ـ أنها بينت أحوال أهل الكتاب.

٣ ـ أنها بينت أحوال المشركين وطريقتهم في التفكير وكثيراً من حماقاتهم.

---

(١) وظيفة الإخبار في سورة الأنعام ص١٢، ١٣.

(٢) وظيفة الإخبار في سورة الأنعام ص١٨.

٤ ـ كما تعرضت للإخبار عن الغيب وأهميته في تفكير المسلم.

وشمل ذلك حقيقة الوحي، حقيقة النوم، وحقيقة الأجل العمر، كما شمل الحديث عن الملائكة وعن الجن وموضوعات أخرى.

وسنأخذ نموذجاً من الفصل الأول من الباب الثالث وهو بعنوان:

«الإخبار عن الأشخاص نماذجهم ومكانتهم، من حيث التأثير الإعلامي وتحته، مباحث»:

المبحث الأول: الإخبار عن الرسول ﷺ، يقول:

شخصية الرسول ﷺ هي الشخصية الأولى في حياة المسلمين وهي المثل والقدوة، والكشف عن حقائقها مما يحقق الاستجابة لدعوة الحق.

وقد جاء الإخبار عنها في نصوص الإخبار عن واقع الحياة في سورة الأنعام في تسع آيات مجلياً معالمها، ومحدداً طبيعة الرسول ﷺ البشرية، وحقيقته النبوية، مبيناً مهمته، ومنهجه وأسلوبه في البلاغ ومبرزاً مشاعره وآماله وتطلعاته وكاشفاً عن أهدافه وما مده الله به من نصر وتأييد وحفظ ورعاية، وما لقنه من حجج يقذف بها جنود الباطل وأعداء الحق أثناء قيامه بالبلاغ عن الله والإعلام بحقائق دينه، فجاء الإخبار عنه في نصوص الآيات التسع صورة صادقة لشخصيته بلا تزيد ولا تكلف ولا مغالاة فهو بشر لكنه بشر صنعه الله وعلمه ما لم يكن يعلم، فكان رسوله ومجتباه[١] ثم بعد هذا يقول:

وأول نص يطالعني في هذا السياق هو قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾ [الأنعام: ١٥] المصوغ في قالب حواري والمصدر بقوله تعالى: ﴿قُلْ﴾ ذات الشعب الإعلامية الأساسية يكشف الله فيه لخلقه حقيقة مشاعر الرسول ﷺ وفزعه من عذاب يوم القيامة وخضوعه المطلق لربه جل جلاله.

---

(١) الإخبار صفحة ٣٧٤.

والإخبار عن الرسول ﷺ بهذه الصورة الحاسمة الجازمة من شأنه إدخال الرعب والفزع إلى النفوس، ذلك أن خوف الرسول ﷺ يعني بالضرورة خوف غيره من باب أولى، ثم إن الأساليب القوية الشديدة التي ورد بها تساند المفهوم في تحقيق الاستجابة المطلوبة فهو قد جمع على قصره جملة أساليب قوية هي أسلوب الأمر في قوله تعالى: ﴿قُلْ﴾، ثم أسلوب السرد التوكيدي في قوله: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ثم أسلوب التهويل في وصف عذاب يوم القيامة بأنه عظيم، كل ذلك يحدث في النفس من الأثر ما به تتحقق الاستجابة المثلى.

والإخبار في هذا النص بهذه الصورة يهيىء النفس لتقبل الحقائق التي وردت في النص الثاني في سياق الإخبار عن الرسول ﷺ وهو قوله تعالى: ﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الأنعام: ١٩] ذلك أن النص على الرغم من أنه سيق إخباراً عن الله سبحانه وتعالى قد تضمن حقائق أساسية عن شخصية الرسول ﷺ منها الوحي له وتكليفه بالرسالة إنذاراً وإعذاراً وبراءة من الشرك، ومفاصلة قومه على الإيمان بعد بيان حقائقه الكبرى في هذا النص الذي لقنه رسول الله ﷺ إقناعاً لقومه وإفحاماً.

ويكفي في الدلالة على مكانة هذا النص بمضامينه الإيمانية وأساليبه القوية في مقارعة رسول الله ﷺ قومه بالحجة الناصعة والمحاورة العميقة الممتعة الوقوف عند الأساليب التي ورد بها هذا الإخبار وهو أسلوب الأمر وأسلوب الاستفهام وأسلوب التقرير وأسلوب النفي، ثم أسلوب الحصر فالعطف ثم التوكيد، ولا يتوقف الأثر على تعددها، بل في تعاقبها، والمزاوجة بينها، تحقيقاً للإثارة الذهنية والمتعة الوجدانية ودفعاً للسأم والملل(١).

---

(١) الإخبار صفحة ٣٧٦.

وفي ختام كلامه على الآيات التي تتحدث عن الإخبار عن شخصية الرسول ﷺ وآخرها قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَاۖ فَإِن شَهِدُواْ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأٓخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾﴾ [الأنعام: ١٥٠] يقول وبهذا النص الكريم يختتم الإخبار عن شخص رسول الله ﷺ وهو بالصورة التي عرضناها كشف عن شخصية تولى الله إعدادها روحياً وعقلياً وخلقياً ونفسياً، فإذا هي شخصية داعية حكيمة لبقة تواجه مشكلات الحياة وأحداثها بحلول مرضية مقنعة تتمتع بالصبر والثبات والإقدام في ثقة بنصر الله فتغدو القدوة المثلى للمسلمين[١] وهذه الرسالة تشد القارىء إليها شداً بأسلوبها الجميل وموضوعاتها المتميزة وارتباطاتها بمعاني كتاب الله ونقتصر على هذه النماذج التي أخذنا لأن المقام لا يتسع لأخذ أكثر منها.

• سادساً ـ منهج الإمام البخاري في تفسيره من خلال كتابه الصحيح: للشيخ سيد أحمد بن خطري الجكني:

لقد أشرت في بداية هذا الباب إلى أن من الأعمال التفسيرية المهمة في هذا العصر بحث الأستاذ سيد أحمد بن خطري الجنكي «منهج الإمام البخاري في التفسير من خلال كتابه الصحيح» وهو في الواقع عمل مهم يدخل في نطاق أعمال التفسير الجادة، فمن أغراض التأليف، جمع المتفرق، وترتيبه، فقد جمع التفسير في الجامع الصحيح، وبوبه تبويباً جيداً، وعلق عليه تعليقاً مفيداً للغاية، ويكتسب هذا العمل أهميته من كون التفسير بالرواية من أهم أنواع التفسير، خاصة إذا كان من رواية البخاري فذلك يقوي الثقة في صحته، ويعطيه قيمة كبرى.

وقد لاحظ الحافظ ابن حجر أهمية التفسير في صحيح البخاري، فجمعه في كتاب يدعى «تجريد التفسير من صحيح البخاري» لكن هذا

---

(١) المصدر السابق صفحة ٣٨١.

الكتاب لحد الآن مفقود. كما لاحظ الشيخ محمد فؤاد عبدالباقي اهتمام البخاري بغريب القرآن، فأفرده بتأليف لطيف، اسمه «معجم ألفاظ القرآن» وهو مشهور مطبوع بدار المعرفة[١] أما صاحبنا فبالإضافة إلى تجريده للتفسير من صحيح البخاري فإنه يبين منهج البخاري في التفسير، بياناً شافياً.

ففي البداية ذكر الشيخ علاقة الجامع بالتفسير في نقاط بارزة وضحها وهي:

١ ـ كون الجامع الصحيح احتوى على كتب هي من باب التفسير، لا من باب الحديث، والفقه، وهي: كتاب الوحي، كتاب بدء الخلق، كتاب الأنبياء، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، كتاب التفسير، كتاب التوحيد، كتاب فضائل الأعمال.

٢ ـ إن هناك كتباً كثيرة متنوعة تكون التراجم التفسيرية فيها نسبة مرتفعة مثل: كتاب الإيمان، وكتاب القدر، وكتاب المظالم، وكتاب الوصايا، وغيرها...

٣ ـ أن البخاري اتخذ قاعدة تفسيرية فريدة، وذلك في كتب الجامع وهي أنه يبدأ الكتاب بآية أو آيات من كتاب الله إشارة إلى أصل ذلك الحكم من القرآن وأن ما في الكتاب من الآيات والأحاديث إنما هي تفسير وتوضيح لذلك الأصل وعلى هذه القاعدة سار في كتب الجامع.

٤ ـ أن الإمام البخاري يترجم بآيات من القرآن، أو بكلمات من القرآن، دون أن يتبعها بشيء من الآثار، أو الأحاديث، وقد وقع ذلك في الجامع في مواضع وذلك إشارة منه إلى ما ورد في تفسير تلك الآيات عند الشيوخ، إلا أنه تركه لأنه ليس على شرطه، وأشار إليه بالآية وترجمتها للإفادة...

٥ ـ إن الذين اعتنوا بتراجم البخاري كالكرماني وغيره، جعلوا التراجم تتراوح ما بين ٣٤٥٠ و٣٨٨٢ وبعد أن قمنا بفرز التراجم التي لها علاقة

---

(١) منهج الإمام البخاري ١٨/١.

بالتفسير وصل العدد عندنا إلى **١٢٩** ترجمة، وهذا يقارب الثلث، والثلث كثير، وهي كالتالي:

- التراجم خارج كتب التفسير وهي: **٦١٣**.
- وتراجم كتب التفسير وهي: **٥١٦**.

والمهم عندنا أن تكون الترجمة لها علاقة بالتفسير بوجه من الوجوه، ومن التراجم التي اعتبرها الحافظ بن حجر في فتح الباري، وقد اعتمدنا الطبعة السلفية.

٦ ـ اهتمام البخاري بأول ما نزل، وآخر ما نزل، وبأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ وغريب القرآن، والقراءات، وتفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسنة، وأقوال الصحابة، والتابعين، واستخدام اللغة العربية في التفسير، واهتمامه بالقصص القرآني، كل ذلك كون مادة تفسيرية جيدة[١].

والشيخ سيد أحمد لم يكتف بتجريد التفسير من الصحيح، ولا بتوضيح منهج البخاري في التفسير، بل إنه وثق جميع الموضوعات التي هي من اهتماماته توثيقاً علمياً جيداً، وهذا النموذج الذي اخترناه يوضح ذلك.

يقول: المطلب الرابع: أمور متفرقة في النسخ:

لقد تقدمت معالجة منهج الإمام البخاري في نسخ القرآن بالقرآن، ونسخ السنة بالقرآن، وكان منهج الإمام البخاري واضحاً فيها غالباً، غير أن هناك إشارات عابرة، وشذرات متفرقة، استعملها البخاري في النسخ، أردت أن تكون خاتمة هذا البحث التي تشعبت علينا فروعه وتعرجت علينا ثناياه... وهي:

(أ) نكاح المتعة[٢]: اختلف الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ في نكاح

---

(١) منهج الإمام البخاري ج١ ص٣٠.

(٢) نكاح المتعة هو الزواج إلى أجل، فإذا انقضى، وقعت الفرقة، فتح الباري ١١٧/٩.

المتعة، فقرأ عبدالله بن مسعود، وابن عباس، وأبي بن كعب، وسعيد بن جبير، قول الله تعالى: ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ - إلى أجل - فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ وهي قراءة شاذة، تخالف الرسم العثماني، المجمع عليه[1] روى البخاري قال: حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا جرير عن إسماعيل عن قيس قال: قال عبدالله: كنا نغزو مع رسول الله ﷺ، وليس لنا شيء، فقلنا ألا نختص؟ فنهانا عن ذلك، ثم رخص لنا أن ننكح المرأة بالثوب، ثم قرأ علينا عبدالله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَـٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾﴾[2] قال القرطبي: لعله حينئذ لم يكن بلغه الناسخ، فلما بلغه رجع عنه، قال الحافظ: ويؤيد ما ذكره الإسماعيلي، أنه وقع في رواية أبي معاوية عن إسماعيل بن أبي خالد، ففعله ثم ترك ذلك، وفي رواية ابن عيينة عن إسماعيل، ثم جاء تحريمها بعد، وفي رواية معمر عن إسماعيل ثم نسخ[3].

• خلاصة اختلف الصحابة في المتعة:

اختلف الصحابة - رضي الله عنهم - في نكاح المتعة، فنهى عنها عمر، وعثمان، وعلي، وعبدالله بن الزبير - رضي الله عنهم - وروى خصوصيتها بالصحابة أبو ذر - رضي الله عنه -، وجوزها ابن مسعود، وابن عباس، وجابر بن عبدالله وسلمة بن الأكوع وأبو سعيد الخدري - رضي الله عنهم - وهذا مروي عنهم بأسانيد في صحيح مسلم رحمه الله.

وروى الإمام مسلم بسنده إلى أبي نضرة قال: كان ابن عباس يأمر بالمتعة، وكان ابن الزبير ينهى عنها، قال فذكرت ذلك لجابر بن عبدالله،

---

(١) انظر القرطبي ١٢٠/٥ وأحكام القرآن لابن العربي ٣٨٩/١ والمعلم للمازري ٨٦/٢ ويؤيد هذه القراءة قوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ انظر تفسير ابن كثير ٧١٥/١.

(٢) كتاب التفسير ٢٧٦/٨ وكتاب النكاح ١١٧/٩ الفتح ورواه مسلم في النكاح ١٢٨/٩ وانظر عمدة القاري ١١١/٢.

(٣) انظر شرح الزرقاني على الموطأ ١٥٥/٣ قال النووي وفيه إشارة إلى أنه كان يعتقد إباحتها كقول ابن عباس ولم يبلغه نسخها ١٨٢/٩.

فقال: على يدي دار الحديث، تمتعنا مع رسول الله ﷺ، فلما قام عمر قال: إن الله كان يحل لرسوله ما شاء، وإن القرآن قد نزل منازله، فأتموا الحج والعمرة لله، كما أمركم الله وأثبتوا نكاح هذه النساء، فلن أوتي برجل نكح امرأة إلى أجل إلا رجمته بالحجارة[(١)] وفي لفظ: ففعلناهما مع رسول الله ﷺ حتى نهانا عنها عمر ـ رضي الله عنه ـ فلم تعد لنا وفي لفظ: كنا نستمتع بالقبضة من التمر والدقيق الأيام على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر حتى نهانا عمر[(٢)] وثبت في البخاري ومسلم من حديث علي ـ رضي الله عنه ـ النهي عنها يوم خيبر[(٣)].

وثبت في مسلم من حديث سلمة بن الأكوع وسبرة الجهني الإذن فيها عام الفتح وأوطاس أولاً ثم استمر النهي عنها أخيراً[(٤)].

قلت: وهذا النهي هو الذي اعتمده عمر وحكم به وهو الذي انعقد عليه إجماع علماء أهل السنة والجماعة في جميع الأعصار والأمصار.

وقال ابن أبي ذؤيب: حدثني إياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه عن رسول الله ﷺ: «**أيما رجل وامرأة توافقا فعشرة ما بينهما ثلاث ليال، فإن أحبا أن يزيدا أو يتتاركا**»، فما أدري أشيء كان لنا رخصة أم للناس عامة، قال أبو عبدالله وقد بين علي عن النبي ﷺ أنه منسوخ[(٥)].

وأوضح من هذا أن البخاري يرى كما يرى الجمهور أن المتعة منسوخة، ولكن البخاري لما شعر بأن حديث علي ـ رضي الله عنه ـ لا يمكن أن يكون هو الناسخ.

---

(١) صحيح مسلم مع النووي ج٨ ص١٦٨ و٢٣٣.
(٢) صحيح مسلم مع النووي ١٦٨/٨.
(٣) البخاري ١٦٦/٩ ومسلم مع النووي ١٨٩/٩.
(٤) البخاري ١٦٦/٩ ومسلم مع النووي ٩/ ١٩.
(٥) كتاب النكاح ١٦٧/٩ قال العيني هذا التعليق وصله الإسماعيلي. عمدة القاري ج١١٢/٢ ووصله الطبري ١٨٥/٨ وانظر صحيح مسلم مع النووي ٢٠١/٨ فقد روى فيه عن أبي ذر قوله: لا تصلح المتعتان إلا لنا خاصة، متعة النساء ومتعة الحج. وانظر مصنف عبدالرزاق ١٧٤/٧ والاستذكار ٢٩٧/١٦.

أشار بقوله: باب نهي الرسول ﷺ عن المتعة أخيراً[1] إلى الأحاديث التي رواها مسلم رحمه الله وفيها التصريح بالنسخ بعد الترخيص فيها عام الفتح وأوطاس، وأن الرسول ﷺ نهى عنها إلى يوم القيامة حيث روى بسنده إلى سبرة الجهني ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ نهى عن المتعة وقال: «**إنها حرام من يومكم هذا إلى يوم القيامة**»[2] وهو بذلك قد اتبع منهجه المعروف، والذي نوهنا عنه غير مرة وهو أنه يشير إلى الأحاديث التي ليست على شرطه بالعناوين والتراجم ويستوي في ذلك الحديث والتفسير.

غير أن الإمام البخاري صرح بأن نكاح المتعة منسوخ وإن لم يرو لنا النسخ فقال:

باب
نهي رسول الله ﷺ عن المتعة أخيراً

وقال: قال أبو عبدالله وبين علي ـ رضي الله عنه ـ أنه منسوخ[3] والبخاري يشير بذلك إلى الأحاديث الناسخة التي عند الإمام مسلم وغيره، ولم يروها البخاري لكونها ليست على شرطه.

قال البخاري: حدثنا مالك بن إسماعيل، حدثنا ابن عيينة، أنه سمع الزهري يقول أخبرني الحسن بن محمد بن علي وأخوه عبدالله عن أبيهما قال لابن عباس: إن النبي ﷺ نهى عن المتعة، وعن لحوم الحمر الأهلية، زمن خيبر، حدثنا محمد بن بشار حدثنا غندر، حدثنا شعبة، عن أبي جمرة قال: سمعت ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ يسأل عن متعة النساء فرخص،

---

(١) لأن لفظ مسلم نهى عن المتعة يوم خيبر، وعن أكل لحوم الحمر الأهلية.
(٢) انظر مسلم مع شرح النووي ١٨٦/٩ وذكر ابن عبدالبر إباحتها عن ابن عباس وأكثر أصحابه، منهم عطاء، وابن جبير، وطاووس، وذكر تحليلها عن أبي سعيد الخدري التمهيد ١١١/١٠.
(٣) كتاب النكاح ١١٧/٩ وص١٦٦ وروى مسلم هذه الأحاديث ١٨١/٩ مع النووي وانظر عمدة القاري ١١١/٢٠ وفي بعض الروايات أن علياً شدد على ابن عباس وقال له: إنك رجل تائه. شرح الزرقاني على الموطأ ١٥٢/٣.

فقال له مولى له إنما ذلك في الحال الشديد، وفي النساء قلة، أو نحوه، فقال ابن عباس: نعم[١] حدثنا سفيان قال عمرو عن الحسن بن محمد عن جابر بن عبدالله وسلمة بن الأكوع قالا: كنا في جيش، فأتانا رسول الله ﷺ فقال: «**إنه قد كان لكم أن تستمتعوا فاستمتعوا**»[٢].

قال الحازمي: وهذا الحكم كان مباحاً مشروعاً في صدر الإسلام، وإنما أباحه ﷺ للسبب الذي ذكره ابن مسعود، وإنما كان يكون في أسفارهم، ولم يبلغنا أن النبي ﷺ أباحه لهم وهم في بيوتهم، ولهذا نهاهم عنه غير مرة ثم أباحه لهم في أوقات مختلفة، حتى حرمه عليهم في آخر أيامه ﷺ، وذلك في حجة الوداع وكان تحريم تأبيد لا تأقيت، فلم يبق في ذلك خلاف بين فقهاء الأمصار، وأئمة الأمة، إلا شيئاً ذهب إليه بعض الشيعة[٣].

قال الخطابي بسنده إلى سعيد بن جبير قلت لابن عباس هل تدري ما صنعت وبم أفتيت؟ قد سارت بفتياك الركبان، وقالت فيه الشعراء قال: وما قالت؟ قلت قالوا:

قَدْ قُلْتُ لِلشَّيْخِ لَمَّا طَالَ مَحْبَسُهُ ... يَا صَاحِ هَلْ لَكَ فِي فُتْيَا ابْنِ عَبَّاسِ
هَلْ لَكَ فِي رَخْصَةِ الأَطْرَافِ آنِسَةً ... تَكُونَ مَثْوَاكَ حَتَّىٰ مَرْجَعِ النَّاسِ

قال ابن عباس إنا لله وإنا إليه راجعون، والله ما بهذا أفتيت، ولا هذا أردت، ولا أحللت إلا مثل ما أحل من الميتة ولحم الخنزير، وما تحل إلا لمضطر، قال: وهذا يبين لك أنه إنما سلك فيه مذهب القياس، وشبهه بالمضطر إلى الطعام وهو قياس غير صحيح، لأن الضرورة في هذا الباب لا تتحقق كهي في باب الطعام، الذي هو قوام الأنفس، وبعدمه يكون التلف، وإنما هذا من باب غلبة الشهوة، ومصابرتها ممكنة، وقد تحسم مادتها

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) فتح الباري ١٧٣/٩ وبداية المجتهد ٥٨/٢ والاعتبار للحازمي ٤٢٦.

بالصوم والعلاج، فليس أحدهما في حكم الضرورة كالآخر[١].

والخلاصة: أن البخاري أشار إلى أصل جواز المتعة كتاباً وسنة، ثم عقب على ذلك بأن المتعة منسوخة، وذلك بإشارة إلى أحاديث مسلم التي هي عمدة النسخ وحديث علي ـ رضي الله عنه ـ الذي رواه مع علمه أنه معلول، وعلته من جهة متنه، وهي كونه دل على أن التحريم وقت يوم خيبر، فلا يصح دليلاً على النسخ لثبوت الإذن في المتعة عام الفتح، والله أعلم.

ولكن العمدة على الأحاديث الأخرى التي عليها الصحابة والتابعون ووقع عليها الإجماع في جميع الأقطار والأمصار والله أعلم، قال أبو عمر: اتفق أئمة علماء الأمصار، من أهل العلم والآثار، على تحريم المتعة لصحة نهي رسول الله ﷺ عندهم عنها[٢].



(١) معالم السنن للخطابي ج٣ ص١٩.

(٢) الاستذكار ج٢٦ ص٣٠٠ وانظر منهج الإمام البخاري في التفسير ج١ ص١٩٥ (مرقونة) وهذا التوثيق والتعليق كله من أصل الكتاب وعمدة النقل على صاحبه.

الفصل الثاني

المجالس العلمية ومحاضرات العلماء

لقد أشرت في بداية هذه الدراسة أن أهم تطور تشهده حركة التفسير في بلاد شنقيط هو ذلك الجهد الذي يقوم به العلماء في المساجد والمحاضر وأن التفسير تطور تطوراً ملموساً نتيجة للحركة التعليمية التي يتصدرها فطاحل العلماء المدرسين وقد أشرت إلى بعض هذه الحلقات وما تتميز به كل حلقة والآن نأخذ نموذجين من هذه المحاضرات العلمية:

* * *

أولاً: نموذج من محاضرة للشيخ محفوظ بن محمد الأمين بعنوان: «التفسير بين الرواية والدراية»

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، وصلى الله على عبده ورسوله القائل: **«خيركم من تعلم القرآن وعلمه»**، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين، أما بعد فإن القارىء لكتاب الله تعالى إذا رزق فهماً لمعانيه، وتذوقاً لأساليبه، وخالطت محبته بشاشة قلبه لا يستطيع أن يملك سوى الوقوف معجباً أمام هذه الأساليب البديعة المتراصة المترابطة ذات الدلالة المتنوعة، والمتجددة، والتي تعالج مشاكل الإنسانية بكل تعقيداتها، وتراكماتها، والتي لا علاج لها سوى قانون

الخالق، الرازق، المحي، المميت، الباعث، المجازي، إنه قانون فريد لا ينازع أحد من العالم اليوم ولا قبل اليوم، ولا بعده في انفراد الله تعالى به، فمن ركب رأس الإنسان بعينين، وأنف وشفتين، وشعر ووجه؟ أرأيتم إن جعل وجهه إلى أسفل أو عينه إلى أعلى أو ذهب بالعينين أو السمع أو نحو ذلك، فمن يستطيع أن يتدخل بقانونه ليصلح هيكلة الإنسان، وإذا لم يكن ثمة إمكان لذلك فكيف يتدخل في قانون الخالق المنظم لحياة هذا الإنسان؟ أليس هذا ظلماً ما بعده من ظلم؟ إنك أيها القارىء إذا أحببت وضوح هذا النظام بعقائده، وأحكامه، وآدابه، وزواجره، وترغيبه، وترهيبه، مع الحديث عن مسيرة الإنسان من نشأة الكون إلى أن لا تبقى حياة في هذا الكوكب، عليك أن تقرأ القرآن الكريم متدبراً، فإن لم تستطع أن تقرأه جميعاً ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ فإنك قد تجد في قليله ما تبغي، وما يمس الكثير من حياتك، وهاتان الآيتان من سورة التوبة (رقم ٧١ و٧٢) سوف نقف معك عندهما كنموذج على ما ذكرنا متعرضين لتفسيرهما من حيث الرواية، والدراية:

قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة: ٧١، ٧٢].

● **التفسير:**

أولاً ـ اللغة:

المؤمنون والمؤمنات: كلمة: «أمن» الهمز والميم والنون: أصلان متقاربان[١] أحدهما: الأمانة التي هي ضد الخيانة، ومعناها سكون القلب.

ثانيهما: التصديق وهذا هو الذي يعنينا هنا، كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ [يوسف: ١٧] أي مصدق لنا فالإيمان في الأصل هو التصديق،

(١) مقاييس اللغة لابن فارس ص٣٩٥ مادة «أمن».

ويطلق على العمل عند جماهير العلماء، خلفاً وسلفاً[١] يقولون الإيمان قول، وعمل، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، وخالف أبو حنيفة فقال الإيمان هو التصديق، دون العمل، واستدل بظواهر، من النصوص، وقال جماهير العلماء إنه يزيد وينقص مستدلين بآيات كثيرة وأحاديث صحاح. كقوله تعالى: ﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِيمَٰنًا﴾ [المدثر: ٣١]. وقوله ﷺ: «**الإيمان بضع وستون شعبة، أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق**»[٢] وإماطة الأذى عن الطريق عمل، وليس قولاً، كما لا يخفى.

بعضهم أولياء بعض: المولي القريب والناصر لأن أصله القرب المكاني ثم المعنوي كالنسب والدين والنصرة.

والولاية بالفتح مصدر وكذلك بالكسر فقيل بمعنى واحد. وقيل بالفتح من النصرة، وبالكسر من ولاية السلطان. وقرىء بهما في قوله تعالى: ﴿مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ﴾ قال أبو عبيدة واختلف في ترجيح إحدى القراءتين، وقال أهل التحقيق من أهل اللغة إن فعالة بالكسر في الأسماء لما يحيط بشيء ويجعله فيه كاللفافة، والعمامة، وفي المصادر يكون في الصناعات. وما يزاول بالأعمال كالكتابة والخياطة[٣].

والمقصود أن الأولياء هنا في آيتنا، من ولاية النصر، والحب، والقرب، والمودة، وإن كان المعنى اللغوي للكلمة محتملاً للمعنيين معاً.

الصلاة ومادة (صلى)[٤] لها أصلان أحدهما: النار وما أشبهها من الحمي، والآخر جنس من العبادة وهو الذي يعنينا هنا، وهي الدعاء وقال ﷺ: «**إذا دعي أحدكم إلى طعام فليجب فإن كان مفطراً فليأكل، وإن كان صائماً فليصل**»[٥] أي فليدع لهم بالخير والبركة. قال الأعشى:

---

(١) تبويب التمهيد لابن عبدالبر ج٩ ص٣٢٠ فما بعدها.
(٢) مسلم رقم ٣٥.
(٣) محاسن التأويل للقاسمي ج٥ ص١٠٨.
(٤) مقاييس اللغة مادة (صلى).
(٥) مسلم رقم ١٤٣٠.

تَقُولُ بِنْتِي وقَد قربتُ مُرْتَحِلاً ... يَا رَبُّ جَنِّبْ أَبِي الأَوْصَابَ وَالْوَجَعَا
عَلَيْكِ مِثْلُ الَّذِي صَلَّيت فَاغْتَمِضِي ... نَوْماً فَإِنَّ لِجَنْبِ الْمَرْءِ مُضْجَعَاً

والصلاة هي ما جاء بها الشرع من الركوع والسجود. أما الصلاة من الله فالرحمة، ومنه قوله ﷺ: «**اللهم صلِّ على آل أبي أوفى**»[(١)] يريد بذلك الرحمة.

الزكاة: مادة (زكى)[(٢)] الزاي والكاف والحرف المعتل أصل يدل على نماء وزيادة ويقال الطهارة زكاة المال، قال بعضهم سميت زكاة لأنها مما يرجى بها زكاة المال وهو زيادته ونماؤه وقال بعضهم سميت زكاة لأنها طهارة، قالوا وحجة ذلك قول الله جل ثناؤه: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣] والأصل في ذلك كله راجع إلى هذين المعنيين: وهما النماء والطهارة.

قلت: والصلاة والزكاة معاً، من الألفاظ التي وضعها الشرع علماً على العبادتين المعروفتين المقرونتين في القرآن، في كثير من الآيات، وهما داخلتان في الحقيقة الشرعية، أي التي وضعها الشرع عند جمهور الأصوليين، وقال القاضي أبو بكر الباقلاني هي عرفية عند الفقهاء، وهكذا كل لفظة في كلام الشارع، مجردة عن القرينة، محتملة المعنى الشرعي، واللغوي، وقيل إن الألفاظ الشرعية المنقولة من اللغة لا تبقى على معناها الأصلي، بل لا بد فيها من زيادة عليه، أو قصر على بعضه قال في المراقي:

مِنْهَا الَّتي لِلشَّرْعِ عَزْوُهَا عُقِلْ ... مُرْتَجلٌ مِنْهَا وَمِنْهَا منتَقِلْ[(٣)]

ويجوز أن يكون اللفظ حقيقة ومجازاً باعتبارين، فإن كان المخاطب

(١) البخاري في عدة مواضع منها الزكاة باب صلاة الإمام ودعائه لصاحب الصدقة ومسلم رقم ١٠٧٨.
(٢) مقاييس اللغة مادة زكى.
(٣) نشر البنود ١/١٢٧.

(باسم الفاعل) به الشارع حمل على الشرعي، وإن كان لغوي، حمل على اللغة، قال في المراقي:

وهو حقيقة أو المجاز ... وباعتبارين يجي الجواز

جنات عدن: لها معان كثيرة: فقيل بساتين خلد، وإقامة لا يظعن منها أحد، وقيل دار الله التي استخلصها... ولمن شاء من خلقه، من قول العرب: عدن فلان بأرض كذا إذا أقام بها وخلد بها. ومنه المعدن، ويقال هو في معدن صدق يعني به أنه في أصل ثابت وللأعشى:

وإن تستضيفوا إلى حكمه ... تضافوا إلى راجح قد عدن

وقيل اسم لبطنان الجنة ووسطها وقيل اسم لقصر، وقيل اسم مدينة في الجنة[١] وهذه المعاني كلها متقاربة، متداخلة، وليست متنافرة وقد وصفها بعضهم[٢] بالاضطراب وليست عندي كذلك عند التأمل والله أعلم.

وقد عطف (مساكن طيبة على جنات تجري من تحتها الأنهار) والعطف يقتضي التغاير: وعليه فإن كان التغاير بالذات[٣] والمعنى هنا فقوله جنات تجري من تحتها الأنهار يقصد بها غير جنات عدن، فتكون الجنات الأولى لعامة المؤمنين وتكون جنات عدن للنبيين والصديقين والشهداء، وإن كان التغاير بالذات دون المعنى فيكون المقصود تنوع أوصاف الجنة بتنوع نعيمها فيه أنهار وبساتين، وهي مساكن طيبة... الخ.

ورضوان من الله أكبر: ابتدأ بالنكرة لأنها موصوفة بقوله، من الله، ووصف النكرة مسوغ للابتداء بها كما قال ابن مالك[٤].

ولاَ يَجُوزُ الاِبتدا بالنكره ... ما لم تفد كعند زيد نمره

وهل فتى فيكم فما خل لنا ... ورجل من الكرام عندنا

(١) جامع البيان للطبري ج١ ص١٨٧ فما بعدها.
(٢) البحر المحيط ج٥ ص٧١.
(٣) محاسن التأويل ٥٢ ص٢٦١.
(٤) الخلاصة لابن مالك شرح الأشموني ج١ ص٢٠٤، ٢٠٥.

• التفسير الإجمالي والاستنباط:

لقد تحدث الله تبارك وتعالى عن المنافقين في آيات قبل هذه الآيات، ووصفهم بصفات ذميمة دنيئة خسيسة، وتحدث هنا عن المؤمنين في مقابل تلك الصفات، بصفات حميدة عالية، كريمة، والمتتبع لكتاب الله عز وجل يجد هذه المزاوجة بين المنافقين والمؤمنين في الحديث فتأتي دائماً متساوية صفاتهم تراوح مكانها في كل مرة، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾﴾ وأكثر آيات فيها تفصيل تلك الصفات هذه الآيات التي بين أيدينا:

قال تعالى في شأن المنافقين: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ وقال هنا: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ وعبر هنا بأن المؤمنين بعضهم أولياء[1] بعض للإشارة إلى أن اللحمة الجامعة بينهم هي ولاية الإسلام ـ فهم فيها على السواء ـ لما في معنى الولاية من الإشعار بمعنى الإخلاص والتناصر بخلاف المنافقين، فإن بعضهم ناشىء من بعض جار على سلوكه السيىء وصفاته الذميمة.

والمنافقون لا يكون منهم نصر أبداً لا لبعضهم بعضاً ولا لغيرهم من شيعهم من أهل الكفر انظر إلى ما تحدث عنهم القرآن به في قوله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الحشر: ١١، ١٢].

وهذا بخلاف إخوانهم الكافرين فإن بعضهم قد يكون ولياً لبعض، لحصول التناصر بينهم كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾

---

(١) التحرير والتنوير ج١٠ ص٢٦٢ ـ ٢٦٤، والبحر المحيط ج٥ ص٧٠، وجامع البيان للطبري ج١٠ ص١٨٧، ١٨٨.

[الأنفال: ٧٣] وقال في اليهود والنصارى ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [المائدة: ٥١] فيكون اليهود والنصارى المراد بهم هنا غير المنافقين منهم.

أما بالنسبة للمؤمنين فليسوا كذلك دائماً فإن نصر بعضهم لبعض حاصل دائماً وفق الحكم الشرعي وهناك آيات كثيرة تفيد مواصفات للمؤمنين، بعضها ينفرد عن مواصفاتهم في هذه الآيات، وبعضها يتداخل معها، فقال تعالى في موضع يشبه الحصر في حقيقة المؤمن:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: ٢ ـ ٤].

وقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ﴾ [النور: ٦٢].

وقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ۝١٥﴾ [الحجرات: ١٥].

وقال: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ۝١٥ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝١٦﴾ [السجدة: ١٥، ١٦].

وقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

وقال: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝٥١﴾ [النور: ٥١].

وقال في أوصاف المؤمن المربوط نجاحه وفلاحه بها: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢﴾ [المؤمنون: ١، ٢].

ونفى عنهم خصالاً ذميمة لا يمكن أن يتخلق بها مؤمن أبداً فقال: ﴿لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٢٨].

وقال: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة: ٢٢].

ومن الأحاديث قول رسول الله ﷺ: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً**»(١).

وقال ﷺ: «**مثل المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر**»(٢).

وقال في صفات المنافقين ـ المنفية بالمفهوم وبالنص عن المؤمنين: «**أربعة من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا ائتمن خان، وإذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر**»(٣).

وقد نهى الله تعالى عن موالاة الكفار، لأنها صفة من صفات المنافقين المذمومة. ووصف المؤمنين في المقابل بأن بعضهم أولياء بعض.

فقال: ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ﴾ [المائدة: ٥١].

وقال: ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة: ١].

وقال: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١١٩].

وقال: ﴿لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الممتحنة: ١٣] وإذا لم تكن ثمت بيننا معهم حرب ولا عداوة يجوز الإحسان إليهم والبر بهم.

قال: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾ [الممتحنة: ٨].

وقال في المنافقين: ﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ﴾.

وأعظم المنكر عبادة الأصنام والطواغيت. وأعظم المعروف إخلاص

---

(١) البخاري في عدة مواضع/ الأدب باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضاً ومسلم «رقم: ٢٥٨٥».

(٢) البخاري في الأدب باب رحمة الناس والبهائم ومسلم رقم: ٢٥٨٦.

(٣) البخاري في الإيمان باب علامات النفاق ومسلم رقم: ٥٨.

العبودية لله عز وجل وتوحيده والإيمان بأسمائه وصفاته وجميع أنواع الطاعة يكون بعد ذلك تابعاً له وداخلاً فيه.

وقال تعالى في من كان على شاكلة هؤلاء: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزمر: ٤٥].

وقال: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟﴾ [غافر: ١٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾﴾ [آل عمران: ٢١].

وقد ضرب الله مثلاً فاصلاً بين من يأمر بالمعروف وبين من لا يأمر فيكف بمن يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف.

قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النحل: ٧٦].

ثم قال تعالى في أوصاف المؤمنين: ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ فزادت هذه الصفة الحميدة ولم يذكر للمنافقين هنا مقابلاً لها، وذكره في آية أخرى فقال: ﴿وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢].

وإقامة الصلاة: هي الإتيان بها على وجهها المشروع، من طهارة حدث وطهارة خبث، وفي البدن والثياب والمكان، والتوجه إلى القبلة، والإتيان بركوعها، وسجودها، وقيامها، وقعودها، على ما حده الشارع، والاستمرار في ذلك. وحيث كانت على الوجه المطلوب فإنها لا محالة تنهى عن الأخلاق السيئة ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وهذا الوصف هنا للمؤمنين بإقامة الصلاة جاء في آيات متعددات على سبيل المدح والإشادة أحياناً، وعلى الأمر به أحياناً للاهتمام والحث: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝﴾ [الأنفال: ٣].

وقال: ﴿قُل لِّعِبَادِىَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ [إبراهيم: ٣١].

ونحوه ثم قال في المنافقين: ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ وقال في حق المؤمنين: ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ﴾ فهم يمدون يد العون للمحتاج، فيعطون الزكاة المفروضة، ويتطوعون بفضل أموالهم، فأنفسهم زاكية مهذبة، ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

وقد مدحهم رسولنا الكريم ﷺ فقال: «**إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو أو قل طعام عيالهم بالمدينة، جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد، ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية فهم مني وأنا منهم**»(١).

- ثم قال في شأن المنافقين: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾.

وقال في حق المؤمنين: ﴿وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ والطاعة تستلزم المراقبة لحق المطاع، فلا يزالون في ذكره، والعمل بطاعته، وطاعة رسوله ﷺ، وهكذا كان الصحابة رضوان الله عليهم(٢).

أما المنافقون فقالوا: ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى الدِّينِ﴾ [النساء: ٤٦].

وأما المؤمنون فقالوا: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

استجابة لأمره بالطاعة، في أكثر من آية، مثل قوله: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣٢].

---

(١) البخاري في أول الشركة ومسلم رقم: ٢٥٠٠.
(٢) تبويب التمهيد لابن عبدالبر ج٩ ص١٢٦.

وقوله: ﴿وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور: ٥٦].

وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩].

وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ...﴾ الآية [الأنفال: ٢٠، ٢٢].

وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾﴾ [محمد: ٣٣].

وقال في منزلة الطاعة: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء: ٦٩] والآيات كثيرة في هذا الموضوع: ومن الأحاديث قول عبادة بن الصامت[١] ـ رضي الله عنه ـ: «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع، والطاعة، في العسر، واليسر، والمنشط، والمكره وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقول بالحق حيثما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم» وفي هذا الحديث وأمثاله الصبر على جور أولياء الأمور. ففي رواية: «في عسرنا ويسرنا وأثرة علينا» والأثرة هي ظلمنا ومنعنا حقنا. وفي حديث أبي هريرة[٢]: «**من فارق الجماعة وخرج من الطاعة فمات، مات ميتة جاهلية**».

وفي حديث ابن عمر[٣]: «**من نزع يداً من طاعة الله، لقي الله يوم القيامة لا حجة له**».

وسئل ﷺ[٤] أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألون حقهم ويمنعونا حقنا؟

---

(١) البخاري في الأحكام باب كيف بايع الإمام الناس وفي الفتن باب قول النبي ﷺ: «**سترون بعدي أموراً تنكرونها**»، ومسلم في الإمارة باب وجوب طاعة ولاة الأمور في غير معصية رقم: ١٤٧٠.

(٢) مسلم في الإمارة باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين رقم: ١٨٤٨.

(٣) مسلم في الإمارة رقم: ١٨٥١.

(٤) مسلم في الإمارة رقم: ١٨٤٦.

قال: «**فالواجب على المسلم أن يطيع الله ورسوله طاعة مطلقة وأن يطيع أولياء الأمر في غير معصية. وأن يلتزم جماعة المسلمين، وأن لا ينزع يداً من طاعة، مهما كان ظلم الولاة. وعلى هذا جماعة أهل السنة والجماعة والحمد لله**».

ثم قال في المنافقين ﴿فَنَسِيَهُمْ﴾ أي جازاهم بالترك لفسقهم، وخروجهم من طاعة الله، وقال في حق المؤمنين ﴿أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾ والسين تخلص المضارع للاستقبال، والوعد من عند الله الكريم. وإذا وعد الكريم تستلذ النفوس عادة فكيف بخالق الكرم وأهله، فهو يعدهم الرحمة فيجدون لذة الوعد كما يستلذون بحصول الموعود به ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ فهو عزيز في أقواله حكيم في أفعاله، يضع الجزاء في موضعه، ولا يظلم مثقال ذرة، وإن تك حسنة يضاعفها. وقال في الوعيد للمنافقين ومن في حكمهم من الكفار ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ وأظهر هنا المنافقين والمنافقات في موضع الإضمار، للإشارة إلى أن هذا الوعيد الشديد بالخلود في النار وبالطرد من رحمة الله بسبب نفاقهم، وأيضاً لكي يعطف عليهم الكفار وهم في حكمهم سلوكاً، ومصيراً، وقال في حق المؤمنين: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢] والإظهار هنا ـ في المؤمنين والمؤمنات للإشارة إلى أن هذا الثواب العظيم حاصل بسبب الإيمان وما تبعه من صفاته الحميدة فبين أن لهم بساتين تجري من تحتها الأنهار، ولهم مساكن طيبة في جنات عدن.

أو أن لعامة المؤمنين جنات تجري من تحتها الأنهار، وللنبيين وخواص المؤمنين مساكن طيبة في جنات عدن، والأهم من هذا كله يحل عليهم رضوان الله الأكبر فلا يسخط عليهم أبداً. فيا لها من نعمة ويا لها من لذة، ويا له من نعيم فقد أخرج الشيخان من حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال:

«**إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك**

ربنا وسعديك والخير في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا ربنا وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك!!

فيقول: أفلا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟! فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً»(١).

اللهم يا حي يا قيوم نسألك أن ترزقنا رضاك الذي لا سخط بعده أبداً إنك سميع مجيب.

* * *

النموذج الثاني:
للأستاذ الشيخ محمد عبدالرحمن بن الشيخ محمد الحجاجي
وهو بعنوان: مراحل الجنين في القرآن الكريم»

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق فسوى، فخلق الزوجين الذكر والأنثى، والصلاة والسلام على صاحب المعجزة الخالدة، والرسالة الرائدة، وبعد: فإن الله تعالى أنزل القرآن تبياناً لكل شيء، فتحدى به الإنس والجن على مر التاريخ، وأعظم هذا التحدي هو الإعجاز العلمي الذي تحدى الثورة العلمية في هذا العصر، فكل ما اكتشفوا سراً من أسرار هذا الكون سبقهم القرآن إلى ذلك بأسلوب خطير، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾.

وسنتناول معكم في هذه المحاضرة مراحل تكوين الجنين، انطلاقاً من سورة المؤمنون.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ

---

(١) البخاري في كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار رقم: ٢٤٥٨ ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها رقم ٩.

نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ...﴾.

المرحلة الأولى:

(أ) النطفة:

وتعني لغوياً الكمية الصغيرة جداً من السائل، وتعني هنا السائل المنوي للرجل والمرأة.

وقد تعدد ذكر هذه المرحلة في أكثر من آية: ﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾ [الكهف: ٣٧].

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ [غافر: ٦٧]، ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ [فاطر: ١١]، ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾﴾ [النحل: ٤]. إلى غير ذلك من الآيات.

وتتكون نطفة الرجل أساساً من الخلايا المتخصصة: اثنتان منهما تبطنان الأنابيب ناقلة المني، والثالثة توجد في تجمعات خلوية بين هذه الأنابيب، ولكل أنبوب فوهتان، وتتجمع فوهات الأنابيب، وتتهيأ الخصي لتكوين الحيوانات المنوية، ويتم تحديد جنس الجنين عن طريق الحي المنوي حيث تحمل رأس الحي المنوي الشق المذكر من كروموسوم تحديد الجنس (Y) أو الشق المؤنث (X).

قال تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾﴾ [الطارق: ٥ ـ ٧]. وهذه الآية تشير إلى منشأ الخصية والمبيض على جانبي العمود الفقري بجوار الكيتين أسفل الحجاب الحاجز المقابل للضلوع السفلى من القفص الصدري.

(ب) نطفة المرأة:

تولد الأنثى حوالي مليونين من البويضات الأولية، تتناقص تدريجياً، ولا يصلح منها للإخصاب إلا (٤٠٠ ـ ٥٠٠) بويضة قطر البويضة (٢٠٠) ميكرون.

وعن ضمور الجريب وتلاشي السائل الذي هو ماء البويضة تحدث القرآن في سورة الرعد: ﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۚ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ﴾ [الرعد: ٨] وقد أشار رسول الله ﷺ كما في الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده إلى دور ماء المرأة في النسل عندما سأله اليهودي عن أي شيء يخلق الإنسان؟ فقال: «**من كل يخلق: من نطفة الرجل، ونطفة المرأة**».

وفي صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «**ماء الرجل أبيض، وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا فعلا مني الرجل مني المرأة أذكر بإذن الله، وإذا علا مني المرأة مني الرجل أنث بإذن الله**».

وقال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٍ﴾.

فكلمة أمشاج أدق تعبير لخلية الزيجوت الناتجة عن التحام المادة الوراثية بكل من نطفة الرجل والمرأة.

ومن تدبير الخالق البارىء المصور تسخير الإمكانات التي تضمن للجنين الأمان حتى يتم له الميلاد في يسر، حيث يحيط بالرحم جدار عظم منيع يتكون من: عظام الحوض التي تشمل عظام الحرقف على الجانبين، والتي تلتحم من الأمام عند العانة، ومن الخلف عند عظام العجز على شكل بيضوي.

وبعد نهاية الشهر الثالث يخرج الرحم عن نطاق الحوض فيتعرض للإصابة، لكن الغشاء الأمنيوني يبدأ في إفراز السائل الأمنيوني ليتمص الرضوض الخارجية، وتأثيرات التصادمات، وهذا الغشاء أحد الأغشية الثلاثة التي تمثل طبقات المشيمة، وهي من الداخل إلى الخارج.

١ ـ الغشاء الأمنيوني: ويحيط بالجنين مباشرة.

٢ ـ الغشاء الكوريوني: وهو الذي يتصل بالمشيمة لإمداد الجنين بالغذاء.

٣ ـ الغشاء الساقط: وهو الذي يثبت الجنين في جدار الرحم.

ويمكن أن نستلهم هذه الأغشية من قوله تعالى في سورة الزمر: ﴿يَخۡلُقُكُمۡ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ خَلۡقٗا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖۚ﴾.

المرحلة الثانية:

بعد أن تتكون نطفة الأمشاج، تبدأ النواة في الانقسام المتتالي، مما يتضاعف معه عدد الخلايا، وبعد أسبوع إلى عشرة أيام تصل الكرة الجرثمية إلى جدار الرحم، وتتحول المنطقة إلى بركة من الدم.

وقد ورد ذكر هذه المرحلة في أكثر من موضع في القرآن:

- ﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾﴾ [القيامة: ٣٨].
- ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾﴾ [العلق: ٢].
- ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ...﴾ [الحج: ٥].
- ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ...﴾ [غافر: ٦٧].

المرحلة الثالثة:

بعد مرحلة العلقة السابقة تتحول البركة الدموية إلى مضغة يحصل فيها التمايز وقد جاء ذكر هذه المرحلة في القرآن مقروناً بالتخليق: ﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾﴾ [القيامة: ٣٨].

حيث تفيد كلمة سوى تتبعاً مرحلياً لتخليق المضغة، كما يفيد الفاء التتابع المرحلي بدون فجوة زمنية، وتمشياً مع نفس المعنى جاء في سورة المؤمنون: ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا﴾.

وفي فترة تمييز العظام وتطورها يكون تمايز الذكورة والأنوثة كما تفيد آية سورة القيامة: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾﴾ [القيامة: ٣٧ ـ ٣٩].

وإلى إجمال ما سبق يشير حديث الصحيحين: عن عبدالله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث إليه ملك ويؤمر بأربع كلمات: عَمَلِهِ، ورزقه، وأجله، وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح**».

المرحلة الرابعة:

يكتمل نمو القلب وظيفياً مع بداية الأسبوع السابع، وتبدأ أجهزة الجسم المختلفة في ممارسة وظائفها، وتكتمل الأمعاء الدقيقة تشريحياً ووظيفياً.

كما تبدأ مع الأسبوع التاسع عملية التعظم الأولية، وتستمر تبعاً لجدول زمني محدد يتماشى مع متطلبات النمو.

ومع بداية الأسبوع الحادي عشر تظهر براعم الأسنان البدنية بكل من الفكين. وتكتمل الضلوع وفقرات الهيكل العظمي مع بداية الأسبوع الثاني عشر. ويبدأ النخاع العظمي في تكوين خلايا الدم بدلاً من الطحال والكبد ومع نهاية الأسبوع الثاني عشر تتميز طبقات الجلد.

ويؤكد القرآن الكريم على صحة معطيات العلم الحديث من أقل مدة للحمل هي (٢٤) أسبوعاً أو (٦) أشهر كما في سورة الأحقاف:

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾.

إذ حددت سورة البقرة مدة الرضاعة: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾.

كما حددت سورة لقمان مدة الفصال: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾.

فتكون المعادلة الحسابية: كل ثلاثون شهراً للحمل والفصال ٢٤ منها للفصال، وستة للحمل.

فسبحان من خلق فسوى، وقدر فهدى، أوجد من العدم، وبرأ النسم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

❑ ❑ ❑ ❑

الفصل الثالث

التفسير في المعاهد الدينية

أولاً: المعهد العالي للدراسات الإسلامية معهد ديني جامعي فتح ١٣٩٩هـ وتدرس فيه العلوم الشرعية. ومن العلوم التي تدرس فيه علم التفسير وعلوم القرآن ويدرس في السنة الأولى منه ما يلي(١):

أولاً ـ المحاور العامة:

١ ـ الطهارة.

٢ ـ الصلاة.

٣ ـ الصوم.

٤ ـ الزكاة.

٥ ـ الحج.

٦ ـ الاعتكاف.

٧ ـ الذكاة.

٨ ـ اليمين.

---

(١) هذه المعلومات نقلتها من المنهج الرسمي للمعهد من ص٣٠ وما بعدها.

٩ ـ الجهاد.

١٠ ـ النكاح.

⇦ ثانياً ـ المحاور التفصيلية:

الطهارة:

أنواع الطهارة والخلاف في الماء المضاف ـ الوضوء فرائض الوضوء ـ والخلاف في الرأس هل يمسح جميعه أو بعضه؟ وهل الرجلان تمسحان أو تغسلان وحكم ترتيب الوضوء ـ التيمم. الخلاف في الضربة الثانية وفي معنى الصعيد ـ الحيض. حكم وطء الحائض وما يجوز منها للزوج.

استقبال القبلة قبلة الفرض وقبلة النفل، والفرق بينهما. هل اللازم استقبال عين الكعبة أو جهتها.

ـ وقوت الصلاة والوقت الضروري والاختياري وما هي صلاة الوسطى. صلاة الخوف وما فيها من دلالات عظيمة وكيفيتها المثلى وأنواعها.

صلاة الجمعة فرضيتها وأهميتها الاجتماعية ومناقشة شروط الفقهاء وحكم تعدد الآذان بين يدي الخطيب يوم الجمعة.

الزكاة أهميتها الاجتماعية وهل هي عامة في كل الأموال أو خاصة وهل في المال حق سوى الزكاة، وما هي الأصناف التي تصرف عليها وهل يلزم تعميمها عليهم أو يجوز أن يصرف لواحد من الأصناف. الصوم كيف يثبت الهلال وحكم توحيد الرؤية في العالم الإسلامي وحكم جواز الرفث إلى النساء ليلة الصيام. الاعتكاف وأحكامه. الحج: فرضيته وتمامه بعد الدخول فيه وحكم الحاج إن رفث أو فسق، وذكر أركانه وجزاء صيده وما يباح من الصيد، وحكم فدية الأذى. ودم التمتع... الخ. والرمي في أيام منى والهدي وحكم تقليده وإشعاره. الزكاة: حكم ذكر الله عند الذكاة أو الاصطياد وما هي المحرمات والمباحات. اليمين: وأنواعها وكيفية كفارتها

وهل تكفر جميعها وما تنعقد به اليمين وفاقاً أو خلافاً. قسمة الغنائم وضرب الجزية. النكاح: فضله وفائدته وحكم الخطبة وفعل الصالحات وحكم تعدد الزوجات. المهر: وحكمه ففي حالة الخلاف قبل الدخول وحكم نكاح التفويض وحكم أخذ الزوج له من غير طيب نفسها. المحرمات من النساء وأنواعهن من النسب من الرضاع من الصهر.

وفي منهج السنة الثانية يدرس من التفسير ما يلي:

أولاً ـ المحاور العامة:

١ ـ الطلاق.
٢ ـ العدة.
٣ ـ الظهار.
٤ ـ الإيلاء.
٥ ـ اللعان.
٦ ـ الرضاع.
٧ ـ الاستئذان.
٨ ـ البيع.
٩ ـ القضاء.
١٠ ـ القصاص.
١١ ـ الحدود.
١٢ ـ الوصية ونظام المواريث.

ثانياً ـ المحاور التفصيلية:

ـ أحكام الطلاق:

ـ عدة الطلاق في الحيض:

عدة المطلقة متعة المطلقة. عدة الوفاة. سكن المعتدات ونفقتهن ـ الرجعة: أحكام الظهار وألفاظه ـ كفارة الظهار. أحكام الإيلاء وعود المولى ـ أحكام اللعان ومتى يصح والفرض ـ أحكام الرضاع والخلاف في عدد

الرضعات ورضاع الكبير ـ الاستئذان في أوقات الخلوات ـ الحجاب وأحكامه: وتوضيح حول مفهوم الحجاب وخلاف العلماء فيه البيع وأهميته ـ الربا والتحذير منه ـ السلم ونظام الدين ـ الرهن وما يجوز منه وما لا يجوز ـ الحجر الشركة والوكالة الوديعة ـ القضاء ـ الشهادة ـ القصاص ـ القتل خطأ ـ وكفارته ـ الباغية حد السرقة ـ حد قاطع الطريق ـ حد الزنا ـ حد القذف ـ حد شرب الخمر ـ الوصية ـ نظام المواريث.

فالتفسير في المعهد يتركز أساساً على تفسير آيات الأحكام، وكما لاحظت فهو غير محدد ومرتبط بالمسائل الفقهية الفروعية.

ثانياً ـ معهد ابن عباس وهو معهد جامعي حر:

وفي معهد ابن عباس تدرس آيات الأحكام تفصيلاً وغيرها إجمالاً مع التركيز على محاور محددة واستخلاص العبر والعظات ومنهجه يعتمد على التفسير الموضوعي الذي تحدثنا عنه قبل قليل.

ثالثاً: وأما معهد خالد للمعارف الإسلامية فمن المعاهد التي يدرس فيها التفسير فيدرس القصص والتوجيه والأحكام.

رابعاً: ومن المعاهد التي يدرس فيها التفسير معهد العلوم الإسلامية والعربية في موريتانيا، ففي الثانوية مثلاً من سورة غافر إلى سورة الشريعة. ويدرسون التفسير في الكلية بصفة أعمق.

خامساً: وأما معهد رابطة العالم الإسلامي فيدرس فيه التفسير وأكثر ما يدرس فيه كتاب جمال الدين القاسمي «محاسن التأويل».

والمقرر بعض سور القرآن سورة يس وبعض السور الأخرى والتركيز بالأساس على العقيدة والأخلاق ولا يهتمون بجانب الأحكام الفقهية كثيراً.

ودراسة التفسير في هذه المعاهد التي أشرنا إلى مناهجها في التفسير مع أهميتها وحاجة التعليم إليها تخلو من التجديد والشمول التي يتسم بهما التفسير في المجالس العلمية وفي المؤلفات التي تحدثنا عنها.

الفصل الرابع

التفسير بين الماضي والحاضر

لقد حاولت قدر المستطاع أن أقدم صورة عن التفسير في بلاد شنقيط، نشأة، وتطوراً، وانتشاراً، ومنهجاً، وذلك في الدراسة السابقة، وهنا سوف أحاول بإيجاز شديد، أن أقارن بين ماضي التفسير وحاضره، وقبل ذلك أريد أن أبدأ بعدة ملاحظات:

الملاحظة الأولى: هي أن مستوى الشنقيطيين الأوائل في حفظ اللغة العربية وخاصة النحو، والصرف، والشعر، وفي الفقه، وفي السيرة، قل من يبلغه من المتأخرين منهم، ولكن ميادين أخرى، كالتفسير، والحديث، والثقافة العامة، إن لم يكن المتأخرون منهم أعلى منزلة من المتقدمين، فليسوا دونهم.

الملاحظة الثانية: هي أن الشيخ محمد الأمين الشنقيطي له تأثير كبير على حاضر التفسير، مع أنه توفي خارج البلد، ومنذ ما يقارب ثلاثة عقود من الزمن، ومع أن مراجع أخرى واتجاهات طرأت بعده، إلا أن تأثير تفسيره الأضواء في بلاد شنقيط (موريتانيا) كان كبيراً جداً وما زال مستمراً لحد الساعة.

الملاحظة الثالثة: التفسير الاجتماعي الذي يهتم أصحابه بعلاج مشكلات المجتمع على أساس الآيات القرآنية التي تعنى بالجوانب

الإصلاحية للمجتمع لم يظهر بشكل بارز في تفاسير الشنقيطيين باستثناء تفسير أضواء البيان الذي تضمن كثيراً من الآراء الإصلاحية، ولا يعني هذا أن تفاسيرهم خالية من الاهتمام بإصلاح المجتمع كلية فهذا لا يصح، فجميع المفسرين بطبيعة الحال يفسرون الآيات التي فيها إصلاح المجتمع من جميع الجوانب ويعلقون على مضامينها، والفرق بينهم وبين أصحاب المنهج الاجتماعي أن هؤلاء يتوسعون في تفسير هذه الآيات طالبين علاج مشكلات مجتمعاتهم فيها، فينظر المفسر إلى مجتمعه نظرة الطبيب الفاحص يتلمس داءه ويتعرف على علته، حتى إذا عرفه نظر في القرآن يطلب الدواء والعلاج فإذا وجده توسع لشرحه وبيانه، وحث قومه على التزامه فنشأ بهذا لون من ألوان التفسير وهو الإصلاح الاجتماعي[١]. وأبرز مدرسة اهتمت بهذا الجانب في العصور الأخيرة مدرسة الشيخ محمد عبده ت١٩٠٩م.

ولم يتأثر التفسير ببلاد شنقيط بمدرسة الإصلاح هذه مع صلتهم الوثيقة برائدها فقد كان الشيخ محمد محمود بن التلاميذ الشنقيطي من العلماء المقربين للشيخ محمد عبده، وقد كلفه بتدريس اللغة العربية بالأزهر وبمهام علمية أخرى، وقد نوه ابن التلاميذ بهذا العلامة في بعض شعره يقول[٢]:

تذكرت من يبكي علي فلم أجد ... سوى أمهات الكتب بعدي أو علمي
وغير الفتى المفتي محمد عبده ... صديقي الصدوق الصادق الود والكلم
وعصم علوم كنت أنزله له ... إذا عز أرواها على كل ذي فهم

وبعد هذه الملاحظات نبدأ بذكر ما تميز به التفسير في الوقت الحاضر وذلك فيما يلي:

---

(١) فهد الرومي: بحوث في أصول التفسير ومناهجه ص١٠٧/ ١٤١٩هـ مكتبة الرباط ط الرابعة.

(٢) الوسيط في تراجم أدباء شنقيط ص٣٨١ وبلاد شنقيط ص٢٧١.

١ - **الشمولية في المنهج**: فالتفسير اليوم لا يقتصر على جانب واحد من جوانب المعرفة كاللغة، أو الأثر، أو الفقه، أو الوعظ، بل المفسرون يحاولون تبيين هذه الجوانب في الدرس التفسيري، بينما نلاحظ أن الأقدمين كان اهتمامهم منصباً في الغالب على اللغة والفقه والقصص.

٢ - **الشعبية**: التفسير اليوم يقدم في الجوامع والأماكن العامة، وبالتالي كل من يرغب في الاستفادة منه يستفيد، بغض النظر عن مستواه العلمي، وسنه، ومنزلته، كما أنه أصبح من المقررات الدراسية النظامية، بينما كان التفسير في الزمن الماضي خاصاً بطلاب العلم الكبار، الذين أخذوا بنصيب وافر من الفقه، واللغة، وغيرهما من علوم الشرع.

٣ - **التفسير في الوقت الحاضر يتميز بالتحرر من التعصب المذهبي أو العقدي** ففي الغالب يحضر الشيخ درسه في التفسير من المصادر التي يثق بها، أو يمليه من ذاكرته، ولا يراعي أي موقف مذهبي، أو فكري للغير، لا يقبله النص القرآني، فالأساس هو ما يسوقه من أدلة، لأن التعصبات المذهبية خفت إلى حد بعيد.

٤ - **تنوع المراجع والاستفادة من كل جديد**: فكثرة المصادر والمراجع في الوقت الحاضر أعطت نفساً جديداً للمفسر، فأصبح قادراً على معالجة المشاكل الاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية، من خلال القرآن الكريم، فمكتبة التفسير الآن غنية بالدراسات المعاصرة، بالإضافة إلى المراجع القديمة، فمن الكتب الحديثة عندهم: تفسير المنار وتفسير المراغي، وتفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، وفي ظلال القرآن لسيد قطب، ومحاسن التأويل للقاسمي، والأساس في التفسير لسعيد حوى، ومجالس التذكير، من كلام الحكيم الخبير لابن باديس وغيرهما.

والشيخ يتخير فيأخذ ما يريده ويستفيد منه ويترك ما لا يريده لعدم الاقتناع به ويخليه جانباً.

٥ - **التفسير في الوقت الحاضر أصبح رافضاً للإسرائيليات**،

والأحاديث الواهية ويظهر ذلك جلياً في إبعاد كتب كانت وإلى عهد قريب عزيزة للغاية، يبذل فيها كل غال ونفيس، فتفسير الخازن مثلاً مع ما يتميز به من جمال الأسلوب، وكثرة الفوائد ومع ما كان يحظى به من رواج في الأوساط العلمية، أهمل الآن من طرف الموريتانيين، لإيراده للإسرائيليات بكثرة في تفسيره، وعدم تحفظه من الروايات الضعيفة.

بقي لنا أن نبين أن دور الشناقطة في الوقت الحاضر ليس قاصراً على الجمع والتأليف فحسب، بل إنه تعدى ذلك إلى النقد والمشاركات البناءة الجريئة وقد تقدمت بعض الشواهد على هذا، فمن ذلك ردود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي على بعض أكابر أئمة التفسير والآن نأخذ نموذجاً آخر وهو نقد العلامة محمد عبدالله بن الصديق المفتي بدائرة القضاء الشرعي بأبو ظبي لكتاب عبدالكريم الخطيب المسمى بالتفسير القرآني للقرآن.

وهذا النقد جعله تحت عنوان من غرائب المفسرين في أواخر القرن العشرين فمن نقده لهذا التفسير نقده تفسيره قوله تعالى: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ فعبدالكريم ذكر أن المغضوب عليهم هم اليهود ولم يذكر أن الضالين هم النصارى وقد ذكر ابن كثير وغيره الأحاديث التي وردت بالنص على أن المغضوب عليهم هم اليهود والضالين هم النصارى وهذه الأحاديث منها ما صححه بعضهم كابن حبان والحاكم ومنها ما حسنه بعض آخر كالترمذي، ثم قال ابن كثير وقال ابن أبي حاتم ولا أعلم بين المفسرين في هذا اختلافاً وذكر ذلك غيره وآيات القرآن الكريم تشهد على ما قاله هؤلاء الأئمة وفي هذا الأمر ملاحظتان:

إحداهما: أنه قال إنه يعتبر سنة رسول الله ﷺ الثابتة، فلماذا لم يقبل هذا التفسير الثابت في السنة؟

والذي فيه أن اليهود هم المغضوب عليهم، والنصارى هم الضالون.

والثانية: أنه عدل عن التفسير الذي لا يعرف فيه خلاف بين المفسرين كما قال ابن كثير عن ابن أبي حاتم، لكن يمكن الجواب على هذه الملاحظة بأنه كان قد قال لنا إن له برنامجاً خاصاً لا يكترث فيه بأقوال المفسرين قال: إننا لا نفسر القرآن بالمعنى المعروف للتفسير في هذه الصحبة التي نصحب فيها كتاب الله، وإنما نحن نرتل آيات الله ترتيلاً آية آية أو آيات آيات ثم نقف لحظات نلتقط فيها أنفاسنا المبهورة لما تطالعنا به الآية أو الآيات من عجب ودهش وروعة ثم نمسك القلم لنمسك به بعض ما وقع في مشاعرنا من صور العجب والدهش والروعة... الخ، ولا شك أنه قد أوفى بما تعهد به حيث إنه لا يبالي بأقوال المفسرين ولو وقفوا جميعاً ضده، ويمكن أيضاً أن يعتذر عن الملاحظة الأولى بأنه لعله كانت عنده مهادنة أو صداقة مع النصارى ولا يحب أن يقول فيهم ما يزعجهم ويشهد لذلك ما يأتي: بعد أن فرغ من تفسير الفاتحة ص٢١ قال: يعني عبدالكريم واستمع إلى هذا الدعاء أو الصلاة.

أبانا الذي في السماوات والأرض ليتقدس اسمك ليأتي ملكوتك لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض...

ثم يقول: وأنت ترى ما بين هذه الصلاة التي كان يصلي بها السيد المسيح ويعلمها أتباعه وبين فاتحة الكتاب التي هي قرآن المسلمين في صلاتهم أنت ترى ما بين هذه وتلك من تشابه كبير في الروح التي تستولي على الإنسان وهو يتلوها خاشعاً متعبداً...

والذي نعتقده أن هذا الذي نسبه لإنجيل متى وسماه دعاء أو صلاة ليس بينه وبين فاتحة الكتاب أي تشابه لا في اللفظ ولا في المعنى ويستطيع أن يعرف ذلك كل من له إلمام بالعربية وكل من يدين دين الإسلام الصحيح.

وكيف يصدق مسلم أن عيسى عليه السلام يخاطب ربه عز وجل قائلاً: (أبانا).

فهذا الدعاء وهذه الصلاة ما هو إلا إعلان عن العقيدة النصرانية التي

يؤمن أصحابها بأن عيسى ابن الله كما قص الله علينا في كتابه العزيز: ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾.

كما انتقد عليه كلامه حول الرؤية، والإسراء وقضايا أخرى ولم يتسع المجال لتتبع كلام الشيخ محمد عبدالله حول نقد تفسير عبدالكريم وفي البعض إشارة إلى الكل.

هذه بعض الملاحظات ذكرتها لتوضيح الفرق بين ماضي التفسير وحاضره، وربما تكون هناك فروق أخرى.



خاتمة البحث

مما تقدم عرضه من دراسة التفسير والمفسرين في بلاد شنقيط نخلص إلى ما يلي:

أولاً:

لقد ظهر علماء شنقيطيون مفسرون بارزون كان من أشهرهم في القرن ١٢هـ الشيخ محمد بن سعيد اليدالي مؤلف الذهب الإبريز.

وفي القرن ١٣هـ الشيخ محمد بن محمد سالم المجلسي مؤلف الريان، في تفسير القرآن.

وفي القرن الرابع عشر الهجري الشيخ محمد الأمين الجكني الشنقيطي مؤلف أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، كما نبغ عشرات من مفسري القرآن خلال هذه العصور كانت لهم إسهامات طيبة ومشاركات فاعلة، وبطبيعة الحال فإنتاج هؤلاء يتفاوت أهمية بحسب المقدرة العلمية واستقامة المنهج.

أما صدر القرن الخامس عشر الهجري الذي يدخل ضمن هذه الدراسة، فلم نركز فيه على مفسر بعينه ولكن لاحظنا أن حركة علمية راشدة تهيمن على درس التفسير في موريتانيا حالياً تتجلى أساساً في المجالس العلمية في المساجد وفي المحاضر، يتصدرها مشايخ بارعون في اللغة

والفقه، وتتلوهم مجموعة شابة أضافت إلى علم سلفها تجربة الآخرين.

ثانياً:

حركة التفسير منذ ظهور أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن وإلى الوقت الحاضر تهتم بالتفسير الموضوعي أي أن المفسر في الغالب يجمع الآيات الواردة في الموضوع ثم يفسرها، وهذا يساعده على استقراء الآراء حول المسألة ثم مقارنتها... وتصنيفها والانتهاء بها إلى نتائج واضحة عملية، وهذا لا يعني أنهم ينتقدون طريقة أصحاب التفسير التسلسلي حسب ترتيب المصحف، كما انتقدها بعض الباحثين المعاصرين قائلاً: «لأن الآيات التشريعية لا تفسر إلا مجتمعة ذلك أن بعضها قد أصابه النسخ وبعضها مفصل للمجمل منها وبعضها مقيد لمطلقها[(١)]».

بل لأنهم لاحظوا أن المنهج الشمولي في التفسير يؤدي نتائج طيبة، ويرد على كل الشبه التي تحصل من النظر إلى كتاب الله تعالى نظرة جزئية، وهذا ما حدا بالشيخ الأمين إلى تأليف كتابه الفريد «دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب» الذي وصفه الشيخ عطية محمد سالم بأنه أخص ما كتب في علم القرآن.

ثالثاً:

هذه الدراسة المتواضعة فيها رد مباشرة على المقولة الشائعة وهي: أن الشنقيطيين إبان نهضتهم العلمية اهتموا باللغة وبالفقه والأصول وأهملوا التفسير والحديث، فهي مقولة فيها مبالغة كبيرة، فكيف نصفهم بإهمال التفسير مع أنهم خلال ثلاثة قرون ألفوا فيها أكثر من خمسين أثراً ما بين تفاسير شاملة وتفاسير جزئية، مع عشرات المؤلفات في علوم القرآن الأخرى؟!.

---

(١) دراسات في القرآن ص١٣٦ السيد أحمد خليل واتجاهات التفسير بإفريقية ص٥٧.

صحيح أن جل هذه المؤلفات ألفت في فترة ركود بالنسبة للثقافة الإسلامية عموماً، ولكن المتتبع لها يلاحظ أنها لا تخلو من مظاهر التجديد ولو في الطريقة والأسلوب، فكتاب البشير ابن امباريقي «كشف الأستار عن بعض ما في الذكر من الأضمار» الذي تتبع فيه المضمرات في القرآن قال في مقدمته: إنه لم يعثر على من سبقه إليه.

ـ وكتاب الشيخ محمد بن سيدي بن الحبيب البيان والتعريف بما في القرآن من أنواع التصريف جديد في بابه.

وتقدم قول الدكتور فهد الرومي في أضواء البيان: «ما رأيت تفسيراً قديماً أو حديثاً فسر القرآن بالقرآن مثله».

ـ وكتاب عبدالودود بن حمية «التنوير في التفسير بالأثر» جديد في طريقته إلى غير ذلك.

⇦ رابعاً:

الدراسات القرآنية بصفة عامة والتفسيرية بصفة خاصة تحتاج إلى لفتة من الجهات الرسمية في موريتانيا بدل الصدود والإعراض، ذلك أن الجهود الفردية مهما بلغ أصحابها من الجد والاجتهاد فإن نتائجها تظل محدودة وقاصرة، لهذا فالمطلوب هو فتح مركز للدراسات القرآنية أو كلية للقرآن الكريم، يلملم شعث هذه الجهود، وينظم انطلاقة راشدة، تؤدي إلى نشر العلوم المتعلقة بهذا الكتاب المنزل من عند الله، مركزة على الجوانب التي لم تأخذ حظاً من الدراسة في هذه الربوع أصلاً، مثل دراسات إعجاز القرآن، والقصص في القرآن وغير ذلك من الموضوعات المهمة، التي أهملت من قبل لسبب أو لغير سبب، ومعتنية بالثروة العلمية الموجودة: جمعاً، وتصحيحاً، وتحقيقاً، ونقداً، ونشراً، ويكون ذلك مفيداً بشرط أن يتولى الإشراف عليه علماء مخلصون، لهم خبرة عميقة بالقرآن وعلومه ومعرفة باللغة وعلوم الآلة الأخرى، بعيداً عن محاباة المسؤولين ونظرتهم الضيقة القصيرة.

ونتائج البحث غير هذا كثيرة ولكن في ذكر البعض إشارة إلى الكل والحمد لله الذي بنعمته وجلاله تتم الصالحات، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وأرجو من الله العلي القدير أن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفعني به يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.



ملحق اسمَاءِ بعض المؤلفين ومؤلفاتهم في علوم القرآن الأخرى غير التفسير

وقد وضعت في هذا الملحق ما تيسر من أسماء هؤلاء المؤلفين ومؤلفاتهم حسبما هو موجود في موسوعة العلامة المختار بن حامدن جزء الثقافة، أو كتاب الأستاذ الخليل النحوي بلاد شنقيط المنارة والرباط، أو ما هو موجود في مقدمة تحقيق ودراسة كتاب كشف العمى في الرسم والضّبط، ومقدمة كتاب المقبول النافع على الدرر اللوامع، في قراءة نافع فلم أحاول الحصر لتعسر ذلك علي.

ولكن فضيلة الدكتور محمد المختار بن اباه يعد كتاباً شاملاً عن مؤلفات الشنقيطيين في علوم القرآن ـ كما بلغني ـ وذلك العمل سوف يكون بحول الله وقوته أشمل وأكمل. وهذه قائمة بهذا الملحق:

❋ ❋ ❋

أولاً: القراءات والتجويد

١ ـ تأليف في القراءات السبع المؤلف عبدالله بن الحاج حماه الله القلاوي ت١٢٠٩هـ.

٢ ـ نظم في القراءات السبع لعبدالرحمن بن الإمام العلوي ت١٢٩٩هـ.

٣ ـ الإشارات في علم القراءات المؤلف عبدالودود بن حمية الأبييري.

٤ ـ غيث البشر شرح طيبة النشر الحسن بن محمد معاصر بارع في القراءات.

٥ ـ الغرر السواطع على الدرر اللوامع ـ زين بن اجّمد اليدالي حقق في دار الحديث الحسينية.

٦ ـ شرح الشاطبية المؤلف أحمد بن محمد الحاجي ١٢٥١هـ.

٧ ـ تحفة الوليد في أحكام التجويد له.

٨ ـ المقدمة الجزرية بابا بن محمد بن حمدي الشريف الحاجي ١٣٢٢هـ.

٩ ـ نظم شرح رسالة الشوشاوي لمحمد عثمان بن محمد بن اغشممت المجلسي.

١٠ ـ بصائر التالين محمد مولود بن أحمد فال ـ طبع في نواكشوط.

١١ ـ وله الإجماع في القراءات طبع في نواكشوط.

١٢ ـ تحفة المجيد محمد حبيب الله بن مايأبى الجكني الشنقيطي ١٣٦٤هـ.

١٣ ـ حلية المعاصم في رواية حفص عن عاصم له.

١٤ ـ عجالة المجود محمد الحسن (بيدر) بن الإمام ـ حقق في المعهد العالي.

١٥ ـ القول السديد في علم التجويد، محمد أحمد بن إلياس الجماني ١٣٥٩هـ.

١٦ ـ تحفة الإخوان في تجويد القرآن عبدالله بن أبيبيه الديماني ١٣٢٨هـ.

١٧ ـ نظم في الأرداف وشرحه المصطفى بن بونا التندغي.

١٨ ـ ما به العمل (الأخذ) أحمد بن الطالب محمود إدوعيشي ١٢٥١هـ حقق في المدينة المنورة.

١٩ ـ كشف الغطا له أيضاً.

٢٠ ـ رسالة في التسهيل أحمد بن محنض بابه الديماني ١٣١٩هـ.

٢١ ـ مفيد النساء والرجال فيما يجوز من الإبدال الشيخ ماء العينين القلقمي ١٣٢٨هـ.

٢٢ ـ شرح نظم الطالب عبدالله المشدد محمد سالم بن ألّما ١٣٨٣هـ.

٢٣ ـ الأخطاء الشائعة في بلاد شنقيط الشيخ صداف بن محمد البشير المسومي أشهر القراء الماهرين في القراءات في هذا العصر في موريتانيا.

٢٤ ـ سمير القارىء والسامع محمد القاظي بن الشيخ محمد الحجاجي.

٢٥ ـ ما به الأخذ له.

٢٦ ـ الفارق بين رواية ورش وحفص أعمر بن محم بوبه الجكني طبع بالمدينة المنورة.

٢٧ ـ ملاحن القراء الشيخ بن حامني القلاوي ١٣١٨هـ حقق في المدرسة العليا للأساتذة ١٤٠٠هـ.

٢٨ ـ الجيم العربية محنض باب ابن اعبيد الديماني ١٢٧٧هـ.

٢٩ ـ ترجيح الجيم غير المنعقدة حامدن بن محمد بن محنض باب ١٣٦٣هـ.

٣٠ ـ ثمرة الجوامع في قراءة نافع محمد محمود بن محمد الأمين اللمتوني.

٣١ ـ تأليف في القراءات سيد الفاضل بن محمد بن محمود الحسني.

٣٢ ـ نظم غيث النفع في القراءات السبع وشرحه سيد بن اخليل السمسدي ١٣٦٥هـ.

٣٣ ـ الفرش فيما تخالف فيه حفص وورش.

٣٤ ـ تأليف في التجويد سيدي محمد بن حبت القلاوي ١٢٨٨هـ.

٣٥ ـ الضاد للشيخ سيدي بابا بن الشيخ سيدي ١٣٤٢هـ حقق في المدرسة العليا للأساتذة ١٤٠٢هـ.

٣٦ ـ نظم الشوشاوي في القراءات نظمه أحمذ بن زياد الديماني ١٣٢٢هـ.

٣٧ ـ محمد بن حنبل الحسني ١٣٠٠هـ المخارج والصفات.

٣٨ ـ الشيخ محمد المامي الباركي ١٢٨٢هـ المخارج والصفات.

٣٩ ـ محمد اليدالي الديمان ١١٦٦هـ المخارج والصفات.

٤٠ ـ رفع الخفاء في منع إبدال الهمزة هاء عبدالله بن الإمام حقق في المعهد العالي.

٤١ السيد محمد خطار منظومة في إبطال الجيم المتفشية.

٤٢ ـ تطريز الدرر نظم في القراءات السبع له.

٤٣ ـ إرشاد القراء في أرجح الأقوال في حكم قراءة الهمزة بصوت الهاء الأستاذ محمد المختار بن أحمد.

٤٤ ـ أحكام همزة بين بين لجميع القراء الأربعة عشر عبدالله بن داداه الأبييري.

٤٥ ـ محمد عبدالله بن البشير المالكي تأليف في التجويد.

٤٦ ـ محمد فال بن محمد بن أحمد بن العاقل الديماني.

٤٧ ـ محمد فال بن باب العلوي ١٣٤٩هـ.

٤٨ ـ المختار بن قليب السباعي ق١٣هـ.

٤٩ ـ البنّاني بن أحمد جدو العلوي ت بداية ق١٣هـ نظم في بعض الأخطاء الشائعة في التجويد.

٥٠ ـ مضيء الاختلاف لمحمد محمود بن الحاج أحمد يقول فيه:

سميته مضيء الاختلاف لتركه لشق الائتلاف

حقق في المعهد العالي.

٥١ ـ مؤلف في المخارج والصفات زين بن أجّمد اليدالي «طريق السداد».

٥٢ ـ منظومة في قراءة نافع أعمر بن محم بوبّه الجنكي.

٥٣ ـ مكتوب في إبدال الهمزة هاء خالصة ومعه نظم في نفس الموضوع أعمر بن محم بوبه أيضاً.

٥٤ ـ لمرابط محمد شيخنا بن محمد الأمين «نيل البش» في الفرق بين رواية ورش وحفص.

● **أما شروح الدرر اللوامع في بلاد شنقيط فهي كثيرة منها:**

١ ـ شرح عبدالله بن الحاج حماه الله ت١٢٠٩ وهو شرح متوسط يوجد بقسم الخطوطات بدار الثقافة تحت رقم ٣٥٠ وفيه انطماس وفي المكتبات الخاصة.

٢ ـ شرح عبدالله بن الحاج محمد الرقيق ت١٢٢٠ ويسمى هذا الشرح بالبدر الساطع على الدرر اللوامع في أصل مقرأ نافع.

٣ ـ شرح محمد حبيب الله بن مايابي ت١٣٦٦هـ المسمى: كنز المطالع على الدرر اللوامع.

٤ ـ إرشاد القارىء والسّامَعْ لكتاب الدرر اللوامع لأحمد بن الطالب محمود إدوعيشي ت١٢٥٧هـ وتوجد منه أعداد كثيرة في المعهد العالي ودار الثقافة والمكتبات الخاص. حقق في المعهد العالي.

٥ ـ شرح لمرابط محمد أحيد المسومي المتوفي في حدود ١٣٣٦هـ.

٦ ـ شرح محمد مولود بن أحمد فال ت١٣٢٣هـ.

٧ ـ شرح محمد أحيد بن اطفيل رقمه بالمعهد العالي للدراسات وبالبحوث الإسلامية ١١٢٨.

٨ ـ محمد عبدالله بن اغشققت.

٩ ـ شرح سيدي محمد بن أجداد ت في أواسط ق١٤هـ وعندي نسخة من شرحه ساقطة الأول وتبدأ من: (القول في التعوذ المختار).

١٠ ـ شرح محمدن بن المحبوبي ت١٣٣٥هـ ذكره لي العلامة محمد سالم بن المحبوبي المحاضر بالمعهد العالي ومدير الدروس به سابقاً رحمه الله رحمة واسعة.

١١ ـ شرح محمد محمود بن محمد الأمين للمتوني معاصر وهو شرح طويل اختصره بعد ذلك.

١٢ ـ شرح القاضي الإمام مالك بن أحمد الأفرم معاصر.

١٣ ـ الشرح النافع على الدرر اللوامع لسيد محمد بن الطالب أعل (حقق في معهد ابن عباس).

١٤ ـ طريف الماسمع على الدرر اللوامع لمحمد فال بن ببان معاصر. حقق.

١٥ ـ مفيد القارىء والسامع على الدرر اللوامع للعلامة الحاج بن فحف معاصر رقمه ١٧٤٢ دار الثقافة.

١٦ ـ البدر الساطع على الدرر اللوامع لأستاذنا محمد المصطفى بن أحمد معلوم رحمه الله وهو شرح مستفيض متداول في محيطه، واسم هذا الشرح متطابق مع شرح آخر قد مضى وهو رقم ٢ من هذه الشروح الموريتانية.

١٧ ـ المقبول النافع على الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع لمحمد أحيد بن الطالب بن أعل ت١٩٧٨م حقق.

١٨ ـ حلية المسامع بمكنونات الدرر اللوامع: للإمام عبدالله بن الإمام رحمه الله طبع بالإمارات العربية المتحدة.

١٩ ـ شرح الشيخ محمد المصطفى بن سيدي يحيى المشهور بعلم القراءات ت حوالي ١٣٨٨هـ.

٢٠ ـ شرح مختور بن أجميل معاصر.

٢١ ـ سمير القارىء والسامع، على كتاب الدرر اللوامع ومؤلفه الشيخ محمد القاظي بن الشيخ محمد معاصر، وهو شرح ومعه منظومة للمؤلف أراد أن يضيف فيها بعض الأمور التي فاتت على ابن بري ويأتي فيها بما به الأخذ في الآداء الشنقيطي (تقدم ذكره).

٢٢ ـ المحوصلة على الدرر اللوامع محمد بن سيدي بن عبدالله التندغي ت١٣٧٨هـ.

* * *

ثانياً: الرسم والضبط

• المؤلفون في الرسم والضبط:

١ ـ العلامة الطالب سيد المختار ولد الطالب أعلى الجكني الملقب هاه. له كتاب في الرسم وتوجد نسخة منه بالخزانة العامة بالرباط.

٢ ـ الشيخ محمد سعيد اليدالي ت١١٦٦هـ له نظم في الحذف يقول فيه:

وَبَعْدُ فَالْمَقْصُودُ ذِكْرُ الْحَذْفِ　　مُخْتَصَراً مِنْ غَيْرِ ذِكْرِ الْخُلْفِ

٣ ـ الشيخ الطالب عبدالله بن الشيخ محمد الأمين له كتاب الإيضاح الساطع على المحتوى الجامع، في رسم الصحابة وضبط التابع مطبوع وهو أشهر كتب الرسم والضبط في بلاد شنقيط وغرب إفريقيا على الإطلاق.

٤ ـ الشيخ محمد العاقب بن مايابى: رَشْفُ اللمى على كشف العمى، مطبوع.

٥ ـ الشيخ محمد أحيد بن سيد عبدالرحمن المسومي ت١٣٣٦هـ له كتاب في الرسم.

٦ ـ الشيخ عبدالودود بن حمية له ثلاث كتب في الرسم.

٧ ـ الشيخ أحمد بن محمد الحاجي ت١٢٥١هـ له كتاب في الرسم يقول فيه:

سميته بالجوهر الْمُنظَّمِ   في الرسْمِ مِن كتابنا المعظَّمِ

٨ ـ الشيخ الدنبجة بن معاوية له كتاب جميل في الرسم والضبط يقول فيه:

بِالْمُحْتَوى الْجَامِعِ فِيهِ أَأْتَمِى   وَأَأْتَمِي بِالْجَوْهَرِ الْمُنَظَّمِ

٩ ـ وللمرابط عبدالفتاح نظم في الحذف.

١٠ ـ ولمحمد الحسن بن الإمام ت١٣٧٣هـ كتاب في الرسم.

١١ ـ وللشيخ الجليل مقرئي العصر الشيخ صداف بن محمد البشير المسومي حفظه الله كتب جليلة في الرسم.

١٢ ـ عبدالله بن الحاج حماه الله القلاوي ١٢٠٩ منظومة في الحذف.

١٣ ـ محمد بن أباتي التندغي ١٣٦٣هـ منظومة في ضبط القراء العشرة للقرآن.

١٤ ـ الشيخ محمد عبدالله بن عبدالله الحاجي الوتدي ضبط القراء السبعة.

١٥ ـ ضبط قالون للشيخ محمد محمود النجاشي المسومي.

* * *

ثالثاً: علم الآي

١ ـ لمرابط بن محمد أحيد بن سيد عبدالرحمن المسومي **ت١٣٣٦هـ** وسيلة النائل.

٢ ـ محمد الأمين بن سيد محمد الجكني اليعقوبي **ت ق١٤هـ** نبذة التحرير في عدد آي المدني الأخير.

٣ ـ وله اختلاف المصاحف.

٤ ـ عبدالودود بن حمية **١٣٩٧هـ** الوسائل في علم الفواصل حقق في المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية.

٥ ـ نظم في فواصل السور محمد فال بن أحمد بن العاقل **ت١٣٤٤هـ**.

٦ ـ قصيدة في عد آي القرآن الكريم زين بن أجمد.

❋ ❋ ❋

رابعاً: المؤلفون في الناسخ والمنسوخ

١ ـ الناسخ والمنسوخ لمرابط بداه بن البوصيري.

٢ ـ الشيخ محمد المامي الشمشوي **ت١٢٨٢هـ** قصيدة في ترتيب السور المكية والمدنية. وما فيها من ناسخ ومنسوخ يقول في مقدمتها:

فَمَا أنت إلا رهن دَارَة جُلْجُل ... سَبِيلاً إِلى دَارِ الخُلُودِ فَسَلْ سَلِ

وَلاَسِيَّمَا مِنْهُ مَجَالُ التنزُّلِ ... فَجُلْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ جَائِلاً

٣ ـ عبدالودود بن حمية الرسوخ في علم الناسخ والمنسوخ حقق في المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية.

٤ ـ الشيخ محمد محمود بن بيه المسومي **ت١٣١٦هـ** منظومة في الناسخ والمنسوخ.

٥ ـ محمد يحيى بن محمد المختار الولاتي **ت١٣٣٠هـ** منظومة وشرحها في الناسخ والمنسوخ.

٦ ـ محمد عبدالله بن يحظيه القناني **ت١٣٤٧هـ** منظومة في الناسخ والمنسوخ.

٧ ـ محمد يحيى بن سليمة اليونسي **ت١٣٥٤هـ** منظومة في الناسخ والمنسوخ من القرآن.

٨ ـ أحمد بن دهاه العلوي **ت١٣٦١هـ** إتحاف ذوي الرسوخ في الناسخ والمنسوخ.

٩ ـ الشيخ محمد أحمد بن الرباني التندغي نظم سور القرآن وناسخها ومنسوخها.

١٠ ـ حبيب الله بن محمد محمود الباركي منظومة في الناسخ والمنسوخ.

١١ ـ الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار **ت١٣٩٣هـ** شرح قصيدة السيوطي في الناسخ والمنسوخ.

١٢ ـ (اباو) بن مولاي له مَنظومة في الناسخ والمنسوخ من القرآن يقول فيها:

وَبَعْدُ فَالتَّفْسِيرُ كُلٌّ حَظَلَهْ   لِجَاهِلِ النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ لَهْ

١٣ ـ محمد محمد عبدالله يعقوبي من الأعمام له الناسخ والمنسوخ.

❋ ❋ ❋

خامساً: إعجاز القرآن

١ ـ رسالة إعجاز القرآن للعلامة بابا بن الشيخ سيدي **١٣٤٢هـ**.

❋ ❋ ❋

سادساً: المتشابه

١ ـ عبدالله بن الحاج حماه الله ١٢٠٩ منظومة في المتشابه.

٢ ـ أحمد بن محمد الحاجي تحفة الأصاغر في ذكر ما يخفى من النظائر (منظومة).

٣ ـ المختار بن بيدج الديماني ت١٣٠٩هـ عطية الوهاب فيما تجانس من الكتاب «منظومة».

٤ ـ محمد المختار بن أحمد فال العلوي ت١٣٤١هـ منظومة في متجانسات القرآن.

٥ ـ لمهابه بن الطالب إميجن الجملي ت١٣٨٢هـ كتاب في المتشابه من القرآن[1].

٦ ـ الشيخ عبدالرحمن بن بلال الجملي تأليف في المتشابه من القرآن.

٧ ـ الطالب عبدالله الجكني نظم في المتشابه من كلمات القرآن.

* * *

سابعاً: الوقف والابتداء

١ ـ أحمد بن محمد الحاجي ت١٢٥١هـ الجوهرة في الأوقاف.

٢ ـ النجاشي بن محمد أحيد المسومي نظم وقف الهبطي.

٣ ـ الوقف للإمام بداه بن البوصيري.

ومؤلفات القرآن غير ما ذكرته كثيرة ولكن هذا هو الذي تيسر، وهو يدل على أن المدرسة القرآنية الشنيقطية كانت حيوية ومتشعبة وتناولت

(١) وربما يكون موضوع هذا الكتاب علم العقائد.

جوانب متعددة من جوانب خدمة القرآن الذي هو منطلق المعارف عند المسلمين قال الزركشي في البرهان: وكل علم مقتبس من القرآن وإلا فليس له برهان[١] أما غلبة النظم على هذه المؤلفات فتلك ظاهرة تحدثنا عنها ولنا منها موقف بيناه في مناسبة سابقة فلا يتسع المقام للتعرض له مرة أخرى.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



(١) البرهان ج١ ص٧ ط١٤٠٨ دار الكتب العلمية بيروت.

فهرس المصادر والمراجع

أولاً ـ المصادر التي لم تنشر:

١ ـ **إدارة التعليم في موريتانيا** ـ دبلوم دراسات عليا المدرسة الإدارية بالمغرب (مرقونة). الأستاذ محمدن بن محمد علي.
٢ ـ **إضاءة الدجنة في اعتقاد أهل السنة** (مخطوطة). لأحمد المقري المغربي.
٣ ـ **إفادة الأريب من لغة القرآن بالغريب** (مرقونة). محمد بن سيدي محمد الجكني.
٤ ـ **أوجز البرهان في بيان بعض غامض القرآن** (مرقونة). حبيب الله بن محمد محمود الباركي.
٥ ـ **تأويل محكم التنزيل** (مخطوطة). معروف بن الكوري البركني.
٦ ـ **التذريب من لغة القرآن بالغريب** (مرقونة). محمد فال بن الأمين بن آبني التمكلاوي.
٧ ـ **تطور منهج التفسير في موريتانيا** دراسات معمقة تونس (مرقونة). عبدالله بن أحمد عبيد.
٨ ـ **التنوير في علم التفسير** جزءان (مرقونة). عبدالودود بن حميه.
٩ ـ **الحديث الشريف علومه وعلماؤه ببلاد شنقيط** دبلوم دراسات عليا بكلية الآداب جامعة محمد الخامس (مرقونة). محمد الحافظ بن المجتبى.
١٠ ـ **دراسة شخصية محمد الحسن بن الإمام (بيدر)** (مرقونة). محمد العاقب بن محمد أحمد.
١١ ـ **الدليل الماهر الناصح** (مرقونة). للشيخ محمد يحيى الولاتي تقديم (اب) بن سيدي محمد.

١٢ ـ **دمية المحراب بما في القرآن من التصريف والإعراب** الجزء الأول (مرقونة) محمدن فال بن أحمد بن العاقل.

١٣ ـ **دور المحاضر في موريتانيا** (مرقونة). تأليف محمد المصطفى بن الندى رحمه الله.

١٤ ـ **الذهب الإبريز في تفسير كتاب الله العزيز** (مخطوطة) محمد اليدالي.

١٥ ـ **الراقعة في تفسير الواقعة** (مخطوطة) لابن أحمد يورا.

١٦ ـ **الرحلة في الأدب الموريتاني** دبلوم الدراسات العليا من كلية الآداب بالرباط (مرقونة). محمدن بن أحمد المحجوبي.

١٧ ـ **الريان في تفسير القرآن** (مخطوطة). محمد بن محمد سالم المجلسي.

١٨ ـ **شنقيط ودورها الثقافي والاقتصادي في منتصف القرن ٢٠** (مرقونة) أحمد بن المفيد.

١٩ ـ **طلعة الأنوار** (مخطوطة). لسيد عبدالله بن الحاج إبراهيم العلوي.

٢٠ ـ **عجالة الراكب وقبس الذاهب** (مخطوطة). كويمنات.

٢١ ـ **عجالة المجود**. لبيدر بن الإمام (مخطوطة). تحقيق محمد بن مولود.

٢٢ ـ **العروة الوثقى إلى أعلى مرتقى** (مخطوطة). بيدر بن الإمام.

٢٣ ـ **قراءة صوفية لتفسير اليدالي الذهب الإبريز**. افرانك لاكونت (مرقونة بالفرنسية).

٢٤ ـ **المحاضر الموريتانية وآثارها التربوية** (الماجستير) من جامعة الملك عبدالعزيز (مرقونة). الصوفي بن محمد الأمين.

٢٥ ـ **المقبول النافع**. لمحمد أحيد بن الطالب بن أعل تحقيق ودراسة محمد بن مولاي دبلوم دراسات عليا من كلية الآداب بالرباط (مرقونة).

٢٦ ـ **الفكر الأصولي عند علماء شنقيط** دبلوم دراسات عليا من كلية الآداب بالرباط (مرقونة). عثمان بن الشيخ أحمد أبي المعالي.

٢٧ ـ **كشف الأستار عن بعض ما في الذكر من الأضمار** (مخطوطة) البشير بن امباريقي.

٢٨ ـ **كشف النقاب عن أسرار فاتحة الكتاب** (مخطوطة). للشيخ سيد المختار الكنتي.

٢٩ ـ **اللجين المذهب** (مخطوطة). لأحمد بن زياد الديماني.

٣٠ ـ **مراقي الأواه إلى تدبر كتاب الله** أحمد بن أحمذي تحقيق ودراسة أحمد بن اباه دبلوم دراسات عليا كلية الآداب بالرباط (مرقونة).

٣١ ـ **المنحى التأصيلي عند محمد مولود بن أحمد فال** (مرقونة) مريم بنت محمد عبدالله.

٣٢ ـ **منهج الشيخ الشنقيطي في تفسير آيات الأحكام**. عبدالرحمن السديس (مرقونة).
٣٣ ـ **نظم بو طليحية للكتب المعتمدة وغير المعتمدة** (مخطوطة). للنابغة القلاوي.
٣٤ ـ **نظم سيدي محمد بن مولاي عبدالله لنقاية السيوطي** (مخطوطة).
٣٥ ـ **نظم زين بن اجمد لمفحمات الأقران** الجزء الأول (مرقونة).
٣٦ ـ **نظم عبدالله بن الإمام لغريب القرآن** (مرقونة).
٣٧ ـ **نظم وسيلة السعادة للمختار بن بونا الجكني** (مخطوطة).

ثانياً ـ المصادر والمراجع المطبوعة:

٣٨ ـ **الإتقان في علوم القرآن**، جلال الدين السيوطي، المكتبة الثقافية، طبعة بيروت ١٩٧٣م.
٣٩ ـ **أحكام القرآن ابن العربي**، تحقيق علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي ١٩٧٦م.
٤٠ ـ **إحياء علوم الدين**، أبو حامد الغزالي، مطبعة لجنة نشر الثقافة الإسلامية ١٣٥٦هـ.
٤١ ـ **إرشاد الفحول في تحقيق الحق من علم الأصول**، الشوكاني، الطبعة الأولى بمصر ١٣٥٦هـ.
٤٢ ـ **أروع ما قيل في الشعر**، الدكتور يحيى سامي، دار الفكر العربي، ط .أولى ١٩٩٩ بيروت ـ لبنان.
٤٣ ـ **أسباب اختلاف المفسرين**، الدكتور محمد عبدالرحمن الشايع، مكتبة العبيكان ١٤١٦هـ ط أولى.
٤٤ ـ **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، ابن عبدالبر القرطبي مع الإصابة ١٣٥٨هـ.
٤٥ ـ **الأسس العقدية التشريعية والأخلاقية كما تصورها سورة النجم** ط أولى ١٤١٢ دار القبلة السعودية، الشيخ محمد عمر حوية الشنقيطي المدني.
٤٦ ـ **الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير**، محمد محمد أبو شهبة، مكتبة السنة ١٤٠٨هـ.
٤٧ ـ **الإسرائيليات في التفسير والحديث**، محمد حسين الذهبي، الطبعة الثانية، بيروت ١٤٠٥.
٤٨ ـ **الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ بن حجر العسقلاني**.
٤٩ ـ **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**، مصطفى صادق الرافعي، ط٨ مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٩٦٥م.

٥٠ ـ **أعز ما يطلب**، محمد بن تومرت (المهدى) تحقيق د.عبدالغني أبو العزم، مؤسسة الغنى للنشر، المغرب ـ الرباط ١٩٩٧م.

٥١ ـ **الإعلام**، خير الدين الزركلي، الطبعة العاشرة، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٩٢م.

٥٢ ـ **إملاء ما من به الرحمن من إعراب القرآن**، عبدالله بن الحسين أبو البقاء العكبري، دار الكتب العلمية، بيروت ١٣٩٩هـ ط أولى.

٥٣ ـ **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ناصر الدين أبو الخير عبدالله بن عمر البيضاوي، دار الكتب العربية ١٣٣٠هـ.

٥٤ ـ **بحث في التفسير التحليلي**، دار البخاري بالمدينة (د.ت) الشيخ عبدالله بن الشيخ محمد الأمين الشنقيطي.

٥٥ ـ **بحوث في أصول التفسير ومناهجه**، مكتبة التوبة ط رابعة ١٤١٩هـ الدكتور فهد بن عبدالرحمن الرومي.

٥٦ ـ **البحر المحيط** ط الثانية ١٣٩٨هـ أحمد بن يوسف أبو حيان أثير الدين الأندلسي.

٥٧ ـ **بدع التفاسير** ط دار الرسالة الحديثة، الدار البيضاء ـ المغرب ١٤٠٦هـ، عبدالله محمد الصديق الغماري الحسني الإدريسي.

٥٨ ـ **البرهان في علوم القرآن**، طبعة دار المعرفة، بيروت ١٩٧٩ لبدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي، تحقيق أحمد أبو الفضل.

٥٩ ـ **بعض مظاهر التطور اللغوي** «سلسلة الدراسات اللغوية» (٢) دار النشر المغربية ١٩٧٨ الدكتور التهامي الراجي الهاشمي.

٦٠ ـ **بلاد شنقيط المنارة والرباط تونس** أولى ١٩٨٧ المنظمة العربية للثقافة والعلوم، الأستاذ الخليل النحوي.

٦١ ـ **تاريخ التشريع الإسلامي**، مطبعة عيسى الحلبي بمصر ١٩٣٠م، الشيخ محمد الخضري بك.

٦٢ ـ **البيان لبعض معاني القرآن**، ط أولى ببيروت ١٤١٣هـ، الطالب اخيار بن الشيخ يونن الشنقيطي.

٦٣ ـ **اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري**، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٨هـ، الدكتور فهد بن عبدالرحمن الرومي.

٦٤ ـ **التحرير والتنوير**، الدار التونسية للنشر ط١٩٧١م، محمد الطاهر بن عاشور.

٦٥ ـ **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الإمام مالك** دار الحياة بيروت (د.ت) للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي، تحقيق الدكتور أحمد بكير محمود.

٦٦ ـ **الترجمان والدليل** دار السلام للطباعة والنشر، ط أولى القاهرة ١٤١٣هـ، الشيخ المختار بن أحمد محمود الجكني.

٦٧ ـ **التسهيل لعلوم التنزيل**، ط ثانية دار الكتاب العربي بيروت ١٩٧٣م، محمد بن أحمد بن جزي الكلبي الغرناطي.

٦٨ ـ **التصوير الفني في القرآن**، دار الشروق ط خامسة ١٩٧٦م سيد قطب.

٦٩ ـ **التفسير البياني للقرآن الكريم**، دار المعارف بمصر ط ثالثة ١٩٦٨م، الدكتورة عائشة عبدالرحمن.

٧٠ ـ **تفسير القرآن العظيم**، ط ثانية المكتبة العصرية ١٤١٤هـ، للحافظ عماد الدين ابن كثير الدمشقي.

٧١ ـ **التفسير الكبير**، المطبعة المصرية ١٣٥٢هـ، فخر الدين ضياء الدين أبو الفضل الرازي.

٧٢ ـ **التفسير واتجاهاته بإفريقيا من النشأة إلى القرن الثامن للهجرة**، ط أولى تونس، الدكتورة وسيلة بلعيد بن حمدة.

٧٣ ـ **التفسير والمفسرون**، ط ثانية، دار الكتب الحديثة ١٣٦٩، الدكتور محمد حسين الذهبي.

٧٤ ـ **الجامع لأحكام القرآن**، ط ثالثة، دار الكتاب العربي ١٩٦٧ بيروت، أحمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي.

٧٥ ـ **الجامع الصحيح**، ط دار إحياء التراث العربي بيروت (د.ت)، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي.

٧٦ ـ **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ط ثالثة، دار المعارف بمصر ١٣٨٨هـ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري تحقيق أحمد ومحمود ومحمد شاكر.

٧٧ ـ **جواهر الإكليل شرح مختصر خليل**، ط كانو نيجيريا (د.ت)، صالح عبدالسميع الأبي الأزهري.

٧٨ ـ **جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف**، مكتبة العبيكان الرياض ١٤١٩هـ، عبدالله بن صالح الطويان.

٧٩ ـ **حياة موريتانيا الثقافية**، ط أولى الدار العربية للكتاب بيروت ١٩٩٠م، المختار بن حامدن.

٨٠ ـ **الحاوي للفتاوي**، ط دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٢هـ، جلال الدين السيوطي.

٨١ ـ **دراسات في أصول تفسير القرآن**، ط ثانية دار الثقافة بالمغرب ١٤٠٢هـ، الدكتور محسن عبدالحميد.

٨٢ ـ **دراسات في القرآن**، دار النهضة العربية بيروت ١٩٦٩م، الدكتور أحمد خليل.

٨٣ ـ **الدعوة إلى الله في سورة إبراهيم الخليل عليه السلام**، ط دار إحياء الكتب العربية، ط ثانية (د.ت)، الشيخ د.محمد بن سيدي بن الحبيب.

٨٤ ـ **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، ط التراث، القاهرة (د.ت)، القاضي برهان الدين إبراهيم بن علي بن فرحون.

٨٥ ـ **ديوان غيلان**، دار الكتاب العربي، بيروت (د.ت)، غيلان ذو الرومة.

٨٦ ـ **رشف اللمى على كشف العمى**، المطبعة الوطنية بانواكشوط أولى ١٤١٦هـ، محمد العاقب مايابى تحقيق محمد بن مولاي.

٨٧ ـ **سنن أبي داود**، مطبعة مصطفى محمد القاهرة (د.ت)، للإمام أبي داود.

٨٨ ـ **سنن النسائي مع شرح السيوطي**، الطبعة الأزهرية بمصر (د.ت) للإمام النسائي.

٨٩ ـ **السلفية وأعلامها في موريتانيا**، ط أولى، دار ابن حزم ١٤١٦هـ، الدكتور الطيب بن عمر بن الحسين.

٩٠ ـ **سير أعلام النبلاء**، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٥هـ، لشمس الدين الذهبي، دار الفكر بيروت (د.ت).

٩١ ـ **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**، محمد بن عقيل.

٩٢ ـ **شعراء موريتانيا القدماء والمحدثون**، ط أولى بيروت ١٩٦٢م محمد يوسف مقلد.

٩٣ ـ **الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ**، ط مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٣٦٩هـ، القاضي عياض.

٩٤ ـ **صحيح مسلم**، توزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء الرياض ١٤٠٠هـ للإمام مسلم.

٩٥ ـ **ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال**، ط٥ دار القلم دمشق ١٤١٩هـ، عبدالرحمن حبنكة الميداني.

٩٦ ـ **ضياء التأويل، في معاني التنزيل**، دار الثقافة بالقاهرة ١٩٦١م لمحمد عبدالله بن محمد بن عثمان فودي.

٩٧ ـ **سنن ابن ماجه**، طبعة عيسى البابي الحلبي بمصر (د.ت) لابن ماجه.

٩٨ ـ **طبائع الاستبداد، ومصارع الاستعباد**، المطبعة العصرية حلب (د.ت)، عبدالرحمن الكواكبي.

٩٩ ـ **طبقات المفسرين**، مكتبة وهبة القاهرة أولى ١٣٩٦هـ، جلال الدين السيوطي.

١٠٠ ـ **العقد الفريد**، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٩٦٥م، ابن عبد ربه.

١٠١ ـ **علماء ومفكرون عرفتهم**، محمد المجذوب، دار النفائس بيروت الأولى ١٣٧٩هـ.

١٠٢ ـ **غاية النهاية في طبقات القراء**، ط أولى ١٣٥١هـ، للمحقق محمد بن الجزري.

١٠٣ ـ **فتح الباري على صحيح البخاري**، نشر المطبعة السلفية (د.ت)، أحمد بن حجر العسقلاني.

١٠٤ ـ **فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور**، الطالب محمد الولائي البارتيلي، دار الغرب الإسلامي تحقيق إبراهيم الكتاني ومحمد حجي، بيروت ١٩٨١م.

١٠٥ ـ **فتح الودود شرح المقصور والممدود**، الطبعة الثانية السعودية ١٩٩١م الشيخ سيد المختار الكنتي، تحقيق مأمون محمد أحمد.

١٠٦ ـ **في ظلال القرآن**، دار الشروق الطبعة العاشرة ١٤٠٢هـ، سيد قطب.

١٠٧ ـ **القاموس المحيط**، طبعة دار الفكر بيروت ١٣٩٨هـ لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي.

١٠٨ ـ **القلب في القرآن**، الطبعة الخامسة دار الفضيلة الرياض ١٤٢١هـ الشيخ سيدي محمد بن سداتي الشنقيطي.

١٠٩ ـ **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل ووجوه التأويل**، طبعة محمد مصطفى القاهرة ١٣٠٨هـ لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري.

١١٠ ـ **الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وأحكامها**، ط مجمع اللغة العربية دمشق ١٣٩٤هـ، مكي بن أبي طالب تحقيق د.محيي الدين رمضان.

١١١ ـ **لباب التأويل، في معاني التنزيل**، مطبعة التقدم ١٣٢١هـ، لعلاء الدين أبي الحسن علي بن محمد الخازن.

١١٢ ـ **لسان العرب**، ط أولى دار صادر بيروت ١٣٠٠هـ، لأبي الفضل جمال الدين محمد جمال الدين المعروف بابن منظور.

١١٣ ـ **مجموع الفتاوي**، مكتبة المعارف زنقة باب شالة المغرب، شيخ الإسلام ابن تيمية.

١١٤ ـ **محاسن التأويل**، دار إحياء الكتب العربية القاهرة ط أولى ١٣٧٦هـ، لجمال الدين القاسمي وبعناية محمد فؤاد عبدالباقي.

١١٥ ـ **مدرسة التفسير بالأندلس**، مؤسسة الرسالة ط أولى ١٤٠٦هـ، الدكتور مصطفى إبراهيم المشني.

١١٦ ـ **مذكرة الشيخ الشنقيطي على روضة الناظر**، ط الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة للشيخ محمد الأمين الشنقيطي.

١١٧ ـ **مراقي السعود إلى مراقي السعود**، مكتبة ابن تيمية القاهرة ط أولى ١٤١٣هـ، محمد الأمين بن أحمد زيدان، تحقيق الدكتور محمد المختاره محمد الأمين الشنقيطي.

١١٨ ـ **مرغب العباد**، نشر مكتبة إحياء التراث بالمدينة المنورة ١٤١٩هـ محمد الأمين بن أحمد زيدان تحقيق محمد بن مولاي.

١١٩ ـ **المسند**، طبعة دار صادر بيروت ١٣٧٦، للإمام أحمد بن حنبل.

١٢٠ ـ **معالم التنزيل**، ط دار إحياء التراث العربي بيروت ١٤٢٠هـ، أبو الحسن البغوي تحقيق عبدالرزاق المهدي.

١٢١ ـ **معجم المؤلفين**، مكتبة المثنى بيروت ط دار إحياء التراث العربي ١٩٥٧م عمر رضا كحالة.

١٢٢ ـ **معجم مصنفات القرآن الكريم**، ط الرياض ١٤٠٣هـ، الدكتور علي شواخ إسحاق.

١٢٣ ـ **معجم المفسرين**، ط أولى مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت ١٤٠٣هـ عادل نويهض.

١٢٤ ـ **المعيار المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، ط٣ بيروت، دار الثقافة (د.ت)، أبو عبدالله محمد بن عذاري المراكشي.

١٢٥ ـ **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، ط القاهرة (د.ت)، محمد بن هشام.

١٢٦ ـ **المغني في الفقه**، ط ثالثة بيروت ١٣٦٧هـ، أبو محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي.

١٢٧ ـ **المغني في توجيه القراءات العشر**، ط ثانية مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة ١٤٠٦هـ، الدكتور محمد سالم محيسن.

١٢٨ ـ **مفحمات الأقران في مبهمات القرآن**، مؤسسة علوم القرآن دمشق (د.ت)، للحافظ السيوطي تحقيق الدكتور مصطفى البغا.

١٢٩ ـ **المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات**، مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٢٠هـ، محمد بن عبدالرحمن المغراوي.

١٣٠ ـ **مقدمة في أصول التفسير**، الطبعة الثالثة ١٣٩٩هـ، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق الدكتور عدنان زرزوق.

١٣١ ـ **المقدمة**، دار إحياء التراث العربي، بيروت (د.ت)، عبدالرحمن بن خلدون.

١٣٢ ـ **مقدمة في الأصول الفكرية والبلاغية وإعجاز القرآن**، ط أولى، دار الأمان، الدكتور أحمد أبو زيد.

١٣٣ ـ **القوانين الفقهية**، مطبعة بيروت ١٩٧٩ محمد بن أحمد بن جزي الغرناطي.
١٣٤ ـ **مكانة أصول الفقه في الثقافة المحضرية**، ط أولى بيروت بدون ذكر اسم دار النشر ١٤١٦هـ محمد محفوظ بن أحمد.
١٣٥ ـ **مناهل العرفان في علوم القرآن**، دار الكتاب العربي بيروت ١٤١٩هـ، محمد عبدالعظيم الزرقاني، تحقيق فواز أحمد زمرلي.
١٣٦ ـ **منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات**، مطبعة النجاح الحديثة، للشيخ الشنقيطي.
١٣٧ ـ **مواهب الجليل**، طبعة القاهرة (د.ت)، أبو عبدالله محمد بن محمد الحطاب المالكي.
١٣٨ ـ **الموطأ مع الزرقاني**، ط دار الفكر ١٣٥٥. الإمام مالك والزرقاني.
١٣٩ ـ **من روائع القرآن**، ط خامسة مكتبة الفارابي ١٩٩٧م الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي.
١٤٠ ـ **نشر البنود على مراقي السعود**، ط أولى فضالة المغرب، سيدي عبدالله بن الحاج إبراهيم.
١٤١ ـ **النشر في القراءات العشر**، ط دار الفكر بيروت (د.ت).
١٤٢ ـ **المحقق محمد الجرزي**، تصحيح ومراجعة علي محمد الضباع.
١٤٣ ـ **نظم بو طليحية على ما اعتمد من الكتب والأقوال**، شرح الأستاذ يحيى بن البراء.

المجلات والجرائد:

١٤٤ ـ مجلة الجماهير العربية للتربية والثقافة عدد ٣٢٠ السنة ٨٧ بغداد.
١٤٥ ـ مجلة الشعاع التي يصدرها المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية.
١٤٦ ـ مجلة كلية الآداب بجامعة نواكشوط السنة ٩٤ العدد ٦.
١٤٧ ـ مجلة رمضانيات وزارة الثقافة لموريتانيا ١٤١٦هـ.
١٤٨ ـ وثائق بالمدرسة الوطنية للإدارة بموريتانيا.

❑ ❑ ❑ ❑



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

□ □ □ □